

تفسير السعدي

ولا تركنوا أي: لا تميلوا إلى الذين ظلموا فإنكم، إذا ملتكم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم

ونهاهم عنه، ويمتثلون لتلك الأوامر الحسنة المثمرة للخيرات، الدافعة للشرور والسيئات، ولكن تلك الأمور، تحتاج إلى مجاهدة النفس، والصبر عليها. 114
وتعديده، وعدم الركون إلى الذين ظلموا، والأمر بإقامة الصلاة، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات، الجميع ذكرى للذاكرين يفهمون بها ما أمرهم الله به،
كبائر ما تهنون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ذلك لعل الإشارة، لكل ما تقدم، من لزوم الاستقامة على الصراط المستقيم، وعدم مجاوزته
والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، بل كما قيدتها الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعالى: إن تجتنبوا
فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك: الصفائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل قوله: الصلوات الخمس،
الحسنات يذهبن السيئات أي: فهذه الصلوات الخمس، وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي: مع أنها حسنات تقرب إلى الله، وتوجب الثواب،
وصلات الظهر والعصر، وزلفا من الليل ويدخل في ذلك، صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد، وتقربه إلى الله تعالى. إن
يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة طرفي النهار أي: أوله وآخره، ويدخل في هذا، صلاة الفجر،

عملوا، ويجزيهم أجرهم، بأحسن ما كانوا يعملون، وفي هذا ترغيب عظيم، للزوم الصبر، بتشويق النفس الضعيفة إلى ثواب الله، كلما وثت وفترت. 115
أي: احبس نفسك على طاعة الله، وعن معصيته، وإلزامها لذلك، واستمر ولا تضجر. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي
واصبر

على الأدنى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون، إماما في الدين، إذا جعل عمله خالسا لرب العالمين. 116
واستأصلهم العذاب. وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم
ما أترفوا فيه أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلا. وكانوا مجرمين أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب،
وقيامهم بما قاموا به من دينهم، ويكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة و لكن اتبع الذين ظلموا
أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا. وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين،
وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من
لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسل،

حجة الله. ويحتمل، أن المعنى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلمهم السابق، إذا رجعوا وأصلحوا عملهم، فإن الله يعفو عنهم، ويمحو ما تقدم من ظلمهم. 117
كان الله ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، والحال أنهم مصلحون، أي: مقيمون على الصلاح، مستمرون عليه، فما كان الله ليهلكهم، إلا إذا ظلموا، وقامت عليهم
أي: وما

حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره. 118
يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت
بالامتحان والابتلاء. و لأنه تمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلا بد أن يبسر للنار أهلا، يعملون بأعمالها الموصلة إليها. 119
عليهم الضلالة، ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا
ولذلك خلقهم أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت
به، والاتفاق عليه، فهو لاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم. وقوله:
إلا من رحم ربك فهدهم إلى العلم بالحق والعمل

أم عليك حسابهم، ومطالب بهديتهم جبرا؟ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل فهو الوكيل عليهم، يحفظ أعمالهم، ويجازيهم بها أتم الجزاء. 12
من سفيه ولا يضيق لذلك صدرك. فهل أوردوا عليك حجة لا تستطيع حلها؟ أم قدحوا ببعض ما جئت به قدحا، يؤثر فيه وينقص قدره، فيضيق صدرك لذلك؟!
ملك فإن هذا القول ناشئ من تعنت، وظلم، وعناد، وضلال، وجهل بمواقع الحجج والأدلة، فامض على أمرك، ولا تصدك هذه الأقوال الركيكة التي لا تصدر إلا
لا ينبغي هذا لمثلك، أن قولهم يؤثر فيك، ويصدق عما أنت عليه، فتترك بعض ما يوحى إليك، ويضيق صدرك لتعنتهم بقولهم: لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه
مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، عن تكذيب المكذبين: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أي:
يقول تعالى

هو أكبر فضائل النفوس. وموعظة وذكرى للمؤمنين أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله فيفعلونها. 120
ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به. وجاءك في هذه السورة الحق اليقين، فلا شك فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي
ما تثبت به فؤادك أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاعتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها،
لما ذكر في هذه السورة من أخبار الأنبياء، ما ذكر، ذكر الحكمة في ذكر ذلك، فقال: وكلا نقص عليك من أنباء الرسل

قال: وكل للذين لا يؤمنون بعد ما قامت عليهم الآيات، اعملوا على مكانتكم أي: حالتكم التي أنتم عليها إنا عاملون على ما كنا عليه. 121

وأما من ليس من أهل الإيمان، فلا تنفعهم الموعظ، وأنواع التذكير، ولهذا

وانتظروا ما يحل بنا إنا منتظرون ما يحل بكم. 122

بل قد أحاط علمه بذلك، وجري به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه. تم تفسير سورة هود، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم. 123
فاعبده وتوكل عليه أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك. وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر،
ولله غيب السماوات والأرض أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية. وإليه يرجع الأمر كله من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب
وقد فصل الله بين الفريقين، وأرى عباده، نصره لعباده المؤمنين، وقمعه لأعداء الله المكذبين.

وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقاً، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات. 13
القرآن؟ فأجابهم بقوله: قل لهم فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين أنه قد افتراه، فإنه لا فرق بينكم
أم يقولون افتراه أي: افترى محمد هذا

على ذلك. وفيها: أن مما يطلب فيه العلم، ولا يكفي غلبة الظن، علم القرآن، وعلم التوحيد، لقوله تعالى: فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو 14
البشر أن يأتي بمثله، ولا بعشر سور من مثله، بل ولا بسورة من مثله، لأن الأعداء البلغاء الفصحاء، تحداهم الله بذلك، فلم يعارضوه، لعلمهم أنهم لا قدرة فيهم
للأدلة التي يختارونها. بل يكفي إقامة الدليل السالم عن المعارض، على جميع المسائل والمطالب. وفيها أن هذا القرآن، معجز بنفسه، لا يقدر أحد من
القدح لا مستند له، ولا يقدر فيما دعا إليه، وأنه لا يضيق صدره، بل يطمئن بذلك، ماضياً على أمره، مقبلاً على شأنه، وأنه لا يجب إجابة اقتراحات المقترحين
لألوهيته، مستسلمون لعبوديته، وفي هذه الآيات إرشاد إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله أن يصده اعتراض المعارضين، ولا قدح القادحين. خصوصاً إذا كان
والمقتضي، وانتفاء المعارض. وأن لا إله إلا هو أي: واعلموا أنه لا إله إلا هو أي: هو وحده المستحق للألوهية والعبادة، فهل أنتم مسلمون أي: منقادون
فإن لم يستجيبوا لكم على شيء من ذلكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله من عند الله لقيام الدليل

فيها أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا. وهم فيها لا يبخسون أي: لا ينقصون شيئاً مما قدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم. 15
إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة. ولكن هذا الشقي، الذي كأنه خلق للدنيا وحدها، نوف إليهم أعمالهم
وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئاً، فهذا لا يكون إلا كافراً، لأنه لو كان مؤمناً، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع
مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيول المسومة، والأنعام والحراث. قد صرف رغبته
يقول تعالى: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أي: كل إرادته

أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها، ولا وجود لشرطها، وهو الإيمان. 16
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار خالدين فيها أبداً، لا يفتر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب. وحبط ما صنعوا فيها

جهلاً منهم وضلالاً، وإما ظلماً وعناداً وبغياً، وإلا فمن كان قصده حسناً وفهمه مستقيماً، فلا بد أن يؤمن به، لأنه يرى ما يدعوه إلى الإيمان من كل وجه. 17
على رد الحق، فالنار موعده لا بد من وروده إليها فلا تك في مربة منه أي: في أدنى شك إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون إما
يؤمنون بالقرآن حقيقة، فيثمر لهم إيمانهم كل خير في الدنيا والآخرة. ومن يكفر به أي: القرآن من الأحزاب أي: سائر طوائف أهل الأرض، المتحيزة
لديه أدلة اليقين، كمن هو في الظلمات والجهالات، ليس بخارج منها؟! لا يستوون عند الله، ولا عند عباد الله، أولئك أي: الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم،
إماماً للناس ورحمة لهم، يشهد لهذا القرآن بالصدق، ويوافقه فيما جاء به من الحق. أي: أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت
شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعلم بعقله حسنه، فازداد بذلك إيماناً إلى إيمانه. و ثم شاهد ثالث وهو كتاب موسى التوراة التي جعلها الله
ودلائلها الظاهرة، فتيقن تلك البينة. ويتلوها أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر شاهد منه وهو شاهد الفطرة المستقيمة، والعقل الصحيح، حين
وحججه الموقنين بذلك، وأنهم لا يوصف بهم غيرهم ولا يكون أحد مثله، فقال: أفمن كان على بينة من ربه بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمة،
يذكر تعالى، حال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من ورثته القائمين بدينه،

بافتراءهم وكذبهم: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أي: لعنة لا تنقطع، لأن ظلمهم صار وصفاً لهم ملازماً، لا يقبل التخفيف. 18
فهؤلاء أعظم الناس ظلماً أولئك يعرضون على ربهم ليجازيهم بظلمهم، فعندما يحكم عليهم بالعقاب الشديد يقول الأشهاد أي: الذين شهدوا عليهم
في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه، بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله،
يخبر تعالى أنه لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً ويدخل

في ميلها، وتشبيهاها، وتهجينها، لتصير عند الناس غير مستقيمة، فيحسنون الباطل ويقبحون الحق، قبحهم الله وهم بالآخرة هم كافرون 19
سبيل الله، وهي سبيل الرسل، التي دعوا الناس إليها، وصدوا غيرهم عنها، فصاروا أئمة يدعون إلى النار. ويبغونها أي: سبيل الله عوجاً أي: يجتهدون
ثم وصف ظلمهم فقال: الذين يصدون عن سبيل الله فصدوا بأنفسهم عن

لكم أيها الناس منه أي: من الله ربكم نذير لمن تجرأ على المعاصي بعقاب الدنيا والآخرة، وبشير للمطيعين لله بثواب الدنيا والآخرة. 2

تفسير السعدي

- على كمال الحكمة، وسعة الرحمة . وإنما أنزل الله كتابه لـ أن لا تعبدوا إلا الله أي: لأجل إخلاص الدين كله لله، وأن لا يشرك به أحد من خلقه. إنني فإذا كان إحكامه وتفصيله من عند الله الحكيم الخبير، فلا تسأل بعد هذا، عن عظمته وجلالته واشتماله
- كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وما كانوا يبصرون أي: ينظرون نظر عبدة وتفكر، فيما ينفعهم، وإنما هم كالصم البكم الذين لا يعقلون. 20 كانوا يستطيعون السمع أي: من بغضهم للحق ونفورهم عنه، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعاً ينتفعون به فما لهم عن التذكرة معرضين المكروه، أو يحصلون لهم ما ينفعهم، بل تقطعت بهم الأسباب. يضاعف لهم العذاب أي: يغلظ ويزداد، لأنهم ضلوا بأنفسهم وأضلوا غيرهم. ما أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي: ليسوا فائتين الله، لأنهم تحت قبضته وفي سلطانه. وما كان لهم من دون الله من أولياء فيدفعون عنهم وذل عنهم ما كانوا يفترون أي: اضمحل دينهم الذي يدعون إليه ويحسنونه، ولم تغن عنهم آلهتهم التي يعبدون من دون الله لما جاء أمر ربك. 21 أولئك الذين خسروا أنفسهم حيث فوتوها أعظم الثواب، واستحقوا أشد العذاب، هم الأخسرون حصر الخسار فيهم، بل جعل لهم منه أشده، لشدة حسرتهم وحرمانهم وما يعانون من المشقة والعذاب، نستجير بالله من حالهم. 22 لا جرم أي: حقا وصدقا أنهم في الآخرة إليه. أولئك الذين جمعوا تلك الصفات أصحاب الجنة هم فيها خالدون لأنهم لم يتركوا من الخير مطلباً، إلا أدركوه، ولا خيراً، إلا سبقوا إليه. 23 القلوب والجوارح، وأقوال اللسان. وأخبتوا إلى ربهم أي: خضعوا له، واستكانوا لعظمته، وذلوا لسلطانه، وأناخوا إليه بمحبته، وخوفه، ورجائه، والتضرع يقول تعالى: إن الذين آمنوا بقلوبهم، أي: صدقوا واعترفوا، لما أمر الله بالإيمان به، من أصول الدين وقواعده. وعملوا الصالحات المشتغلة على أعمال لا يستوتون مثلاً، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف، أفلا تذكرون الأعمال، التي تنفعكم، فتفعلونها، والأعمال التي تضركم، فتتركونها. 24 مثل الفريقين أي: فريق الأتقياء، وفريق السعداء. كالأعمى والأصم هؤلاء الأتقياء، والبصير والسميع مثل السعداء. هل يستويان مثلاً أول المرسلين إلى قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك فقال لهم: إني لكم نذير مبين أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بيانا زال به الإشكال. 25 إلى آخر القصة أي: ولقد أرسلنا رسولنا نوحاً إلا الله أي: أخلصوا العبادة لله وحده، واتركوا كل ما يعبد من دون الله. إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم إن لم تقوموا بتوحيد الله وتطيعوني. 26 أن لا تعبدوا منا فننقاد لكم، بل نظنكم كاذبين وكذبوا في قولهم هذا، فإنهم رأوا من الآيات التي جعلها الله مؤيدة لنوح، ما يوجب لهم الجزم التام على صدقه. 27 ما يصل إلى أولي الأبواب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمر الخفية، التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل. وما نرى لكم علينا من فضل أي: لستم أفضل من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو إليه بدهة العقول، وبمجرد كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرنل من هؤلاء وأخس؟ وقولهم: بادي الرأي أي: إنما اتبعوا اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة، بزعمهم. وهم في الحقيقة الأشراف، وأهل العقول، الذين انقادوا للحق ولم يكونوا كالأراذل، الذين يقال لهم الملاء الذين اتبعوا الذي لا ينبغي غيره، لأن البشر يتمكن البشر، أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر، بخلاف الملائكة. وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا أي: ما نرى السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، أنهم أول من رد دعوة المرسلين. ما نراك إلا بشراً مثلنا وهذا مانع بزعمهم عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب، فقال الملاء الذين كفروا من قومه أي: الأشراف والرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه
- فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية، فلا نقدر على إكراهكم، على ما أمر الله، ولا إلزامكم، ما نفرتم عنه، ولهذا قال: أنلزمكموها وأنتم لها كارهون 28 من يقيننا فيه، ولا قولكم وافتراؤكم علينا، صادا لنا عما كنا عليه. وإنما غايته أن يكون صادراً لكم أنتم، وموجباً لعدم انقيادكم للحق الذي تزعمون أنه باطل، أنلزمكموها أي: أنكرهكم على ما تحققناه، وشككتكم أنتم فيه؟ وأنتم لها كارهون حتى حرصتم على رد ما جئت به، ليس ذلك ضارنا، وليس بقادح بهذا القول، شهادة له وتصديقاً. وآتاني رحمة من عنده أي: أوحى إلي وأرسلني، ومن علي بالهداية، فعميت عليكم أي: خفيت عليكم، وبها تفاقمت. الكامل القدوة، الذي ينقاد له أولو الأبواب، ويضمحل في جنب عقله، عقول الفحول من الرجال، وهو الصادق حقاً، فإذا قال: إني على بينة من ربي، فحسبك ولهذا قال لهم نوح مجابوا يا قوم رأيتم إن كنت على بينة من ربي أي: على يقين وجزم، يعني، وهو الرسول
- أولياء الله، وإبغادهم عني. وحيث رددتم الحق، لأنهم أتباعه، وحيث استدللتم على بطلان الحق بقولكم إني بشر مثلكم وإنه ليس لنا عليكم من فضل. 29 بالرحب والإكرام، والإعزاز والإعظام إنهم ملاقو ربهم فمثيرهم على إيمانهم وتقواهم بجنان النعيم. ولكني أراكم قوما تجهلون حيث تأمرونني، بطرد إن أجري إلا على الله وكأنهم طلبوا منه طرد المؤمنين الضعفاء، فقال لهم: وما أنا بطارد الذين آمنوا أي: ما ينبغي لي، ولا يليق بي ذلك، بل أتلقاهم ويا قوم لا أسألكم عليه أي: على دعوتي إياكم ما لا فستستثقلون المغرم.
- به فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فيجازيهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر 3 والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون. وإن تولوا عن ما دعوتكم إليه، بل أعرضتم عنه، وربما كذبتم

تفسير السعدي

- أي: يعطيكم من رزقه، ما تتمتعون به وتنتفعون. إلى أجل مسمى أي: إلى وقت وفاتكم ويؤت منكم كل ذي فضل فضله أي: يعطي أهل الإحسان من أعماركم، بالرجوع إليه، بالإجابة والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه. ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: يتمتعكم متاعا حسنا وأن استغفروا ربكم عن ما صدر منكم من الذنوب ثم توبوا إليه فيما تستقبلون
- 30 يمنعي من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع. أفلا تذكرون ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور. ويا قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أي: من
- 31 يمنعي من عذابه، فإن طردهم موجب للعذاب والنكال، الذي لا يمنعه من دون الله مانع. أفلا تذكرون ما هو الأنفع لكم والأصلح، وتدبرون الأمور. ويا قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أي: من
- الذي قد دعي إلى أمر خفي عليه، ولكنهم في قولهم، كاذبون، وعلى نبينهم متجرون. ولم يردوا ما قاله بأدنى شبهة، فضلا عن أن يردوه بحجة. 32 يا نوح قد نصحتنا، وأشفقت علينا، ودعوتنا إلى أمر، لم يتبين لنا، فنريد منك أن تبينه لنا لننقاد لك، وإلا فأنت مشكور في نصحك. لكان هذا الجواب المنصف، جادنا فأنتا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فما أجهلهم وأضلهم، حيث قالوا هذه المقالة، لنبينهم الناصح. فهلا قالوا: إن كانوا صادقين: فلما رأوه، لا ينكف عما كان عليه من دعوتهم، ولم يدركوا منه مطلوبهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر
- إنما يأتيكم به الله إن شاء أي: إن اقتضت مشيئته وحكمته، أن ينزله بكم، فعل ذلك. وما أنتم بمعجزين لله، وأنا ليس بيدي من الأمر شيء. 33 ولهذا عدلوا من جهلهم وظلمهم إلى الاستعجال بالعذاب، وتعجيز الله، ولهذا أجابهم نوح عليه السلام بقوله:
- قد فعل عليه السلام فليس ذلك بنافع لكم شيئا، هو ربكم يفعل بكم ما يشاء، ويحكم فيكم بما يريد وإليه ترجعون فيجازيكم بأعمالكم. 34 لكم إن كان الله يريد أن يغويكم أي: إن إرادة الله غالبية، فإنه إذا أراد أن يغويكم، لردكم الحق، فلو حرصت غاية مجهودي، ونصحت لكم أتم النصح وهو ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح
- هذه الحال، الإعراض عنهم، ولهذا قال: قل إن افتريته فعلي إجرامي أي: ذنبي وكذبي، وأنا بريء مما تجرمون أي: فلم تستلجون في تكذبي. 35 فجاء بهذا الكتاب الذي تحادهم أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا زعموا مع هذا أنه افتراه، علم أنهم معاندون، ولم يبق فائدة في حجاجهم، بل اللائق في هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه، أي: فهذا من أعجب الأقوال وأبطلها، فإنهم يعلمون أنه لم يقرأ ولم يكتب، ولم يرحل عنهم لدراسة على أهل الكتاب، فلما شرع الله في قصصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام فقال: أم يقولون افتراه أي: ويحتمل أن يكون عائدا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون هذه الآية معترضة، في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلا الأنبياء، الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون أي: كل عليه وزره ولا تزر وزرة وزر أخرى يقولون افتراه هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان السياق في قصته مع قومه، وأن المعنى: أن قومه يقولون: افتري على الله كذبا، وكذب بالوحي أم
- من قد آمن أي: قد قسوا، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون أي: فلا تحزن، ولا تبال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد. 36 وقوله: وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا منار، وعلى مرضاتنا، ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي: لا تراجعني في إهلاكهم، إنهم مغروقون أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر. 37 واصنع الفلك بأعيننا ووحينا أي: بحفظنا، ومرأى
- فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب. 38 تفسير الآيتين 38 و 39: فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه ورأوا ما يصنع سخروا منه قال إن تسخروا منا الآن
- فإننا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم نحن أم أنتم. وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب. 39 تفسير الآيتين 38 و 39: فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه ورأوا ما يصنع سخروا منه قال إن تسخروا منا الآن
- على إحياء الله الموتى، فإنه قدير على كل شيء، ومن جملة الأشياء إحياء الموتى، وقد أخبر بذلك وهو أصدق القائلين، فيجب وقوع ذلك عقلا ونقلا. 4 وفي قوله: وهو على كل شيء قدير كالدليل
- السفينة لا تطيق حملها وأهلك إلا من سبق عليه القول ممن كان كافرا، كابنه الذي غرق. ومن آمن و الحال أنه ما آمن معه إلا قليل 40 فيها من كل زوجين اثنين أي: من كل صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأن وفجر الأرض كلها عيونا حتى التناير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرت فالتقى الماء على أمر، قد قدر. قلنا لنوح: احمل حتى إذا جاء أمرنا أي قدرنا بوقت نزول العذاب بهم وفار التنور أي: أنزل الله السماء بالماء بالهمهم،
- أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره. إن ربي لغفور رحيم حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين. 41

تفسير السعدي

وقال نوح لمن أمره الله أن يحملهم: اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها

في معزل عنهم، حين ركبوا، أي: مبتعدا وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيصيبك ما يصيبهم. 42
وهي تجري بهم أي: بنوح، ومن ركب معه في موج كالجبال والله حافظها وحافظ أهلها ونادى نوح ابنه لما ركب، ليركب معه وكان ابنه
ثم وصف جريانها كأنها نشاهدها فقال:

فلا يعصم أحدا، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله. وحال بينهما الموج فكان الابن من المغرقين 43
ركب معه السفينة. سأوي إلى جبل يعصمني من الماء أي: سأرتقي جبلا، أمتنع به من الماء، ف قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم
ف قال ابنه، مكذبا لأبيه أنه لا ينجو إلا من

أي: أرسى على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل. وقيل بعدا للقوم الظالمين أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدا، وسحقا لا يزال معهم. 44
الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، وقضى الأمر بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. واستوت السفينة على الجودي
الله ونجى نوحا ومن معه وقيل يا أرض ابلعي ماءك الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلعي الماء الذي على وجهك ويا سماء أقلعي فامتثلتا لأمر
فلما أغرقهم

وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا، ففوض الأمر لحكمة الله البالغة. 45
أهلي وإن وعدك الحق أي: وقد قلت لي: ف احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ولن تخلف ما وعدتني به. لعله عليه الصلاة والسلام، حملته الشفقة،
ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من

وهل يكون خيرا، أو غير خير. إني أعظك أن تكون من الجاهلين أي: أني أعظك وعظا تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين. 46
إنه عمل غير صالح أي: هذا الدعاء الذي دعوت به، لنجاة كافر، لا يؤمن بالله ولا رسوله. فلا تسألن ما ليس لك به علم أي: ما لا تعلم عاقبته، ومآله،
ف قال الله له: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم

إنهم مغرِقون بل تعارض عنده الأمران، وظن دخوله في قوله: وأهلك وبعد ذلك تبين له أنه داخل في المنهي عن الدعاء لهم، والمراجعة فيهم. 47
من الخاسرين، ودل هذا على أن نوحا، عليه السلام، لم يكن عنده علم، بأن سؤاله لربه، في نجاة ابنه محرم، داخل في قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا
ما صدر منه، و قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين فبالمغفرة والرحمة ينجو العبد من أن يكون
فحينئذ ندم نوح، عليه السلام، ندامة شديدة، على

الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم أي: هذا الإنجاء، ليس بمانع لنا من أن من كفر بعد ذلك، أحلنا به العقاب، وإن متعوا قليلا، فسيؤخذون بعد ذلك. 48
وعلى أمم ممن معك من الآدميين وغيرهم من الأزواج التي حملها معه، فبارك الله في الجميع، حتى ملأوا أقطار الأرض ونواحيها. وأمم ستمتعهم في
قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك

المستقيم، والدعوة إلى الله إن العاقبة للمتقين الذين يتقون الشرك وسائر المعاصي، فستكون لك العاقبة على قومك، كما كانت لنوح على قومه. 49
نوحيا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فيقولوا: إنه كان يعلمها. فاحمد الله، واشكره، واصبر على ما أنت عليه، من الدين القويم، والصراف
قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما قص عليه هذه القصة المبسطة، التي لا يعلمها إلا من من عليه برسالته. تلك من أنباء الغيب

دعوته، ويعظمهم بما ينفعهم، فهل فوق هذا الإعراض شيء؟ ثم توعدهم بعلمه تعالى بجميع أحوالهم، وأنهم لا يخفون عليه، وسيجازيهم بصنيعهم. 5
للسلطان الغافلين عن دعوته، أنهم من شدة إغراضهم يثنون صدورهم، أي: يحدوون حين يرون الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يراهم ويسمعهم
التي لم ينطقوا بها، سرا ولا جهرا، فكيف تخفى عليه حالكم، إذا ثنيت صدوركم لتستخفوا منه. ويحتمل أن المعنى في هذا أن الله يذكر إغراض المكذبين
يسرون من الأقوال والأفعال وما يعلنون منها، بل ما هو أبلغ من ذلك، وهو: إنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها من الإرادات، والوساوس، والأفكار،
قال تعالى مبينا خطأهم في هذا الظن ألا حين يستغشون ثيابهم أي: يتغطون بها، يعلمهم في تلك الحال، التي هي من أخفى الأشياء. بل يعلم ما
عن جهل المشركين، وشدة ضلالهم، أنهم يثنون صدورهم أي: يميلونها ليستخفوا من الله، فتقع صدورهم حاجبة لعلم الله بأحوالهم، وبصره لهياتهم.
يخبر تعالى

من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجوزهم لذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه. 50
الأخذ عنه والعلم بصدقه. ف قال لهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه،
إلى آخر القصة أي: و أرسلنا إلى عاد وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن، أخاهم في النسب هودا ليتمكنوا من

يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم مجانا. إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبوله، منتف المانع عن رده. 51
ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال يا قوم لا أسألكم عليه أجرا أي: غرامة من أموالكم، على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن

تفسير السعدي

- ٥٢ ، فوعدهم أنهم إن آمنوا، زادهم قوة إلى قوتهم. ولا تتولوا عنه، أي: عن ربكم مجرمين أي: مستكبرين عن عبادته، متجربين على محارمه. 52 عليكم مدارا بكثرة الأمطار التي تصب بها الأرض، ويكثر خيرها. ويزدكم قوة إلى قوتكم فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: من أشد منا قوة ويا قوم استغفروا ربكم عما مضى منكم ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى. فإنكم إذا فعلتم ذلك يرسل السماء ما أقمت عليه بينة بزعمهم، وما نحن لك بمؤمنين وهذا تأسيس منهم لنبيهم، هود عليه السلام، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم بعمهون. 53 لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وقولهم: وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك، الذي ثم لا تنظرون وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكتثرت منهم، ولا مبال بهم، وهم عاجزون قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: إني توكلت على الله ربي وربكم إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبيناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في عليه السلام، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه. بل أهل العقول، وأولو الأبواب، يرون أن هذه الآية، أكبر من لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مشتمل عليه هود، في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر. ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتهم ببينة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا ف قالوا رادين لقوله: يا هود ما جئنا ببينة إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها،
- واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا أي: اطلبوا لي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ثم لا تنظرون أي: لا تمهلوني. 54 عنهم لولا أن الله حكاها عنهم. ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: إني أشهد الله تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها تفسير الآيتين 54 و 55 :- إن نقول فيك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت
- واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيديوني جميعا أي: اطلبوا لي الضرر كلكم، بكل طريق تتمكنون بها مني ثم لا تنظرون أي: لا تمهلوني. 55 عنهم لولا أن الله حكاها عنهم. ولهذا بين هود، عليه الصلاة والسلام، أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: إني أشهد الله تهذي بما لا يعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها تفسير الآيتين 54 و 55 :- إن نقول فيك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت
- وحكمة، وحمد في قضائه وقدره، في شرعه وأمره، وفي جزائه وثوابه، وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم، التي يحمد، ويثنى عليه بها. 56 جميعا على الإيقاع بي، والله لم يسلطكم علي، لم تقدرُوا على ذلك، فإن سلطكم، فلحكمة أرادها. ف إن ربي على صراط مستقيم أي: على عدل، وقسط، الله ربي وربكم أي: هو خالق الجميع، ومدبرنا وإياكم، وهو الذي ربانا. ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه، فلو اجتمعتم إني توكلت على الله أي: اعتمدت في أمري كله على
- قاله لا تضره معصية العاصين. ولا تنفعه طاعة المطيعين من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها إن ربي على كل شيء حفيظ . 57 فلم يبق علي تبعة من شأنكم. ويستخلف ربي قوما غيركم يقومون بعبادته، ولا يشركون به شيئا، ولا تضره شيئا فإن ضرركم، إنما يعود عليكم، فإن تولوا عما دعوتكم إليه فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم
- كالرميم نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ أي: عظيم شديد، أحله الله بعاد، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. 58 ولما جاء أمرنا أي: عذابنا بإرسال الريح العقيم، التي ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته
- على عباد الله بالجبروت، عنيد أي: معاند لآيات الله، فعصوا كل ناصح ومشفق عليهم، واتبعوا كل غاش لهم، يريد إهلاكهم لا جرم أهلكهم الله. 59 لدعوته، وإنما عاندوا وجحدوا وعصوا رسله لأن من عصى رسولا، فقد عصى جميع المرسلين، لأن دعوتهم واحدة. واتبعوا أمر كل جبار أي: متسلط وتلك عاد الذين أوقع الله بهم ما أوقع، بظلم منهم لأنهم جحدوا بآيات ربهم ولهذا قالوا لهود: ما جئنا ببينة فتبين بهذا أنهم متيقنون
- قد أحاط بها علم الله، وجرى بها قلمه، ونفذت فيها مشيئته، ووسعها رزقه، فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علما بذواتها، وصفاتها. 60 كل من تفاصيل أحوالها في كتاب مبين أي: في اللوح المحفوظ المحتوي على جميع الحوادث الواقعة، والتي تقع في السماوات والأرض. الجميع أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو: المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه، وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. جميع ما دب على وجه الأرض، من آدمي، أو حيوان بري أو بحري، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم، فرزقها على الله. ويعلم مستقرها ومستودعها أي:
- لعنة، ألا إن عادا كفروا ربهم أي: جحدوا من خلقهم ورزقهم ورباهم. ألا بعدا لعاد قوم هود أي: أبعدهم الله عن كل خير وقربهم من كل شر. 60 وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة فكل وقت وجيل، إلا ولأنبائهم القبيحة، وأخبارهم الشنيعة، ذكر يذكرون به، وذم يلحقهم ويوم القيامة لهم أيضا

تفسير السعدي

- دعوة الداع وهذا النوع، قرب يقتضي إطفاه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن، باسمه القريب اسمه المجيب 61
- عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو المذكور في قوله تعالى واسجد واقترّب وفي هذه الآية، وفي قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب نوعان: عام، وخاص، فالقرب العام: قربه بعلمه، من جميع الخلق، وهو المذكور في قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد والقرب الخاص: قربه من إن ربي قريب مجيب أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب، وأعلم أن قربه تعالى به في عبادته. فاستغفروه مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ثم توبوا إليه أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا أهل السماء، ولا من أهل الأرض. هو أنشأكم من الأرض أي: خلقكم فيها واستعمركم فيها أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، يدعوه إلى عبادة الله وحده، ف قال يا قوم اعبدوا الله أي: وحدوه، وأخلصوا له الدين ما لكم من إله غيره لا من أي: و أرسلنا إلى ثمود وهم: عاد الثانية، المعروفون، الذين يسكنون الحجر، ووادي القرى، أخاهم في النسب صالحا عبد
- إليه مريب أي: ما زلنا شاكين فيما دعوتنا إليه، شكا مؤثرا في قلوبنا الرب، وبزعمهم أنهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه، لاتبعوه، وهم كذبة في ذلك 62
- لله ربهم، الذي لم تزل نعمه عليهم تترى، وإحسانه عليهم دائما ينزل، الذي ما بهم من نعمة، إلا منه، ولا يدفع عنهم السيئات إلا هو. وإنما لفي شك مما تدعونا قدح في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاهم عن عبادة، من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني شيئا من الأحجار، والأشجار ونحوها. وأمرهم بإخلاص الدين فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير. وذنبه، ما قالوه عنه، وهو قولهم: أئنهنا أن نعبد ما يعبد آبائنا وبزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح، كيف وأنه من خيار قومه. ولكنه، لما جاءهم بهذا الأمر، الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة، قالوا هذه المقالة، التي مضمونها، أنك قد كنت كاملا، والآن أخلفت ظننا كنت فينا مرجوا قبل هذا أي: قد كنا نرجوكم ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فلما أمرهم نبيهم صالح عليه السلام، ورغبهم في الإخلاص لله وحده، ردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة. قالوا يا صالح قد
- أي: أفأتابكم على ما أنتم عليه، وما تدعونني إليه؟ فمن ينصرنني من الله إن عصيته فما تزيدوني غير تخسير أي: غير خسارة وتباب، وضرر. 63
- قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي أي: برهان وبقين مني وآتاني منه رحمة أي: من علي برسالته ووجيه،
- شرب يوم معلوم. فذروها تأكل في أرض الله أي: ليس عليكم من مؤنتها وعلفها شيء، ولا تمسوها بسوء أي: بعقر فيأخذكم عذاب قريب 64
- ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية لها شرب من البئر يوما، ثم يشربون كلهم من ضرعها، ولهم
- ففقروها فقال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب بل لا بد من وقوعه. 65
- يومئذ أي: نجيناهم من العذاب والخزي والفضيحة. إن ربك هو القوي العزيز ومن قوته وعزته، أن أهلك الأمم الطاغية، ونجى الرسل وأتباعهم. 66
- فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي
- وأخذ الذين ظلموا الصيحة العظيمة فقطعت قلوبهم، فأصبحوا في ديارهم جائمين أي: خامدين لا حراك لهم. 67
- ألا إن ثمود كفروا ربهم أي: جحدوه بعد أن جاءتهم الآية المبصرة، ألا بعدا لثمود فما أشقاها وأذلهم، نستجير بالله من عذاب الدنيا وخزيها. 68
- جاءهم العذاب ما تمتعوا في ديارهم، ولا أنسوا بها ولا تنعموا بها يوما من الدهر، قد فارقهم النعيم، وتناولهم العذاب السرمدي، الذي ينقطع، الذي كأنه لم يزل. كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم لما
- إبراهيم لما دخلوا عليه أن جاء بعجل حنيد أي: بادر لبنيته، فاستحضر لأضيافه عجلا مشويا على الرضف سميئا، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ 69
- سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية. فما لبث عليهم السلام. ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم عليه السلام، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه قالوا سلاما قال سلام أي: سلموا عليه، ورد ولقد جاءت رسلنا من الملائكة الكرام، رسولنا إبراهيم الخليل بالبشرى أي: بالبشارة
- وأخبرتهم بالبعث بعد الموت، لم يصدقوك، بل كذبوك أشد التكذيب، وقدحوا فيما جئت به، وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين ألا وهو الحق المبين. 7
- ولهذا ذكر الله تكذيب المشركين بالجزاء، فقال: ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين أي: ولئن قلت لهؤلاء فمن انقاد، وأدى ما أمر به، فهو من المفlichen، ومن أعرض عن ذلك، فأولئك هم الخاسرون، ولا بد أن يجمعهم في دار يجازيهم فيها على ما أمرهم به ونهاهم. الأمر بينهم لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما فإله تعالى خلق الخلق لعبادته ومعرفته بأسمائه وصفاته، وأمرهم بذلك، متبعا فيه الشرع والسنة، وهذا كما قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقال تعالى: الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا، لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون بأمره ونهيه، فينظر أيكم أحسن عملا. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل ويصرفها كيف شاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة. ولهذا قال: ليلوكم أيكم أحسن عملا أي: ليمتحنكم، إذ خلق لكم ما في السماوات والأرض

تفسير السعدي

- يوم الجمعة و حين خلق السماوات والأرض كان عرشه على الماء فوق السماء السابعة. فبعد أن خلق السماوات والأرض استوى عليه، يدبر الأمور، يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها
- وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم. ف قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط. 70 فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي: إلى تلك الضيافة نكرهم وأوجس منهم خيفة قائمة تخدم أضيافه فضحكت حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبا. فبشرناهم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فتعجبت من ذلك. 71 وامرأة إبراهيم
- قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا فهذان مانعان من وجود الولد إن هذا لشيء عجيب 72
- إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط. مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها. 73 من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله شيء، وخصوصا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك. رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة قالوا أتعجبين من أمر الله فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته
- البشرى بالولد، التفت حينئذ، إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته 74 فلما ذهب عن إبراهيم الروح الذي أصابه من خيفة أضيافه وجاءته
- في جميع الأوقات، منيب أي: رجع إلى الله بمعرفته ومحبه، والإقبال عليه، والإعراض عن سواه، فلذلك كان يجادل عن حتم الله بهلاكهم. 75 إن إبراهيم لحليم أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين. أواه أي: متضرع إلى الله
- فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل إنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود فلا فائدة في جدالك. 76
- هذا يوم عصيب أي: شديد حرج، لأنه علم أن قومه لا يتركونهم، لأنهم في صور شباب، جرد، مرد، في غاية الكمال والجمال، ولهذا وقع ما خطر بباله. 77 ولما جاءت رسلنا أي: الملائكة الذين صدروا من إبراهيم لما أتوا لوطا سيء بهم أي: شق عليه مجيئهم، وضاق بهم ذرعا وقال
- أن تراعوني في ضيقي، ولا تخزون عندهم. أليس منكم رجل رشيد فينهاكم، ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة. 78 بناته ممتنع منالهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى فائقوا الله ولا تخزون في ضيقي أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما بناتي هن أظهر لكم من أضيافي، وهذا كما عرض لسليمان صلى الله عليه وسلم، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه، لاستخراج الحق ولعلمه أن بالفاحشة، التي كانوا يعملونها، ولهذا قال: ومن قبل كانوا يعملون السيئات أي: الفاحشة التي ما سبقهم عليها أحد من العالمين. قال يا قوم هؤلاء ف وجاءه قومه يهرعون إليه أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه
- ف قالوا له: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء. 79
- عنهم فيتمكنون من النظر في أمرهم. وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزئون من العذاب، حيث تهاونوا به، حتى جزموا بكذب من جاء به. 80 به، فإنهم يستدلون بعدم وقوعه بهم عاجلا على كذب الرسول المخبر بوقوع العذاب، فما أبعد هذا الاستدلال ألا يوم يأتيهم العذاب ليس مصروفا ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة أي: إلى وقت مقدر فتباطأوه، لقالوا من جهلهم وظلمهم ما يحبسهم ومضمون هذا تكذيبهم
- لمنعتكم. وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب. 80 فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد كقبيلة ماعة،
- قومها في الإثم، فتدلمهم على أضياف لوط، إذا نزل به أضياف. إن موعدهم الصبح فكان لوطا، استعجل ذلك، فقيل له: أليس الصبح بقريب 81 ولا يلتفت منكم أحد أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاة ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم. إلا امرأتك إنه مصيبتها من العذاب ما أصابهم لأنها تشارك يتوعدون لوطا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطا، أن يسري بأهله بقطع من الليل أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم. قالوا له: إنا رسل ربك أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، لن يصلوا إليك بسوء. ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا
- أي: قلبناها عليهم وأمطرنا عليها حجارة من سجيل أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة منضود أي: متتابعة، تتبع من شذ عن القرية. 82 فلما جاء أمرنا بنزول العذاب، وإحلاله فيهم جعلنا ديارهم عاليها سافلها
- علامة العذاب والغضب، وما هي من الظالمين الذين يشابهون لفعل قوم لوط ببعيد فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعلهم، لنلا يصيبهم ما أصابهم. 83 مسومة عند ربك أي: معلمة، عليها

الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا بنعمة الله، فيزيلها عنكم. وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط أي: عذابا يحيط بكم، ولا يبقى منكم باقية. 84 ذلك فقال: ولا تنقصوا المكيال والميزان بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط. إني أراكم بخير أي: بنعمة كثيرة، وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا

تفسير السعدي

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا مع شركهم يبخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن مدين القبيلة المعروفة، الذين يسكنون مدين في أدنى فلسطين، أخاهم في النسب شعبيا لأنهم يعرفونه، وليتمكنوا من الأخذ عنه. ف قال لهم : و أرسلنا إلى

المكيال والميزان. ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن الاستمرار على المعاصي، يفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل. 85 المكيال والميزان بالقسط أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها، بنقص ويا قوم أوفوا

بمقتضى الإيمان، وما أنا عليكم بحفيظ أي: لست بحافظ لأعمالكم، ووكيل عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا، فأبلغكم ما أرسلت به. 86 بقية الله خير لكم أي: يكفيكم ما أبقي الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمر لكم عنه غنية، وهو ضار لكم جدا. إن كنتم مؤمنين فاعملوا وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقته بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد. 87 ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والغواية، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون!! وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك. وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه نزال نفعل فيها ما شئنا، لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف. ولهذا قالوا في تهكمهم: إنك لأنت الحليم الرشيد أي: أنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، الأقدمين أولي العقول والألباب؟! وكذلك لا يوجب قولك لنا: أن نفعل في أموالنا ما قلت لنا، من وفاء الكيل، والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعب له، فإن كنت كذلك، أفوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك، ونترك آباءنا قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له. ومعنى كلامهم: أنه لا موجب

وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: فاعبده وتوكل عليه وقال: إياك نعبد وإياك نستعين 88 توكلت أي: اعتمدت في أموري، ووثقت في كفايته، وإليه أنيب في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي هذا التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات. للنفس، دفع هذا بقوله: وما توفيقي إلا بالله أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي. عليه لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي. ولما كان هذا فيه نوع تزكية المكيال، والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إلي التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدئ لتركه. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أي: ليس منه رزقا حسنا أي: أعطاني الله من أصناف المال ما أعطاني. و أنا لا أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه فلست أريد أن أنهاكم عن البخس، في قال لهم شعيب: يا قوم رأيتم إن كنت على بينة من ربي أي: يقين وطمأنينة، في صحة ما جئت به، وورزقني

ومشاقتي أن يصيبكم من العقوبات مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد لا في الدار ولا في الزمان. 89 ويا قوم لا يجرمكم شقاقي أي: لا تحملنكم مخالفتي

والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه. 90 يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق،

توبته ويحبه، ومعنى الودود، من أسمائه تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول 90 توبوا إليه فيما يستقبل من أعماركم، بالتوبة النصوح، والإنابة إليه بطاعته، وترك مخالفته. إن ربي رحيم ودود لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل واستغفروا ربكم عما اقترفتكم من الذنوب ثم

أي: جماعتك وقبيلتك لرجمنك وما أنت علينا بعزيز أي: ليس لك قدر في صدورنا، ولا احترام في أنفسنا، وإنما احترمتنا قبيلتك، بتركنا إياك. 91 مما تقول وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه. وإنا لنراك فينا ضعيفا أي: في نفسك، لست من الكبار والرؤساء بل من المستضعفين. ولولا رهطك قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي: تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم، فقالوا: ما نفقه كثيرا

ولا خفتم منه. إن ربي بما تعملون محيط لا يخفى عليه من أعمالكم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فسبجازيكم على ما عملتم أتم الجزاء. 92 كيف تراعوني لأجل رهطي، ولا تراعوني لله، فصار رهطي أعز عليكم من الله. واتخذتموه وراءكم ظهريا أي: نبذتم أمر الله، وراء ظهوركم، ولم تبالوا به، ف قال لهم مترققا لهم: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله أي:

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب. وارتقبوا ما يحل بي إني معكم رقيب ما يحل بكم. 93 و لما أعيوه وعجز عنهم قال: يا قوم اعملوا على مكائتكم أي: على حالتكم ودينكم. إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب

نجينا شعبيا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين لا تسمع لهم صوتا، ولا ترى منهم حركة. 94

ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب

أن تكون الدولة للمسلمين، وهم الحكام، فهو المتعين، ولكن لعدم إمكان هذه المرتبة، فالمرتبة التي فيها دفع ووقاية للدين والدنيا مقدمة، والله أعلم. 95

الدينية والدينيوية، لكان أولى، من استسلامهم لدولة تقضي على حقوقهم الدينية والدينيوية، وتحرص على إبادتها، وجعلهم عملة وخدمة لهم. نعم إن أمكن حسب القدرة والإمكان. فعلى هذا لو ساعد المسلمون الذين تحت ولاية الكفار، وعملوا على جعل الولاية جمهورية يتمكن فيها الأفراد والشعوب من حقوقهم رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين، لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك، لأن الإصلاح مطلوب على يدفع عن المؤمنين بأسباب كثيرة، قد يعلمون بعضها، وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم، بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار، كما دفع الله عن شعيب أن يغفر له، ويعود عليه العفو، وأما عود الود والحب فإنه لا يعود فإن الله قال: واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود ومنها: أن الله على التقوى. ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه، ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويوده، ولا عبرة بقول من يقول: إن التائب إذا تاب، فحسبه وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر. كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث التوفيق، فلينسبه لموليه ومسديه، ولا يعجب بنفسه لقوله: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ومنها: الترهيب بأخذات الأمم، وما جرى عليهم، ما يقدر عليه. ومنها: أن العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين، بل لا يزال مستعينا بربه، متوكلاً عليه، سائلاً له التوفيق، وإذا حصل له شيء من ومنها: أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله، ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه، وفي غيره، المفاسد وتقليها، ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة. وحقيقة المصلحة، هي التي تصلح بها أحوال العباد، وتستقيم بها أمورهم الدينية والدينيوية. ومنها: أن وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم، إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان، فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها، أو بتحصيل ما يقدر عليه منها، وبدفع عليه السلام: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون سواء وافق حكم الله، أو خالفه. ومنها: أن من تكلم دعوة الداعي وتماها أن يكون أول مبادر لما يأمر غيره به، وأول منته عما ينهى غيره عنه، كما قال شعيب ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرّمها الله ورسوله، لا كما يزعمه الكفار، ومن أشبههم، أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاءون ويختارون، ومنها: أن المال الذي يرزقه الله الإنسان وإن كان الله قد خوله إياه فليس له أن يصنع فيه ما يشاء، فإنه أمانة عنده، عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء وتقديماً على سائر الأعمال، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي ميزان للإيمان وشرائعه، فبقايتها تكمل أحوال العبد، وبعدم إقامتها، تختل أحواله الدينية. إذا لم يوجد العمل، فالإيمان ناقص أو معدوم. ومنها: أن الصلاة، لم تزل مشروعة للأنبياء المتقدمين، وأنها من أفضل الأعمال، حتى إنه متقرر عند الكفار فضلها، ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من المحق، وضد البركة. ومنها: أن ذلك، من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل به، على وجود الإيمان، فدل على أنه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: بقية الله خير لكم ففي ذلك، من البركة، وزيادة الرزق ما بنقيض ذلك، وكان سبباً لزوال الخير الذي عنده من الرزق لقوله: إني أراكم بخير أي: فلا تسبوا إلى زواله بفعلكم. ومنها: أن على العبد أن يقنع بما آتاه للوعيد، فسرقتهم على وجه القهر والغلبة من باب أولى وأحرى. ومنها: أن الجزاء من جنس العمل، فمن بخرس أموال الناس، يريد زيادة ماله، عوقب والموازنين، من كبار الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة، على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كان سرقتهم في المكايل والموازنين، موجبة فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد، مرتباً على مجموع ذلك. ومنها: أن نقص المكايل السلام كان يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، وفي قصته من الفوائد والعبر، شيء كثير. منها: أن الكفار، كما يعاقبون، ويخاطبون، بأصل الإسلام، حين أتاهم العذاب. ألا بعدا لمدين إذ أهلكها الله وأخزاها كما بعدت ثمود أي: قد اشتركت هاتان القبيلتان في السحق والبعد والهلاك. وشعيب عليه كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما أقاموا في ديارهم، ولا تنعموا فيها

به، كالعصا، واليد ونحوهما، من الآيات التي أجراها الله على يدي موسى عليه السلام. وسلمان مبين أي: حجة ظاهرة بينة، ظهرت ظهور الشمس. 96

ولقد أرسلنا موسى بن عمران بآياتنا الدالة على صدق ما جاء

ولكنهم فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد بل هو ضال غاو، لا يأمر إلا بما هو ضرر محض، لا جرم لما اتبعه قومه أراهم وأهلكهم. 97

وملئه أي: أشرف قومه لأنهم المتبوعون، وغيرهم تبع لهم، فلم ينقادوا لما مع موسى من الآيات، التي أراهم إياها، كما تقدم بسطها في سورة الأعراف، إلى فرعون

وملائكته، والناس أجمعون في الدنيا والآخرة. بنس الرافد المرفود أي: بنس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم، من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة. 98

الآيتين 98 و99: - يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله

تفسير

وملائكته، والناس أجمعون في الدنيا والآخرة. بنس الرافد المرفود أي: بنس ما اجتمع لهم، وترادف عليهم، من عذاب الله، ولعنة الدنيا والآخرة. 99

الآيتين 98 و99: - يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه أي: في الدنيا لعنة ويوم القيامة أي: يلعنهم الله

تفسير

سورة 12

يخبر تعالى أن آيات القرآن هي آيات الكتاب المبين أي: البين الواضحة ألفاظه ومعانيه. 1

رأيا في يوسف، وأبرهم وأتقاهم في هذه القضية، فإن بعض الشر أهون من بعض، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل، فلما اتفقوا على هذا الرأي. 10 أنه لا يخبر بشأنكم، بل على أنه عبد مملوك أبق منكم، لأجل أن يلتقطه بعض السيارة الذين يريدون مكانا بعيدا، فيحتفظون فيه. وهذا القائل أحسنهم يوسف فإن قتله أعظم إثما وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، ولكن توصلوا إلى تبعيده بأن تلقوه في غيابة الجب وتتوعدوه على أي: قال قائل من إخوة يوسف الذين أرادوا قتله أو تبعيده: لا تقتلوا

الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، الحكيم في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها. 100 تلك الفرقة الشاقة. إن ربي لطيف لما يشاء يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، إنه هو العليم بيني وبين إخوتي فلم يقل نزع الشيطان إخوتي بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد أحسن بي جعل الإحسان عاندا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. من بعد أن نزع الشيطان عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: أحسن بكم بل قال إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتنام عفوه كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت قد جعلها ربي حقا فلم يجعلها أضغاث أحلام. وقد أحسن بي إحسانا جسيما سجودا على وجه التعظيم والتبجيل والإكرام، وقال لما رأى هذه الحال، ورأى سجودهم له: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل حين رأي أحد عشر ورفع أبويه على العرش أي: على سرير الملك، ومجلس العزيز، وخروا له سجدا أي: أبوه، وأمه وإخوته،

علي الإسلام وثبتني عليه حتى توفاني عليه، ولم يكن هذا دعاء باستعجال الموت، وألحقني بال صالحين من الأنبياء الأبرار والأصفياء الأخيار. 101 أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة وتأويل الرؤيا وغير ذلك من العلم فاطر السماوات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما أي: أدم لها داعيا بالثبات على الإسلام: رب قد آتيتني من الملك وذلك أنه كان على خزائن الأرض وتديرها ووزيرا كبيرا للملك وعلمتني من تأويل الأحاديث لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك، وأقر عينه بأبويه وإخوته، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه، قال مقرا بنعمة الله شاكرا إلا بوحيه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين الآيات، فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقا. 102 الله تعالى، ولا يمكن أحدا أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها. كما قال تعالى لما قص قصة موسى وما جرى له، ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها فإنك لم تكن حاضرا لديهم إذ أجمعوا أمرهم أي: إخوة يوسف وهم يملكون به حين تعاقدوا على التفريق بينه وبين أبيه، في حالة لا يطلع عليها إلا على محمد صلى الله عليه وسلم قال الله له: ذلك الإنباء الذي أخبرناك به من أنباء الغيب الذي لولا إحيائنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل، لما قص الله هذه القصة

ويدعونهم إلى ما فيه الخير لهم، ودفع الشر عنهم، من غير أجر ولا عوض، ولو أقاموا لهم من الشواهد والآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا. 103 حرصت على إيمانهم بمؤمنين فإن مداركهم ومقاصدهم قد أصبحت فاسدة، فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم ولو عدت الموانع، بأن كانوا يعلمونهم يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أكثر الناس ولو

وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين يتذكرون به ما ينفعهم ليفعلوه، وما يضرهم ليتركوه. 104

وكأين أي: وكم من آية في السماوات والأرض يملكون عليها دالة لهم على توحيد الله وهم عنها معرضون 105

فإنهم يشركون في ألوهية الله وتوحيده، فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب، ويفجأهم العقاب وهم آمنون. 106 ومع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان فلا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فهم وإن أقروا بربوبية الله تعالى، وأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، أو تأتيتهم الساعة بغتة أي: فجأة وهم لا يشعرون أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك، فليتوبوا إلى الله، ويتركوا ما يكون سببا في عقابهم. 107 أفأمنوا أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المعرضون عن آيات الله أن تأتيتهم غاشية من عذاب الله أي: عذاب يغشاهم ويعمهم ويستأصلهم،

أمره. وسبحان الله عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. وما أنا من المشركين في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين. 108 هذا فأنا على بصيرة من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. و كذلك من اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، أدعو إلى الله أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه. ومع وسلم: قل للناس هذه سبيلي أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيتاره، يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

تفسير السعدي

لا يفنى أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، عطاء غير مجذوذ أفلا تعقلون أي: أفلا تكون لكم عقول تؤثر الذي هو خير على الأدنى. 109
الجنة وما فيها من النعيم المقيم، خير للذين اتقوا الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن نعيم الدنيا منقص منك، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل،
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كيف أهلكهم الله بتكذيبهم، فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم، ولدار الآخرة أي:
أي: لا من البادية، بل من أهل القرى الذين هم أكمل عقولا، وأصح آراء، وليتبين أمرهم ويتضح شأنهم. أفلم يسيروا في الأرض إذا لم يصدقوا لقولك،
الخلق، فلا شيء يستغرب قومك رسالتك، ويزعمون أنه ليس لك عليهم فضل، فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة نوحى إليهم من أهل القرى
ثم قال تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أي: لم نرسل ملائكة ولا غيرهم من أصناف

إنا له لناصحون أي: مشفقون عليه، نود له ما نود لأنفسنا، وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها. 11
لأبيهم: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أي: لأي شيء يدخلك الخوف منا على يوسف، من غير سبب ولا موجب؟ و الحال
أي: قال إخوة يوسف، متوصلين إلى مقصدهم

نشأ وهم الرسل وأتباعهم، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجراً على الله فما لهم من قوة ولا ناصر 110
تصديقهم بوعد الله ووعيده ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال جاءهم نصرنا فنجي من
الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل. حتى إن الرسل على كمال يقينهم، وشدة
يخبر تعالى: أنه يرسل الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللئام، وأن

غير ذلك. فنسأله تعالى علما نافعا وعملا متقبلا، إنه جواد كريم. تم تفسير سورة يوسف وأبيه وإخوته عليهم الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين. 111
أنت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلما وألحقني بالصالحين فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر
ويسأل الله حسن الخاتمة، وتمام النعمة لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض
الشدائد والمحن، ليوصله بها إلى أعلى الغايات ورفيع الدرجات. ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه، ويعمل الأسباب الموجبة لذلك،
يوسف عليه السلام: وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ومنها: لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال، وأوصل إليه
أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة وفقر وسوء حال، أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن لا يزال ذاكرا حاله الأولى، ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها، لقول
والآخرة فمن آثار التقوى والصبر، وأن عاقبة أهلها، أحسن العواقب، لقوله: قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ومنها:
غير وجه التسخط، لأن إخوة يوسف قالوا: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ولم ينكر عليهم يوسف. ومنها: فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا
ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم. ومنها: جواز إخبار الإنسان بما يجد، وما هو فيه من مرض أو فقر ونحوهما، على
فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطرارا، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أوليائه بالشدة والرخاء، والعسر والبسر
الكر؛ وأن مع العسر يسرا، فإنه لما طال الحزن على يعقوب واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطراب لآل يعقوب ومسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج،
ولا ينافي ذلك، قوله: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين. ومنها: أن الفرج مع
صار الفراق بينه وبين ابنه الثاني شقيق يوسف، هذا وهو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله، قد وعد من نفسه الصبر الجميل، ولا شك أنه وفى بما وعد به،
مدة طويلة، لا تقصر عن خمس عشرة سنة، ويعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة وابتضت عيناه من الحزن فهو كظيم ثم ازداد به الأمر شدة، حين
يعقوب عليه السلام، حيث قضى بالتفريق بينه وبين ابنه يوسف، الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة، ويحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه وبينه
وتحققه إما بمشاهدة أو خبر من يثق به، وتطمئن إليه النفس لقولهم: وما شهدنا إلا بما علمنا ومنها: هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه
أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر، وأنه يبقى عند أخيه وقد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبين الحال. ومنها: أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه،
ولم يقل من سرق متاعنا وكذلك لم يقل إنا وجدنا متاعنا عنده بل أتى بكلام عام يصلح له ولغيره، وليس في ذلك محذور، وإنما فيه إيهام
في رحل أخيه، ثم استخرجها منه، موها أنه سارق، وليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته، وقال بعد ذلك: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده
أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه، أن يستعمل المعارض القولية والفعلية المانعة له من الكذب، كما فعل يوسف حيث ألقى الصواع
بها إلى الحقوق، وأن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد، وإنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم. ومنها:

من القضاء والقدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ومنها: جواز استعمال المكاييد التي يتوصل
أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكارة، أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز، وإن كان لا يقع شيء إلا بقضاء وقدر، فإن الأسباب أيضا
بل سولت لكم أنفسكم أمرا فهم في الأخيرة وإن لم يكونوا مفرطين فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه ولا حرج. ومنها:
لكم أنفسكم أمرا وقال لهم في الأخ الآخر: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ثم لما احتبس يوسف عنده، وجاء إخوته لأبيهم قال لهم:
محرم، فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه، وزعموا أن الذئب أكله بل سولت
وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ومنها: أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع ولا
فيها، وحتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل، لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله. ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن المرسلين،

تفسير السعدي

ومنها: حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها، لعلمهم بوفورها السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدية، وأن هذا غير مناقض للتوكل على الله، بل يتوكل العبد على الله، ويعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه ودنياه. يتقون ومنها: أن جباية الأرزاق إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق والأطعمة في تحزن إذا رأت أهل الدنيا ولذاتها، وهي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي، وفضله العظيم لقوله تعالى: ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا الدنيا والآخرة، وأن خير الآخرة له سببان: الإيمان والتقوى، وأنه خير من ثواب الدنيا وملكها، وأن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، ويشوقها لثواب الله، ولا يدعها غيره مثله، أو أعلى منه، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، فهذه الأمور، ينهى عن طلبها، والتعرض لها. ومنها: أن الله واسع الجود والكرم، يجود على عبده بخير فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده، وأنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره، وإنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية، أو كان موجودا ذلك مصلحة، ولم يقصد به العبد الرياء، وسلم من الكذب، لقول يوسف: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك لا تدم الولاية، إذا كان المتولي الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم. ومنها: أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في المراني داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وقال الملك: أفتوني في رؤياي وقال الفتى ليوسف: أفتنا في سبع بقرات الأرض، فإن كل خير في الدنيا والآخرة من آثار العلم وموجباته. ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير الظاهرة، ولو بلغت في الحسن جمال يوسف، فإن يوسف بسبب جماله حصلت له تلك المحنة والسجن، وبسبب علمه حصل له العز والرفعة والتمكين في لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ومنها: فضيلة العلم، علم الأحكام والشرع، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم التدبير والتربية؛ وأنه أفضل من الصورة ومنها: أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه، وطلب البراءة لها، بل يحمى على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك، بل دلهم مع ذلك على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، وكثرة جبايته. أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله، ويرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه ودنياه، فإن هذا من كمال نصحه وفطنته، وحسن إرشاده، الفتى، وجاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف، ولا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه. ومنها: أنه ينبغي للمسئول ما كلفه به المعلم، فإن يوسف عليه السلام قد قال، ووصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه، فلم يذكره ونسي، فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الإخلاص التام في تعليمه وأن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع، وأن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: اذكرني عند ربك ومنها: أنه ينبغي ويتأكد على المعلم استعمال وقع في مكروه وشدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله، وأن هذا لا يكون شكوى للمخلوق، فإن هذا من الأمور العادية التي جرى المعلم وفطنته، وحسن إرشاده وتعليمه، فإن يوسف لما سأله الفتيان عن الرؤيا قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له. ومنها: أن من فالأهم، وأنه إذا سئل المفتي، وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلم ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله، فإن هذا علامة على نصح من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا دعاء لهما بالحال، ثم دعاهما بالمقال، وبين فساد الشرك وبرهن عليه، وحقيقة التوحيد وبرهن عليه. ومنها: أنه يبدأ بالأهم ليكون أنجح لمقصوده، وأقرب لحصول مطلوبه، وبين لهما أولا، أن الذي أوصله إلى الحال التي رآها فيها من الكمال والعلم، إيمانه وتوحيده، وتركه ملة نراك من المحسنين وأتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرأهما متشوفين لتعبيرها عنده رأى ذلك فرصة فانتهازها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما على ذلك، ودعا الفتيين إلى التوحيد، ونهاهما عن الشرك، ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته، حيث ظنا فيه الظن الحسن وقال له: إنا ومنها: أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء، فعليه عبودية له في الشدة، ف يوسف عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله، فلما دخل السجن، استمر ومنها: أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، وينهيانه عن الشر، وأن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس، وإن كان معصية ضارا لصاحبه. الله، ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، ويتبرأ من حوله وقوته، لقول يوسف عليه السلام: وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين والآخرة، ولهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار. ومنها: أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين إما فعل معصية، وإما عقوبة دنيوية أن يختار العقوبة الدنيوية على مواجهة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وقالت النسوة: حاش لله ما علمنا عليه من سوء ومنها: أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكذا وشهادة امرأة العزيز والنسوة بعد ذلك ببراءته، ولهذا قالت امرأة العزيز: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت بعد ذلك: الآن حصح الحق أنا ذلك أن قطعن أيديهن وقلن ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم وأما جماله الباطن، فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها، ومنها: ما عليه يوسف من الجمال الظاهر والباطن، فإن جماله الظاهر، أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب، وللنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على أو وجود المرأة التي لا زوج لها ولا سيد، حاملا فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه، ولهذا سمى الله هذا الحاكم شاهدا فقال: وشهد شاهد من أهلها هذا إذا وجد المسروق في يد السارق، خصوصا إذا كان معروفا بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة، وهذا أبلغ من الشهادة، وكذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر، صدق يوسف وكذبها. ومما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة ولا إقرار، فعلى حرفتهما من غير بينة، والعمل بالقافة في الأشباه والأثر، من هذا الباب، فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة، وحكم بها في قد القميص، واستدل بقده من دبره على فلو تخاصم رجل وامراته في شيء من أواني الدار، فما يصلح للرجل فإنه للرجل، وما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة، وكذا لو تنازع نجار وحداد في آلة

تفسير السعدي

من المعصية، لأن يوسف عليه السلام لما راودته التي هو في بيتها فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها، ومنها: أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه، الله، وخلصه من سوء والفحشاء. ومنها: أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص المخلصين على قراءة من قرأها بكسر اللام، ومن قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه، وهو متضمن لإخلاصه هو بنفسه، فلما أخلص عمله لله أخلصه السوء والفحشاء وأسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله. وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا عزما، ربما اقترن به الفعل. ومنها: أن من دخل الإيمان قلبه، وكان مخلصا لله في جميع أموره فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، وصدق إخلاصه من أنواع عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم: رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله وإنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، ويصير الله وخشيته، غلبت محبة الله وخشيته داعي النفس والهوى. فكان ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظلهم به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى، لأن الهم داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، وهو طبيعة لأغلب الخلق، فلما قابل بينه وبين محبة منها ما جرى، بسبب توحيدها بيوسف، وحبا الشديد له، الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة، ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة. ومنها: أن الهم الذي بمنزلة الغلام الرقيق المكرم. ومنها: الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة، والحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها، فإن امرأة العزيز جرى يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز، ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها، وبقي عند سيده غلاما رقيقا، وسماه الله شراء، وكان عندهم إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال، ولم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع، أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال، فإن إلقائه أرضا، وقال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب كان قوله أحسن منهم وأخف، وبسببه خف عن إخوته الإثم الكبير. ومنها: أن الشيء بل لعموم الخلق. ومنها: أن بعض الشر أهون من بعض، وارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما، فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو الدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به، وتمم ذلك بأن لا يثرب عليهم ولا يعيرهم به. ثم بره العظيم بأبويه، وإحسانه لإخوته، الذي من صفات الأنبياء، فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة. ومنها: ما من الله به على يوسف عليه الصلاة والسلام من العلم والحلم، ومكارم الأخلاق، ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب اثنا عشر وذريتهم، ومما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رأى كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية والرحمة، وإذا سمح العبد عن حقه، فإله خير الراحمين. ولهذا في أصح الأقوال أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى: وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق منهم ما جرى في أول الأمر، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، والسماح التام من يوسف ومن أبيهم، والدعاء لهم بالمغفرة حصل، وهذا شؤم الذنب، وآثاره التابعة والسابقة واللاحقة. ومنها: أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى ولا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة، بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف، وكلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، والافتراء، ما لما أرادوا التفريق بينه وبين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، وكذبوا عدة مرات، وزوروا على أبيهم في القميص والدم الذي فيه، وفي إتيانهم عشاء يبيكون، جرى على أنفسهم، وعلى أبيهم وأخيهم. ومنها: الحذر من شؤم الذنوب، وأن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة، ولا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم، فإخوة يوسف في المحبة والإيثار وغيره، وأن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، وتفسد الأحوال، ولهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة وأثره على إخوته، جرى منهم ما والسرور والغطية ما حصل بسبب يوسف. ومنها: أن العدل مطلوب في كل الأمور، لا في معاملة السلطان رعيته ولا فيما دونه، حتى في معاملة الوالد لأولاده، يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ولما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز والتمكين في الأرض نعمة على من يتعلق به من أهل بيته وأقاربه وأصحابه، وأنه ربما شملتهم، وحصل لهم ما حصل له بسببه، كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف وكذلك على إخوتك فيكيديك لك كيديا. ومنها: أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله: فيكيديك لك كيديا. ومنها: أن نعمة الله على العبد، كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون. ومنها: أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، وكتمان ما تخشى ضرته، لقول يعقوب ليوسف يا بني لا تقصص رؤياك الطويلة، وهو لم يقرأ كتب الأولين ولا دارس أحدا. يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، وهو أمني لا يخط ولا يقرأ، وهي موافقة، لما في الكتب السابقة، وما وفي الجذب ثقل وتيبس وهي أفضل غلال الأرض. ومنها: ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث قص على قومه هذه القصة وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، ويستقي عليها الماء، وإذا أخضبت السنة سمئت، وإذا أجذبت صارت عجافا، وكذلك السنايل في الخصب، تكثر وتخضر، أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها، وبصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، واستقامة أمر المعاش أو عدمه. فيبرز للطيور فتأكل من رأسه، وذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل. وأول رؤيا الملك للبقرات والسنايل، بالسنين المخصبة، والسنين المجذبة، ووجه المناسبة جلدة رأسه ولحمه، وما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، وأنه سيبرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه، فرأى من حاله أنه سيقتل ويصلب بعد موته يقصد لغيره، فلذلك أوله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، وذلك متضمن لخروجه من السجن. وأول الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن ويعلمك من تأويل الأحاديث ومن المناسبة في رؤيا الفتيين، أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمرا، أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره، والعصر يكون معظما محترما عند أبويه وإخوته. ومن لازم ذلك أن يكون مجتبي مفضلا في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: وكذلك يجتبيك ربك والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته، ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود له معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته. ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمّه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل

تفسير السعدي

يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعتها، فكذلك الأنبياء لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبنى عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا سرور، ومن رخاء إلى جذب، ومن جذب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبينها. ومنها: أن فيها أصلا حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن محنة إلى منحة ومنة، ومن ذل إلى عز، ومن رق إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى عبرة لأولي الألباب غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمن ذلك، أن هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها وأبينها، لما فيها من أنواع التنقلات، من التي قال الله في أولها نحن نقص عليك أحسن القصص وقال لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين وقال في آخرها لقد كان في قصصهم لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل تحصل لهم الرحمة. فصل في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين. وهدي ورحمة لقوم يؤمنون فإنهم بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره يحصل الأحاديث المفتراة المختلفة، ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السابقة، يوافقها ويشهد لها بالصحة، وتفصيل كل شيء يحتاج إليه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له. وقوله: ما كان حديثا يفترى أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، ويعتبرون بها أيضا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه لقد كان في قصصهم أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم، عبرة لأولي الألباب أي: يعتبرون

بإرساله معهم، فقالوا: أرسله معنا غدا يرتع ويلعب أي: ينتزه في البرية ويستأنس. وإننا له لحافظون أي: سنراعيه، ونحفظه من أذى يريده. 12 فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يحبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح فهذا مانع من إرساله و مانع ثان، وهو أنني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون أي: في حال غفلتكم عنه، لأنه صغير لا يمتنع من الذئب. 13 فأجابهم بقوله: إني ليحزنني أن تذهبوا به أي: مجرد ذهابكم به يحزنني ويشق علي، لأنني لا أقدر على فراقه، ولو مدة يسيرة، خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه. فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه. 14 قالوا لن أكله الذئب ونحن عصبة أي: جماعة، حريصون على حفظه، إنا إذا لخاسرون أي: لا

هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض. 15 الجب، ثم إن الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة، لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم بعد ما أذن له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب، كما قال قائلهم السابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجمعوا عليه، فنفذوا فيه قدرتهم، وألقوه في أي: لما ذهب إخوة يوسف بيوسف

وجاءوا أباهم عشاء يبكون ليكون إتيانهم متأخرا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلا لهم، وقرينة على صدقهم. 16

وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين أي: تعذرنا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا لما في قلبك من الحزن على يوسف، والرقبة الشديدة عليه. 17 أبانا إنا ذهبنا نستبق إما على الأقدام، أو بالرمي والنضال، وتركنا يوسف عند متاعنا توفيرا له وراحة. فأكله الذئب في حال غيبتنا عنه في استباقنا فقالوا متعذرين بعذر كاذب يا

نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفى. 18 على القيام بها، وهي أنني أصبر على هذه المحنة صبرا جميلا سالما من السخط والتشكي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف التي قصها عليه ما دله على ما قال. فصر جميل والله المستعان على ما تصفون أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص حين أكله الذئب، فلم يصدقهم أبوه بذلك، و قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا أي: زينت لكم أنفسكم أمرا قبيحا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من إيانا، لا يمنعنا أن نتعذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم. و مما أكدوا به قولهم، أنهم جاءوا على قميصه بدم كذب زعموا أنه دم يوسف ولكن عدم تصديقك

من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوثقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم. 19 لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييبه وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يسروا أمره، ويجعلوه وأسرهم بضاعة وكان إخوته قريبا منه، فاشتراه السيارة منهم، بثمن بخس أي: قليل جدا، فسر به بقوله: دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين الحياض ونحو ذلك، فأدلى ذلك الوارد دلوه فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج. قال يا بشرى هذا غلام أي: استبشر وقال: هذا غلام نفيس، الجب ما مكث، حتى جاءت سيارة أي: قافلة تريد مصر، فأرسلوا واردهم أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة تفسير الآيتين 19 و 20 -: أي: مكث يوسف في

والانقياد إليه، و لعلكم تعقلون أي: تزداد عقولكم بتكرار المعاني الشريفة العالية، على أذهانكم، فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل. 2 والتبيين لعلكم تعقلون أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه. فإذا عقلتم ذلك بإيقانكم واتصفت قلوبكم بمعرفتها، أثمر ذلك عمل الجوارح

تفسير السعدي

ومن بيانه وإيضاحه: أنه أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة، وأبينها، المبين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة وكل هذا الإيضاح من جملة بضائعهم التي معهم، حتى جاءهم إخوته فزعموا أنه عبد أبق منهم، فاشتروه منهم بذلك الثمن، واستوتقوا منهم فيه لئلا يهرب، والله أعلم. 20 لأنه لم يكن لهم قصد إلا تغييره وإبعاده عن أبيه، ولم يكن لهم قصد في أخذ ثمنه، والمعنى في هذا: أن السيارة لما وجدوه، عزموا أن يسروا أمره، ويجعلوه وأسرهم بضاعة وكان إخوته قريباً منه، فاشتراه السيارة منهم، بثمن بخس أي: قليل جداً، فسره بقوله: دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين الحياض ونحو ذلك، فأدلى ذلك الوارد دلوه فتعلق فيه يوسف عليه السلام وخرج. قال يا بشرى هذا غلام أي: استبشر وقال: هذا غلام نفيس، الجب ما مكث، حتى جاءت سيارة أي: قافلة تريد مصر، فأرسلوا واردهم أي: فرطهم ومقدمهم، الذي يعس لهم المياه، ويسبرها ويستعد لهم بتهيئة تفسير الآيتين 19 و20 -: أي: مكث يوسف في

ولا يغلبه مغالب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك يجري منهم ويصدر ما يصدر، في مغالبة أحكام الله القدريّة، وهم أعجز وأضعف من ذلك. 21 له سوى العلم صار ذلك من أسباب تعلمه علماً كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك. والله غالب على أمره أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، أن يشتره عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، جعلنا هذا مقدمة لتمكينه في الأرض من هذا الطريق. ولنعلمه من تأويل الأحاديث إذا بقي لا شغل له ولا هم ينفعنا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، ولعل ذلك أنه لم يكن لهما ولد، وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أي: كما يسرنا له إلى مصر وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً أي: إما أن أي: لما ذهب به السيارة

نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علماً نافعا. ودل هذا، على أن يوسف وفي مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنسبة. 22 أي: جعلناه نبياً رسولاً، وعالماً ربانياً، وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، أي: ولما بلغ يوسف أشده أي: كمال قوته المعنوية والحسية، وصلاح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة. آتيناه حكماً وعلماً له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه. 23 برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي. فلا يليق بي أن أقبله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل لتترك كل ما حرم الله ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و قال معاذ الله أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي أي: أفعّل الأمر المكروه وأقبل إلي، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها زادت المصيبة، بأن غلقت الأبواب وصار المحل خالياً، وهما أمان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعت إلى نفسها وقالت هيت لك راودته التي هو في بيتها عن نفسه أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر. و ملجأ إلا الصبر عليها، طانعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن الكثير، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محتته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له تفسير الآيتين 23 و24 -: هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي

له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه. 24 برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما من الله عليه من الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي. فلا يليق بي أن أقبله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح، والحاصل لتترك كل ما حرم الله ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، و قال معاذ الله أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عذب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم. فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي أي: أفعّل الأمر المكروه وأقبل إلي، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها زادت المصيبة، بأن غلقت الأبواب وصار المحل خالياً، وهما أمان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعت إلى نفسها وقالت هيت لك راودته التي هو في بيتها عن نفسه أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر. و ملجأ إلا الصبر عليها، طانعا أو كارها، وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرماً في بيت العزيز، وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن

تفسير السعدي

- الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي فعل بأهلك سوءا تبرئة لها وتبرئة له أيضا من الفعل. وإنما النزاع عند الإرادة والمرادة إلا أن يسجن أو عذاب أليم أي: أو يعذب عذاباً أليماً. 25 أي: زوجها لدى الباب، فرأى أمراً شق عليه، فبادرت إلى الكذب، أن المرادة قد كانت من يوسف، وقالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ولم تقل من عنها ويبادر إلى الخروج من الباب ليتخلص، ويهرب من الفتنة، فبادرت إليه، وتعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا إلى الباب في تلك الحال، ألفياً سيدها، ولما امتنع من إجابة طلبها بعد المراودة الشديدة، ذهب ليهرب
- فصدقت وهو من الكاذبين لأن ذلك يدل على أنه هو المقبل عليها، المراد لها المعالج، وأنها أرادت أن تدفعه عنها، فشقت قميصه من هذا الجانب. 26 منهما، تبرئة لئيبه وصفيه يوسف عليه السلام، فانبعث شاهد من أهل بيتها، يشهد بقرينة من وجدت معه، فهو الصادق، فقال: إن كان قميصه قد من قبل ولم يعلم أيهما. ولكن الله تعالى جعل للصدق والصدق علامات وأمارات تدل عليه، قد يعلمها العباد وقد لا يعلمونها، فمن الله في هذه القضية بمعرفة الصادق فبراً نفسه مما رمته به، وقال: هي راودتني عن نفسي فحينئذ احتملت الحال صدق كل واحد منهما
- وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لأن ذلك يدل على هروبه منها، وأنها هي التي طلبته فشقت قميصه من هذا الجانب. 27 سيدها: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم وهل أعظم من هذا الكيد، الذي برأت به نفسها مما أرادت وفعلت، ورمت به نبي الله يوسف عليه السلام 28 فلما رأى قميصه قد من دبر عرف بذلك صدق يوسف وبراءته، وأنها هي الكاذبة. فقال لها
- ولا تذكره لأحد، طلباً للستر على أهلها، واستغفري أيتها المرأة لذنبك إنك كنت من الخاطئين فأمر يوسف بالإعراض، وهي بالاستغفار والتوبة. 29 ثم إن سيدها لما تحقق الأمر، قال ليوسف: يوسف أعرض عن هذا أي: اترك الكلام فيه وتناسه
- وأنها أحسن القصص على الإطلاق، فلا يوجد من القصص في شيء من الكتب مثل هذا القرآن، ذكر قصه يوسف، وأبيه وإخوته، القصة العجيبة الحسنة 3 ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى الله إليك، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا. ولما مدح ما اشتمل عليه هذا القرآن من القصص، أي: بما اشتمل عليه هذا القرآن الذي أوحيناه إليك، وفضلناك به على سائر الأنبياء، وذاك محض منة من الله وإحسان. وإن كنت من قبله لمن الغافلين أي: نحن نقص عليك أحسن القصص وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورواق معانيها، بما أوحينا إليك هذا القرآن
- إلى رؤية يوسف الذي فتنت به امرأة العزيز لتحقق امرأة العزيز، وتريهن إياه ليعذرنها، ولهذا سماه مكرراً، فقال: فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن 30 منها، وهي حالة تحط قدرها وتضعه عند الناس، وكان هذا القول منهن مكرراً، ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام وصل حبه إلى شغاف قلبها، وهو باطنه وسويداؤه، وهذا أعظم ما يكون من الحب، إنا لنراها في ضلال مبين حيث وجدت منها هذه الحالة التي لا تنبغي وزوجها كبير القدر، ومع هذا لم تزل تراود فتاها الذي تحت يدها وفي خدمتها عن نفسه، ومع هذا فإن حبه قد بلغ من قلبها مبلغاً عظيماً. قد شغفها حباً أي: وشاع في البلد، وتحدث به النسوة فجعلن يلمنها، ويقلن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً أي: هذا أمر مستقبح، هي امرأة كبيرة القدر، يعني: أن الخبر اشتهر
- أي: تنزيها لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم وذلك أن يوسف أعطي من الجمال الفائق والنور والبهاء، ما كان به آية للناظرين، وعبرة للمتأملين. 31 أي: أعظمته في صدورهن، ورأين منظراً فائقاً لم يشاهدن مثله، وقطعن من الدهش أيديهن بتلك السكاكين اللاتي معهن، وقلن حاش لله أترج، أو غيره، وآتت كل واحدة منهن سكيناً ليقطعن فيها ذلك الطعام وقالت ليوسف: اخرج عليهن في حالة جماله وبهائه. فلما رأيته أكبرنه أي: محلاً مهياً بأنواع الفرش والوسائد، وما يقصد بذلك من المآكل اللذيذة، وكان في جملة ما آتت به وأحضرتة في تلك الضيافة، طعام يحتاج إلى سكين، إما فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن تدعوهن إلى منزلها للضيافة. وأعدت لهن متكاً
- يفعل ما أمره ليسجنن وليكون من الصاغرين لتلجنه بهذا الوعيد إلى حصول مقصودها منه، فعند ذلك اعتصم يوسف بربه، واستعان به على كيدهن 32 عن نفسه فاستعصم أي: امتنع وهي مقيمة على مراودته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً. ولهذا قالت له بحضرتهم: ولئن لم شيء كثير أرادت أن تريهن جماله الباطن بالعفة التامة فقالت معلنة لذلك ومبينة لحبه الشديد غير مبايلة، ولأن اللوم انقطع عنها من النسوة: ولقد راودته فلما تقرر عندهن جمال يوسف الظاهر، وأعجبهن غاية، وظهر منهن من العذر لامرأة العزيز،
- النعيم، ومن أثر هذا على هذا، فمن أجهل منه؟ فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة. 33 لم تدفع عني سوء، وأكن إن صوبت إليهن من الجاهلين فإن هذا جهل، لأنه أثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات وشهوات متنوعة في جنات فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي: أمل إليهن، فإني ضعيف عاجز، إن قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وهذا يدل على أن النسوة جعلن يشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكندن في ذلك.
- فهذا ما نجي الله به يوسف من هذه الفتنة الملمة والمحنة الشديدة، وأما أسياده فإنه لما اشتهر الخبر وبان، وصار الناس فيها بين عاذر ولائم وقادر. 34

تفسير السعدي

الوسائل، حتى أيسها، وصرف الله عنه كيدها، إنه هو السميع لدعاء الداعي العليم بنيته الصالحة، وبنيته الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه. فاستجاب له ربه حين دعاه فصرف عنه كيدهن فلم تزل تراوده وتستعين عليه بما تقدر عليه من

ويتناساه الناس، فإن الشيء إذا شاع لم يزل يذكر ويشاع مع وجود أسبابه، فإذا عدت أسبابه نسي، فأروا أن هذا مصلحة لهم، فأدخلوه في السجن. 35
بدا لهم أي: ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءته، ليسجنه حتى حين أي: لينقطع بذلك الخبر

وقولهما: إنا نراك من المحسنين أي: من أهل الإحسان إلى الخلق، فأحسن إلينا في تعبيرك لرؤيانا، كما أحسنت إلى غيرنا، فتوسلا ليوسف بإحسانه. 36
إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا وذلك الخبز تأكل الطير منه نبنا بتأويله أي: بتفسيره، وما يؤول إليه أمرهما، لما دخل يوسف السجن، كان في جملة من دخل معه السجن فتيان أي: شابان، فرأى كل واحد منهما رؤيا، فقصها على يوسف ليعبرها، ف قال أحدهما أي: و

هم كافرون والترك كما يكون للداخل في شيء ثم ينتقل عنه، يكون لمن لم يدخل فيه أصلا. فلا يقال: إن يوسف كان من قبل، على غير ملة إبراهيم. 37
ذلكما التعبير الذي سأعبره لكما مما علمني ربي أي: هذا من علم الله علمنيه وأحسن إلي به، وذلك إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة أن يأتيكما. ولعل يوسف عليه الصلاة والسلام قصد أن يدعوهم إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما. ثم قال: بتأويله قبل أن يأتيكما أي: فلتطمئن قلوبكما، فإني سأبادر إلى تعبير رؤياكما، فلا يأتيكما غداؤكما، أو عشاؤكما، أول ما يجيء إليكما، إلا نباتكما بتأويله قبل ف قال لهما مجيبا لطلبتهما: لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما

التي أنا عليها، كلها من فضل الله وإحسانه، حيث من علي بترك الشرك واتباع ملة آبائه، فهذا وصلت إلى ما رأيتم، فنبغي لكما أن تسلكا ما سلكت. 38
هذا من الترغيب للطريق التي هو عليها ما لا يخفى، فإن الفتيين لما تقرر عنده أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال وأنه محسن معلم ذكر لهما أن هذه الحالة له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل. ولكن أكثر الناس لا يشكرون فلذلك تأتيهم المنة والإحسان، فلا يقبلونها ولا يقومون لله بحقه، وفي أي: هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا، وعلى من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله على العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد ما كان لنا أي: ما ينبغي ولا يليق بنا أن نشرك بالله من شيء بل نفرد الله بالتوحيد، ونخلص له الدين والعبادة. ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم فسر تلك الملة بقوله:

ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ومن المعلوم أن من هذا شأنه ووصفه خير من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها ولا أفعال لديها. 39
الكمال، الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك. القهار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تمنع، وهي متفرقة ما بين أشجار وأحجار وملائكة وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أتلک خير أم الله الذي له صفات ثم صرح لهما بالدعوة، فقال: يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أي: أرباب عاجزة ضعيفة لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي

عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 4
لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، وديوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل

بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة تستعمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء لها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين العبد من المشاق، لطفًا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف

يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقلوه تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6 نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على

عليهما النعمة، ويحتمل أنهما لم يزالا على شركهما، فقامت عليهما بذلك الحجة، ثم إنه عليه السلام شرع يعبر رؤياهما، بعد ما وعدهما ذلك، فقال: 40

تفسير السعدي

بذلك، حصل منهم ما حصل من الشرك، فيوسف عليه السلام دعا صاحبي السجن لعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، فيحتمل أنهما استجابا وانقادا، فتمت أكثر الناس لا يعلمون حقائق الأشياء، وإلا فإن الفرق بين عبادة الله وحده لا شريك له، وبين الشرك به، أظهر الأشياء وأبينها. ولكن لعدم العلم من أكثر الناس أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم أي: المستقيم الموصل إلى كل خير، وما سواه من الأديان، فإنها غير مستقيمة، بل معوجة توصل إلى كل شر. ولكن لم ينزل الله بها سلطانا، لم يكن طريق ولا وسيلة ولا دليل لها. لأن الحكم لله وحده، فهو الذي يأمر وينهى، ويشرع الشرائع، ويسن الأحكام، وهو الذي أمركم سميتموها آلهة، وهي لا شيء، ولا فيها من صفات الألوهية شيء، ما أنزل الله بها من سلطان بل أنزل الله السلطان بالنهي عن عبادتها وبيان بطلانها، وإذا ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي: كسوتموها أسماء،

من أكله، ثم أخبرهما بأن هذا التأويل الذي تأوله لهما، أنه لا بد من وقوعه فقال: قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي: تسألان عن تعبيره وتفسيره. 41 فإنه عبر عن الخبز الذي تأكله الطير، بلحم رأسه وشحمه، وما فيه من المخ، وأنه لا يقبر ويستتر عن الطيور، بل يصلب ويجعل في محل، تتمكن الطيور يخدمه خمرًا، وذلك مستلزم لخروجه من السجن، وأما الآخر وهو: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه. فيصلب فتأكل الطير من رأسه يا صاحبي السجن أما أحكما وهو الذي رأى أنه يعصر خمرًا، فإنه يخرج من السجن فيسقي ربه خمرًا أي: يسقي سيده الذي كان سبع سنين، ولما أراد الله أن يتم أمره، ويأذن بإخراج يوسف من السجن، قدر لذلك سببًا لإخراج يوسف وارتقاء شأنه وإعلاء قدره، وهو رؤيا الملك. 42 الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاه. فلبث في السجن بضع سنين والبضع من الثلاث إلى التسع، ولهذا قيل: إنه لبث فيخرجني مما أنا فيه، فأنساه الشيطان ذكر ربه أي: فأنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف أي: وقال يوسف عليه السلام: للذي ظن أنه ناج منهما وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرًا: اذكرني عند ربك أي: اذكر له شأني وقصتي، لعله يرق لي، يابسات يا أيها المأفوتوني في رؤياي لأن تعبير الجميع واحد، وتأويله شيء واحد. إن كنتم للرؤيا تعبرون فتحيروا، ولم يعرفوا لها وجهًا. 43 أن السبع العجاف الهزيلات اللاتي سقطت قوتهن، يأكلن السبع السمان التي كن نهاية في القوة. و رأيت سبع سنبلات خضر يأكلهن سبع سنبلات رأى رؤيا حالته، فجمع لها علماء قومه وذوي الرأي منهم وقال: إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع أي: سبع من البقرات عجاف وهذا من العجب، فضله، ويبين من علمه ما يكون له رفعة في الدارين، ومن التقادير المناسبة أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها، لارتباط مصالحها به. وذلك أنه لما أراد الله تعالى أن يخرج يوسف من السجن، أرى الله الملك هذه الرؤيا العجيبة، الذي تأويلها يتناول جميع الأمة، ليكون تأويلها على يد يوسف، فيظهر من ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون. فسبحان من خفيت أطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفياه وأوليائه. 44 إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتزون عنها، ثم يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول: أنا لها أنا لها فيشفع في جميع الخلق، وينال كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم غايه، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء قبل أن يعرضها على الملائكة من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجاء، وهذا أيضا من لطف الله بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإننا لا نعبرها. فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، أي أحلام لا حاصل لها، ولا لها تأويل. وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، بما ليس بعذر ثم قالوا: وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي: قالوا أضغاث أحلام

في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى يوسف لأسأله عنها. 45 نجا منهما أي: من الفتيين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرًا، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه وادكر بعد أمة أي: وتذكر يوسف، وما جرى له وقال الذي

سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون فإنهم متشفقون لتعبيرها، وقد أهتمهم. 46 إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال: يوسف أيها الصديق أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله. أفطنا في فأرسلوه، فجاء

له وأبعد من الالتفات إليه إلا قليلا مما تأكلون أي: دبروا أيضا أكلكم في هذه السنين الخصبة، وليكن قليلا، ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه. 47 الخصب، إلى سني الجذب فقال: تزرعون سبع سنين دأبا أي: متتابعات. فما حصدتم من تلك الزروع فدروه أي: اتركوه في سنبله لأنه أبقى هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجذب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك والله أعلم أن الخصب والجذب لما كان الحرث مبنيا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع فعبر يوسف، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات

تفسير السعدي

- أي: مجدبات جدا يأكلن ما قدمتم لهن أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيرا. إلا قليلا مما تحصنون أي: تمنعونه من التقديم لهن. 48
- ثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات. سبع شداد
- مخصب جدا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح. 49
- في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها. ومن المعلوم أنه لا يزول الجذب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به
- ثم يأتي من بعد ذلك أي: بعد السبع الشداد عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي: فيه تكثر الأمطار والسيول،
- عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 5
- لا تقتصر رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كلا ما تقتضيه حكمته وحمده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرها ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضمائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبير الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعًا له فيها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتناء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكين العبد من المشاق، لطفا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6 نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على
- يعني به الملك. فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن أي: أسأله ما شأنهن وقصتهن، فإن أمرهن ظاهر متضح إن ربي بكيدهن عليم. 50
- وأمره بالحضور عند الملك، امتنع عن المبادرة إلى الخروج، حتى تتبين براءته التامة، وهذا من صبره وعقله ورأيه التام. ف قال للرسول: ارجع إلى ربك يقول تعالى: وقال الملك لمن عنده انتوني به أي: بيوسف عليه السلام، بأن يخرجوه من السجن ويحضروه إليه، فلما جاء يوسف الرسول أي: تمحض وتبين، بعد ما كنا ندخل معه من سوء والتهمة، ما أوجب له السجن أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في أقواله وبرائه. 51
- عليه من سوء أي: لا قليل ولا كثير، فحينئذ زال السبب الذي تنبني عليه التهمة، ولم يبق إلا ما عند امرأة العزيز، ف قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق فأحضرهن الملك، وقال: ما خطبكن أي: شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فهل رأيتهن منه ما يريب؟ فبرأتهن و قلن حاش لله ما علمنا
- أني لم أخنه في حال غيبته عني. وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فإن كل خائن، لا بد أن تعود خيائنته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره. 52
- لم أخنه بالغيب، أي: لم يجر مني إلا مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق الإقرار، الذي أقررت أنني راودت يوسف ليعلم أنني لم أخنه بالغيب يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي: ليعلم أنني حين أقررت أنني راودت يوسف، أنني ذلك
- للأعمال الصالحة. وهذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر. 53
- بل من فضل الله ورحمته بعبد. إن ربي غفور رحيم أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، رحيم بقبول توبته، وتوفيقه إلا ما رحم ربي فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاضية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، والكيد في ذلك. إن النفس لأماراة بالسوء أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها، وأنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف، استدركت فقالت: وما أبرئ نفسي أي: من المراودة والهمل، والحرص الشديد، ثم لما
- مكرما محترما، فلما كلمه أعجبه كلامه، وزاد موقعه عنده فقال له: إنك اليوم لدينا أي: عندنا مكين أمين أي: متمكن، أمين على الأسرار 54
- فلما تحقق الملك والناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك وقال: انتوني به أستخلصه لنفسي أي: أجعله خصيصة لي ومقربا لدي فأتوه به

تفسير السعدي

من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه. فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولاه إياها. 55 والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه وغلالها، وكيلا حافظا مدبرا. إني حفيظ عليهم أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير قال يوسف طلبا للمصلحة العامة: اجعلني على خزائن الأرض أي: على خزائن جبايات الأرض

ولبست مقصورة على نعمة الدنيا. ولا نضيع أجر المحسنين ويوسف عليه السلام من سادات المحسنين، فله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة 56 يتبوا منها حيث يشاء في عيش رغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض، نصيب برحمتنا من نشاء أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها وقدرها له، وكذلك أي: بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة، مكنا ليوسف في الأرض

الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب، بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح، من الواجبات والمستحبات. 57 ولأجر الآخرة خير من أجر الدنيا للذين آمنوا وكانوا يتقون أي: لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر

التي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلى مصر. وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي: لم يعرفوه. 58 واتخذ لها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئا كثيرا وحفظه، وضبطه ضبطا تاما، فلما دخلت السنون المجدة، وسرى الجذب، حتى وصل إلى فلسطين، أي: لما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر جميعها في السنين الخصبة، زروعا هائلة،

ف قال لهم: اتنوني بأخ لكم من أبيكم ثم رغبهم في الإتيان به فقال: ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين في الضيافة والإكرام. 59 كان يكيل لغيرهم، وكان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير، وكان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، وهو بنيامين. ولما جهزهم بجهازهم أي: كال لهم كما

عنه ليلا ولا نهارا، ولا سرا ولا جهارا، فالبعد عن الأسباب التي يتسلط بها على العبد أولى، فامتثل يوسف أمر أبيه، ولم يخبر إخوته بذلك، بل كتمها عنهم. 6 لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا أي: حسدا من عند أنفسهم، أن تكون أنت الرئيس الشريف عليهم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين لا يفتر العباد من البر وغيره، فيعطي كالا ما تقتضيه حكمته وحده، فإنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. ولما بان تعبيرا ليوسف، قال له أبوه: يا بني إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما، بنعم عظيمة واسعة، دينية، ودنيوية. إن ربك عليم حكيم أي: علمه محيط بالأشياء، وبما احتوت عليه ضوائر كالكتب السماوية ونحوها، ويتم نعمته عليك في الدنيا والآخرة، بأن يؤتيك في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، كما أتمها على أبويك من قبل بما يمن به عليك من الأوصاف الجليلة والمناقب الجميلة. ويعلمك من تأويل الأحاديث أي: من تعبیر الرؤيا، وبيان ما تنول إليه الأحاديث الصادقة، في الأرض. وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب، الذين سجدوا له وصاروا تبعاء له فيها، ولهذا قال: وكذلك يجتبيك ربك أي: يصطفيك ويختارك يخضعون له، ويسجدون له إكراما وإعظاما، وأن ذلك لا يكون إلا بأسباب تتقدمه من اجتباء الله له، واصطفائه له، وإتمام نعمته عليه بالعلم والعمل، والتمكن العبد من المشاق، لطفا بعبد، وإحسانا إليه، فأولها يعقوب بأن الشمس: أمه، والقمر: أبوه، والكواكب: إخوته، وأنه ستنقل به الأحوال إلى أن يصير إلى حال عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة. وهكذا إذا أراد الله أمرا من الأمور العظام قدم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على الخليل عليهم الصلاة والسلام: يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل. فقله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الحد قبحا، فإن تضعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير. فعلى العبد أن بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها تفسير الآيات من 4 إلى 6: نواعلم أن الله ذكر أنه يقص على

بعد الإتيان به، فقال: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وذلك لعلمه باضطرابهم إلى الإتيان إليه، وأن ذلك يحملهم على الإتيان به. 60 ثم رهبهم

أن يعقوب عليه السلام كان مولعا به لا يصبر عنه، وكان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم وإنا لفاعلون لما أمرتنا 61 ف قالوا سنراود عنه أباه دل هذا على

إيهم بالكيل لهم كيلا وافيًا، ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها، ولا يشعرون لما يأتي، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن. 62 يعرفونها أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم، لعلمهم يرجعون لأجل التحرج من أخذها على ما قيل، والظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه وقال يوسف لفتيان الذين في خدمته: اجعلوا بضاعتهم أي: الثمن الذي اشتروا به من الميرة. في رحالهم لعلمهم

ترسل معنا أخانا، فأرسل معنا أخانا نكتل أي: ليكون ذلك سببا لكيلا، ثم التزموا له بحفظه، فقالوا: وإنا له لحافظون من أن يعرض له ما يكره. 63 فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل أي: إن لم

تفسير السعدي

- تعالى. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين أي: يعلم حالي، وأرجو أن يرحمني، فيحفظه ويرده علي، وكأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم. 64
- على أخيه من قبل أي: تقدم منكم التزام، أكثر من هذا في حفظ يوسف، ومع هذا لم تقوا بما عقدتم من التأكيد، فلا أثق بالتزامكم وحفظكم، وإنما أثق بالله
- قال لهم يعقوب عليه السلام: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم
- ونزداد كيل بعير بإرساله معنا، فإنه يكيل لكل واحد حمل بعير، ذلك كيل يسير أي: سهل لا ينالك ضرر، لأن المدة لا تطول، والمصلحة قد تبينت. 65
- هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا أي: إذا ذهبنا بأخيها صار سببا لكيه لنا، فمرنا أهلنا، وأتينا لهم، بما هم مضطرون إليه من القوت، ونحفظ أخاننا
- أبانا ما نبغي أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟
- دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها. ف قالوا لأبيهم ترغيبا في إرسال أخيهام معهم : يا
- ثم إنهم ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم هذا
- لا قبل لكم به، ولا تقدرون دفعه، فلما آتوه موثقهم على ما قال وأراد قال الله على ما نقول وكيل أي: تكفينا شهادته علينا وحفظه وكفالاته. 66
- ف قال لهم يعقوب: لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله أي: عهدا ثقيلًا، وتحلفون بالله لتأتيني به إلا أن يحاط بكم أي: إلا أن يأتیکم أمر
- أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصیتکم به من السبب، وعليه فليتوكل المتوكلون فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، ويندفع كل مرهوب. 67
- أغني عنكم من الله من شيء فالمقدر لا بد أن يكون، إن الحكم إلا لله أي: القضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاؤه وحكم به لا بد أن يقع، عليه توكلت
- من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء رجل واحد، وهذا سبب. و إلا ف ما
- ثم لما أرسله معهم وصاهم، إذا هم قدموا مصر، أن لا تدخلوا
- وتعليمه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عواقب الأمور ودقائق الأشياء وكذلك أهل العلم منهم، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير. 68
- الكرام والعلماء الربانيين، ولهذا قال عنه: وإنه ل ذو علم أي: لصاحب علم عظيم لما علمناه أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله وقوته أدركه، بل بفضل الله
- يعقوب قضاها وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، وقضاء لما في خاطره. وليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل
- ولما ذهبوا و دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان ذلك الفعل يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس
- إني أنا أخوك فلا تبتئس أي: لا تحزن بما كانوا يعملون فإن العاقبة خير لنا، ثم خبره بما يريد أن يصنع ويتحیل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر. 69
- يوسف آوى إليه أخاه أي: شقيقه وهو بنيامين الذي أمرهم بالإتيان به، و ضمه إليه، واختصه من بين إخوته، وأخبره بحقيقة الحال، و قال
- أي: لما دخل إخوة يوسف على
- سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال، فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا في القصص والبيانات. 7
- يقول تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات أي: عبر وأدلة على كثير من المطالب الحسنة، للسائلين أي: لكل من
- فيه في رحل أخيه ثم أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين، أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ولعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال. 70
- فلما جهزهم بجهازهم أي: كال لكل واحد من إخوته، ومن جملتهم أخوه هذا. جعل السقاية وهو: الإناء الذي يشرب به، ويكال
- لهم هم إلا إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا في هذه الحال: ماذا تفقدون ولم يقولوا: ما الذي سرقنا لجزمهم بأنهم براء من السرقة. 71
- إخوة يوسف وأقبلوا عليهم لإبعاد التهمة، فإن السارق ليس له هم إلا البعد والانطلاق عن سرق منه، لتسلم له سرقة، وهؤلاء جاءوا مقبلين إليهم، ليس
- قالوا أي:
- قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير أي: أجرة له على وجدانه وأنا به زعيم أي: كفيل، وهذا يقوله المؤذن المتفقد. 72
- على عفتهم وورعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا: تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق. 73
- فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم
- قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض بجميع أنواع المعاصي، وما كنا سارقين
- قالوا فما جزاؤه أي: جزاء هذا الفعل إن كنتم كاذبين بأن كان معكم؟ 74
- يتملكه صاحب السرقة، وكان هذا في دينهم أن السارق إذا ثبتت عليه السرقة كان ملكا لصاحب المال المسروق، ولهذا قالوا: كذلك نجزي الظالمين 75
- قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو أي: الموجود في رحله جزاؤه بأن
- إلى مقصدها، كما رفعنا درجات يوسف، وفوق كل ذي علم عليم فكل عالم، فوقه من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشهادة. 76
- لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد. قال تعالى: نرفع درجات من نشاء بالعلم النافع، ومعرفة الطرق الموصلة
- إلى أمر غير مذموم ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك لأنه ليس من دينه أن يملك السارق، وإنما له عندهم، جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك،
- الواقعة. فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته، قال تعالى: كذلك كدنا ليوسف أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به

تفسير السعدي

- الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد، فلما لم يجد في أوعيتهم شيئا استخرجها من وعاء أخيه ولم يقل وجدها، أو سرقها أخوه مراعاة للحقيقة فبدأ المفتش بأوعيتهم قبل وعاء أخيه وذلك لتزول
- 77 بما أنتم على أشر منه، والله أعلم بما تصفون منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها، ثم سلخوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم. ولم يبدها لهم أي: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون، بل كظم الغيظ، وأسر الأمر في نفسه. و قال في نفسه أنتم شر مكانا حيث ذمتمونا تبرئة أنفسهم وأن هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة، وهما ليسا شقيقين لنا. وفي هذا من الغض عليهما ما فيه، ولهذا: أسرها يوسف في نفسه فلما رأى إخوة يوسف ما رأوا قالوا إن يسرق هذا الأخ، فليس هذا غريبا منه. فقد سرق أخ له من قبل يعنون: يوسف عليه السلام، ومقصودهم العزيز إن له أبا شيخا كبيرا أي: وإنه لا يصبر عنه، وسيشقى عليه فراقه، فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين فأحسن إلينا وإلى أبينا بذلك. 78 ف قالوا يا أيها
- يقل من سرق كل هذا تحرز من الكذب، إنا إذا أي: إن أخذنا غير من وجد في رحله لظالمون حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها. 79 ف قال يوسف معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنب من وجدنا متاعنا عنده، ولم جماعة، فكيف يفضلهما علينا بالمحبة والشفقة، إن أبانا لفي ضلال مبين أي: لفي خطأ بين، حيث فضلهما علينا من غير موجب نراه، ولا أمر نشاهده. 80 إذ قالوا فيما بينهم: ليوسف وأخوه بنيامين، أي: شقيقه، وإلا فكلهم إخوة. أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أي:
- أي: سأقيم في هذه الأرض ولا أزال بها حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي وهو خير الحاكمين 80 ما فرطتم في يوسف، فاجتمع عليكم الأمان، تفريطكم في يوسف السابق، وعدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي. فلن أبرح الأرض وجعلوا يتناجون فيما بينهم، ف قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله في حفظه، وأنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم ومن قبل أي: فلما استيأس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم خلصوا نجيا أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم،
- كنا للغيب حافظين أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا وبذلنا المجهود في ذهابه معنا، ولما أعطيناك عهدونا ومواريثنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ. 81 يحصل لنا أن نأتيك به، مع ما بذلنا من الجهد في ذلك. والحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، وإنما شهدنا بما علمنا، لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله، وما ثم وصاهم بما يقولون لأبيهم، فقال: ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق أي: وأخذ بسرقة، ولم قولنا القرية التي كنا فيها والعرير التي أقبلنا فيها فقد اطلعوا على ما أخبرناك به وإنا لصادقون لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع. 82 واسأل إن شككت في
- واحتماجي إلى تفرجه ومنته، واضطراري إلى إحسانه، الحكيم الذي جعل لكل شيء قدرا، ولكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية. 83 والكربة انتهت فقال: عسى الله أن يأتيني بهم جميعا أي: يوسف وبنيامين وأخوهم الكبير الذي أقام في مصر. إنه هو العليم الذي يعلم حالي، أمرا فصر جميل أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، فلما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه وتضاعف كمد، واثمهم أيضا في هذه القضية، كما اثمهم في الأولى، و قال بل سولت لكم أنفسكم وقال يا أسفى على يوسف أي: ظهر منه ما كمن من الهم القديم والشوق المقيم، وذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنسبة للأولى، المصيبة الأولى. 84 وابتضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء، حيث ابتضت عيناه من ذلك. فهو كظيم أي: ممتلئ القلب من الحزن الشديد، أي: وتولى يعقوب عليه الصلاة والسلام عن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى،
- أحوالك. حتى تكون حرضا أي: فانيا لا حراك فيك ولا قدرة على الكلام. أو تكون من الهالكين أي: لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبدا. 85 فقال له أولاده متعجبين من حاله: تالله تفتأ تذكر يوسف أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع
- إلى الله وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم وأعلم من الله ما لا تعلمون من أنه سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم. 86 قال يعقوب إنما أشكو بثي أي: ما أثبت من الكلام وحزني الذي في قلبي
- ورحمته وروحه، إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين. 87 ولا تياسوا من روح الله فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس: يوجب له التناقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد، فضل الله وإحسانه أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه أي: احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما
- عن الواجب. إن الله يجزي المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة. فلما انتهى الأمر، وبلغ أشده، رق لهم يوسف رقة شديدة، وعرفهم بنفسه، وعاتبهم. 88 وأهلنا وجئنا ببضاعة مزجاة أي: مدفوعة مرغوب عنها لقلتها، وعدم وقوعها الموقع، فأوف لنا الكيل أي: مع عدم وفاء العرض، وتصدق علينا بالزيادة أي: على يوسف قالوا متضرعين إليه: يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا أي: قد اضطررنا نحن ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه، فذهبوا فلما دخلوا عليه

تفسير السعدي

فيه، والأصل الموجب له. إذ أنتم جاهلون وهذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين، مع أنه لا ينبغي ولا يليق منهم. 89 أما يوسف فظاهر فعلهم فيه، وأما أخوه، فلعله والله أعلم قولهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أو أن الحادث الذي فرق بينه وبين أبيه، هم السبب قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه

تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم. فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطا من بعضهم لبعض. 9 لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، فإنه قد اشتغل قلبه بيوسف شغلا لا يتفرغ لكم، وتكونوا من بعده أي: من بعد هذا الصنيع قوما صالحين أي: أو اطرحوه أرضا أي: غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها. فإنكم إذا فعلتم أحد هذين الأمرين يخل لكم وجه أبيكم أي: يتفرغ اقتلوا يوسف

ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامثالها فإن الله لا يضيع أجر المحسنين فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. 90 يوسف وهذا أخي قد من الله علينا بالإيمان والتقوى والتمكين في الدنيا، وذلك بسبب الصبر والتقوى، إنه من يتق ويصبر أي: يتقي فعل ما حرم الله، فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالوا: أنك لأنت يوسف قال أنا

إليك، والتباعد لك عن أبيك، فأترك الله تعالى وممكن مما تريد وإن كنا لخاطئين وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف. 91 قالوا تالله لقد آثرك الله علينا أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى

تاما، من غير تعبير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين. 92 لهم يوسف عليه السلام، كرما وجودا: لا تثريب عليكم اليوم أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فسمح لهم سماحا ف قال

ذلك على هذا الأمر. وأتوني بأهلكم أجمعين أي: أولادكم وعشيرتكم وتوابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء، ويزول عنكم نكد المعيشة، وضنك الرزق. 93 الله به عليهم أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته: اذهبوا بقميصي

لولا أن تفندون أي: تسخرون مني، وتزعمون أن هذا الكلام، صدر مني من غير شعور، لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول. 94 ولما فصلت العير عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شم يعقوب ريح القميص، فقال: إني لأجد ريح يوسف

فوقع ما ظنه بهم فقالوا: تالله إنك لفي ضلالك القديم أي: لا تزال تائها في بحر الحب لا تدري ما تقول. 95

عليهم، متبجحا بنعمة الله عليه: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن. 96 بصيرا أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، فقال لمن حضره من أولاده وأهله الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه منتصرا فلما أن جاء البشير بقرع الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، ألقاه أي: القميص على وجهه فارتد

فأقروا بذنبهم ونجعوا بذلك و قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين حيث فعلنا معك ما فعلنا. 97

ورجائي به أن يغفر لكم ويرحمكم، ويتغمدكم برحمته، وقد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتم للاستغفار، وأقرب للإجابة. 98 ف قال مجيبا لطلبتهم، ومسرعا لإجابتهم: سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أي:

مصر إن شاء الله آمنين من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة، وحصل السرور والبهجة. 99 على يوسف آوى إليه أبويه أي: ضمهما إليه، واختصهما بقربه، وأبدى لهما من البر والإكرام والتبجيل والإعظام شيئا عظيما، وقال لجميع أهله: ادخلوا أي: فلما تجهز يعقوب وأولاده وأهلهم أجمعون، وارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكنها، فلما وصلوا إليه، و دخلوا

سورة 13

لا يؤمنون بهذا القرآن، إما جهلا وإعراضا عنه وعدم اهتمام به، وإما عنادا وظلما، فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع. 1 عدل، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة، فمن أقبل عليه وعلى علمه، كان من أهل العلم بالحق، الذي يوجب لهم علمهم العمل بما أحب الله. ولكن أكثر الناس الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، وأن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين، لأن أخباره صدق، وأوامره ونواهيه يخبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات

مستقر بمكان خفي فيه، وسارب بالنهار أي: داخل سربه في النهار والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك. 10

تفسير السعدي

سواء منكم في علمه وسمعه وبصره. من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أي:

فيجلب لهم المحبوب، ويدفع عنهم المكروه، فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين. 11
سواء أي: عذابا وشدة وأما يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم. فإنه لا مرد له ولا أحد يمنعه من، وما لهم من دونه من وال يتولى أمورهم
غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة، وإذا أراد الله بقوم
يغيروا ما بأنفسهم بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. وكذلك إذا
هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء، إن الله لا يغير ما بقوم من النعمة والإحسان ورغد العيش حتى
من أمر الله أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فإله قد أرسل
له أي: للإنسان معقبات من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار. من بين يديه ومن خلفه يحفظونه

والهدم وأنواع الضرر، على بعض الثمار ونحوها ويطعم في خيره ونفعه، وينشئ السحاب الثقيل بالمطر الغزير الذي به نفع العباد والبلاد. 12
يقول تعالى: هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا أي: يخاف منه الصواعق

وهو الذي يدبر الأمور، وتخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها، وتزعج العباد وهو شديد القوة فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. 13
الحول والقوة فلا يريد شيئا إلا فعله، ولا يتعاضى عليه شيء ولا يفوته هارب. فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار والسحب التي فيها مادة أرزاقهم،
ويرسل الصواعق وهي هذه النار التي تخرج من السحاب، فيصيب بها من يشاء من عباده بحسب ما شاء وأراده وهو شديد المحال أي: شديد
وهو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد، فهو خاضع لربه مسبح بحمده، و تسبح الملائكة من خيفته أي: خشعا لربهم خائفين من سطوته،
ويسبح الرعد بحمده

نفي الشيء كما قال تعالى: إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط 14
يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق على المحال من أبلغ ما يكون في
بطلان غايتها، ولما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين، كانت عبادته حقا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا والآخرة. وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي
لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. وما دعاء الكافرين إلا في ضلال لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم؛ لأن الوسيلة تبطل
لا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة لأنهم فقراء كما أن من دعوه فقراء، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما
كفيه إلى الماء فاه فإنه عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه. كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة
أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة إلا كباسط كفيه إلى الماء الذي لا تناله كفاه لبعده، ليبلغ ببسط
والرهبة، والإنابة؛ لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة والذين يدعون من دونه من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله. لا يستجيبون لهم
وهي: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة،
أي: لله وحده دعوة الحق

تفقهون تسبيحهم فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا وكرها كان هو الإله حقا المعبود المحمود حقا وإلهية غيره باطلة، ولهذا ذكر بطلانها 15
بالغزو والأصل أي: ويسجد له ظلال المخلوقات أول النهار وآخره وسجود كل شيء بحسب حاله كما قال تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا
له طوعا وكرها فالطوع لمن يأتي بالسجود والخضوع اختيارا كالمؤمنين، والكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، وحاله وفطرته تكذبه في ذلك، وظلالهم
أي: جميع ما احتوت عليه السماوات والأرض كلها خاضعة لربها، تسجد

متلازمان متعينان لله وحده، فتبين بالدليل العقلي القاهر، أن ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات وبذلك كانت عبادته باطلة. 16
والقهر إلا لله وحده، فالمخلوقات وكل مخلوق فوقه مخلوق يقهره ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه، حتى ينتهي القهر للواحد القهار، فالقهر والتوحيد
يخلق شيء من الأشياء نفسه. ومن المحال أيضا أن يوجد من دون خالق، فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه لأنه الواحد القهار، فإنه لا توجد الوحدة
خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزل عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحيد الإله بالوحدانية، فقل لهم: الله خالق كل شيء فإنه من المحال أن
الله وحده، وعبادة المشركين به، كما لا يستوي الأعمى والبصير، وكما لا تستوي الظلمات والنور. فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم
لأنفسهم نفعا ولا ضرا وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات، المالك للأحياء والأموات، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضرب فما تستوي عبادة
كما يحبون الله، ويبذلون لها أنواع التقربات والعبادات: أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم من دونه أولياء تتولونهم بالعبادة وليسوا بأهل لذلك؟ فإنهم لا يملكون
أي: قل لهؤلاء المشركين به أوثانا وأندادا يحبونها

فيه، فالباطل يذهب ويمحقه الحق إن الباطل كان زهوقا وقال هنا: كذلك يضرب الله الأمثال ليتضح الحق من الباطل والهدى والضلال. 17
بالبراهين الصادقة، والإرادات الجازمة، حتى تذهب وتضمحل ويبقى القلب خالصا صافيا ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق وإيثاره، والرغبة
طافية مكدره له حتى تذهب وتضمحل، ويبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي والحلية الخالصة. كذلك الشبهات والشهوات لا يزال القلب يكرها، ويجاهدها

تفسير السعدي

من الشهوات والشبهات عند وصول الحق إليها، بالزبد الذي يعلو الماء ويعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها وسبكها، وأنها لا تزال فوق الماء فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا، كقلب صغير، يسع علما قليلا، وهكذا. وشبه ما يكون في القلوب ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد، بما في المطر من النفع العام الضروري، وشبه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل شبه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب والأرواح، بالماء الذي أنزله لحياة الأشباح، وشبه

والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب وبئس المهاد أي: المقر والمسكن مسكنهم. 18 كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا و بعد هذا الحساب السيئ ومأواهم جهنم الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، على كل ما أسلفوه من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده قد كتب ذلك واطر عليهم وقالوا: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا ذهب وفضة وغيرها، ومثله معه لا فتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وأنى لهم ذلك؟ أولئك لهم سوء الحساب وهو الحساب الذي يأتي خطر على قلب بشر، والذين لم يستجيبوا له بعد ما ضرب لهم الأمثال وبين لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة، ف لو أن لهم ما في الأرض جميعا من الحسنى أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلاها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا فذكر عقابه فقال: للذين استجابوا لربهم أي: انقادوا قلوبهم للعلم والإيمان وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريد منهم، فلهم لما بين تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب

ولكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه ويضره. إنما يتذكر أولو الألباب أي: أولو العقول الرزينة، والآراء الكاملة، الذين هم لب العالم، وصفوة بني آدم 19 ولا يعمل به فيبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، فحقيق بالعباد أن يتذكر ويتفكر أي الفريقين أحسن حالا وخير مآلا فيؤثر طريقها ويسلك خلف فريقها، يقول تعالى: مفرقا بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ففهم ذلك وعمل به. كمن هو أعمى لا يعلم الحق أرسل رسله وأنزل كتبه لأمر العباد ونهيهم، فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه، فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء، ويجازي المسيئين بإساءتهم. 2 الإلهية، خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث والنشور والإخراج من القبور. وأيضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، ولا يتركهم عبثا، فكما أنه بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية والآيات القرآنية، بقاء ربكم توقنون فإن كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها، من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور وينزل الكتب الإلهية على رسله ويبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع والأوامر والنواهي، ويفصلها غاية التفصيل ببيانها وإيضاحها وتمييزها، لعلهم ويرفع، ويقلل العثرات، ويفرج الكربات، وينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه، وجرى بها قلمه، ويرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره. استوى الله العظيم على سرير الملك، يدبر الأمور في العالم العلوي والسفلي، فيخلق ويرزق، ويغني ويفقر، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويعز ويذل، ويخفف غير أهل للعبادة؛ فيتخسر بذلك أشد الحسرة وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين. وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات هذا جمع بين الخلق والأمر، أي: قد هي دار القرار، فعند ذلك يطوي الله السماوات ويبدلها، ويغير الأرض ويبدلها. فتكور الشمس والقمر، ويجمع بينهما فيلقين في النار، ليرى من عبدهما أنهما بتدبير العزيز العليم، لأجل مسمى بسير منتظم، لا يفتران ولا ينيان، حتى يجيء الأجل المسمى وهو طي الله هذا العالم، ونقلهم إلى الدار الآخرة التي المخلوقات، استواء يليق بجلاله ويناسب كماله. وسخر الشمس والقمر لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم، كل من الشمس والقمر يجري ترونها أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها ثم بعد ما خلق السماوات والأرض استوى على العرش العظيم الذي هو أعلى والسلطان الدال على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له فقال: الله الذي رفع السماوات على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة، بغير عمد يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير، والعظمة

والعهود والأيمان والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها. 20 حقها من التتميم لها، والنصح فيها و من تمام الوفاء بها أنهم لا ينقضون الميثاق أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله: الذين يوفون بعهد الله الذي عهد إليهم والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها توفيتها فإن سألت عن وصفهم،

خوفهم منه، ومن القدوم عليه يوم الحساب، أن يتجرؤوا على معاصي الله، أو يقصروا في شيء مما أمر الله به خوفا من العقاب ورجاء للثواب. 21 والدينية. والسبب الذي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب، ولهذا قال: ويخشون ربهم أي: يخافونه، فيمنعهم ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلًا، ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية به وبرسوله، ومحبتة ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوبهم، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان

إليهم، وإذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟! أولئك الذين وصفت صفاتهم الجليلة ومناقبهم الجميلة لهم عقبى الدار 22 أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله، بل قابله بالإحسان إليه. فيعطون من حرمهم، ويعفون عن ظلمهم، ويصلون من قطعهم، ويحسنون إلى من أساء النفقات الواجبة كالزكوات والكفارات والنفقات المستحبة وأنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة، سرا وعلانية، ويدعرون بالحسنة السيئة أي: من

تفسير السعدي

فليس هو الممدوح على الحقيقة. وأقاموا الصلاة بأركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرا وباطنا، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية دخل في ذلك بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وجه ربهم لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة صبروا علالمأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها. ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ابتغاء والذين

النظر والأشباه، والأصحاب والأحباب، فإنهم من أزواجهم وذرياتهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يهنئونهم بالسلامة وكرامة الله لهم 23 إليه المطالب والغايات. ومن تمام نعيمهم وقرة أعينهم أنهم يدخلونها ومن صلح من آبائهم من الذكور والإناث وأزواجهم أي الزوج أو الزوجة وكذلك جنات عدن أي: إقامة لا يزولون عنها، ولا يبغون عنها حولا؛ لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم والسرور، الذي تنتهي لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع الذات والأفراح، فملئها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون. 24 المنازل العالية، والجنات الغالية، فنعيم عقبى الدار فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب. بما صبرتم أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه سلام عليكم أي: حلت عليكم

عوجا، أولئك لهم اللعنة أي: البعد والذم من الله وملائكته وعباده المؤمنين، ولهم سوء الدار وهي: الجحيم بما فيها من العذاب الأليم. 25 يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي، والصد عن سبيل الله وابتغائها من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، وغلظ عليهم، فلم يقابلوه بالانقياد والتسليم، بل قابلوه بالإعراض والنقص، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فلم لما ذكر حال أهل الجنة ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به، فقال عنهم: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه أي: عن الآخرة وذلك لنقصان عقولهم، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي: شيء حقير يتمتع به قليلا ويفارق أهله وأصحابه ويعقبهم ويلا طويلا. 26 وحده يوسع الرزق ويبسطه على من يشاء ويقدره ويضيقه على من يشاء، وفرحوا أي: الكفار بالحياة الدنيا فرحا أوجب لهم أن يطمئثوا بها، ويغفلوا أي: هو

من الحق، كفى ذلك وحصل المقصود، وكان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها، فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا فلم يؤمنوا بها لعاجلهم العذاب. 27 قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ولا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها ويقترحونها، بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به الهداية والضلال بأيديهم حتى يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات، ومع ذلك فهم كاذبون، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء لولا أنزل عليه آية من ربه وبزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا فأجابهم الله بقوله: قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب أي: طلب رضوانه، فليست يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله يتعتنون على رسول الله، ويقترحون ويقولون:

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما. 28 مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام. ولو كان من وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، وتهليل وتكبير وغير ذلك. وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها. ألا بذكر الله تطمئن القلوب أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء أذل للقلوب ولا أشهى ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله أي: يزول قلقها

وتتام الطمأنينة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة، التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة. 29 ونحوها، طوبى لهم وحسن مآب أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن. وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، وأن لهم كمال الراحة بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة، أعمال القلوب كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ثم قال تعالى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: آمنوا بقلوبهم

ولا معبود سواه، وأنه عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، وأنه القادر على كل شيء، الحكيم في كل شيء المحمود على ما خلقه وأمر به تبارك وتعالى. 3 في ذلك لآيات على المطالب الإلهية لقوم يتفكرون فيها، وينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها ودبرها وصرفها، هو الله الذي لا إله إلا هو، فإذا هم مصبحون منتشرون في مصالحهم وأعمالهم في النهار. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون إن يغشي الليل النهار فتظلم الآفاق فيسكن كل حيوان إلى مأواه ويستريحون من التعب والنصب في النهار، ثم إذا قضوا مأربهم من النوم غشي النهار الليل وحروثهم، فأخرج بها من الأشجار والزرع والثمار خيرا كثيرا ولهذا قال: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين أي: صنفين مما يحتاج إليه العباد.

تفسير السعدي

لمادت بأهلها، لأنها على تيار ماء، لا ثبوت لها ولا استقرار إلا بالجمال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها. و جعل فيها أنهارا تسقي الآدميين وبهائمهم خلقها للعباد، ووسعها وبارك فيها ومهدا للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع. وجعل فيها رواسي أي: جبالا عظاما، لئلا تميد بالخلق، فإنه لولا الجبال وهو الذي مد الأرض أي:

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني، وهو إلهي الذي عليه توكلت في جميع أموري وإليه متاب أي: أرجع في جميع عباداتي وفي حاجاتي. 30
بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم، قل هو ربي لا إله إلا هو وهذا متضمن للتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.
بالرحمن، فلم يقابلوا رحمته وإحسانه التي أعظمها أن أرسلناك إليهم رسولا وأنزلنا عليك كتابا بالقبول والشكر بل قابلوها بالإنكار والرد، أفلا يعتبرون
يستنكروا رسالتك، ولست تقول من تلقاء نفسك، بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك، التي تطهر القلوب وتزكي النفوس. والحال أن قومك يكفرون
محمد صلى الله عليه وسلم: كذلك أرسلناك إلى قومك تدعوهم إلى الهدى قد خلت من قبلها أمم أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببعد من الرسل حتى
يقول تعالى لنبيه

العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه، إن الله لا يخلف الميعاد وهذا تهديد لهم وتخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم وعنادهم وظلمهم. 31
والله تعالى يوالي عليهم القوارع التي تصيبهم في ديارهم أو تحل قريبا منها، وهم مصرون على كفرهم حتى يأتي وعد الله الذي وعدهم به، لنزول
فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعا ولكنه لا يشاء ذلك، بل يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ولا يزال الذين كفروا على كفرهم، لا يعتبرون ولا يتعظون،
فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟ فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟ أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
عن أماكنها أو قطعت به الأرض جنانا وأنهارا أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن. بل لله الأمر جميعا فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته،
يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة: ولو أن قرآنا من الكتب الإلهية سيرت به الجبال

شديدا وعذابا أليما، فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك واستهزؤوا بك بأمهالنا، فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم، فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك. 32
كذب وأوذى فأمليت للذين كفروا برسلكم أي: أمهلتهم مدة حتى ظنوا أنهم غير معذبين. ثم أخذتهم بأنواع العذاب فكيف كان عقاب كان عقابا
يقول تعالى لرسوله ميثنا له ومسلما ولقد استهزئ برسلكم من قبلك فلست أول رسول

وصدوا عن السبيل أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، ومن يضل الله فما له من هاد لأنه ليس لأحد من الأمر شيء. 33
فلا إله إلا الله، وليس أحد من الخلق يستحق شيئا من العبادة، ولكن زين للذين كفروا مكرهم الذي مكروه وهو كفرهم وشركهم، وتكذيبهم لآيات الله
وهو لا يعلمه، وهذا أبطل ما يكون؛ ولهذا قال: أم بظاهر من القول أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم. وأما في الحقيقة،
بما لا يعلم في الأرض فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة وهو لا يعلم له شريكا، علم بذلك بطلان دعوى الشريك له، وأنكم بمنزلة الذي يعلم الله أن له شريكا
وجعلوا لله شركاء وهو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له ولا ند ولا نظير، قل لهم إن كانوا صادقين: سموهم لتعلم حالهم أم تنبؤونه
يقول تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت بالجاء العاجل والآجل، بالعدل والقسط، وهو الله تبارك وتعالى كمن ليس كذلك؟ ولهذا قال:

الدنيا ولعذاب الآخرة أشق من عذاب الدنيا لشدته ودوامه، وما لهم من الله من واق يقيه من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه. 34
لهم عذاب في الحياة

دائم أيضا، تلك عقبي الذين اتقوا أي: عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون، وعقبي الكافرين النار فكم بين الفريقين من الفرق المبين؟ 35
العسل، وأنهار الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقى تلك البساتين والأشجار فتحمل من جميع أنواع الثمار. أكلها دائم وظلها
تعالى: مثل الجنة التي وعد المتقون الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها تجري من تحتها الأنهار أنهار
يقول

أي: بإخلاص الدين لله وحده، إليه أدعو وإليه مآب أي: مرجعي الذي أرجع به إليه فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه والقيام بما أمرت به. 36
هذا القرآن ولا يصدقه. فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها إنما أنت يا محمد منذر تدعوا إلى الله، قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به
وتصديق بعضها بعضا وهذه حال من آمن من أهل الكتابين، ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي: ومن طوائف الكفار المنحرفين عن الحق، من ينكر بعض
تعالى: والذين آتيناهم الكتاب أي: مننا عليهم به وبمعرفته، يفرحون بما أنزل إليك فيؤمنون به ويصدقونه، ويفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض،
يقول

من العلم البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ما لك من الله من ولي يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ولا واق يقيك من الأمر المكروه. 37
أهواء الذين لا يعلمون. ولهذا توعدهم رسوله مع أنه معصوم ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك
عريبا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يدهن فيه، ولا يتبع ما يضاذه ويناقضه من
أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما،

أجل كتاب لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد. 38

تفسير السعدي

- طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله والله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره وقضاه، لكل أزواج وذرية، كما كان لإخوانك المرسلين، فلا شيء يقدحون فيك بذلك وهم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛ إلا لأجل أغراضهم الفاسدة وأهوائهم؟ وإن أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدير الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ. 39
- من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا، لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان أم الكتاب أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب. فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل ولهذا قال: وعنده يحسب الله ما يشاء من الأقدار ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو وصيايه وأوامره ونواهي، وأما أهل الإعراض، وأهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلا ولا يعون له قليلا. 4
- أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم، وتقودهم إلى ما يرشدهم ويعقلون عن الله وهذه تمسك الماء ولا تنبت الكأ، وهذه تنبت الزرع والأشجار ولا تنبت الكأ، وهذه النمرة حلوة وهذه مرة وهذه بين ذلك. فهل هذا التنوع في ذاتها وطبيعتها؟ على بعض في الأكل لونا وطعما ونفعا ولذة؛ فهذه أرض طيبة تنبت الكأ والعشب الكثير والأشجار والزرع، وهذه أرض تلاحظها لا تنبت كأ ولا تمسك ماء، صنوان أي: عدة أشجار في أصل واحد، وغير صنوان بأن كان كل شجرة على حدتها، والجميع يسقى بماء واحد وأرضه واحدة ونفضل بعضها كمال قدرته وبديع صنعته أن جعل في الأرض قطع متجاورات وجنات فيها أنواع الأشجار من أعناب وزرع ونخيل وغير ذلك، والنخيل التي بعضها ومن الآيات على
- ذلك شغلا لك فإنما عليك البلاغ والتبيين للخلق. وعلينا الحساب فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، وضيعوه، ونشيبهم أو نعاقبهم. 40
- فهم إن استمروا على طغيانهم وكفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به، إما نرينك إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك، أو نتوفينك قبل إصابتهم فليس يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعجل عليهم بإصابتهم ما يوعدون به من العذاب،
- فيها، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافق، وهو سريع الحساب أي: فلا يستعجلوا بالعذاب فإن كل ما هو آت، فهو قريب. 41
- التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقبها أحد ولا سبيل إلى القدر ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرد أحد، ولهذا قال: والله يحكم لا معقب لحكمه ويدخل في هذا حكمه الشرعي والقدري والجزائي. فهذه الأحكام والظاهر والله أعلم أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويحتاجها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبئهم لهم قبل أن يحتاجهم النقص، ننقصها من أطرافها قبل إهلاك المكذبين واستئصال الظالمين، وقيل: بفتح بلدان المشركين، ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. ثم قال متوعدا للمكذبين أولم يروا أنا نأتي الأرض
- يمكروا مكرا يضر الحق وأهله ويفيدهم شيئا، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار أي: ألهم أو لرسله؟ ومن المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر وأعماله. 42
- فإن الله يعلم ما تكسب كل نفس أي: هومها وإراداتها وأعمالها الظاهرة والباطنة. والمكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكروهم، فيمتنع أن فله المكر جميعا أي: لا يقدر أحد أن يمكر مكرا إلا بإذنه، وتحت قضائه وقدره، فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكروهم سيعود عليهم بالخيبة والندم، يقول تعالى: وقد مكر الذين من قبلهم برسلمهم وبالحق الذي جاءت به الرسل، فلم يغن عنهم مكروهم ولم يصنعوا شيئا فإنهم يحاربون الله ويبارزون، كالأمة من مشركي العرب وغيرهم، فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم ومعرفتهم والله أعلم. تم تفسير سورة الرعد، والحمد لله رب العالمين. 43
- مكتومة. وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن، وكل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم، بخلاف من هو أجنبي عنه، التي عليه، ومن كتم ذلك فأخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره، ولو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاد بالبرهان، فسكوته يدل على أن عنده شهادة الأقاويل لعاجله بالعقوبة. ومن عنده علم الكتاب وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين، فإنهم يشهدون للرسول من آمن واتبع الحق، صرح بتلك الشهادة وأنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله وكرامته، ومن لم يتبعه فله النار والسخط وحل له ماله ودمه والله يقره على ذلك، فلو تقول عليه بعض الله تعالى أيد رسوله ونصره نصرا خارجا عن قدرته وقدرة أصحابه وأتباعه وهذا شهادة منه له بالفعل والتأييد. وأما إقراره، فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله، ذلك شهيدا: كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وشهادته بقوله وفعله وإقراره، أما قوله فيما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته. وأما فعله فلا أن ويقول الذين كفروا لست مرسلنا أي: يكذبونك ويكذبون ما أرسلت به، قل لهم إن طلبوا على
- الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفندتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها أبدا. 5
- وحداثيته، وهي أظهر الأشياء وأجلها، وأولئك الأغلال المانعة لهم من الهدى في أعناقهم حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك فإن قوله من العجائب. ولكن ذلك لا يستغرب على الذين كفروا بربهم وجحدوا

تفسير السعدي

ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا. ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات، كانوا ترابا، أن الله يعيدهم، فإنهم من جهلهم قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق. فلما رأوا هذا ممتنعا في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، فإن العجب مع هذا إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم أنذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما يحتمل أن معنى قوله وإن تعجب من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده،

على من لم يزل مصرا على الذنوب، قد أبى التوبة والاستغفار والالتجاء إلى العزيز الغفار، فليحذر العباد عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد. 6 من المعائب قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وإن ربك لشديد العقاب فلا يحرمهم خيريه وإحسانه، فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليظهرهم على ظلمهم أي: لا يزال خيره إليهم وإحسانه وبره وعفوهم نازلا إلى العباد، وهم لا يزال شرهم وعصيانهم إليه صاعدا. يعصونه فيدعوهم إلى بابه، ويجرمون الحال أنه قد خلت من قبلهم المثلاث أي: وقائع الله وأيامه في الأمم المكذبين، أفلا يتفكرون في حالهم ويتركون جهلهم وإن ربك لذو مغفرة للناس حق، وجعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب، ويقول قائلهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم و وعظوا فلم يتعظوا، وأقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها، بل جاهدوا بالإنكار، واستدلوا بحلم الله الواحد القهار عنهم، وعدم معاجلتهم بذنوبهم أنهم على يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله المشركين به، الذين

واتباع شهوته ولكل قوم هاد أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل وأتباعهم، ومعهم من الأدلة والبراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى. 7 فهذا اقتراح منه باطل وكذب وافتراء فإنه لو جاءت أي آية كانت لم يؤمن ولم ينقد؛ لأنه لم يمتنع من الإيمان، لعدم ما يدل على صحته وإنما ذلك لهوى نفسه الآيات. وقد أيده بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الأبصار، وبها يهتدي من قصده الحق، وأما الكافر الذي من ظلمه وجهله يقترح على الله الآيات لولا أنزل عليه آية من ربه ويجعلون هذا القول منهم، عذرا لهم في عدم الإجابة إلى الرسول، والحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، والله هو الذي ينزل أي: ويقترح الكفار عليك من الآيات، التي يعينونها ويقولون:

وما تزداد الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها، وكل شيء عنده بمقدار لا يتقدم عليه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه. 8 بكل شيء فقال: الله يعلم ما تحمل كل أنثى من بني آدم وغيرهم، وما تغيض الأرحام أي: تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضائل أو يضمحل يخبر تعالى بعموم علمه وسعة اطلاعه وإحاطته

فإنه عالم الغيب والشهادة الكبير في ذاته وأسمائه وصفاته المتعال على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره. 9

سورة 14

الحميد بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بجز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة. 1 الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: إلى صراط العزيز الحميد أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر العزيز الحسنة، وقوله: بإذن ربهم أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم. ثم فسر النور على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق يخبر تعالى أنه أنزل كتابه

نطيعكم وأنتم بشر مثلنا؟ فأتونا بسلطان مبين أي: بحجة وبينة ظاهرة، ومرادهم بينة يقترحونها هم، وإلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتهم بالبينات. 10 إن أنتم إلا بشر مثلنا أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة والرسالة، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فكيف تترك رأي الآباء وسيرتهم لرأيكم؟ وكيف على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل والآجل، فلم يدعكم لينتفع بعبادتكم، بل النفع عائد إليكم. فردوا على رسلهم رد السفهاء الجاهلين قالوا لهم: الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه يدعوكم إلى منافعكم ومصالحكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى أي: ليثيبكم في الله فاطر السماوات والأرض الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى الأمور المحسوسة، ولهذا خاطبتهم ولهذا قالت لهم رسلهم أفي الله شك أي: فإنه أظهر الأشياء وأجلاها، فمن شك

مصالحهم ودفع مضارهم لعلمهم بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه، ويثقون به في تيسير ذلك وبحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم. 11 جاءكم به، وإن شاء لم يأتكم به وهو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته ورحمته، وعلى الله لا على غيره فليتوكل المؤمنون فيعتمدون عليه في جلب جنناكم به، وقولكم: فأتونا بسلطان مبين فإن هذا ليس بأيدينا وليس لنا من الأمر شيء. وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله فهو الذي إن شاء لأحد أن يحجر على الله فضله ويمنعه من تفضله، فانظروا ما جنناكم به فإن كان حقا فاقبلوه وإن كان غير ذلك فردوه ولا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما ولكن ليس في ذلك ما يدفع ما جننا به من الحق فإن الله يمن على من يشاء من عباده فإذا من الله علينا بوحيه ورسالته، فذلك فضله وإحسانه، وليس

تفسير السعدي

قالت لهم رسلهم مجيبين عن اقتراحهم واعتراضهم: إن نحن إلا بشر مثلكم أي: صحيح وحقيقة أنا بشر مثلكم،

في أعلى المطالب وأشرف المراتب وهو التوكل على الله في إقامة دينه ونصره، وهداية عبده، وإزالة الضلال عنهم، وهذا أكمل ما يكون من التوكل. 12 مع كثرة التذكير. وعلى الله وحده لا على غيره فليتوكل المتوكلون فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير. واعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم دعوتكم ووعظكم وتذكيركم ولا نبالي بما يأتيكم منكم من الأذى فإننا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى، احتساباً للأجر ونصحاء لكم لعل الله أن يهديكم السلام قال: إني أشهد الله وأشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ولنصبرن على ما آذيتمونا أي: ولنستمرن على مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون الآيات. وقول هود عليه وجاهزون بكفايته إياهم، وقد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم وإطفاء ما معهم من الحق، فيكون هذا كقول نوح لقومه: يا قوم إن كان كبر عليكم الصلاة والسلام لقومهم بأية عظيمة، وهو أن قومهم في الغالب لهم القهر والغلبة عليهم، فتحدثهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم ومكرهم، يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق والهدى، فإنه ليس ضامناً على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل. وفي هذا كالإشارة من الرسل عليهم الله والحال أننا على الحق والهدى، ومن كان على الحق والهدى فإن هداية يوجب له تمام التوكل، وكذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي وكفايته، ومن العبادات الكبار التي يحبها الله ويرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه، وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على فعلم بهذا وجوب التوكل، وأنه من لوازم الإيمان،

انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، وينصر أوليائه، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين بأنواع العقوبات. 13 العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، وأفراد منهم، فلا شيء يمنعونهم حقاً لهم صريحاً واضحاً؟ هل هذا إلا من عدم الدين والمروءة بالكلية؟ ولهذا لما لم يكن ذلك خالصاً له، ولم يحل له، فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها. وإن رجعنا إلى مجرد الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته. فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي، من ديارهم ونسبوا إلى أنفسهم وزعموا أن الرسل لا حق لهم فيها، وهذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض، وأمرهم بعبادته، وسخر لهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا وهذا أبلغ ما يكون من الرد، وليس بعد هذا فيهم مطمع، لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى بل توعدوهم بالإخراج لما ذكر دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك وعدم ملهم، ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم فقال: وقال الذين كفروا لرسولهم متوعدين لهم الله مراقبة من يعلم أنه يراه، وخاف وعيد أي: ما توعدت به من عصائي فأوجب له ذلك الانكشاف عما يكرهه الله والمبادرة إلى ما يحبه الله. 14 ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل ومن تبعهم جزاء لمن خاف مقامي عليه في الدنيا وراقب وخاب كل جبار عنيد أي: خسر في الدنيا والآخرة من تجبر على الله وعلى الحق وعلى عباد الله واستكبر في الأرض وعاند الرسل وشاقهم. 15 أي: الكفار أي: هم الذين طلبوا واستعجلوا فتح الله وفرقائه بين أوليائه وأعدائه فجاءهم ما استفتحوا به وإلا فالله حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، واستفتحوا

بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد، ويسقى من ماء صديد في لونه وطعمه ورائحته الخبيثة، وهو في غاية الحرارة. 16 من ورائه جهنم أي: جهنم لهذا الجبار العنيد

كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ومن ورائه أي: الجبار العنيد عذاب غليظ أي: قوي شديد لا يعلم وصفه وشدة إلا الله تعالى. 17 من أنواع العذاب، وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت ولكن الله قضى أن لا يموتوا كما قال تعالى: لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها إذا قرب إلى وجهه شواه وإذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع يتجرعه من العطش الشديد ولا يكاد يسيفه فإنه

الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق، فإنهم يسعون ويكدحون في ذلك ومكرهم عائد عليهم ولن يضروا الله ورسله وجنده وما معهم من الحق شيئاً. 18 شيء ولا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر والتكذيب. ذلك هو الضلال البعيد حيث بطل سعيهم واضمحل عملهم، وإما أن المراد بذلك أعمال به الريح في يوم عاصف شديد الهبوب، فإنه لا يبقى منه شيئاً، ولا يقدر منه على شيء يذهب ويضمحل، فكذلك أعمال الكفار لا يقدر من كسبوا على الكفار التي عملوها: إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله، بأنها في ذهابها وبطلانها واضمحلالها كاضمحلال الرماد، الذي هو أدق الأشياء وأخفها، إذا اشتدت يخبر تعالى عن أعمال

أطوع لله منكم، ويحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفتنكم ثم يعيدهم بالبعث خلقاً جديداً، ويدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة. 19 وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك ولهذا قال: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. يحتمل أن المعنى: إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يكونون ما له من صفات الكمال، وليعلموا أن الذي خلق السماوات والأرض على عظمها وسعتهما قادر على أن يعيدهم خلقاً جديداً، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، ينبه تعالى عباده بأنه خلق السماوات والأرض بالحق أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وبيناهم وليستدلوا بها وما فيهما على ولا يليق به أن يتركهم سدى، فلما بين الدليل والبرهان توعد من لم ينقد لذلك، فقال: وويل للكافرين من عذاب شديد لا يقدر قدره، ولا يوصف أمره 2

تفسير السعدي

بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم، وأنه كما أن له ملك السماوات والأرض خلقا ورزقا وتدبيراً، فله الحكم على عبادته بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه، الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأنه مألوه معبود وليلد ذلك على أن صراط

على الله بعزير أي: بممتنع بل هو سهل عليه جداً، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 20

وما ذلك

فلا يغني أحد أحداً، سواء علينا أجزعنا من العذاب أم صبرنا عليه، ما لنا من محيص أي: من ملجأ نلجأ إليه، ولا مهرب لنا من عذاب الله. 21
فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء أي: ولو مثقال ذرة، قالوا أي: المتبوعون والرؤساء أغويناكم كما غوينا و لو هدانا الله لهديناكم والمقلدون للذين استكبروا وهم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال: إنا كنا لكم تبعاً أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، وزينتموه لنا فأغويتهمونا، لا يخفى عليه منهم خافية، فإذا برزوا صاروا يحتاجون، وكل يدفع عن نفسه، ويدافع ما يقدر عليه، ولكن أني لهم ذلك؟ فيقول الضعفاء أي: التابعون الخلائق لله جميعاً حين ينفخ في الصور فيخرجون من الأجداث إلى ربهم فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ويبرزون له وبرزوا أي:

يؤزهم إلى المعاصي أذاً، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. 22
إليه، وإنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه والتزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي. وأما السلطان الذي أثبتته فهو التسلسل بالإغراء على المعاصي لأوليائه آية أخرى إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة والدليل، فليس له حجة أصلاً على ما يدعو لنا أنه إذا دخل النار وحزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة، ويكفر بشركهم ولا يبنك مثل خبير واعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان، وقال في وهذا من لطف الله لعباده، أن حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمدخله التي يدخل منها على الإنسان ومقاصده فيه، وأنه يقصد أن يدخله النيران، وهنا بين أي: تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله فلست شريكاً لله ولا تجب طاعتي، إن الظالمين لأنفسهم بطاعة الشيطان لهم عذاب أليم خالدين فيه أبداً. العقاب، ما أنا بمصرخكم أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها وما أنتم بمصرخي كل له قسط من العذاب. إني كفرت بما أشركتمون من قبل وزينته لكم، فاستجبتم لي اتباعاً لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة فلا تلوُموني ولوموا أنفسكم فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب الباطلة. وما كان لي عليكم من سلطان أي: من حجة على تأييد قولي، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي على أسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدرتكم الفوز العظيم، ووعدتكم الخير فأخلفتكم أي: لم يحصل ولن يحصل لكم ما منيتكم به من الأمان سبب لكل شر يقع ووقع في العالم، مخاطباً لأهل النار ومتبرئاً منهم لما قضى الأمر ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. إن الله وعدكم وعد الحق أي: وقال الشيطان الذي هو

خالدين فيها بإذن ربهم أي: لا بحولهم وقوتهم بل بحول الله وقوته تحيتهم فيها سلام أي: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والتحية والكلام الطيب. 23
قاموا بالدين، قولاً وعملاً، واعتقاداً جنات تجري من تحتها الأنهار فيها من اللذات والشهوات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال: وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي:

طيبة وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها كشجرة طيبة وهي النخلة أصلها ثابت في الأرض وفروعها منتشر في السماء 24
يقول تعالى: ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة

غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكمل وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن. 25
الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ما أمرهم به ونهاهم عنه، فإن في ضرب الأمثال تقريباً للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراد الله والآداب الحسنة في السماء دائماً يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، ويضرب الله ثمرتها كل حين بإذن ربها فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علماً واعتقاداً. وفروعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، وهي كثيرة النفع دائماً، تؤتي أكلها أي:

في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث يستضر به صاحبه، ولا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره. 26
من قرار أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة، تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع الكفر وفروعها فقال: ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة المأكول والمطعم وهي: شجرة الحنظل ونحوها، اجتثت هذه الشجرة من فوق الأرض ما لها ثم ذكر ضدها وهي كلمة

هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه. 27
المؤمن: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي ويضل الله الظالمين عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول

تفسير السعدي

إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية يخبر تعالى أنه يثبت عباده

ومن ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم بدر ليحاربوا الله ورسوله، فجرى عليهم ما جرى، وقتل كثير من كبرائهم وصناديدهم في تلك الوقعة. 28 عنها بأنفسهم. و صدهم غيرهم حتى أحلوا قومهم دار البوار وهي النار حيث تسبوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم، صلى الله عليه وسلم إليهم، يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة وإلى النجاة من شرور الدنيا والآخرة، فبدلوا هذه النعمة بردها، والكفر بها والصد يقول تعالى مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش وما آل إليه أمرهم: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ونعمة الله هي إرسال محمد جهنم يصلونها أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم وبئس القرار 29

وأما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء يؤمنون بالله وآياته، ويستحبون الآخرة على الدنيا ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها مهما أمكنهم، ويبينون استقامتها. 30 نوره ولو كره الكافرون. أولئك الذين ذكر وصفهم في ضلال بعيد لأنهم ضلوا وأضلوا، وشاقوا الله ورسوله وحاربوهما، فأى ضلال أبعد من هذا؟ قد نابذوا مولاهم بالمعاداة والمحاربة، ويبغونها أي: سبيل الله عوجا أي: يحرصون على تهجينها وتقبيحها، للتنفير عنها، ولكن يأبى الله إلا أن يتم الآخرة فرضوا بها واطمأنوا، وغفلوا عن الدار الآخرة. ويصدون الناس عن سبيل الله التي نصبها لعباده وبينها في كتبه وعلى السنة رسله، فهؤلاء الذين يستحبون الحياة الدنيا على

قل لهم متوعدا: تمتعوا بكفركم وضلالكم قليلا، فليس ذلك بنافعكم فإن مصيركم إلى النار أي: مآلكم ومقركم ومأواكم فيها وبئس المصير. 30 وجعلوا لله أندادا أي: نظراء وشركاء ليضلوا عن سبيله أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله بسبب ما جعلوا لله من الأنداد ودعوههم إلى عبادتها، وشراء ولا بهمة خليل وصديق، فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه، ولينظر ما قدمه لغد، وليتفقد أعماله، ويحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر. 31 نفقته، والمستحبة كالصدقات ونحوها. من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال أي: لا ينفع فيه شيء ولا سبيل إلى استدراك ما فات لا بمعاوضة بيع وينفقوا مما رزقناهم أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم قليلا أو كثيرا سرا وعلانية وهذا يشمل النفقة الواجبة كالزكاة ونفقة من تجب عليه أي: قل لعبادي المؤمنين آمرا لهم بما فيه غاية صلاحهم وأن ينتهزوا الفرصة، قبل أن لا يمكنهم ذلك: يقيموا الصلاة ظاهرا وباطنا وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجارتكم، وأمتعكم إلى بلد تقصدونه. وسخر لكم الأنهار لتسقي حروثكم وأشجاركم وتشربوا منها. 32 الأنواع رزقا لكم ورزقا لأنعامكم وسخر لكم الفلك أي: السفن والمراكب. لتجري في البحر بأمره فهو الذي يسر لكم صنعته وأقدركم عليها، والأرض على اتساعها وعظمتها، وأنزل من السماء ماء وهو: المطر الذي ينزله الله من السحاب، فأخرج بذلك الماء من الثمرات المختلفة يخبر تعالى: أنه وحده الذي خلق السماوات

من حساب أزمنتكم ومصلح أبدانكم، وحيواناتكم، وزروعكم، وثماركم، وسخر لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا من فضله. 33 وسخر لكم الشمس والقمر دائبين لا يفتران، ولا ينيان، يسعيان لمصلحكم، الله به العباد إلى القيام بشكره، وذكره ويحثهم على ذلك، ويرغبهم في سؤاله ودعائه، أناء الليل والنهار، كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات. 34 ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به. ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل يدعو قيامكم بشكرها إن الإنسان لظلم كفار أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجري على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفار لنعم الله، لا يشكرها به أمانيتكم وحاجتكم مما تسألونه إياه بلسان الحال، أو بلسان المقال، من أنعام، وآلات، وصناعات وغير ذلك. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فضلا عن وآتاكم من كل ما سألتموه أي: أعطاكم من كل ما تعلق

نعبد الأصنام أي: اجعلني وإياهم جانبا بعيدا عن عبادتها والإلمام بها، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنييه بكثرة من افترتن وابتلي بعبادتها فقال: 35 ما هو معلوم، حتى إنه لم يرد ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم. ولما دعا له بالأمن دعا له ولبنيه بالأمن فقال: واجنبي وبني أن الحالة الجميلة، إذ قال: رب اجعل هذا البلد أي: الحرم آمنا فاستجاب الله دعاءه شرعا وقدرًا، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمة قدرًا أي: و اذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه

من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه. 36 ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين فإنه مني لتمام الموافقة ومن أحب قوما وتبعهم التحق بهم. ومن عصاني فإنك غفور رحيم وهذا أي: ضلوا بسببها، فمن تبني على

فأجاب الله دعاءه، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت والثمار فيها متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب. 37 على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة. وارضقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

تفسير السعدي

له وصاروا مقيمي الصلاة. وافترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرا ساكنون فيه. فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدا صلى الله عليه وسلم حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيما لدينه، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: بواد غير ذي زرع أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة. ربنا ليقيموا الصلاة أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة دعا ربه بهذا الدعاء فقال متضرعا متوكلا على ربه: ربنا إني أسكنت من ذريتي أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام وباقي بنيي كذلك وإنما أسكن وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي إذ ذاك ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما وذلك أنه أتى به هاجر أم إسماعيل

وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ومن ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير وكثرة الشكر لله رب العالمين. 38 أي: أنت أعلم بنا منا، فنسألك من تدبيرك وتربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور التي نعلمها والتي لا نعلمها ما هو مقتضى علمك ورحمتك، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 39 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب عليها صغيرهم وصارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصلحوا لأن يتلقوا عن الله وعن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم. 4 رسولهم أمور مطلوبة محبوبة لله لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرنوا على العربية، ونشأ إلى ما شاء، ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله إلا بالمحل اللائق به. ويستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام من يشاء ممن لم ينقد للهدى، ويهدي من يشاء ممن اختصه برحمته. وهو العزيز الحكيم الذي من عزته أنه انفرد بالهداية والإضلال، وتقلب القلوب فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله فيضل الله وهذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ما يحتاجون إليه، ويتمكنون من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 40 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب وللمؤمنين يوم يقوم الحساب فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه إنما كان عن موعدة وعده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. 41 الإجابة ممن دعاه وقد دعوته فلم يخيب رجائي، ثم دعا لنفسه ولذريته، فقال: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي فهبتهم من أكبر النعم، وكونهم على الكبر في حال الإيأس من الأولاد نعمة أخرى، وكونهم أنبياء صالحين أجل وأفضل، إن ربي لسميع الدعاء أي: لقريب فيما بين العبد وربيه وظلمه لعباد الله. إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجها من القلاقل. 42 الله يملئ للظالم ويمهله ليزداد إثما، حتى إذا أخذه لم يفلته وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد والظلم هاهنا يشمل الظلم الله غافلا عما يعمل الظالمون حيث أمهلهم وأدر عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم فإن هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين، يقول تعالى: ولا تحسبن

رءوسهم، لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر لكنها مملوءة من كل هم وغم وحزن وقلق. 43 يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ، مقنعي رءوسهم أي: رافعيها قد غلت أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك مهطعين أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين

ويقال لهم: أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال عن الدنيا وانتقال إلى الآخرة، فما قد تبين حنثكم في إقسامكم، وكذبكم فيما تدعون 44 يدعوهم إلى دار السلام واتباع الرسل وهذا كله لأجل التخلص من العذاب الأليم وإلا فهم كذبة في هذا الوعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولهذا يوبخون وأنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا سائلين للرجعة في غير وقتها، ربنا أخرنا إلى أجل قريب أي: ردنا إلى الدنيا فإننا قد أبصرنا، نجب دعوتك والله العذاب أي: صف لهم صفة تلك الحال وحذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده وقلاقله، فيقول الذين ظلموا بالكفر والتكذيب يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر الناس يوم يأتهم

أزالتهم، فلم تنفع فيكم تلك الآيات بل أعرضتم ودمتم على باطلكم حتى صار ما صار، ووصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل. 45 فعلنا بهم من أنواع العقوبات؟ وكيف أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات، وضربنا لكم الأمثال الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا و ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البينات، بل سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف

في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلا، أو يبطل حقا، والقصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا، ولم يضروا الله شيئا وإنما ضروا أنفسهم. 46

تفسير السعدي

- وبمن جاء به من عظمه لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها، أي: مكروا مكرا كبارا لا يقادر قدره ولكن الله رد كيدهم في نحورهم. ويدخل وقدرة فإنه عاد مكرهم عليهم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال أي: ولقد كان مكر الكفار المكذبين للرسول بالحق وقد مكروا أي: المكذبون للرسول مكرهم الذي وصلت إرادتهم وقدر لهم عليه، وعند الله مكرهم أي: هو محيط به علما
- ما يكون من الأخبار، خصوصا وهو مطابق للحكمة الإلهية، والسنن الربانية، وللعقول الصحيحة، والله تعالى لا يعجزه شيء فإنه عزيز ذو انتقام 47 وإهلاك أعدائهم وخذلانهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة، فهذا لا بد من وقوعه لأنه، وعد به الصادق قولا على أسنة أصدق خلقه وهم الرسل، وهذا أعلى يقول تعالى: فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله بنجاتهم ونجاة أتباعهم وسعادتهم
- المتفرد بعظمته وأسمائه وصفاته وأفعاله العظيمة، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتديره، فلا يتحرك منها متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه. 48 يطويها الله تعالى بيمينه. وبرزوا أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء، لله الواحد القهار أي: وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومعلم، فتصير قاعا صاففا، لا ترى فيها عوجا ولا أمنا، وتكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم في يوم القيامة، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات تبدل غير السماوات، وهذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تسوى أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته ولا يعجزه، وذلك
- في ذلك اليوم مقرنين في الأصفاد أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار فيقادون إلى العذاب في أذل صورة وأشنعها وأبشعها. 49 وترى المجرمين أي: الذين وصفهم الإجماع وكثرة الذنوب، يومئذ عقابه، إن في ذلك أي: في أيام الله على العباد لآيات لكل صبار شكور أي: صبار في الضراء والعسر والضييق، شكور على السراء والنعمة. 5
- نور العلم والإيمان وتوابعه. وذكرهم بأيام الله أي: بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، وبأيامه في الأمم المكذبين، ووقائعهم بالكافرين، ليذكروا نعمه وليحذروا به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بل وبما أمر به جميع الرسل قومهم أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور أي: ظلمات الجهل والكفر وفروعه، إلى يخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة الدالة على صدق ما جاء به وصحته، وأمره بما أمر الله
- النار أي: تحيط بها وتصلها من كل جانب، وغير الوجوه من باب أولى وأحرى، وليس هذا ظلما من الله لهم وإنما هو جزاء لما قدموا وكسبوا 50 سرايلهم أي: ثيابهم من قطران وذلك لشدة اشتعال النار فيهم وحرارتها وتنت ريحها، وتغشى وجوههم التي هي أشرف ما في أبدانهم
- المحاسبة فيحاسب الخلق في ساعة واحدة، كما يرزقهم ويدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة لا يشغله شأن عن شأن وليس ذلك بعسير عليه. 51 الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه. إن الله سريع الحساب كقوله تعالى: اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ويحتمل أن معناه: سريع ليحزي الله كل نفس ما كسبت من خير وشر بالعدل والقسط
- العبد الذكي لم يزل في صعود ورقي على الدوام في كل خصلة حميدة. والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام 52 أفكارهم لما أخذوه غضا طريا فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق والأعمال وأفضلها، ولا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة وأبينها. وهذه القاعدة إذا تدرب بها الأبواب أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وبذلك صاروا أولي الأبواب والبصائر. إذ بالقرآن ازدادت معارفهم وآراؤهم، وتورت الله لأهلها من العقاب، وليلعلموا أنما هو إله واحد حيث صرف فيه من الأدلة والبراهين على ألوهيته ووحديته، ما صار ذلك حق اليقين، وليذكر أولو وأفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول والفروع، وجميع العلوم التي يحتاجها العباد. ولينذروا به لما فيه من الترهيب من أعمال الشر وما أعد فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه: هذا بلاغ للناس أي: يتبلغون به ويتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات
- بلاء من ربكم عظيم أي: نعمة عظيمة، أو وفي ذلك العذاب الذي ابتليتم به من فرعون وملئه ابتلاء من الله عظيم لكم، لينظر هل تصبرون أم لا؟ 6 أي: يولونكم سوء العذاب أي: أشده وفسر ذلك بقوله: ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أي: يبقونهم فلا يقتلونهم، وفي ذلك الإنجاء ولهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه، فذكرهم نعم الله فقال: اذكروا نعمة الله عليكم أي: بقلوبكم وألسنتكم. إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته وعميم إحسانه، وتما عده وحكمته،
- أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم. والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك. 7 وقال لهم حاثا على شكر نعم الله: وإذ تأذن ربكم أي: أعلم ووعد، لئن شكرتم لأزيدنكم من نعمي ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ومن ذلك
- في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد وكمال، ولا من الأسماء إلا كل اسم حسن، ولا من الأفعال إلا كل فعل جميل. 8 تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فلن تضروا الله شيئا، فإن الله لغني حميد فالطاعات لا تزيد في ملكه والمعاصي لا تنقصه، وهو كامل الغنى حميد وقال موسى إن
- الموت وقالوا صريحا لرسولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب أي: موقع في الريبة، وقد كذبوا في ذلك وظلموا. 9 فردوا أيديهم في أفواههم أي: لم يؤمنوا بما جاءوا به ولم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر

تفسير السعدي

الدالة على صدق ما جاءوا به، فلم يرسل الله رسولا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها بل استكبروا عنها، قصصهم في كتابه وبسطها، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله من كثرتهم وكون أخبارهم اندرست. فهؤلاء كلهم جاءتهم رسلهم بالبينات أي: بالأدلة حين جاءتهم الرسل، فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس وسمعوه فقال: ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقد ذكر الله يقول تعالى مخوفا عباده ما أحله بالأمم المكذبة

سورة 15

مبين للحقائق بأحسن لفظ وأوضحه وأدله على المقصود، وهذا مما يوجب على الخلق الانقياد إليه، والتسليم لحكمه وتلقيه بالقبول والفرح والسرور. 1 يقول تعالى معظمًا لكتابه مادحا له تلك آيات الكتاب أي: الآيات الدالة على أحسن المعاني وأفضل المطالب، وقرآن تعالى لنبيه إذ كذبه المشركون: لم يزل هذا دأب الأمم الخالية والقرون الماضية: ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين أي: فرقهم وجماعتهم رسلا. 10 يقول

وما يأتهم من رسول يدعوهم إلى الحق والهدى إلا كانوا به يستهزئون 11

الذين وصفهم لظلم والبهت، عاقبناهم لما اشتبهت قلوبهم بالكفر والتكذيب، تشابهت معاملتهم لأنبيائهم ورسلهم بالاستهزاء والسخرية وعدم الإيمان 12 كذلك نسله أي: ندخل التكذيب في قلوب المجرمين أي:

لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين أي: عادة الله فيهم بإهلاك من لم يؤمن بآيات الله. 13

رأينا ما لم نر، بل نحن قوم مسحورون أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء 14 فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية: إنما سكرت أبصارنا أي: أصابها سكر وغشاوة حتى تفسير الآيتين 14 و15 -: أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ولو فتحنا عليهم بابا من السماء

رأينا ما لم نر، بل نحن قوم مسحورون أي: ليس هذا بحقيقة، بل هذا سحر، وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار، فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء 15 فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم لقالوا من ظلمهم وعنادهم منكرين لهذه الآية: إنما سكرت أبصارنا أي: أصابها سكر وغشاوة حتى تفسير الآيتين 14 و15 -: أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ولو فتحنا عليهم بابا من السماء

لولا النجوم لما كان للسماء هذا المنظر البهي والهيئة العجيبة، وهذا مما يدعو الناظرين إلى التأمل فيها والنظر في معانيها والاستدلال بها على باريها. 16 اقتداره ورحمته بخلقه: ولقد جعلنا في السماء بروجا أي: نجوما كالأبراج والأعلام العظام يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وزيناها للناظرين فإنه يقول تعالى مبينا كمال

من كل شيطان رجيم إذا استرق السمع أتبعته الشهب الثواقب فبقيت السماء ظاهرها مجملا بالنجوم النيرات وباطنها محروسا ممنوعا من الآفات. 17 وحفظناها

خبر السماء عن الأرض، وربما ألقاها إلى وليه قبل أن يدركه الشهاب فيضهما ويكذب معها مائة كذبة، ويستدل بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. 18 بعض الشياطين السمع بخفية واختلاس، فأتبعه شهاب مبين أي: بين منير يقتله أو يخبله. فربما أدركه الشهاب قبل أن يوصلها الشيطان إلى وليه فينقطع إلا من استرق السمع أي: في بعض الأوقات قد يسترق

وتثبتها أن تزول وأنبتنا فيها من كل شيء موزون أي: نافع متقوم يضطر إليه العباد والبلاد ما بين نخيل وأعنان وأصناف الأشجار وأنواع النبات. 19 والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتناول من أرزاقها والسكون في نواحيها. وألقينا فيها رواصي أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد والأرض مددناها أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون

الغطاء وتظهر أوائل الآخرة ومقدمات الموت، فإنهم في أحوال الآخرة كلها يتمنون أنهم مسلمون، وقد فات وقت الإيمان، ولكنهم في هذه الدنيا مغترون. 20 هذه النعمة العظيمة بردها والكفر بها، فإنه من المكذبين الضالين، الذين سيأتي عليهم وقت يتمنون أنهم مسلمون، أي: منقادون لأحكامه وذلك حين ينكشف فأما من قابل

والحرف. ومن لستم له برازقين أي: أنعمنا عليكم بعبيد وإماء وأنعام لنفعكم ومصالحكم وليس عليكم رزقها، بل خولكم الله إياها وتكفل بأرزاقها. 20 وجعلنا لكم فيها معاش من الحرت ومن الماشية ومن أنواع المكاسب

بحسب حكمته ورحمته الواسعة، وما ننزله أي: المقدر من كل شيء من مطر وغيره، إلا بقدر معلوم فلا يزيد على ما قدره الله ولا ينقص منه. 21 أي: جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فحزانها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء،

تفسير السعدي

ورحمته، وما أنتم له بخازنين أي: لا قدرة لكم على خزنه وادخاره، ولكن الله يخزنه لكم ويسلكه يبايع في الأرض رحمة بكم وإحسانا إليكم. 22
يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخرا لحاجاتهم وضروراتهم ما هو مقتضى قدرته
أي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما

وبميتهم لأجلهم التي قدرها ونحن الوارثون كقوله: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله 23
أي: هو وحده لا شريك له الذي يحيي الخلق من العدم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا

فيعيد عباده خلقا جديدا ويحشرهم إليه. إنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 24
الآيتين 24 و 25 :- يعلم المتقدمين من الخلق والمستأخرين منهم ويعلم ما تنقص الأرض منهم وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز
تفسير

فيعيد عباده خلقا جديدا ويحشرهم إليه. إنه حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، ويجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 25
الآيتين 24 و 25 :- يعلم المتقدمين من الخلق والمستأخرين منهم ويعلم ما تنقص الأرض منهم وما تفرق من أجزائهم، وهو الذي قدرته لا يعجزها معجز
تفسير

مسنون أي: من طين قد يبس بعد ما خمر حتى صار له صلصلة وصوت، كصوت الفخار، والحمأ المسنون: الطين المتغير لونه وريحه من طول مكثه. 26
السلام، وما جرى من عدوه إبليس، وفي ضمن ذلك التحذير لنا من شره وفتنته فقال تعالى: ولقد خلقنا الإنسان أي آدم عليه السلام من صلصال من حمأ
يذكر تعالى نعمته وإحسانه على أبينا آدم عليه

والجان وهو: أبو الجن أي: إبليس خلقناه من قبل خلق آدم من نار السموم أي: من النار الشديدة الحرارة 27

للملائكة: إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته جسدا تاما ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فامتثلوا أمر ربهم. 28
تفسير الآيتين 28 و 29 :- فلما أراد الله خلق آدم قال

للملائكة: إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته جسدا تاما ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فامتثلوا أمر ربهم. 29
تفسير الآيتين 28 و 29 :- فلما أراد الله خلق آدم قال

فيلهم عن الآخرة، فسوف يعلمون أن ما هم عليه باطل وأن أعمالهم ذهبت خسرانا عليهم ولا يغتروا بإمهال الله تعالى فإن هذه سنته في الأمم. 3
ف ذرهم يأكلوا ويتمتعوا بلذاتهم ويلهم الأمل أي: يؤملون البقاء في الدنيا

فسجد الملائكة كلهم أجمعون تأكيد بعد تأكيد ليدل على أنه لم يتخلف منهم أحد، وذلك تعظيما لأمر الله وإكراما لآدم حيث علم ما لم يعلموا. 30

إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وهذه أول عداوته لآدم وذريته 31

لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم. 32
تفسير آيتين 32 و 33 :- قال الله: يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال

لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فاستكبر على أمر الله وأبدى العداوة لآدم وذريته وأعجب بعنصره، وقال: أنا خير من آدم. 33
تفسير آيتين 32 و 33 :- قال الله: يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال

قال الله معاقبا له على كفره واستكباره فأخرج منها فإنك رجيم أي: مطرود مبعد من كل خير 34

وإن عليك اللعنة أي: الذم والعيب، والبعد عن رحمة الله، إلى يوم الدين ففيها وما أشبهها دليل على أنه سيستمر على كفره وبعده من الخير. 35

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 36
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 37
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

امتحان وابتلاء من الله له وللعباد ليتبين الصادق الذي يطيع مولاة دون عدوه ممن ليس كذلك، ولذلك حذرنا منه غاية التحذير، وشرح لنا ما يريده منا. 38
:- قال رب فأنظرني أي: أمهلني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وليس إجابة الله لدعائه كرامة في حقه وإنما ذلك
تفسير الآيات من 36 إلى 38

تفسير السعدي

أجمعين أي: أصددهم كلهم عن الصراط المستقيم، إلا عبادك منهم المخلصين أي: الذين أخلصتهم واجتبتيتهم لإخلاصهم، وإيمانهم وتوكلهم. 39
و40: قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض أي: أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إثارتها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية. ولأغوينهم
تفسير الآيتين 39

وما أهلكنا من قرية كانت مستحقة للعذاب إلا ولها كتاب معلوم مقدر لإهلاكها. 4
أجمعين أي: أصددهم كلهم عن الصراط المستقيم، إلا عبادك منهم المخلصين أي: الذين أخلصتهم واجتبتيتهم لإخلاصهم، وإيمانهم وتوكلهم. 40
و40: قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض أي: أزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إثارتها على الأخرى، حتى يكونوا منقادين لكل معصية. ولأغوينهم
تفسير الآيتين 39

قال الله تعالى: هذا صراط علي مستقيم أي: معتدل موصل إلي وإلى دار كرامتي. 41
بولايك وطاعتك بدلا من طاعة الرحمن، من الغاوين والغاوي: ضد الراشد فهو الذي عرف الحق وتركه، والضال: الذي تركه من غير علم منه به. 42
سلطان تميلهم به إلى ما تشاء من أنواع الضلالات، بسبب عبوديتهم لربهم وانقيادهم لأوامره أعانهم الله وعصمهم من الشيطان. إلا من اتبعك فرضي
إن عبادي ليس لك عليهم

وإن جهنم لموعدهم أجمعين أي: إبليس وجنوده 43
لكل باب منهم أي: من أتباع إبليس جزء مقسوم بحسب أعمالهم. قال الله تعالى: فككبوا فيها هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون 44
لها سبعة أبواب كل باب أسفل من الآخر،
يدعوهم إليه من جميع الذنوب والعصيان في جنات وعيون قد احتوت على جميع الأشجار وأينعت فيها جميع الثمار اللذيذة في جميع الأوقات. 45
أتباع إبليس من النكال والعذاب الشديد ذكر ما أعد لأولياؤه من الفضل العظيم والنعيم المقيم فقال تعالى: إن المتقين الذين اتقوا طاعة الشيطان وما
ولما ذكر تعالى ما أعد لأعدائه

بسلام آمنين من الموت والنوم والنصب، واللغوب وانقطاع شيء من النعيم الذي هم فيه أو نقصانه ومن المرض، والحزن والههم وسائر المكدرات 46
ويقال لهم حال دخولها: ادخلوها
واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر. 47
ونزعنا ما في صدورهم من غل فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل وحسد متصافية متحابية إخوانا على سرر متقابلين دل ذلك على تزاوهم
فيها نصب لا ظاهر ولا باطن، وذلك لأن الله ينشئهم نشأة وحياة كاملة لا تقبل شيئا من الآفات، وما هم منها بمخرجين على سائر الأوقات. 48
لا يمسهم

أنا الغفور الرحيم فإنهم إذا عرفوا كمال رحمته، ومغفرته سعوا في الأسباب الموصلة لهم إلى رحمته وأقلعوا عن الذنوب وتابوا منها، لينالوا مغفرته. 49
الرغبة والرغبة من مفعولات الله من الجنة والنار، ذكر ما يوجب ذلك من أوصافه تعالى فقال: نبى عبادي أي: أخبرهم خبرا جازما مؤيدا بالأدلة، أني
ولما ذكر ما يوجب

ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وإلا فالذنوب لا بد من وقوع أثرها وإن تأخر 5
ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرغبة والإقلاع عنها. 50
يوثق وثاقه أحد حذروا وأبعدوا عن كل سبب يوجب لهم العقاب، فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائما بين الخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، فإذا نظر إلى رحمة
هو العذاب الأليم أي: لا عذاب في الحقيقة إلا عذاب الله الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه نعوذ به من عذابه، فإنهم إذا عرفوا أنه لا يعذب عذابه أحد ولا
ومع هذا فلا ينبغي أن يتمادى بهم الرجاء إلى حال الأمن والإدلال، فنبههم وأن عذابي

ما يوجب لهم العبرة والاعتداء بهم، خصوصا إبراهيم الخليل، الذي أمرنا الله أن نتبع ملته، وضيئه هم الملائكة الكرام أكرمهم الله بأن جعلهم أضيافه. 51
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ونبئهم عن ضيف إبراهيم أي: عن تلك القصة العجيبة فإن في قصصك عليهم أنباء الرسل وما جرى لهم
ضيؤفا ذهب مسرعا إلى بيته فأحضر لهم ضيافتهم، عجلا حنيذا فقدمه إليهم، فلما رأى أيديهم لا تصل، إليه خاف منهم أن يكونوا لصوصا أو نحوهم. 52
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما أي: سلموا عليه فرد عليهم قال إنا منكم وجلون أي: خائفون، لأنه لما دخلوا عليه وحسبهم

إسحاق عليه الصلاة والسلام، تضمنت هذه البشارة بأنه ذكر لا أنثى عليم أي: كثير العلم، وفي الآية الأخرى وبشرنا بإسحاق نبيا من الصالحين 53
ف قالوا له: لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم وهو

هذه البشارة: أبشركموني بالولد على أن مسني الكبر وصار نوع إياس منه فبم تبشرون أي: على أي وجه تبشرون وقد عدت الأسباب؟ 54

فقال لهم متعجباً من

سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم. 55 فأجابهم إبراهيم بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم. فلا تكن من القانطين الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، تفسير الآيتين 55 و 56 :- قالوا بشرناك بالحق الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة الله وبركاته سبيل إلى القنوط إليه لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً، ثم لما بشروه بهذه البشارة، عرف أنهم مرسلون لأمر مهم. 56 فأجابهم إبراهيم بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا عليكم فلا يستغرب فضل الله وإحسانه إليكم. فلا تكن من القانطين الذين يستبعدون وجود الخير، بل لا تزال راجياً لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، تفسير الآيتين 55 و 56 :- قالوا بشرناك بالحق الذي لا شك فيه لأن الله على كل شيء قدير، وأنتم بالخصوص يا أهل هذا البيت رحمة الله وبركاته

أي: قال الخليل عليه السلام للملائكة: فما خطبكم أيها المرسلون أي: ما شأنكم ولأي شيء أرسلتم؟ 57

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين أي: كثر فسادهم وعظم شرهم، لنعذبهم ونعاقبهم 58

إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود فذهبوا منه. 59 و 60 :- إلا آل لوط أي: إلا لوطاً وأهله إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين أي: الباقيين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل

تفسير الآيتين

وسلم استهزاء وسخرية: يا أيها الذي نزل عليه الذكر على زعمك إنك لمجنون إذ تظن أنا سنتبعك ونترك ما وجدنا عليه آباءنا لمجرد قولك. 6

أي: وقال المكذبون لمحمد صلى الله عليه

إبراهيم يجادل الرسل في إهلاكهم ويراجعهم، فقيل له: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود فذهبوا منه. 60 و 59 :- إلا آل لوط أي: إلا لوطاً وأهله إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين أي: الباقيين بالعذاب، وأما لوط فسنخرجنه وأهله وننجيهم منها، فجعل

تفسير الآيتين

تفسير الآيتين 61 و 62 :- فلما جاء آل لوط المرسلون قال لهم لوط إنكم قوم منكرون أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم. 61

تفسير الآيتين 61 و 62 :- فلما جاء آل لوط المرسلون قال لهم لوط إنكم قوم منكرون أي: لا أعرفكم ولا أدري من أنتم. 62

قالوا بل جنناك بما كانوا فيه يمترون أي: جنناك بعذابهم الذي كانوا يشكون فيه ويكذبونك حين تعدهم به 63

وأتيناك بالحق الذي ليس بالهزل وإنا لصادقون فيما قلنا لك. 64

العيون ولا يدري أحد عن مسراك، ولا يلتفت منكم أحد أي: بادروا وأسرعوا، وامضوا حيث تؤمرون كأن معهم دليلاً يدلهم إلى أين يتوجهون 65

فأسر بأهلك بقطع من الليل أي: في أثنائه حين تنام

وقضينا إليه ذلك أي: أخبرناه خبراً لا مثنوية فيه، أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين أي: سيصبحهم العذاب الذي يجتاحهم ويستأصلهم 66

حتى وصلوا إلى بيت لوط فجعلوا يعالجون لوطاً على أضيافه، ولوط يستعيز منهم ويقول: إن هؤلاء ضيغي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون 67

التي فيها قوم لوط يستبشرون أي: يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط وصباحة وجوههم واقتدارهم عليهم، وذلك لقصددهم فعل الفاحشة فيهم، فجاءوا وجاء أهل المدينة أي: المدينة

تفضحون واتقوا الله ولا تخزون أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع. 68

تفسير الآيتين 68 و 69 :- إن هؤلاء ضيغي فلا

تفضحون واتقوا الله ولا تخزون أي: راقبوا الله أول ذلك وإن كان ليس فيكم خوف من الله فلا تفضحون في أضيافي، وتنتهكوا منهم الأمر الشنيع. 69

تفسير الآيتين 68 و 69 :- إن هؤلاء ضيغي فلا

فإنهم جهلوا مصلحتهم من مضرته، فليس في إنزال الملائكة، خير لهم بل لا ينزل الله الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقذ له. 7

فإن هذا تجرؤ على الله وتعنّت بتعيين الآيات التي لم يخترها وحصل المقصود والبرهان بدونها من الآيات الكثيرة الدالة على صحة ما جاء به، وأما الجهل،

بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جنت به إن كنت من الصادقين فلما لم تأت بالملائكة فلسنت بصادق، وهذا من أعظم الظلم والجهل. أما الظلم فظاهر

لو ما تأتينا

ف قالوا له جواباً عن قوله ولا تخزون فقط: أولم نهك عن العالمين أن تضيفهم فنحن قد أنذرناك، ومن أنذر فقد أعذر 70

تفسير السعدي

- لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وهذه السكره هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم. 71
تفسير الآيتين 71 و 72 :- ف قال لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين فلم يباليوا بقوله ولهذا قال الله
- لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وهذه السكره هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يباليون معها بعذل ولا لوم. 72
تفسير الآيتين 71 و 72 :- ف قال لهم لوط من شدة الأمر الذي أصابه: هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين فلم يباليوا بقوله ولهذا قال الله
- فامتثل أمر ربه وسرى بأهله ليلا فنجوا، وأما أهل القرية فأخذتهم الصيحة مشرقين أي: وقت شروق الشمس حين كانت العقوبة عليهم أشد 73
فلما بينت له الرسل حالهم، زال عن لوط ما كان يجده من الضيق والكرب،
- فجعلنا عاليها سافلها أي: قلبنا عليهم مدينتهم، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل تتبع فيها من شذ من البلد منهم. 74
- ما أريد بذلك، من أن من تجرأ على معاصي الله، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا على أشنع السيئات. 75
إن في ذلك لآيات للمتوسمين أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراصة، يفهمون بها
- وإنها أي: مدينة قوم لوط لبسبيل مقيم للسالكين، يعرفه كل من تردد في تلك الديار 76
- الصبح أليس الصبح ب قريب ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. 77
كانوا أهل وطنه، فربما أخذته الرقة عليهم والرافة بهم قدر الله من الأسباب ما به يشتد غيظه وحنقه عليهم، حتى استبطأ إهلاكهم لما قيل له: إن موعدهم
- عليه السلام كي يبشروه بالولد ويخبروه بما بعثوا له، حتى إنه جادلهم عليه السلام في إهلاكهم حتى أقنعوه، فطابت نفسه. وكذلك لوط عليه السلام، لما
- إبراهيم، فإن لوطا عليه السلام من أتباعه، وممن آمن به فكأنه تلميذ له، فحين أراد الله إهلاك قوم لوط حين استحقوا ذلك، أمر رسله أن يمروا على إبراهيم
- إن في ذلك لآية للمؤمنين وفي هذه القصة من العبر: عنايته تعالى بخليعه
- وأصحاب الأيكة لبإمام مبين أي: لطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب. 78
حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، فانتقمنا منهم فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وإنهما أي: ديار قوم لوط
- بها بل جاءهم نبيهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في
- تفسير الآيتين 78 و 79 :- وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا
- وأصحاب الأيكة لبإمام مبين أي: لطريق واضح يمر بهم المسافرون كل وقت، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار فيعتبر بذلك أولوا الألباب. 79
حق الخالق، وفي حق الخلق، ولهذا وصفهم هنا بالظلم، فانتقمنا منهم فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. وإنهما أي: ديار قوم لوط
- بها بل جاءهم نبيهم شعيب، فدعاهم إلى التوحيد، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين، وعاجلهم على ذلك على أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في
- تفسير الآيتين 78 و 79 :- وهؤلاء هم قوم شعيب، نعتهم الله وأضافهم إلى الأيكة، وهو البستان كثير الأشجار، ليذكر نعمته عليهم، وأنهم ما قاموا
- عليهم كل شيء قداما ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ويكفهم من الآيات إن كانوا صادقين، هذا القرآن العظيم ولهذا قال هنا: 8
فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار، فإن الإيمان ليس في أيديهم وإنما هو بيد الله، ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
- الملائكة إلا بالحق الذي لا إمهال على من لم يتبعه وينقده له. وما كانوا إذا أي: حين تنزل الملائكة، إن لم يؤمنوا، ولن يؤمنوا بـ منظرين أي: بمهملين،
- لا ينزل الله
- ومن كذب رسولا فقد كذب سائر الرسل، لاتفاق دعوتهم، وليس تكذيب بعضهم لشخصه بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به 80
يخبر تعالى عن أهل الحجر، وهم قوم صالح الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز، أنهم كذبوا المرسلين أي: كذبوا صالحا،
- على صحة ما جاءهم به صالح من الحق التي من جملتها: تلك الناقة التي هي من آيات الله العظيمة. فكانوا عنها معرضين كبرا وتجبرا على الله 81
وآتيناهم آياتنا الدالة
- بأنواع من الثواب العاجل والآجل، ولكنهم لما كذبوا وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين 82
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من المخاوف مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدر الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم
- وكانوا من كثرة إنعام الله عليهم
- فأخذتهم الصيحة مصبحين فتقطعت قلوبهم في أجوافهم وأصبحوا في دارهم جائمين هلكى، مع ما يتبع ذلك من الخزي واللعنة المستمرة 83
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون لأن أمر الله إذا جاء لا يردده كثرة جنود، ولا قوة أنصار ولا غزارة أموال. 84
- بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى. 85
ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا. وهو: أن المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القولية والفعلية، دون الصفح الذي ليس
- وهو الصفح الذي لا أذية فيه بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتتال من ربك جزيل الأجر والثواب، فإن كل ما هو آت فهو قريب، وقد

تفسير السعدي

وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وإن الساعة لآتية لا ريب فيها لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فاصفح الصفح الجميل يظن ذلك أعداء الله، بل ما خلقناها إلا بالحق الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط، أي: ما خلقناها عبثا وباطلا كما

إن ربك هو الخلاق لكل مخلوق العليم بكل شيء، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه وجرى عليه خلقه، وذلك سائر الموجودات. 86
كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون 87
فيها. وعلى القول بأن الفاتحة هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تننى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني آيات، فيكون عطف القرآن العظيم على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجلية، وتثنيها آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال مع التوبة أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع يقول تعالى ممتنا على رسوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهن على الصحيح السور السبع الطوال: البقرة و

فلك في المؤمنين عنهم أحسن البديل وأفضل العوض، واخفض جناحك للمؤمنين أي: ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراما وتوددا 88
التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ولا تحزن عليهم فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا

وأداء الرسالة والتبليغ للقریب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء. 89
وقل إني أنا النذير المبين أي: قم بما عليك من النذارة

يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يحتاجهم. 9
فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من له لحافظون أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه إنا نحن نزلنا الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، وإنا

وقوله: كما أنزلنا على المقتسمين أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله. 90

سحر ومنهم من يقول: كهانة ومنهم من يقول: مفتري إلى غير ذلك من أقوال الكفرة المكذبين به، الذين جعلوا قذحهم فيه ليصدوا الناس عن الهدى. 91
الذين جعلوا القرآن عضين أي: أصنافا وأعضاء وأجزاء، يصرفونه بحسب ما يهوونه، فمنهم من يقول:

لنسألنهم أجمعين أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله عما كانوا يعملون وفي هذا أعظم تهريب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه 92
تفسير الآيتين 92 و93 :- فوريك

لنسألنهم أجمعين أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرفه وبدله عما كانوا يعملون وفي هذا أعظم تهريب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه 93
تفسير الآيتين 92 و93 :- فوريك

لكل أحد ولا يعوقه عن أمره عائق ولا تصده أقوال المتهوكين، وأعرض عن المشركين أي: لا تبال بهم واترك مشائهم ومسابتهم مقبلا على شأنك 94
ثم أمر الله رسوله أن لا يبالي بهم ولا بغيرهم وأن يصدع بما أمر الله ويعلن بذلك

بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل تعالى فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة. 95
إنا كفيناك المستهزين بك وبما جئت به وهذا وعد من الله لرسوله، أن لا يضره المستهزون، وأن يكفيه الله إياهم

يا رسول الله، فإنهم أيضا يؤذون الله ويجعلون معه إلها آخر وهو ربهم وخالقهم ومدبرهم فسوف يعلمون غب أفعالهم إذا وردوا القيامة 96
ثم ذكر وصفهم وأنهم كما يؤذونك

صدرك بما يقولون لك من التكذيب والاستهزاء، فنحن قادرون على استنصالحهم بالعذاب، والتعجيل لهم بما يستحقون، ولكن الله يمهلهم ولا يمهلهم. 97
ولقد نعلم أنك يضيق

فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك. 98
فأنت يا محمد

فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فلم يزل دأبا في العبادة، حتى أتاه اليقين من ربه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. تم تفسير سورة الحجر 99
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات،

سورة 16

- الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحت وتجاهد من حاربها وقام بضدها 1 دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي: على معرفة الله تعالى وتوحده في صفات العظمة التي هي صفات الكمال فقال: ينزل الملائكة بالروح من أمره أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح على من يشاء من عباده ممن يعلمه صالحا، لتحمل رسالته. وزبدة مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه عما وصفه به أعداؤه ذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب، سبحانه وتعالى عما يشركون من نسبة الشريك والولد والصاحبة والكفاء وغير ذلك مما نسبه إليه المشركون تفسير الآيتين 1 و 2: يقول تعالى مقربا لما وعد به محققا لوقوعه أتى أمر الله فلا تستعجلوه
- الرقيق اللطيف ورحمته حيث جعل فيه ماء غزيرا منه يشربون وتشرب مواشيهم ويسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة. 10 تفسير الآيتين 10 و 11: بذلك على كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان، وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزهم إلى المعاصي أزا وقادهم إلى النار قودا. 100 إنما سلطانه أي: تسلطه على الذين يتولونه أي: يجعلونه لهم وليا، وذلك بتخليهم عن ولا بشرعه، ومن المعلوم أن قدح الجاهل بلا علم لا عبرة به، فإن القدح في الشيء فرع عن العلم به، وما يشتمل عليه مما يوجب المدح أو القدح. 101 ورحمته، فإذا رآه كذلك قدحوا في الرسول وبما جاء به و قالوا إنما أنت مفتر قال الله تعالى: بل أكثرهم لا يعلمون فهم جهال لا علم لهم بربهم يذكر تعالى أن المكذبين بهذا القرآن يتتبعون ما يرونه حجة لهم، وهو أن الله تعالى هو الحاكم الحكيم، الذي يشرع الأحكام، ويبدل حكما مكان آخر لحكمته ويتخلقوا بأخلاقه، ويستضيئوا بنوره في ظلمات الغي والجهالات ويجعلوه إمامهم في جميع الحالات، فبذلك تستقيم أمورهم الدينية والدنيوية. 102 به مبلغا عظيما، وتغيرت أخلاقهم وطبائعهم، وانتقلوا إلى أخلاق وعوائد وأعمال فاقوا بها الأولين والآخرين. وكان أعلى وأولى لمن بعدهم أن يتربوا بعلمه وتفرق الفكر فيه بل ينزل الله حكما وبشارة أكثر فإذا فهموه وعقلوه وعرفوا المراد منه وترووا منه أنزل نظيره وهكذا. ولذلك بلغ الصحابة رضي الله عنهم والهدى من الضلال، ويبشرهم أن لهم أجرا حسنا، ما كثر فيه أبدا. وأيضا فإنه كلما نزل شيئا فشيئا، كان أعظم هداية وبشارة لهم مما لو أتاهم جملة واحدة منه لهم وأن نسخه هو المناسب للحكمة الربانية والمناسبة العقلية. وهدي وبشرى للمسلمين أي: يهديهم إلى حقائق الأشياء ويبين لهم لحق من الباطل حتى يكون إيمانهم أثبت من الجبال الرواسي، وأيضا فإنهم يعلمون أنه الحق، وإذا شرع حكما من الأحكام ثم نسخه علموا أنه أبدله بما هو مثله أو خير أنه الحق علم أن ما عارضه وناقضه باطل. ليثبت الذين آمنوا عند نزول آياته وتواردها عليهم وقتا بعد وقت، فلا يزال الحق يصل إلى قلوبهم شيئا فشيئا عيب وخيانة وآفة. بالحق أي: نزوله بالحق وهو مشتمل على الحق في أخباره وأوامره ونواهيته، فلا سبيل لأحد أن يقدر فيه قدحا صحيحا، لأنه إذا علم قل نزل روح القدس وهو جبريل الرسول المقدس المنزه عن كل
- أو له حظ من الاحتمال؟ ولكن الكاذب يكذب ولا يفكر فيما يؤول إليه كذبه، فيكون في قوله من التناقض والفساد ما يوجب رده بمجرد تصويره. 103 إنما يعلمه هذا الكتاب الذي جاء به بشر وذلك البشر الذي يشيرون إليه أعجمي اللسان وهذا القرآن لسان عربي مبين هل هذا القول ممكن؟ يخبر تعالى عن قبيح المشركين المكذبين لرسوله أنهم يقولون
- المبين فيردونها ولا يقبلونها، لا يهديهم الله حيث جاءهم الهدى فردوه فعوقبوا بحرمانه وخذلان الله لهم. ولهم في الآخرة عذاب أليم 104 إن الذين لا يؤمنون بآيات الله الدالة دلالة صريحة على الحق
- لربه فمحال أن يكذب على الله ويتقول عليه ما لم يقل، فأعداؤه رموه بالكذب الذي هو وصفهم، فأظهر الله خزيمهم وبين فضائهم، فله تعالى الحمد. 105 البيئات، وأولئك هم الكاذبون أي: الكذب منحصر فيهم وعليهم أولى بأن يطلق من غيرهم. وأما محمد صلى الله عليه وسلم المؤمن بآيات الله الخاضع إنما يفترى الكذب أي: إنما يصدر افتراه الكذب من الذين لا يؤمنون بآيات الله كالمعاندين لرسوله من بعد ما جاءتهم
- الشديد من الرب الرحيم الذي إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وغضب عليهم كل شيء، ولهم عذاب عظيم أي: في غاية الشدة مع أنه دائم أبدا. 106 عن شناعة حال من كفر بالله من بعد إيمانه فعمى بعد ما أبصر ورجع إلى الضلال بعد ما اهتدى، وشرح صدره بالكفر راضيا به مطمئنا أن لهم الغضب يخبر تعالى
- إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها. 107 على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة حيث ارتدوا على أدبارهم طمعا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهدا في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر تفسير الآيتين 107 و 108: ذلك

تفسير السعدي

- إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء، وذلك أنها أتتهم فردوها، وعرضت عليهم فلم يقبلوها. 108
- على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة حيث ارتدوا على أديبارهم طمعا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه وزهدا في خير الآخرة، فلما اختاروا الكفر تفسير الآيتين 107 و 108 :- و ذلك
- أو الشراء أو سائر العقود أنه لا عبرة به، ولا يترتب عليه حكم شرعي، لأنه إذا لم يعاقب على كلمة الكفر إذا أكره عليها فغيرها من باب أولى وأحرى. 109
- بالإيمان؛ راغب فيه فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها. ودل ذلك على أن كلام المكروه على الطلاق أو العتاق أو البيع خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة وفاتهم النعيم المقيم وحصلوا على العذاب الأليم. وهذا بخلاف من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون الذين
- الرفيق اللطيف ورحمته حيث جعل فيه ماء غزيرا منه يشربون وتشرب مواشيهم ويسقون منه حروثهم فتخرج لهم الثمرات الكثيرة والنعم الغزيرة. 11
- تفسير الآيتين 10 و 11:- بذلك على كمال قدرة الله الذي أنزل هذا الماء من السحاب
- مغفرة الله للذنوب صفارها وكبارها المتضمن ذلك زوال كل أمر مكروه، ورحمته العظيمة التي بها صلحت أحوالهم واستقامت أمور دينهم ودنياهم 110
- الله ليدخلهم في دين الله بلسانه ويده، وصبر على هذه العبادات الشاقة على أكثر الناس. فهذه أكبر الأسباب التي تنال بها أعظم العطايا وأفضل المواهب، وهي لمن هاجر في سبيله، وخلق دياره وأمواله طلبا لمرضاة الله، وفتن على دينه ليرجع إلى الكفر، فثبت على الإيمان، وتخلص ما معه من اليقين، ثم جاهد أعداء أي: ثم إن ربك الذي ربي عباده المخلصين بلطفه وإحسانه لغفور رحيم
- من خير وشر وهم لا يظلمون فلا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون 111
- نفس تجادل عن نفسها كل يقول نفسي نفسي لا يهمه سوى نفسه، ففي ذلك اليوم يفتقر العبد إلى حصول مثقال ذرة من الخير. وتوفى كل نفس ما عملت في يوم القيامة حين تأتي كل
- الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 112
- أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية فحصل لها من الأمن تفسير الآيتين 112 و 113 :- وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة
- الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 113
- أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون لا يهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنصرة العربية فحصل لها من الأمن تفسير الآيتين 112 و 113 :- وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة
- بها بالقلب والثناء على الله بها وصرفها في طاعة الله. إن كنتم إياه تعبدون أي إن كنتم مخلصين له العبادة، فلا تشكروا إلا إياه، ولا تنسوا المنعم. 114
- بهذين الوصفين بحيث لا تكون مما حرم الله أو أثرا عن غصب ونحوه. فتمتعوا بما خلق الله لكم من غير إسراف ولا تعد. واشكروا نعمة الله بالاعتراف يأمر تعالى عباده بأكل ما رزقهم الله من الحيوانات والحبوب والثمار وغيرها. حاللا طيبا أي: حالة كونها متصفة
- أي: إذا لم يرد أكل المحرم وهو غير مضطر، ولا متعد الحلال إلى الحرام، أو متجاوز لما زاد على قدر الضرورة، فهذا الذي حرمه الله من المباحات. 115
- لأنه مقصود به الشرك. فمن اضطر إلى شيء من المحرمات بأن حملته الضرورة وخاف إن لم يأكل أن يهلك فلا جناح عليه إذا لم يكن باغيا أو عاديا، واللحم فلا يضر. ولحم الخنزير لقذارته وخبثه وذلك شامل للحمة وشحمه وجميع أجزائه. وما أهل لغير الله به كالذي يذبح للأصنام والقبور ونحوها ك الميتة ويدخل في ذلك كل ما كان موته على غير ذكاة مشروعة، ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسّمك. والدّم المسفوح وأما ما يبقى في العروق إنما حرم عليكم الأشياء المضرة تنزيها لكم، وذلك:
- لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيبهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه متاع قليل ومصيرهم إلى النار ولهم عذاب أليم 116
- حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولوا عليه. لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
- تفسير الآيتين 116 و 117 :- ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
- لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيبهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه متاع قليل ومصيرهم إلى النار ولهم عذاب أليم 117
- حرام أي: لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولوا عليه. لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

تفسير الآيتين 116 و 117 :- ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا

كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمننا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون 118
كل مستقدر. وأما الذين هادوا فحرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم عقوبة لهم، كما قصه في سورة الأنعام في قوله: وعلى الذين هادوا حرمنا
فأله تعالى ما حرم علينا إلا الخبثات تفضلا منه، وصيانة عن

الذنب. فإذا تاب وأصلح بأن ترك الذنب وندم عليه وأصلح أعماله، فإن الله يغفر له ويرحمه ويتقبل توبته ويعيده إلى حالته الأولى أو أعلى منها. 119
ودعوة لهم إلى الإنابة، فأخبر أن من عمل سوءا بجهالة بعاقبة ما تجني عليه، ولو كان متعمدا للذنب، فإنه لا بد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مفارقة
وهذا حض منه لعباده على التوبة،

يستعملونها في التدبر والتفكير فيما هي مهياة له مستعدة تعقل ما تراه وتسمعه، لا كنظر الغافلين الذين حظهم من النظر حظ البهائم التي لا عقل لها. 12
البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة ما تتنوع دلالاتها وتتصرف آياتها، ولهذا جمعها في قوله إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أي: لمن لهم عقول
الضارة للأرض، وللأبدان، وغير ذلك من الضروريات والحاجيات التابعة لوجود الشمس والقمر، وفيهما وفي النجوم من الزينة للسماء والهداية في ظلمات
في معاشكم ومنافع دينكم ودنياكم، وبالشمس والقمر من الضياء والنور والإشراق، وإصلاح الأشجار والثمار والنبات، وتجفيف الرطوبات، وإزالة البرودة
أي: سخر لكم هذه الأشياء لمنافعكم وأنواع مصالحكم بحيث لا تستغفون عنها أبدا، فبالليل تسكنون وتنامون وتستريحون، وبالنهار تنتشرون
مقبلا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضا عن سواه. ولم يك من المشركين في قوله وعمله، وجميع أحواله لأنه إمام الموحدين الحنفاء. 120
والمناقب الكاملة فقال: إن إبراهيم كان أمة أي: إماما جامعاً لخصال الخير هاديا مهتديا. قانتا لله أي: مديما لطاعة ربه مخلصا له الدين، حنيفا
يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخصه به من الفضائل العالية

ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين. وهذه إلى صراط مستقيم في علمه وعمله فعلمه بالحق وأثره على غيره. 121
شاكرا لأنعمه أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن اجتباها
واسعا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقا مرضية وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى. 122
وآتيناه في الدنيا حسنة رزقا

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدي به هو وأمته. 123

هذه الأمة إليه. وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيبين لهم المحق من المبطل والمستحق للثواب ممن استحق العقاب 124
ضلوا عن يوم الجمعة وهم اليهود فصار اختلافهم سببا لأن يجب عليهم في السبت احترامه وتعظيمه، وإلا فالفضيلة الحقيقية ليوم الجمعة الذي هدى الله
يقول تعالى: إنما جعل السبت أي: فرضا على الذين اختلفوا فيه حين

إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالتهم وسيجازيه عليها. وهو أعلم بالمهتدين علم أنهم يصلحون للهداية فهداهم ثم من عليهم فاجتباهم. 125
ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها. وقوله: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله علم السبب الذي أداه
عقلا ونقلا. ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها،
العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتالي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته
وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقيم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب
فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار
ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا
للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.
أي: ليكن دعاؤك

وعفوتهم عن جرمهم لهو خير للصابرين من الاستيفاء وما عند الله خير لكم وأحسن عاقبة كما قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله 126
وإن عاقبتهم من أساء إليكم بالقول والفعل فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم. ولئن صبرتم عن المعاقبة
يقول تعالى مبيناً للعدل ونادبا للفضل والإحسان

فإن الحزن لا يجدي عليك شيئا. ولا تك في ضيق أي: شدة ورج مما يمكرون فإن مكرهم عائد إليهم وأنت من المتقين المحسنين. 127
ذلك وعدم الاتكال على النفس فقال: واصبر وما صبرك إلا بالله هو الذي يعينك عليه ويثبتك. ولا تحزن عليهم إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولا لدعوتك،
ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على

يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه. نسأل الله أن يجعلنا من المتقين المحسنين. تم تفسير سورة النحل والحمد لله. 128

تفسير السعدي

والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا لقوم يذكرون أي: يستحضرون في ذاكرتهم ما ينفعهم من العلم النافع، ويتأملون ما دعاهم الله إلى التأمل فيه حتى يتذكروا بذلك ما هو دليل عليه. 13 ونبات، وغير ذلك، مما تختلف ألوانه، وتختلف منافعه، آية على كمال قدرة الله وعميم إحسانه، وسعة بره، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، أي: فيما ذرأ الله ونشر للعباد من كل ما على وجه الأرض، من حيوان وأشجار

حيث أعطى العباد من مصالحهم ومنافعهم فوق ما يطلبون، وأعلى ما يتمنون، وآتاهم من كل ما سألوه، لا نحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه. 14 يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم. ولعلكم تشكرون الذي يسر لكم هذه الأشياء وهياها وتنتون على الله الذي من بها، فله تعالى الحمد والشكر والثناء، والمراكب مواخر فيه أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي لحما طريا وهو السمك والحوث الذي يصطادونه منه، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها فتزيدكم جمالا وحسنا إلى حسنكم، وترى الفلك أي: السفن أي: هو وحده لا شريك له الذي سخر البحر وهياها لمنافعكم المتنوعة. لتأكلوا منه

الديار المتناثية لعلكم تهتدون السبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين. 15 بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلا، أي: طرقا توصل إلى أن جعل فيها أنهارا، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وحروثهم، أنهارا على وجه الأرض، وأنهارا في بطنها يستخرجونها لأجل عباده في الأرض رواسي وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى تفسير الآيتين 15 و 16 :- أي: وألقى الله تعالى

الديار المتناثية لعلكم تهتدون السبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسالكين. 16 بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلا، أي: طرقا توصل إلى أن جعل فيها أنهارا، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وحروثهم، أنهارا على وجه الأرض، وأنهارا في بطنها يستخرجونها لأجل عباده في الأرض رواسي وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق فيتمكنون من حرث الأرض والبناء والسير عليها، ومن رحمته تعالى تفسير الآيتين 15 و 16 :- أي: وألقى الله تعالى

ولا كثيرا، أفلا تذكرون فتعرفون أن المنفرد بالخلق أحق بالعبادة كلها، فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره فإنه واحد في إلهيته وتوحيده وعبادته. 17 به من النعم العظيمة ذكر أنه لا يشبهه أحد ولا كفه له ولا ند له فقال: أفمن يخلق جميع المخلوقات وهو الفعال لما يريد كمن لا يخلق شيئا لا قليلا لما ذكر تعالى ما خلقه من المخلوقات العظيمة، وما أنعم

يعرف العباد، ومما لا يعرفون وما يدفع عنهم من النقم فأكثر من أن تحصى، إن الله لغفور رحيم يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير. 18 عددا مجردا عن الشكر لا تحصىها فضلا عن كونكم تشكرونها، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما وكما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم وأنشأ غيركم، فلا تجعلوا له أندادا في عبادته بل أخلصوا له الدين، وإن تعدوا نعمة الله

من عبد من دونه، فإنهم لا يخلقون شيئا قليلا ولا كثيرا وهم يخلقون فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟ 19 تفسير الآيتين 19 و 20 :- وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم ومغفرته شاملة للعباد فعلمه محيط بهم، يعلم ما تسرون وما تعلنون بخلاف الألوهية وعبادته وحده لا شريك له فهي التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله، وجعل الشرائع كلها تدعو إليها، وتحت وتجاهد من حاربها وقام بضدها 2 دعوة الرسل كلهم ومدارها على قوله: أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون أي: على معرفة الله تعالى وتوحيده في صفات العظمة التي هي صفات الكمال فقال: ينزل الملائكة بالروح من أمره أي: بالوحي الذي به حياة الأرواح على من يشاء من عباده ممن يعلمه صالحا، لتحمل رسالته. وزبدة مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ولما نزه نفسه عما وصفه به أعداؤه ذكر الوحي الذي ينزله على أنبيائه، مما يجب اتباعه في ذكر ما ينسب لله، من صفات فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب، سبحانه وتعالى عما يشركون من نسبة الشريك والولد وال صاحبة والكفاء وغير ذلك مما نسب إليه المشركون تفسير الآيتين 1 و 2 :- يقول تعالى مقربا لما وعد به محققا لوقوعه أتى أمر الله فلا تستعجلوه

من عبد من دونه، فإنهم لا يخلقون شيئا قليلا ولا كثيرا وهم يخلقون فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى الله تعالى؟ 20 تفسير الآيتين 19 و 20 :- وكما أن رحمته واسعة وجوده عميم ومغفرته شاملة للعباد فعلمه محيط بهم، يعلم ما تسرون وما تعلنون بخلاف والقدرة العامة والرحمة الواسعة التي ملأت جميع العوالم، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة، التي لا يقدر أحد من الخلق أن يحيط ببعض أوصافه 21 أوصاف كمال، ولا شيء من الأفعال، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فله العلم المحيط بكل الأشياء هذه آلهة من دون رب العالمين، فتبا لعقول المشركين ما أضلها وأفسدها، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا ومع هذا ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء لا علم، ولا غيره أموات غير أحياء فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل شيئا، أفنتخذ

تفسير السعدي

- لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق جهلا وعنادا وهو: توحيد الله وهم مستكبرون عن عبادته. 22
- وصرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، وأثنوا عليه بأسمائه الحسنى وصفاته وأفعاله المقدسة، فالذين إلهكم إله واحد وهو الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد. فأهل الإيمان والعقول أجلته قلوبهم وعظمته، وأحبته حبا عظيما،
- إنه لا يحب المستكبرين بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم من جنس عملهم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين 23
- لا جرم أي: حقا لا بد أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من الأعمال القبيحة
- اختلقه محمد على الله، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس جيلا بعد جيل، منها الصدق ومنها الكذب، فقالوا هذه المقالة، ودعوا أتباعهم إليها 24
- به؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعتزفون بها أم تكفرون وتعادون؟ فيكون جوابهم أقبح جواب وأسماجه، فيقولون عنه: إنه أساطير الأولين أي: كذب
- شدة تكذيب المشركين بآيات الله: وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم أي: إذا سألوهم عن القرآن والوحي الذي هو أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، فماذا قولكم يقول تعالى مخبرا عن
- يعلمون فكل مستقل بجرمه، لأنه عرف ما عرفوا ألا ساء ما يزرعون أي: بئس ما حملوا من الوزر المثقل لظهورهم، من وزرهم ووزر من أضلوه. 25
- القيامة. وقوله: ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم أي: من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم إلا ما دعوهم إليه، فيحملون إثم ما دعوهم إليه، وأما الذين وحملوا وزرهم ووزر من انقاد لهم إلى يوم
- وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ويقىهم العذاب فصار عذابهم فيما بنوه وأصلوه. وهذا من أحسن الأمثال في إبطال الله مكر أعدائه. 26
- من القواعد أي: جاءها الأمر من أساسها وقاعدتها، فخر عليهم السقف من فوقهم فصار ما بنوه عذابا عذبوا به، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
- قد مكر الذين من قبلهم برسلمهم واحتالوا بأنواع الحيل على رد ما جاءوهم به وبنوا من مكرهم قصورا هائلة، فأتى الله بنيانهم
- العلم، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارا عند الله وعند خلقه، ثم ذكر ما يفعل بهم عند الوفاة وفي القيامة 27
- قال الذين أوتوا العلم أي: العلماء الربانيون إن الخزي اليوم أي: يوم القيامة والسوء أي: العذاب على الكافرين وفي هذا فضيلة أهل
- أنهم شركاء لله، فإذا سألهم هذا السؤال لم يكن لهم جواب إلا الإقرار بضلالهم، والاعتراف بعنادهم فيقولون ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
- رءوس الخلائق ويبين لهم كذبهم وافتراءهم على الله. ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم أي: تحاربون وتعادون الله وحزبه لأجلهم وتزعمون
- وذلك لأن مكرهم سيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله هذا في الدنيا وللعذاب الآخرة أخزى، ولهذا قال: ثم يوم القيامة يخزيهم أي: يفضحهم على
- ويردون بها ما جاءت به الرسل، واحتالوا أيضا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم، فصار مكرهم وبالا عليهم، فصار تدبيرهم فيه تدميرهم،
- فإنهم فكروا وقدروا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم وجعلوا لهم أصولا وقواعد من الباطل يرجعون إليها،
- ما كانوا عليه في الدنيا ظنا أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم وتبين ما كانوا عليه أقروا واعترفوا، ولهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم. 28
- من سوء فيقال لهم: بلى كنتم تعملون السوء ف إن الله عليم بما كنتم تعملون فلا يفيدكم الجحود شيئا، وهذا في بعض مواقف القيامة ينكرون
- يلقى الظلمة في ذلك المقام من أنواع العذاب والخزي والإهانة. فألقوا السلم أي: استسلموا وأنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله وقالوا: ما كنا نعمل
- الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيبهم وقد علم ما
- وموضع السخط من الحي القيوم، لا يفتر عنهم من عذابها، ولا يرفع عنهم يوما من أليم عقابها، قد أعرض عنهم الرب الرحيم، وأذاقهم العذاب العظيم. 29
- كل أهل عمل يدخلون من الباب اللائق بحالهم، فلبئس مثوى المتكبرين نار جهنم فإنها مثوى الحسرة والندم، ومنزل الشقاء والألم ومحل الهموم والغموم،
- فدخلوا أبواب جهنم
- أي: تنزه وتعاظم عن شركهم فإنه الإله حقا، الذي لا تنبغي العبادة والحب والذل إلا له تعالى، ولما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق ما فيهما. 3
- خلقهما مسكنا لعباده الذين يعبدونه، بما يأمرهم به في الشرائع التي أنزلها على ألسنة رسله، ولهذا نزه نفسه عن شرك المشركين به فقال: تعالى عما يشركون
- وفي آخرها متمماتها ومكملاتها، فأخبر أنه خلق السماوات والأرض بالحق، ليستدل بهما العباد على عظمة خالقهما، وما له من نعوت الكمال ويعلموا أنه
- هذه السورة تسمى سورة النعم، فإن الله ذكر في أولها أصول النعم وقواعدها،
- هذه الدار وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات، فإن هذه نعيمها قليل محشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة ولهذا قال: ولنعم دار المتقين 30
- في عبادة الله تعالى، وأحسنوا إلى عباد الله فلم في هذه الدنيا حسنة رزق واسع، وعيشه هنية، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور. ولدار الآخرة خير من
- الله نعمة عظيمة، وخير عظيم امتن الله به على العباد، فقبلوا تلك النعمة، وتلقوها بالقبول والانقياد، وشكروا الله عليها، فعملوها وعملوا لها للذين أحسنوا
- لما ذكر الله قبيل المكذبين بما أنزل الله، ذكر ما قاله المتقون، وأنهم اعترفوا وأقروا بأن ما أنزله
- لسخط الله وعذابه بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات المتعلقة بالقلب والبدن واللسان من حقه وحق عباده، وترك ما نهاهم الله عنه. 31
- لا نهاية لكرمه، ولا حد لجوده الذي ليس كمثله شيء في صفات ذاته، وصفات أفعاله وآثار تلك النعوت، وعظمة الملك والملكوت، كذلك يجزي الله المتقين
- وسرور الأرواح، إلا وهو حاضر لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يذكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم. فتبارك الذي

تفسير السعدي

ما يشاءون أي: مهما تمنته أنفسهم وتعلقت به إرادتهم حصل لهم على أكمل الوجوه وأنمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعا من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها

لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم. 32 عليكم أي: التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة. وقد سلمتم من كل ما تكرهون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد وندس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبه وألستهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، يقولون سلام الذين تتوفاهم الملائكة مستمرين على تقواهم طيبين أي: طاهرين مطهرين من كل نقص

كانوا أنفسهم يظلمون فإنها مخلوقة لعبادة الله ليكون مآلها إلى كرامة الله فظلموها وتركوا ما خلقت له، وعرضوها للإهانة الدائمة والشقاء الملازم. 33 بهم فإنهم قد استحقوا وقوعه فيهم، كذلك فعل الذين من قبلهم كذبوا وكفروا، ثم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب. وما ظلمهم الله إذ عذبهم ولكن هل ينظر هؤلاء الذين جاءتهم الآيات فلم يؤمنوا، وذكروا فلم يتذكروا، إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك بالعذاب الذي سيحل يقول تعالى:

أي: نزل ما كانوا به يستهزئون فإنهم كانوا إذا أخبرتهم رسلهم بالعذاب استهزأوا به، وسخروا ممن أخبر به فحل بهم ذلك الأمر الذي سخروا منه. 34 فأصابهم سيئات ما عملوا أي: عقوبات أعمالهم وآثارها، وحاق بهم

يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغت الرسل أمر ربهم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل. 35 فجمعوا بين تكذيب الله وتكذيب رسله وتكذيب الأمور العقلية والحسية، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين أي: البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب، ولا تصدر عنها أفعالهم. فاحتجواهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس قدرة الإنسان على كل فعل يريد من غير أن ينازعه منازع، إلا رد الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله. فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم وجعل لهم قوة ومشينة حجة باطلة، فإنها لو كانت حقا ما عاقب الله الذين من قبلهم حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب. فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئا من الأنعام التي أحلها كالبحيرة والوصيلة والحام ونحوها من دونه، وهذه أي: احتج

في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فإنكم سترون من ذلك العجائب، فلا تجدون مكذبا إلا كان عاقبته الهلاك. 36 لدعوة الرسل وعدمها قسمين، فمنهم من هدى الله فاتبعوا المرسلين علما وعملا، ومنهم من حقت عليه الضلالة فاتبع سبيل الغي. فسيروا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فانقسمت الأمم بحسب استجابتها يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا،

جهدك في ذلك فإن الله لا يهدي من يضل ولو فعل كل سبب لم يهده إلا الله، وما لهم من ناصرين ينصرونهم من عذاب الله ويقونهم بأسه. 37 إن تحرص على هداهم وتبذل

ويجمعهم ليوم لا ريب فيه وعدا عليه حقا لا يخلفه ولا يغيره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ومن جهلهم العظيم إنكارهم للبعث والجزاء، 38 أي: حلفوا أيمانا مؤكدة مغلظة على تكذيب الله، وأن الله لا يبعث الأموات، ولا يقدر على إحيائهم بعد أن كانوا ترابا، قال تعالى مكذبا لهم: بلى سيبعثهم يخبر تعالى عن المشركين المكذبين لرسوله أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم

الحالات، وليس ذلك على الله بصعب، ولا شديد فإنه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، من غير منازعة ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أرادته وشاءه. 39 ربك، وحين يرون ما يعبدون خطبا لجهنم، وتكور الشمس والقمر وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدونها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع ويوضحها. وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر تفسير الآيتين 39 و40 :- ليبين لهم الذي يختلفون فيه من المسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها

طور حتى صار عاقلا متكلما، ذا ذهن ورأي: يخاصم ويجادل، فليشكر العبد ربه الذي أوصله إلى هذه الحال التي ليس في إمكانه القدرة على شيء منها. 4 ونسي خلقه الأول وما أنعم الله عليه به، من النعم فاستعان بها على معاصيه، ويحتمل أن المعنى: أن الله أنشأ الآدمي من نطفة، ثم لم يزل ينقله من طور، إلى بنعمة الغزيرة، حتى إذا استتم فخر بنفسه وأعجب بها فإذا هو خصيم مبين يحتمل أن المراد: فإذا هو خصيم لربه، يكفر به، ويجادل رسله، ويكذب بآياته. خلق الإنسان من نطفة لم يزل يدبرها ويرقيها وينميها حتى صارت بشرا تاما كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، قد غمره

الحالات، وليس ذلك على الله بصعب، ولا شديد فإنه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، من غير منازعة ولا امتناع، بل يكون على طبق ما أرادته وشاءه. 40 ربك، وحين يرون ما يعبدون خطبا لجهنم، وتكور الشمس والقمر وتتناثر النجوم، ويتضح لمن يعبدونها أنها عبيد مسخرات، وأنهن مفتقرات إلى الله في جميع ويوضحها. وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين حين يرون أعمالهم حسرات عليهم، وما نفعتهم آلهتهم التي يدعون مع الله من شيء لما جاء أمر تفسير الآيتين 39 و40 :- ليبين لهم الذي يختلفون فيه من المسائل الكبار والصغار، فيبين حقائقها

تفسير السعدي

عظيم وقوله: لو كانوا يعلمون أي: لو كان لهم علم ويقين بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله لم يتخلف عن ذلك أحد. 41
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر الدنيا حسنة. ولأجر الآخرة الذي وعدهم الله على لسان رسوله أكبر من أجر الدنيا، كما قال تعالى: الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رآوه عياناً بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا وآتاهم الله في من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثواباً عاجلاً في الدنيا من يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين الذين هاجروا في الله أي: في سبيله وابتغاء مرضاته من بعد ما ظلموا بالأذية والمحنة

فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحداً شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله. 42
الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن وعلى ربهم يتوكلون أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، ثم ذكر وصف أوليائه فقال: الذين صبروا على أوامر الله وعن نواهيه، وعلى أقدار

نزل إليهم وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ولعلمهم يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه. 43
بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، لتبين للناس ما وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، رجلاً يوحى إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في وشككتهم هل بعث الله رجلاً؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبيانات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا ما هو من فضله وإحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، فاسألوا أهل الذكر أي: الكتب السابقة إن كنتم لا تعلمون نبأ الأولين، وسلم: وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجلاً كاملياً لا نساء. نوحى إليهم من الشرائع والأحكام تفسير الآيتين 43 و44 -: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

نزل إليهم وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه، ولعلمهم يتفكرون فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه. 44
بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، لتبين للناس ما وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال. وأفضل أهل الذكر أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعية، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، رجلاً يوحى إليهم من أهل القرى، وعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه العلم بكتاب الله المنزل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في وشككتهم هل بعث الله رجلاً؟ فاسألوا أهل العلم بذلك الذين نزلت عليهم الزبر والبيانات فعلموها وفهموها، فإنهم كلهم قد تقرر عندهم أن الله ما بعث إلا ما هو من فضله وإحسانه على العبيد من غير أن يأتوا بشيء من قبل أنفسهم، فاسألوا أهل الذكر أي: الكتب السابقة إن كنتم لا تعلمون نبأ الأولين، وسلم: وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً أي: لست ببدع من الرسل، فلم نرسل قبلك ملائكة بل رجلاً كاملياً لا نساء. نوحى إليهم من الشرائع والأحكام تفسير الآيتين 43 و44 -: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العيم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 45
صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعددهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب تفسير الآيات من 45 حتى 47 -: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العيم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 46
صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعددهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب

تفسير السعدي

تفسير الآيات من 45 حتى 47: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العميم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه. 47 ساعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه تضرهم، ويعدمهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستج المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده. ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل بالعذاب على غرة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب تفسير الآيات من 45 حتى 47: بهذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

ساجدة لربها خاضعة لعظمته وجلاله، وهم داخرون أي: ذليلون تحت التسخير والتدبير والقهر، ما منهم أحد إلا وناصيته بيد الله وتديره عنده. 48 توحيد ربهم وعظمته وكماله، إلى ما خلق الله من شيء أي: إلى جميع مخلوقاته وكيف تتفياً أظلتها، عن اليمين وعن الشمال سجدا لله أي: كلها يقول تعالى: أولم يروا أي: الشاكون في

لا يستكبرون أي: عن عبادته على كثرتهم وعظمتهم وأخلاقهم وقوتهم كما قال تعالى: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون 49 وما في الأرض من دابة من الحيوانات الناطقة والصامتة، والملائكة الكرام خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم ولهذا قال: وهم ولله يسجد ما في السماوات

دفع مما تتخذون من أصوافها وأوبارها، وأشعارها، وجلودها، من الثياب والفرش والبيوت. و لكم فيها منافع غير ذلك ومنها تأكلون 5 والأنعام خلقها لكم أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم، من جملة منافعها العظيمة أن لكم فيها

مخلوق من مؤمن وكافر وبر وفاجر وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار يختص بأوليائه وعباده المؤمنين من الملائكة وغيرهم من المخلوقات. 50 مهما أمرهم الله تعالى امتثلوا لأمره، طوعا واختيارا، وسجود المخلوقات لله تعالى قسما: سجود اضطرار ودلالة على ما له من صفات الكمال، وهذا عام لكل بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره. ويفعلون ما يؤمرون أي: يخافون ربهم من فوقهم لما مدحهم

ولهذا قال: فإياي فارهبون أي: خافوني وامتثلوا أمري، واجتنبوا نهبي من غير أن تشركوا بي شيئا من المخلوقات، فإنها كلها لله تعالى مملوكة. 51 إلهيته، وهو إنما هو إله واحد متوحد في الأوصاف العظيمة متفرد بالأفعال كلها. فكما أنه الواحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله، فلتوحدوه في عبادته، يأمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية فقال: لا تتخذوا إلهين اثنين أي: تجعلون له شريكا في

لله وحده على الخلق أن يخلصوه لله وينصبغوا بعبوديته. أفعير الله تتقون من أهل الأرض أو أهل السماوات فإنهم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا 52 وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أي: الدين والعبادة والذل في جميع الأوقات

ولكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة 53 تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. والإحسان وما بكم من نعمة ظاهرة وباطنة فمن الله لا أحد يشركه فيها، ثم إذا مسكم الضر من فقر ومرض وشدة فإليه تجأرون أي:

تفسير الآيتين 53 و 54: نواله المنفرد بالعطاء

ولكن كثيرا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة 54 تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. والإحسان وما بكم من نعمة ظاهرة وباطنة فمن الله لا أحد يشركه فيها، ثم إذا مسكم الضر من فقر ومرض وشدة فإليه تجأرون أي:

تفسير الآيتين 53 و 54: نواله المنفرد بالعطاء

بما آتيناهم أي: أعطيناهم حيث نجيناهم من الشدة، وخلصناهم من المشقة، فتمتعوا في دنياكم قليلا فسوف تعلمون عاقبة كفركم. 55 ليكفروا

منحوتة، كما قال تعالى: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله 56 الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيبا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله

لله البنات حيث قالوا عن الملائكة العباد المقربين: إنهم بنات الله ولهم ما يشتهون أي: لأنفسهم الذكور حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة 57

- الغم الذي أصابه وهو كظيم أي: كاظم على الحزن والأسف إذا بشر بأنثى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه ويتوارى منهم من سوء ما بشر به. 58 فكان أحدهم وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا من
- في التراب أي: يدفنها وهي حية وهو الواد الذي ذم الله به المشركين، ألا ساء ما يحكمون إذ وصفوا الله بما لا يليق بجلاله من نسبة الولد إليه. 59 ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل أم يدسه
- ووقت حركتها وسرحها، وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء فإنكم أنتم الذين تتجملون بها، كما تتجملون بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك 60 ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون أي: في وقت راحتها وسكونها
- فهر جميع الأشياء وانقادت له المخلوقات بأسرها، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يأمر ولا يفعل، إلا ما يحمد عليه ويثنى على كماله فيه. 60 فالله أحق به، من غير أن يستلزم ذلك نقصا بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة. وهو العزيز الذي قال تعالى: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء أي: المثل الناقص والعيب التام، ولله المثل الأعلى وهو كل صفة كمال وكل كمال في الوجود
- اللاتي يأنفون بأنفسهم عنها ويكرهونها، فكيف ينسبون لها الله تعالى؟! فبئس الحكم حكمهم. ولما كان هذا من أمثال السوء التي نسبها إليه أعداؤه المشركون، ثم لم يكفهم هذا حتى نسبوا له أردأ القسمين، وهو الإناث
- وهو يوم القيامة فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فليحذروا ما داموا في وقت الإمهال قبل أن يجيء الوقت الذي لا إمهال فيه. 61 للمعصية وغيرهم، من أنواع الدواب والحيوانات فإن شؤم المعاصي يهلك به الحرث والنسل. ولكن يؤخرهم عن تعجيل العقوبة عليهم إلى أجل مسمى
- افتراه الظالمون عليه ذكر كمال حلمه وصبره فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم من غير زيادة ولا نقص، ما ترك عليها من دابة أي: لأهلك المباشرين لما ذكر تعالى ما
- أن لهم الحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، رد عليهم بقوله: لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون مقدمون إليها ماكتون فيها غير خارجين منها أبدا. 62 شركاء لهم فيما رزقهم الله فكيف يجعلون له شركاء من عباده؟ و هم مع هذه الإساءة العظيمة تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى أي: الشرك بصرف شيء من العبادات إلى بعض المخلوقات التي هي عبيد لله، فكما أنهم يكرهون، ولا يرضون أن يكون عبيدهم وهم مخلوقون من جنسهم
- يخبر تعالى أن المشركين ويجعلون لله ما يكرهون من البنات، ومن الأوصاف القبيحة وهو
- لكم عدو بئس للظالمين بدلا ولهم عذاب أليم في الآخرة حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان. 63 دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه وتولوه. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم أمم من قبلك رسلا يدعونهم إلى التوحيد، فزين لهم الشيطان أعمالهم فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه وأن ما بين تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس هو أول رسول كذب فقال تعالى: تالله لقد أرسلنا إلى
- لكم عدو بئس للظالمين بدلا ولهم عذاب أليم في الآخرة حيث تولوا عن ولاية الرحمن، ورضوا بولاية الشيطان فاستحقوا لذلك عذاب الهوان. 64 دعت إليه الرسل فهو بخلاف ذلك، فلما زين لهم الشيطان أعمالهم، صار وليهم في الدنيا، فأطاعوه واتبعوه وتولوه. أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم أمم من قبلك رسلا يدعونهم إلى التوحيد، فزين لهم الشيطان أعمالهم فكذبوا الرسل، وزعموا أن ما هم عليه، هو الحق المنجي من كل مكروه وأن ما بين تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس هو أول رسول كذب فقال تعالى: تالله لقد أرسلنا إلى
- وعلى أنه على كل شيء قدير، وأن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأموات وأن الذي نشر هذا الإحسان لذو رحمة واسعة وجود عظيم. 65 عن الله مواعظه وتذكيره فيستدلوا بذلك على أنه وحده المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، لأنه المنعم بإنزال المطر وإنبات جميع أصناف النبات،
- إلهية لا أمور طبيعية. فأى شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح لبنا خالصا سائغا للشاربين؟ 66 حيث أسقامكم من بطونها المشتعلة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبنا خالصا من الكدر سائغا للشاربين لذته ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة أي: وإن لكم في الأنعام التي سخرها الله لمنافعكم لعبرة تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه
- بالحطب، فصارت ثمرة لذيذة وفاكهة طيبة وعلى شمول رحمته حيث عم بها عباده ويسرها لهم وأنه الإله المعبود وحده حيث إنه المنفرد بذلك. 67 وأعاض عنها بالطيبات من الأنبذة، وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة. إن في ذلك لآية لقوم يعقلون عن الله كمال اقتداره حيث أخرجها من أشجار شبيهة يأكله العباد طريا ونضيجا وحاضرا ومدخرا وطعاما وشرابا يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالا قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حل المسكرات، وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي
- فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه. 68 ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها،

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 68 و69 :- في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي،

فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتعام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه. 69
ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها،
تفسير الآيتين 68 و69 :- في خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي،

الشاسعة، إن ربكم لرءوف رحيم إذ سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه وسعة جوده وبره. 7
إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ولكن الله ذللها لكم. فمنها ما تركبونه، ومنها ما تحملون عليه ما تشاءون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار
وتحمل أثقالكم من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم

خلق كما قال تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير 70
ولهذا قال: لكيلا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير أي: قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة، خلقا بعد
الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان يزيد ضعفه حتى إنه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الطفل
تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طورا بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى يرد إلى أرذل العمر أي: أخسه
يخبر

هذا إلا من أعظم الظلم والجور لنعم الله؟ ولهذا قال: أفبنعمة الله يجحدون فلو أقروا بالنعمة ونسبوا إلى من أولاهها، لما أشركوا به أحدا. 71
فيه سواء ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبود ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟! هل
لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئا من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق ليسوا برادي رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم
توحيدهم وقبح الشرك به، يقول تعالى: كما أنكم مشتركون بأنكم مخلوقون مرزوقون إلا أنه تعالى فضل بعضكم على بعض في الرزق فجعل منكم أحرارا
وهذا من أدلة

وبنعمة الله هم يكفرون يجحدونها ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلا من أعظم الظلم وأفجر الفجور وأسفه السفه؟ 72
من وجوده سوى العدم فلا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئا، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله فإنها باطلة فكيف يتخذها المشركون من دون الله؟
التي لا يقدر العباد أن يحصوها. أفتالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون أي: أيؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئا مذكورا ثم أوجد الله وليس له
أولاداً تقر بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات من جميع المأكول والمشرب، والنعم الظاهرة
يخبر تعالى عن منته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم

لا يملكون ولا يقدر. فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله، وشبهوها بمالك الأرض والسموات الذي له الملك كله والحمد كله والقوة كلها؟ 73
ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به، وهؤلاء
يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقا من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطرا، ولا رزقا ولا ينبتون من نبات الأرض شيئا،
يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم

الأمثال المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فعلينا أن لا نقول عليه بلا علم وأن نسمع ما ضربه العليم من الأمثال 74
فلا تضربوا لله

قيل: إذا كان الأمر كذلك فلم سوى المشركون آلهتهم بالله؟ قال: بل أكثرهم لا يعلمون فلو علموا حقيقة العلم لم يتجرؤوا على الشرك العظيم. 75
هو فقير من جميع الوجوه بالرب الخالق المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء؟ ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: الحمد لله فكأنه
وذاك؟! لا يستويان مع أنهما مخلوقان، غير محال استواؤهما. فإذا كانا لا يستويان، فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك ولا قدرة ولا استطاعة، بل
المال والدنيا شيئا، والثاني حر غني قد رزقه الله منه رزقا حسنا من جميع أصناف المال وهو كريم محب للإحسان، فهو ينفق منه سرا وجهرا، هل يستوي هذا
ضرب تعالى مثلين له ولمن يعبد من دونه، أحدهما عبد مملوك أي: رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من

الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه، فلولا قيام الله بها لم يستطع شيئا منها، ولا يكون كفوا وندا لمن لا يقول إلا الحق، ولا يفعل إلا ما يحمد عليه. 76
كل وجه، فهل يستوي هذا ومن كان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة، فكما أنهما لا يستويان فلا يستوي من عبد من دون
أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يقدر على شيء لا قليل ولا كثير وهو كل على مولاه أي: يخدمه مولاه، ولا يستطيع هو أن يخدم نفسه فهو ناقص من
والمثل الثاني مثل رجلين أحدهما

قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم وتفوت الفرص لمن يريد الإمهال، إن الله على كل شيء قدير فلا يستغرب على قدرته الشاملة إحياءه للموتى. 77
والأسرار إلا هو، ومن ذلك علم الساعة فلا يدري أحد متى تأتي إلا الله، فإذا جاءت وتجلت لم تكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب من ذلك فيقوم الناس من
أي: هو تعالى المنفرد بغيب السماوات والأرض، فلا يعلم الخفايا والبواطن

تفسير السعدي

لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة. 78
الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئا فشيئا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك
ثم إنه جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب
أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ولا تقدرون على شيء

الحركة وما قدرت به على ذلك، وذلك دليل على كمال حكمته وعلمه الواسع وعنايته الربانية بجميع مخلوقاته وكمال اقتداره، تبارك الله رب العالمين. 79
عليه، وأما غيرهم فإن نظرهم نظر لهو وغفلة، ووجه الآية فيها أن الله تعالى خلقها بخلقه تصلح للطيران، ثم سخر لها هذا الهواء اللطيف ثم أودع فيها من قوة
أي: لأنهم المنتفعون بآيات الله المتفكرون فيما جعلت آية

ويخلق ما لا تعلمون ولما ذكر تعالى الطريق الحسي، وأن الله قد جعل للعباد ما يقطعونه به من الإبل وغيرها ذكر الطريق المعنوي الموصل إليه 8
له نظيرا في قوله: فيهما من كل فاكهة زوجان فكذا هنا ذكر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله:
فيذكر أصلا جامعا يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون، كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرمان، وأجمل ما لا نعرف
بأعيانها، لأن الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد منه،
ويخلق ما لا تعلمون مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصلحتهم، فإنه لم يذكرها
في الغالب للأكل، بل ينهى عن ذبحها لأجل الأكل خوفا من انقطاعها وإلا فقد ثبت في الصحيحين، أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في لحوم الخيل.
لتركبوها وزينة أي: تارة تستعملونها للضرورة في الركوب وتارة لأجل الجمال والزينة، ولم يذكر الأكل لأن البغال والحمير محرمة أكلها، والخيل لا تستعمل
والخيل والبغال والحمير سخرناها لكم

والفرش والألبسة والأجلة، وغير ذلك. ومتاعا إلى حين أي: تتمتعون بذلك في هذه الدنيا وتنتفعون بها، فهذا مما سخر الله العباد لصنعتة وعمله. 80
وتقي متاعكم من المطر، وجعل لكم ومن أصوافها أي: الأنعام وأوبارها وأشعارها أثاثا وهذا شامل لكل ما يتخذ منها من الآتية والأوعية
من صوف وشعر ووبر. بيوتا تستخفونها أي: خفيفة الحمل تكون لكم في السفر والمنازل التي لا قصد لكم في استيطانها، فتقيكم من الحر والبرد والمطر،
منافعكم ومصلحتكم وفيها حفظ لأموالكم وحرمتكم وغير ذلك من الفوائد المشاهدة، وجعل لكم من جلود الأنعام إما من الجلد نفسه أو مما نبت عليه،
لكم من بيوتكم سكنا في الدور والقصور ونحوها تكنكم من الحر والبرد وتستتركم أنتم وأولادكم وأمتعتكم، وتتخذون فيها الغرف والبيوت التي هي لأنواع
يذكر تعالى عبادته نعمه، ويستدعي منهم شكرها والاعتراف بها فقال: والله جعل

في طاعة موليا ومسديها، فكثر النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى، ولكن أبى الظالمون إلا تمردا وعنادا. 81
عليكم من نعمه ما لا يدخل تحت الحصر لعلمكم إذا ذكرتم نعمة الله ورأيتموها غامرة لكم من كل وجه تسلمون لعظمته وتتقادون لأمره، وتصرفونها
ومنافع وسراويل تقيكم بأسكم أي: وثيابا تقيكم وقت البأس والحرب من السلاح، وذلك كالدرع والزرذ ونحوها، كذلك يتم نعمته عليكم حيث أسبغ
السورة أولها في أصول النعم وآخرها في مكملاتها ومتمماتها، ووقاية البرد من أصول النعم فإنه من الضرورة، وقد ذكره في أولها في قوله لكم فيها دفء
أي: مغارات تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء. وجعل لكم سراويل أي: ألبسة وثيابا تقيكم الحر. ولم يذكر الله البرد لأنه قد تقدم أن هذه
والله جعل لكم مما خلق أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ظلالة وذلك كأظلة الأشجار والجبال والأكام ونحوها، وجعل لكم من الجبال أكنانا

لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسله. 82
والإنذار والتحذير، فإذا أدبت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، وأكثرهم الكافرون
عن الله وعن طاعته بعد ما ذكروا بنعمه وآياته، فإنما عليك البلاغ المبين أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير
تفسير الآيتين 82 و83: - فإن تولوا

لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصودهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسله. 83
والإنذار والتحذير، فإذا أدبت ما عليك، فحسابهم على الله فإنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويجحدونها، وأكثرهم الكافرون
عن الله وعن طاعته بعد ما ذكروا بنعمه وآياته، فإنما عليك البلاغ المبين أي: ليس عليك من هدايتهم وتوفيقهم شيء بل أنت مطالب بالوعظ والتذكير
تفسير الآيتين 82 و83: - فإن تولوا

من غير إنظار ولا إمهال من حين يروونه لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها ويقرون بها ويفتضحون. 84
ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا، وإن طلبوا أيضا الرجوع إلى الدنيا ليستدركوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم
يبعثه الله أركى الشهداء وأعدهم وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم. ف لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علم يقينا بطلان
على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله فقال: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يشهد عليهم بأعمالهم وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى وذلك الشهيد الذي

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 84 و85: يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة وأنه لا يقبل لهم عذر ولا يرفع عنهم العقاب وأن شركاءهم تتبرأ منهم ويقولون من غير إنظار ولا إهمال من حين يروونه لأنهم لا حساب عليهم لأنهم لا حسنات لهم وإنما تعد أعمالهم وتحصى ويوقفون عليها ويقولون بها ويفتضحون. 85 ما هم عليه، اعتذار كاذب لا يفيدهم شيئا، وإن طلبوا أيضا الرجوع إلى الدنيا ليستردوا لم يجابوا ولم يعتبوا، بل يبادرهم العذاب الشديد الذي لا يخفف عنهم يبعثه الله أذكى الشهداء وأعدلهم وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم. ف لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار لأن اعتذارهم بعد ما علم يقينا بطلان على أنفسهم بالكفر والافتراء على الله فقال: ويوم نبعث من كل أمة شهيدا يشهد عليهم بأعمالهم وماذا أجابوا به الداعي إلى الهدى وذلك الشهيد الذي تفسير الآيتين 84 و85: يخبر تعالى عن حال الذين كفروا في يوم القيامة وأنه لا يقبل لهم عذر ولا يرفع عنهم العقاب وأن شركاءهم تتبرأ منهم ويقولون قولهم، فقالت لهم: إنكم لكاذبون حيث جعلتمونا شركاء لله، وعبدتمونا معه فلم تأمركم بذلك، ولا زعمنا أن فينا استحقاقا للألوهية فاللوم عليكم. 86 ليس عندها نفع ولا شفع، فنوهوا بأنفسهم بطلانها، وكفروا بها، وبدأت بغضاء والعداوة بينهم وبينها، فألقوا إليهم القول أي: ردت عليهم شركاؤهم وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم يوم القيامة وعلموا بطلانها ولم يمكنهم الإنكار. قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك مستحقون للعذاب. وضل عنهم ما كانوا يفترون فدخلوا النار وقد امتلأت قلوبهم من مقت أنفسهم ومن حمد ربهم وأنه لم يعاقبهم إلا بما كسبوا. 87 فحينئذ استسلموا لله، وخضعوا لحكمه وعلموا إنهم وحاربوا رسله، وصدوا الناس عن سبيل الله، وصاروا دعاة إلى الضلال فاستحقوا مضاعفة العذاب، كما تضاعف جرمهم، وكما أفسدوا في أرض الله. 88 حيث كفروا بأنفسهم، وكذبوا بآيات الله،

والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم. 89 والآخر، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة، إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح. والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبدئها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض وقوله: ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ رسول يشهد على أمته لأنه أعظم اطلاعا من غيره على أعمال أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون. وهذا كقوله تعالى: وكذلك جعلناكم هنا، وخص منهم هذا الرسول الكريم فقال: وجئنا بك شهيدا على هؤلاء أي: على أمتك تشهد عليهم بالخير والشر، وهذا من كمال عدل الله تعالى أن كل لما ذكر فيما تقدم أنه يبعث في كل أمة شهيدا ذكر ذلك أيضا

بإذن ربهم، وضل الغاؤون عنه، وسلوكوا الطرق الجائرة ولو شاء لهداكم أجمعين ولكنه هدى بعضا كرما وفضلا، ولم يهد آخرين، حكمة منه وعدلا. 9 وأما الطريق الجائر في عقائده وأعماله وهو: كل ما خالف الصراط المستقيم فهو قاطع عن الله، موصل إلى دار الشقاء، فسلك المهتدون الصراط المستقيم وعلى الله قصد السبيل أي: الصراط المستقيم، الذي هو أقرب الطرق وأخصرها موصل إلى الله.

عما فيه مضرتكم. لعلكم تذكرون ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فستدتم سعادة لا شقاوة معها. 90 جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء. ولهذا قال: يعظكم به أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم منكر أو بغى فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به. وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو الله تعالى. وبالغى كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض. فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقه والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش. ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق والإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره. وخص الله إيتاء ذي القربى وإن كان داخلا في العموم لتأكد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك. تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كنعف الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاولات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل

تفسير السعدي

فالعبد الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عبادته، فالعدل في ذلك أداء الحقوق

الله فيه كفيلا. فكما ائتمنتك وأحسن ظنه فيك فلتف له بما قلته وأكذته. إن الله يعلم ما تفعلون يجازي كل عامل بعمله على حسب نيته ومقصده. 91 كفيلا فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلا فيكون ذلك ترك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها بعقدها على اسم الله تعالى: وقد جعلتم الله عليكم أيها المتعاقدون بها برا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكد على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها إذا كان الوفاء

أسباب المحن ما يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي. وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون فيجازي كلا بما عمل، ويخزي الغادر. 92 وعلى المروءة الإنسانية، والأخلاق المرضية لأجل أن تكون أمة أكثر عددا وقوة من الأخرى. وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به حيث قيض من لعجزه، وإن كان قويا يرى مصلحته الدنيوية في نقضها نقضها غير مبال بعهد الله ويمينه. كل ذلك دورانا مع أهوية النفوس، وتقديما لها على مراد الله منكم، أي: لا تنبغي هذه الحالة منكم تعتقدون الأيمان المؤكدة وتنتظرون فيها الفرص، فإذا كان العاقد لها ضعيفا غير قادر على الآخر أتمها لا لتعظيم العقد واليمين بل الرأي، فذلك من نقض ما عاهد عليه فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة. وقوله: تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة غزلا قويا فإذا استحکم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته أنكاثا فنبعت على الغزل ثم على النقض، ولم تستدس سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص ولا تكونوا في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدله على سفه متعاطيها، وذلك كالتى تغزل

يعطي الهداية من يستحقها فضلا، ويمنعها من لا يستحقها عدلا. ولتسألن عما كنتم تعملون من خير وشر فيجازيكم عليها أتم الجزاء وأعدله. 93 لو شاء الله لجمع الناس على الهدى وجعلهم أمة واحدة ولكنه تعالى المنفرد بالهداية والإضلال، وهديته وإضلاله من أفعاله التابعة لعلمه وحكمته، أي:

وتذوقوا السوء أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم بما صدقتم عن سبيل الله حيث ضلتم وأضلتم غيركم ولكم عذاب عظيم مضاعف. 94 وعهودكم وموائيقكم تبعا لأهوائكم متى شئتم وفيتهم بها، ومتى شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك تزل أقدامكم بعد ثبوتها على الصراط المستقيم، أي: ولا تتخذوا أيمانكم

إنما عند الله من الثواب العاجل والآجل لمن آثر رضاه، وأوفى بما عاهد عليه الله هو خير لكم من حطام الدنيا الزائلة إن كنتم تعلمون 95 يحذر تعالى عبادته من نقض العهود والأيمان لأجل متاع الدنيا وحطامها فقال: ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا تناولونه بالنقض وعدم الوفاء المضرة يدينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا 96 لا ينفع في الدين والدنيا، والرغبة والسعي في كل ما ينفع ولنجزين الذين صبروا على طاعة الله، وعن معصيته، وفطموا نفوسهم عن الشهوات الدنيوية زهدا صحيحا حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما والتفاوت ما يدعوه إلى إثارة أعلى الأمور وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر ونحوها، بل لا يكون العبد زاهدا عما أوجب الله عليه وتقديمه على حق الله فإن هذا الزهد واجب. ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد من الفرق وما عند الله خير للأبرار وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا. خصوصا الزهد المتعين وهو الزهد فيما يكون ضررا على العبد ويوجب له الاشتغال ببقائه لا يفنى ولا يزول، فليس بعاقل من آثر الفاني الخسيس على الباقي النفيس وهذا كقوله تعالى: بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى فأثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الذي عندكم ولو كثر جدا لا بد أن ينفد ويفنى، وما عند الله باق

بأحسن ما كانوا يعملون من أصناف اللذات مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فيؤتية الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. 97 بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب. ولنجزينهم في الآخرة أجرهم مقتض لها، فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة وذلك من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان، والإيمان بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهدا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة مجتهدا، على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل. 98 ومعانيها. فالطريق إلى السلامة من شره الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم متدبرا لمعناها، معتمدا الكتب وأجلها وفيه صلاح القلوب والعلوم الكثيرة فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها أي: فإذا أردت القراءة لكتاب الله الذي هو أشرف

تسلط على الذين آمنوا وعلى ربهم وحده لا شريك له يتوكلون فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يبق له عليهم سبيل. 99 فإن الشيطان ليس له سلطان أي:

سورة 17

- من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه وأن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه وأصفيائه. 1
- لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه. وقوله: الذي باركنا حوله أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم. ومن برسته تفضيله على غيره بالأجر والثواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل. وذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن ومقام التحدي بصفة العبودية العلى ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم وفرض عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمسا بالفعل، وخمسين صلى الله عليه وسلم في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى وأنه أسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معا وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى ومنقبة عظيمة. وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح أنه أسري به من بيت أم هانئ، فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام لسائر الحرم، فكله تضاعف وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره ليسرى في جميع أموره وخوله نعمًا فاق بها الأولين والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل الفاضلة وهو محل الأنبياء. فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الذي هو أجل المساجد على الإطلاق إلى المسجد الأقصى الذي هو من المساجد ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الجسيمة التي من جعلتها أن أسرى
- أليما فالقرآن مشتمل على البشارة والندارة وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة وهو الإيمان والعمل الصالح والتي تستحق بها الندارة وهو ضد ذلك. 10
- وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا
- إذا لأمسكتم خشية الإنفاق أي: خشية أن ينفد ما تنفقون منه، مع أنه من المحال أن تنفذ خزائن الله، ولكن الإنسان مطبوع على الشح والبخل. 100
- قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفذ ولا تبديد.
- وفلق البحر. فإن شككت في شيء من ذلك فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون مع هذه الآيات إنني لأظنك يا موسى مسحورا 101
- وقومه، وأتيناها تسع آيات بينات كل واحدة منها تكفي لمن قصده اتباع الحق، كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والرجز، أي: لست أيها الرسول المؤيد بالآيات، أول رسول كذبه الناس، فلقد أرسلنا قبلك موسى ابن عمران الكليم، إلى فرعون
- وإنما قلت ذلك ترويجا على قومك، واستخفافا لهم. وإنني لأظنك يا فرعون مثيرا أي: ممقوتا، ملقى في العذاب، لك الويل والذم واللعنة. 102
- ف قال له موسى لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب السماوات والأرض بصائر منه لعباده، فليس قولك هذا بالحقيقة، فأراد فرعون أن يستفزهم من الأرض أن: يجليهم ويخرجهم منها. فأغرقناه ومن معه جميعا وأورثنا بني إسرائيل أرضهم وديارهم. 103
- ولهذا قال: وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا أي: جميعا ليجازي كل عامل بعمله. 104
- أرسلناك إلا مبشرا من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل ونذيرا لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر. 105
- أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، وبالحق نزل أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم وما على مكث أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه. ونزلناه تنزيلا أي: شيئا فشيئا، مفرقا في ثلاث وعشرين سنة. 106
- أي: وأنزلنا هذا القرآن مفرقا، فارقا بين الهدى والضلال، والحق والباطل. لتقرأه على الناس
- عليكم، فإن لله عبادا غيركم، وهم الذين آتاهم الله العلم النافع: إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له. 107
- فيه ولا ريب، بوجه من الوجوه ف: قل لمن كذب به وأعرض عنه: آمنوا به أو لا تؤمنوا فليس لله حاجة فيكم، ولستم بضاربه شيئا، وإنما ضرر ذلك ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فإذا تبين أنه الحق، الذي لا شك
- سبحان ربنا عما لا يليق بجلاله، مما نسبته إليه المشركون. إن كان وعد ربنا بالبعث والجزاء بالأعمال لمفعولا لا خلف فيه ولا شك. 108
- ويقولون
- وهؤلاء كالذين من الله عليهم من مؤمني أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وغيره، ممن آمن في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك. 109
- ويخرون للأذقان أي: على وجوههم يبكون ويزيدهم القرآن خشوعا
- في الخير، ولكن الله بلطفه يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر. ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم 11
- وهذا من جهل الإنسان وعجلته حيث يدعو على نفسه وأولاده وماله بالشر عند الغضب ويبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء
- وأما المخافتة، فإنه لا يحصل المقصود لمن أراد استماعه مع الإخفاء وابتغ بين ذلك أي: بين الجهر والإخفات سبيلا أي: تتوسط فيما بينهما. 110

تفسير السعدي

تجهر بصلاتك أي: قراءتك ولا تخافت بها فإن في كل من الأمرين محذورا. أما الجهر، فإن المشركين المكذابين به إذا سمعوه سبوه، وسبوا من جاء به. له اسم غير حسن، أي: حتى ينهى عن دعائه به، أي: اسم دعوتهم به، حصل به المقصود، والذي ينبغي أن يدعى في كل مطلوب، مما يناسب ذلك الاسم. ولا بقول تعالى لعباده: ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي: أيهما شئتم. أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى أي: ليس

ناصر بن عبد الله بن سعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين وصلى الله على محمد وسلم تسليما وذلك في 7 جمادى الأولى سنة 1344. 111 وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له. تم تفسير سورة الإسراء ولله الحمد والمنة والثناء الحسن على يد جامع عبد الرحمن بن يخرجه من الظلمات إلى النور وكبره تكبيرا أي: عظمه وأجله بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيد أفعاله المقدسة، الغني الحميد، الذي لا يحتاج إلى أحد من المخلوقات، في الأرض ولا في السماوات، ولكنه يتخذ أولياء إحسانا منه إليهم ورحمة بهم الله ولي الذين آمنوا فالعالم العلوي والسفلي، كلهم مملوكون لله، ليس لأحد من الملك شيء. ولم يكن له ولي من الدنيا أي: لا يتولى أحد من خلقه ليتعزز به ويعاونه، فإنه الكمال والثناء والحمد والمجد من جميع الوجوه، المنزه عن كل آفة ونقص. الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك بل الملك كله لله الواحد القهار، وقل الحمد لله له

وكل شيء فصلناه تفصيلا أي: بينا الآيات وصرفناه لتتميز الأشياء ويستبين الحق من الباطل كما قال تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء 12 وصنائعكم وتجاراتكم وأسفاركم. ولتعلموا بتوالي الليل والنهار واختلاف القمر عدد السنين والحساب فتبنون عليها ما تشاءون من مصالحكم. العبادة إلا له. فمحمونا آية الليل أي: جعلناه مظلمة للسكون فيه والراحة، وجعلنا آية النهار مبصرة أي: مضيئة لتبتغوا فضلا من ربكم في معاشكم يقول تعالى: وجعلنا الليل والنهار آيتين أي: دالتين على كمال قدرة الله وسعة رحمته وأنه الذي لا تنبغي فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله. ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا فيه ما عمله من الخير والشر حاضرا صغيره وكبيره 13 وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازما له لا يتعداه إلى غيره، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب. 14 ويقال له:

تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه. واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولا لأنه منزه عن الظلم. 15 عنه مثقال ذرة من الشر، والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة. وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله أي: هداية كل أحد وضلاله لنفسه لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يدفع

ويستأصلها بالعذاب أمر مترفيها أمرا قدريا ففسقوا فيها واشتد طغيانهم، فحق عليها القول أي: كلمة العذاب التي لا مرد لها فدمرناها تدميرا 16 يخبر تعالى أنه إذا أراد أن يهلك قرية من القرى الظالمة

كثر بغيتهم واشتد كفرهم أنزل الله بهم عقابه العظيم. وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا فلا يخافوا منه ظلما وأنه يعاقبهم على ما عملوه. 17 وهؤلاء أمة كثيرة أباهم الله بالعذاب من بعد قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن عاقبهم الله لما

يباشر عذابها مذموما مدحورا أي: في حالة الخزي والفضيحة والذم من الله ومن خلقه، والبعد عن رحمة الله فيجمع له بين العذاب والفضيحة. 18 من حطامها ومتاعها ما يشاؤه ويريده مما كتب الله له في اللوح المحفوظ ولكنه متاع غير نافع ولا دائم له. ثم يجعل له في الآخرة جهنم يصلها أي: يخبر تعالى أن من كان يريد الدنيا العاجلة المنقضية الزائلة فعمل لها وسعى، ونسي المبتدأ أو المنتهى أن الله يعجل له

وهو مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. فأولئك كان سعيهم مشكورا أي: مقبولا منى مدخرا لهم أجرهم وثوابهم عند ربهم. 19 ومن أراد الآخرة فرضيها وآثرها على الدنيا وسعى لها سعيها الذي دعت إليه الكتب السماوية والآثار النبوية فعمل بذلك على قدر إمكانه

وحده وينيبوا إليه ويتخذوه وحده وكيلا ومدبرا لهم في أمر دينهم ودنياهم ولا يتعلقوا بغيره من المخلوقين الذين لا يملكون شيئا ولا ينفعونهم بشيء. 20 هدى لبني إسرائيل يهتدون به في ظلمات الجهل إلى العلم بالحق. ألا تتخذوا من دوني وكيلا أي: وقلنا لهم ذلك وأنزلنا إليهم الكتاب لذلك ليعبدوا الله أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين، ولهذا قال هنا: وآتيناه موسى الكتاب الذي هو التوراة وجعلناه كثيرا ما يقرن الباري بين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة موسى صلى الله عليه وسلم وبين كتابيهما وشريعتيهما لأن كتابيهما

من الدنيا فكلا يمدد الله منها لأنه عطاؤه وإحسانه. وما كان عطاء ربك محظورا أي: ممنوعا من أحد بل جميع الخلق راتعون بفضلته وإحسانه. 20 ومع هذا فلا يفوتهم نصيبهم

ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده. 21 تفضيلا فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه. فكم بين من هو في الغرف العاليات والذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح الأرزاق وقتلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها. وللآخرة أكبر درجات وأكبر

انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا بسعة

إلا بإذن الله، كما أن من جعل مع الله إلها آخر له الذم والخذلان، فمن وحده وأخلص دينه لله وتعلق به دون غيره فإنه محمود معان في جميع أحواله. 22
نعتا. وله من الخذلان في أمر دينه ودنياه بحسب ما تركه من التعلق بربه، فمن تعلق بغيره فهو مخذول قد وكل إلى من تعلق به ولا أحد من الخلق ينفع أحدا
ورسله قد نهوا عن الشرك وذموا من عمله أشد الذم ورتبوا عليه من الأسماء المذمومة، والأوصاف المقبوحة ما كان به متعاطيه، أشنع الخلق وصفا وأقبحهم
أي: لا تعتقد أن أحدا من المخلوقين يستحق شيئا من العبادة ولا تشرك بالله أحدا منهم فإن ذلك داع للذم والخذلان، فالله وملائكته

قولا كريما بلفظ يحبانه وتآدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد والأزمان. 23
تقل لهما أف وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية. ولا تنهرهما أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا، وقل لهما
البر. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما أي: إذا وصلا إلى هذا السن الذي تضعف فيه قواهما ويحتاجان من اللطف والإحسان ما هو معروف. فلا
أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلاني لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب
الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور فهو المتفرد بذلك كله وغيره ليس له من ذلك شيء. ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال: وبالوالدين إحسانا
الأحد الفرد الصمد الذي له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعظمها على وجه لا يشبهه أحد من خلقه، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة الدافع لجميع النقم
بالتوحيد فقال: وقضى ربك قضاء دينيا وأمر أمرا شرعيا أن لا تعبدوا أحدا من أهل الأرض والسموات والأموال. إلا إياه لأنه الواحد
لما نهى تعالى عن الشرك به أمر

من هذا أنه كلما ازدادت التربية ازداد الحق، وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه تربية صالحة غير الأبوين فإن له على من رباه حق التربية. 24
لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد. وقل رب ارحمهما أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتا، جزاء على تربيتكما إياك صغيرا. وفهم
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة أي: تواضع لهما ذلا لهما ورحمة واحتسابا للأجر لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء
ومحبة ما يقرب إليه فإنه وإن جرى منه في بعض الأوقات ما هو مقتضى الطباع البشرية فإن الله يعفو عنه ويغفر له الأمور العارضة غير المستقرة. 25
مستقرة لغير الله. فإنه كان للأوابين أي: الرجاعين إليه في جميع الأوقات غفورا فمن اطاع الله على قلبه وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه ومحبته
وما فيها من الخير والشر. إن تكونوا صالحين بأن تكون إرادتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله ورغبتكم فيما يقربكم إليه وليس في قلوبكم إرادات
أي: ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم من خير وشر وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم
وهو الغريب المنقطع به عن بلده، فيعطي الجميع من المال على وجه لا يضر المعطي ولا يكون زائدا على المقدار اللائق فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه 26
وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال والأقارب والحاجة وعدمها والأزمنة. والمسكين آتة حقه من الزكاة ومن غيرها لتزول مسكنته وابن السبيل
يقول تعالى: وآت ذا القربى حقه من البر والإكرام الواجب والمسنون

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزيهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 27
للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن
بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي
الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم
إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت
فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم
أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى،
إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما
ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة
لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأفسطها
تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزيهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 28
للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن
بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي
الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم
إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت
فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم

تفسير السعدي

أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزيهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 29 للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن اللهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

الله واتصافه بذلك والحث لذريته أن يقتدوا به في شكره ويتابعوه عليه، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم إذ أبقاهم واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم. 3 ذرية من حملنا مع نوح أي: يا ذرية من مننا عليهم وحملناهم مع نوح، إنه كان عبدا شكورا ففيه التنويه بالثناء على نوح عليه السلام بقيامه بشكر يشاء من عباده ويقدره ويضيقه على من يشاء حكمة منه، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيجزيهم على ما يعلمه صالحا لهم ويدبرهم بلطفه وكرمه. 30 للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له بسبب رجائه ثم أخبر تعالى أنه يبسط الرزق لمن بانتظار الرحمة والرزق منه لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن اللهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي الحاضر لينقلبوا عنك مطمئنة خواطرهم كما قال تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى وهذا أيضا من لطف الله تعالى بالعباد أمرهم إلى وقت آخر ترجو فيه من الله تيسير الأمر. فقل لهم قولا ميسورا أي: لطيفا برفق ووعد بالجميل عند سنوح الفرصة واعتذار بعدم الإمكان في الوقت فأما مع العدم أو تعسر النفقة الحاضرة فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال: وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها أي: تعرض عن إعطائهم أي: تلام على ما فعلت محسورا أي: حاسر اليد فارغها فلا بقي ما في يدك من المال ولا خلفه مدح وثناء. وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى مع القدرة والغنى، إلى عنقك كناية عن شدة الإمساك والبخل. ولا تبسطها كل البسط فتتفق فيما لا ينبغي، أو زيادة على ما ينبغي. فتتعد إن فعلت ذلك ملوما ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال هنا: ولا تجعل يدك مغلولة لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها تفسير الآيات من 27 إلى 30 :- إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين لأن الشيطان

كان خطأ كبيرا أي: من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب والعقوب العظيم والتجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يجر منهم ذنب ولا معصية. 31 وهذا من رحمته بعباده حيث كان أرحم بهم من والديهم، فهي الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. وأخبر أن قتلهم أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفساد. وقوله: وساء سييلا أي: بسئ السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم. 32 ووصف الله الزنى وقبحه بأنه كان فاحشة أي: إنما يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه. والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك

دليل إلى أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه وإن عفا سقط القصاص. وأن ولي المقتول يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله. 33 فلا يسرف الولي في القتل إنه كان منصورا والإسراف مجاوزة الحد إما أن يمثل بالقاتل أو يقتله بغير ما قتل به أو يقتل غير القاتل. وفي هذه الآية أي: حجة ظاهرة على القصاص من القاتل، وجعلنا له أيضا تسلطا قدريا على ذلك، وذلك حين تجتمع الشروط الموجبة للقصاص كالعدم العدوان والمكافأة. للجماعة والباغي في حال بغيه إذا لم يندفع إلا بالقتل. ومن قتل مظلوما أي: بغير حق فقد جعلنا لوليه وهو أقرب عصباته وورثته إليه سلطنا نفس حرم الله قتلها من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد ومسلم وكافر له عهد. إلا بالحق كالتفلس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق

عاهدتم الخلق عليه. إن العهد كان مسئولاً أي: مسئولين عن الوفاء به وعدمه، فإن وفيتم فلكم الثواب الجزيل وإن لم تفوا فعليكم الإثم العظيم. 34 عنه الولاية وصار ولي نفسه ودفع إليه ماله. كما قال تعالى: فإن أنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وأوفوا بالعهد الذي عاهدتم الله عليه والذي من التجارة فيه وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك ممتد إلى أن يبلغ اليتيم أشده أي: بلوغه وعقله ورشده، فإذا بلغ أشده زالت باليتيم الذي فقد والده وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وأن لا يقربوه إلا بالتي هي أحسن وهذا من لطفه ورحمته تعالى

عليه والأمر بالنصح والصدق في المعاملة. ذلك خير من عدمه وأحسن تأويلاً أي: أحسن عاقبة به يسلم العبد من التبعات وبه تنزل البركة. 35 وهذا أمر بالعدل وإيفاء المكاييل والموازين بالقسط من غير بخس ولا نقص. ويؤخذ من عموم المعنى النهي عن كل غش في ثمن أو مثن أو معقود به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى. 36 تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً فحقيق بالعبد الذي يعرف أنه مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا

في تكبرك بل تكون حقيراً عند الله ومحتقراً عند الخلق مبغوضاً ممقوتاً قد اكتسبت أشر الأخلاق واكتسبت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم. 37 ولا تمش في الأرض مرحاً أي: كبراً وتبها وبطراً متكبراً على الحق ومتعاضماً على الخلق. إنك في فعلك ذلك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً يقول تعالى:

آخر والنهي عن عقوق الوالدين وما عطف على ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً أي: كل ذلك يسوء العاملين ويضرهم والله تعالى يكرهه ويأباه. 38 كل ذلك المذكور الذي نهى الله عنه فيما تقدم من قوله: ولا تجعل مع الله إلهاً فإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ملوماً مدحوراً أي: قد لحقتك اللائمة واللعنة والذم من الله وملانكته والناس أجمعين. 39 من أوتيتها فقد أوتي خيراً كثيراً. ثم ختمها بالنهي عن عبادة غير الله كما افتتنها بذلك فقال: ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم أي: خالداً مخلداً الأعمال المذكورة في هذه الآيات من الحكمة العالية التي أوحاها رب العالمين لسيد المرسلين في أشرف الكتب ليأمر بها أفضل الأمم فهي من الحكمة التي هذه الأحكام الجليلة، مما أوحى إليك ربك من الحكمة فإن الحكمة الأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والنهي عن أرذل الأخلاق وأسوأ الأعمال. وهذه ذلك الذي بيناه ووضحناه من

الله والعلو في الأرض والتكبر فيها وأنه إذا وقع واحدة منهما سلط الله عليهم الأعداء وانتقم منهم وهذا تحذير لهم وإنذار لعلمهم يرجعون فيذكرون. 4 وقضينا إلى بني إسرائيل أي: تقدمنا وعهدنا إليهم وأخبرناهم في كتابهم أنهم لا بد أن يقع منهم إفساد في الأرض مرتين بعمل المعاصي والبطر لنعم واستغناء بعض المخلوقات عنه وحكمتم له بأردأ القسمين، وهن الإناث وهو الذي خلقكم واصطفاكم بالذكر فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. 40 لنفسه من الملائكة إننا حيث زعموا أن الملائكة بنات الله. إنكم لتقولون قولاً عظيماً فيه أعظم الجراءة على الله حيث نسبتهم له الولد المتضمن لحاجته وهذا إنكار شديد على من زعم أن الله اتخذ من خلقه بنات فقال: أفأصفاكم ربكم بالبنين أي: اختار لكم الصفوة والقسم الكامل واتخذ هو أصل الأصول، فأمر به ونهى عن ضده وأقام عليه من الحجج العقلية والنقلية شيئاً كثيراً بحيث من أصغى إلى بعضها لا تدع في قلبه شكاً ولا ريباً. 41 ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل حتى تعصبوا لباطلهم ولم يعيروا آيات الله لهم سمعاً ولا أقوالاً لها بالاً. ومن أعظم ما صرف فيه الآيات والأدلة التوحيد الذي والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلوكه وما يضرهم فيدعوه. ولكن أبى أكثر الناس إلا نفورا عن آيات الله لبغضهم للحق يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي: نوع الأحكام ووضحها وأكثر من الأدلة

اتخذوها وهي بهذه الحال؟ فيكون هذا كقوله تعالى: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض 42 أن يعملوا عليه فيكون من علا وقهر هو الرب الإله، فأما وقد علموا أنهم يقولون أن آلهتهم التي يعبدون من دون الله مقهورة مغلوبة ليس لها من الأمر شيء فلم ويحتمل أن المعنى في قوله: قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي: لطلبوا السبيل وسعوا في مغالبة الله تعالى، فإما ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبكان ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أظلم الظلم وأسفه السفه؟. فعلى هذا المعنى تكون هذه الآية كقوله تعالى: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وكقوله تعالى: لاتخذوا سبيلاً إلى الله لعبادته والإنابة إليه والتقرب وابتغاء الوسيلة، فكيف يجعل العبد الفقير الذي يرى شدة افتقاره لعبودية ربه إلهاً مع الله؟! هل هذا إلا من قل للمشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر: لو كان معه آلهة كما يقولون أي: على موجب زعمهم وافترائهم إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً أي:

وجوهه فقر من جهة الخلق والرزق والتدبير، وفقر من جهة الاضطرار إلى أن يكون معبودهم ومحبوبهم الذي إليه يتقربون وإليه في كل حال يفزعون 43

تفسير السعدي

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وافتقر إليه العالم العلوي والسفلي فقرا ذاتيا لا ينفك عن أحد منهم في وقت من الأوقات. هذا الفقر بجميع وظلم ظلما كبيرا. لقد تضاءلت لعظمته المخلوقات العظيمة وصغرت لدى كبرائه السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن والأرض جميعا يقولون من الشرك به واتخاذ الأنداد معه علوا كبيرا فعلا قدره وعظم وجلت كبريأؤه التي لا تقادر أن يكون معه آلهة فقد ضل من قال ذلك ضلالا مبينا سبحانه وتعالى أي: تقدر وتزده وعلت أوصافه عما

من هذا الذنب العظيم ليعطيهم الثواب الجزيل ويغفر لهم ذنبهم، فلولا حلمه ومغفرته لسقطت السماوات على الأرض ولما ترك على ظهرها من دابة. 44 لم يعاجل بالعقوبة من قال فيه قولا تكاد السماوات والأرض تنفطر منه وتخر له الجبال ولكنه أمهلهم وأنعم عليهم وعافاهم ورزقهم ودعاهم إلى بابه ليتوبوا ولسان المقال. ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب. إنه كان حليما غفورا حيث السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحى وميت إلا يسبح بحمده بلسان الحال تسبح له

جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يستترهم عن فهمه حقيقة وعن التحقق بحقائقه والانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير. 45 بالحق الذين ردوه وأعرضوا عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان فقال: وإذا قرأت القرآن الذي فيه الوعظ والتذكير والهدى والإيمان والخير والعلم الكثير. يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين

لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون 46 وقرا أي: صمما عن سماعه، وإذا ذكرت ربك في القرآن داعيا لتوحيد ناهيا عن الشرك به. ولوا على أدبارهم نفورا من شدة بغضهم له ومحبتهم وجعلنا على قلوبهم أكنة أي: أغشية وأغشية لا يفقهون معها القرآن بل يسمعون سماعا تقوم به عليهم الحجة، وفي آذانهم

فإذا كانت هذه مناجاتهم الظالمة فيما بينهم وقد بنوها على أنه مسحور فهم جازمون أنهم غير معتبرين لما قال، وأنه يهذي لا يدري ما يقول. 47 لم يفده الاستماع شيئا ولهذا قال: إذ يستمعون إليك وإنهم نجوى أي: متناجين إذ يقول الظالمون في مناجاتهم: إن تتبعون إلا رجلا مسحورا سيئة يريدون أن يعثروا على أقل شيء ليقذروا به، وليس استماعهم لأجل الاسترشاد وقبول الحق وإنما هم متعمدون على عدم اتباعه، ومن كان بهذه الحالة نحن أعلم بما يستمعون به أي: إنما منعناهم من الانتفاع عند سماع القرآن لأننا نعلم أن مقاصدهم

لأنهم بنوا عليها أمرهم والمبني على فاسد أفسد منه. فلا يستطيعون سبيلا أي: لا يهتدون أي اهتداء فنصيبهم الضلال المحض والظلم الصرف. 48 قال تعالى: انظر متعجبا كيف ضربوا لك الأمثال التي هي أضل الأمثال وأبعدها عن الصواب فضلوا في ذلك أو فصارت سببا لضلالهم وأعلاها ليرى عباد أنه ما ثم إلا توفيقه وإعانتة أو الهلاك والضلال. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب 49 عليه جعلوا قدرة الله كذلك. فسبحان من جعل خلقا من خلقه يزعمون أنهم أولو العقول والألباب مثالا في جهل أظهر الأشياء وأجلاها وأوضحها براهين أشد الجهل حيث كذبوا رسل الله ووجدوا آيات الله وقاسوا قدرة خالق السماوات والأرض بقدرتهم الضعيفة العاجزة. فلما رأوا أن هذا ممتنع عليهم لا يقدرون وتكذيبهم به واستبعادهم بقولهم: أنذا كنا عظاما ورفاتا أي: أجسادا بالية أننا لمبعوثون خلقا جديدا أي: لا يكون ذلك وهو محال بزعمهم، فجعلوا يخبر تعالى عن قول المنكرين للبعث

قوم كفار. إما من أهل العراق أو الجزيرة أو غيرها سلطهم الله على بني إسرائيل لما كثرت فيهم المعاصي وتركوا كثيرا من شريعتهم وطغوا في الأرض. 50 المسجد الحرام وأفسدوه. وكان وعدا مفعولا لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم. واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسطين إلا أنهم اتفقوا على أنهم لنا أولي بأس شديد أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم، وجاسوا خلال دياركم فهتكوا الدور ودخلوا وعد أولاهما أي: أولى المرتين اللتين يفسدون فيهما. أي: إذا وقع منهم ذلك الفساد بعثنا عليكم بعثا قدريا وسلطنا عليكم تسليطا كونيا جزائيا عبادا فإذا جاء

قل عسى أن يكون قريبا فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب. 50 أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت، ويقولون متى هو أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز. قل الذي فطركم أول مرة فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا كما بدأنا أول خلق نعيده فسيعضون إليك رءوسهم وبعد الممات. فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط. فسيفولون حين تقيم عليهم الحجة في البعث: من يعيدنا أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزى الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وسلم أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا: قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر أي: يعظم في صدوركم لتسلموا بذلك على زعمكم من تفسير الآيتين 50 و51: ولها أمر رسوله صلى الله عليه

قل عسى أن يكون قريبا فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب. 51 أي: يهزونها إنكارا وتعجبا مما قلت، ويقولون متى هو أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقرار منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز.

تفسير السعدي

قل الذي فطركم أول مرة فكما فطركم ولم تكونوا شيئا مذكورا فإنه سيعيدكم خلقا جديدا كما بدأنا أول خلق نعيده فسينغضون إليك رؤوسهم وبعد الممات. فدعوا التدبير والتصريف لمن هو على كل شيء قدير وبكل شيء محيط. فسيقولون حين تقيم عليهم الحجة في البعث: من يعيدنا أن تنالكم قدرة الله أو تنفذ فيكم مشيئته، فإنكم غير معجزتي الله في أي حالة تكونون وعلى أي وصف تتحولون، وليس لكم في أنفسكم تدبير في حالة الحياة وسلم أن يقول لهؤلاء المنكرين للبعث استبعادا: قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر أي: يعظم في صدوركم لتسلموا بذلك على زعمكم من تفسير الآيتين 50 و51: بول هذا أمر رسوله صلى الله عليه

عليكم من النعيم كأنه ما كان. فهذا الذي يقول عنه المنكرون: متى هو ؟ يندمون غاية الندم عند وروده ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تكذبون 52 وقوله: بحمده أي: هو المحمود تعالى على فعله ويجزي به العباد إذا جمعهم ليوم التناد. وتظنون إن لبثتم إلا قليلا من سرعة وقوعه وأن الذي مر يوم يدعوكم للبعث والنشور وينفخ في الصور فتستجيبون بحمده أي: تنقادون لأمره ولا تستعصون عليه.

السعي في ضد عدوهم وأن يقيموا أنفسهم الأمانة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها فبذلك يطيعون ربهم ويستقيم أمرهم ويهدون لرشددهم. 53 لهم أن يحاربوه فإنه يدعوه ليعيدوا من أصحاب السعير وأما إخوانهم فإنهم وإن نزع الشيطان فيما بينهم وسعى في العداوة فإن الحزم كل الحزم فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها، وأن يلينوا فيما بينهم لينقمع الشيطان الذي ينزع بينهم فإنه عدوهم الحقيقي الذي ينبغي لكل خلق جميل وعمل صالح فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره. وقوله: إن الشيطان ينزع بينهم أي: يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم. لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، وأنه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فإنه يأمر بإيثار أحسنهما إن لم يمكن الجمع بينهما. والقول الحسن داع والآخرة فقال: وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة وذكر وعلم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكلام حسن وهذا من لطفه بعباده حيث أمرهم بأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال الموجبة للسعادة في الدنيا

فيضل عنها فيستحق العذاب. وما أرسلناك عليهم وكبلا تدبر أمرهم وتقوم بمجازاتهم وإنما الله هو الوكيل وأنت مبلغ هاد إلى صراط مستقيم. 54 يأمركم إلا بما فيه مصلحة لكم وقد تريدون شيئا والخير في عكسه. إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم فيوفق من شاء لأسباب الرحمة ويخذل من شاء ربكم أعلم بكم من أنفسكم فلذلك لا يريد لكم إلا ما هو الخير ولا

تعالى قد فضل بعضهم على بعض وآتى بعضهم كتابا فلم ينكر المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم ما أنزله الله عليه وما فضله به من النبوة والكتاب. 55 الصالحة وكثرة الأتباع ونزول الكتب على بعضهم المشتملة على الأحكام الشرعية والعقائد المرضية، كما أنزل على داود زبوراً وهو الكتاب المعروف. فإذا كان كما فضل بعض النبيين المشتركين بوحيه على بعض الفضائل والخصائص الراجعة إلى ما من به عليهم من الأوصاف الممدوحة والأخلاق المرضية والأعمال السماوات والأرض من جميع أصناف الخلائق فيعطي كلا منهم ما يستحقه تقتضيه حكمته ويفضل بعضهم على بعض في جميع الخصال الحسية والمعنوية وربك أعلم بمن في

الأحد الكامل المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة هو السفة والأمر المتعجب منه كما قال المشركون: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب 56 ومن العجب أن السفة عند الاعتقاد والممارسة وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول يراه صاحبه هو الرأي: السديد والعقل المفيد. ويرى إخلاص الدين لله الواحد ما دونها. فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم ولا فعال نافعة، فاتخاذهم آلهة نقص في الدين والعقل وسفه في الرأي. لا يملكون كشف الضر عنكم من مرض أو فقر أو شدة ونحو ذلك فلا يدفعونه بالكلية، ولا يملكون أيضا تحويله من شخص إلى آخر من شدة إلى ملزما لهم بتصحيح ما زعموه واعتقدوه إن كانوا صادقين: ادعوا الذين زعمتم آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر، فإنهم يقول تعالى: قل للمشركين بالله الذين اتخذوا من دونه أندادا يعبدونهم كما يعبدون الله ويدعونهم كما يدعون الله

الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقذور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب. 57 فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه. وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب. إن عذاب ربك كان محذورا أي: هو الذي ينبغي الذين يدعون من الأنبياء والصالحين والملائكة يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من ثم أخبر أيضا أن الذين يعبدونهم من دون الله في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله وابتغاء الوسيلة إليه فقال: أولئك

كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه، لا بد من وقوعه، فليبادر المكذبون بالإجابة إلى الله وتصديق رسله قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب، ويحق عليهم القول. 58 أي: ما من قرية من القرى المكذبة للرسول إلا لا بد أن يصيبهم هلاك قبل يوم القيامة أو عذاب شديد

تخويفا أي: لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان الذي لا يحصل إلا بها، بل المقصود منها التخويف والترهيب ليرتدعوا عن ما هم عليه. 59 به الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها فلا بد أن يسلكوا بها ما سلكوا بغيرها فترك إنزالها والحالة هذه خير لهم وأنفع. وقوله: وما نرسل بالآيات إلا الكبار لم يؤمنوا، فإنه ما منعهم من الإيمان خفاء ما جاء به الرسول واشتباهاه هل هو حق أو باطل؟ فإنه قد جاء من البراهين الكثيرة ما دل على صحة ما جاء

تفسير السعدي

- الناقة العظيمة الباهرة التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها ومع ذلك كذبوا بها فأصابهم ما قص الله علينا في كتابه، وهؤلاء كذلك لو جاءتهم الآيات تكذيبهم لها، فإذا كذبوا بها عاجلهم العقاب وحل بهم من غير تأخير كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها. ومن أعظم الآيات الآية التي أرسلها الله إلى ثمود وهي يذكر تعالى رحمته بعدم إنزاله الآيات التي يقترح بها المكذبون، وأنه ما منعه أن يرسلها إلا خوفاً من
- وأمددناكم بأموال وبنين أي: أكثرنا أرزاقكم وكثرناكم وقويناكم عليهم، وجعلناكم أكثر نفيرا منهم وذلك بسبب إحسانكم وخضوعكم لله. 60
ثم ردنا لكم الكرة عليهم أي: على هؤلاء الذين سلطوا عليكم فأجلبتموهم من دياركم.
- ونخوفهم بالآيات فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا وهذا أبلغ ما يكون في التملي بالشر ومحبة وبغض الخير وعدم الانقياد له. 60
بها قبل وقوعها، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ومانعا يمنع من لم يدخل الإسلام ومنفرا عنه. بل ذكر الله ألفاظا عامة تتناول جميع ما يكون.
- الكتاب والسنة يذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة أولى وأحسن لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ربما لا تقبلها عقولهم لو أخبروا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة؟ أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم؟ فلذلك رحمهم الله وصرفها عنهم، ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في
- إلى المسجد الأقصى كان خارقا للعادة. والإخبار بوجود شجرة تنبت في أصل الجحيم أيضا من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب. فكيف لو شاهدوا الكفار بكفرهم وازداد شرهم وبعض من كان إيمانه ضعيفا رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ومن الإسراء من المسجد الحرام الملعونة التي ذكرت في القرآن وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم. والمعنى إذا كان هذان الأمران قد صارا فتنة للناس حتى استلج كاف لمن له عقل في الانتكاف عما يكرهه الله الذي أحاط بالناس. وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء. والشجرة وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس علما وقدرة فليس لهم ملجأ يلجأون إليه ولا ملاذ يلوذون به عنه، وهذا
- و قال متكبرا: أأسجد لمن خلقت طينا أي: من طين وبزعمه أنه خير منه لأنه خلق من نار. وقد تقدم فساد هذا القياس الباطل من عدة أوجه. 61
ينبه تبارك وتعالى عباده على شدة عداوة الشيطان وحرصه على إضلالهم وأنه لما خلق الله آدم استكبر عن السجود له
- آخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته أي: لأستأصلنهم بالإضلال ولأغوينهم إلا قليلا عرف الخبيث أنه لا بد أن يكون منهم من يعاديه ويعصيه. 62
فلما تبين لإبليس تفضيل الله لآدم قال مخاطبا لله: أرايتك هذا الذي كرمت علي لئن
- فقال الله له: اذهب فمن تبعك منهم واختارك على ربه ووليه الحق، فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا أي: مدخرا لكم موفرا جزاء أعمالكم. 63
الفاصلة ويعدهم عليها الأجر لأنهم يظنون أنهم على الحق، وقال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا 64
الحديث. وعدهم الوعود المزخرفة التي لا حقيقة لها ولهذا قال: وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أي: باطلا مضمحلا كأن يزين لهم المعاصي والعقائد أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان كما ورد فيه وعدم تأديب الأولاد وتربيتهم على الخير وترك الشر وأخذ الأموال بغير حقها أو وضعها بغير حقها أو استعمال المكاسب الردية. بل ذكر كثير من المفسرين معصية الله بأقواله وأفعاله. وشاركهم في الأموال والأولاد وذلك شامل لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم من منع الزكاة والكفارات والحقوق الواجبة، بخيلك ورجلك ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله فهو من خيل الشيطان ورجله. والمقصود أن الله ابتلى العباد بهذا العدو المبين الداعي لهم إلى ثم أمره الله أن يفعل كل ما يقدر عليه من إضلالهم فقال: واستفز من استطعت منهم بصوتك ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية. وأجلب عليهم الله يدفع عنهم بقيامهم بعبوديته كل شر ويحفظهم من الشيطان الرجيم ويقوم بكفائتهم. وكفى بربك وكبلا لمن توكل عليه وأدى ما أمر به. 65
أن يفعل بالعباد وذكر ما يعتصم به من فتنته وهو عبودية الله والقيام بالإيمان والتوكل فقال: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان أي: تسلط وإغواء بل ولما أخبر عما يريد الشيطان
- العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم. 66
يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعها، وسخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره لينتفع تلك الحال. فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة ظن بجعله أنه قد أعجز الله ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلا عن أمور الآخرة. 67
له سائر الأعمال في الشدة والرخاء والبسر والعسر. وأما من خذل ووكل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة وإنجاه في من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص من قبل وأشركوا به من لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكنهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم، إلا تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال. فلما كشف الله عنهم الضر ونجاهم إلى البر ونسوا ما كانوا يدعون إليه الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسموات الذي أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من ومن رحمته الدالة على
- عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب وهو العذاب الذي يحصبهم فيصحبوا هالكين، فلا تظنوا أن الهلاك لا يكون إلا في البحر. 68

تفسير السعدي

- أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا أي: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل
أي: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه. فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي: تبعة ومطالبة فإن الله لم يظلمكم مثقال ذرة. 69
وإن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من أن يعيدكم في البحر تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
مرة، والمراد بالمسجد مسجد بيت المقدس. وليتبروا أي: يخربوا ويدمروا ما علوا عليه تتبيرا فيخربوا بيوتكم ومساجدكم وحروثكم. 7
الآخرة التي تفسدون فيها في الأرض سلطنا عليكم الأعداء. ليسوءوا وجوهكم بانتصارهم عليكم وسبيكم وليدخلوا المسجد الحرام كما دخلوه أول
كما شاهدتم من انتصاركم على أعدائكم. وإن أسأتم فلها أي: فلأنفسكم يعود الضرر كما أراكم الله من تسليط الأعداء. فإذا جاء وعد الآخرة أي: المرة
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم لأن النفع عائد إليكم حتى في الدنيا
المخلوقات. أفلا يقومون بشكر من أولى النعم ودفع النقم ولا تحجبهم النعم عن المنعم فيشتغلوا بها عن عبادة ربهم بل ربما استعانوا بها على معاصيه. 70
الله به ويسره لهم غاية التيسير. وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بما خصهم به من المناقب وفضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع
في البحر في السفن والمراكب ورزقناهم من الطيبات من المأكول والمشروب والملابس والمناجح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم
وجعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. وحملناهم في البر على الركاب من الإبل والبغال والحمر والمراكب البرية. و
وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب،
سيئاته فأولئك يقرءون كتابهم قراءة سرور وبهجة، على ما يرون فيها مما يفرحهم ويسرهم. ولا يظلمون فتبلا مما عملوه من الحسنات. 71
هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين: فمن أوتي كتابه بيمينه لكونه اتبع إمامه، الهادي إلى صراط مستقيم، واهتدى بكتابه، فكثرت حسناته، وقلت
إمامهم وهاديهم إلى الرشd، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل
يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، ومعهم
بأيامانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، لأنهم لا يقدرّون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثورهم. 72
عملت به أم لا؟ وأنهم لا يؤاخذون بشرع نبي لم يؤمروا باتباعه، وأن الله لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها. وأن أهل الخير، يعطون كتبهم
الجنة كما لم يسلكه في الدنيا، وأضل سبيلا فإن الجزاء من جنس العمل، كما تدين تدان. وفي هذه الآية دليل على أن كل أمة تدعى إلى دينها وكتابها، هل
ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن الحق فلم يقبله، ولم ينقله، بل اتبع الضلال. فهو في الآخرة أعمى عن سلوك طريق
إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 73
من أحبائهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، المحبة للقریب والبعيد، والصديق والعدو. ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذك العداوة،
الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك. وإذا لو فعلت ما يهوون لاتخذوك خليلا أي حبيبا صفيّا، أعز عليهم
على فتنته بكل طريق، فقال: وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا أي: قد كادوا لك أمرا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على
يذكر تعالى منته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه له من أعدائه الحريصين
هذا ف لولا أن ثبتناك على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، لقد كدت تترك إلههم شيئا قليلا من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم. 74
و مع
الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تترك إلههم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة. 75
مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة، وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك. ثم لا تجد لك علينا نصيرا ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن
إذا لو ركنك إلههم بما يهوون لأدّناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأصبنك بعذاب
أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم. 76
إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل وحاشاه من ذلك بقوله: إذا لأدّناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وفيها:
عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان. وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثم، ويتضاعف جرمه،
إلههم شيئا قليلا فكيف بغيره؟ وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم
لربه، أن يثبت على الإيمان، ساعيا في كل سبب موصول إلى ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق، قال الله له: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
بـ بدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد. وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقا
ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة. ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا، حتى أوقع الله بهم
أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول
تفسير الآيتين 76 و77 -: وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها أي: من بغضهم لمقامك بين
أن الله إذا أراد إهلاك أمة، تضاعف جرمها، وعظم وكبر، فيحق عليها القول من الله فيوقع بها العقاب، كما هي سنته في الأمم إذا أخرجوا رسولهم. 77

تفسير السعدي

إذا فعل ما يلام عليه، لأن الله ذكر رسوله لو فعل وحاشاه من ذلك بقوله: إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وفيها: عند وجود أسباب الشر بالعصمة منه، والثبات على الإيمان. وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد، وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إليهم شيئا قليلا فكيف بغيره؟ وفيها تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم لربه، أن يثبتته على الإيمان، ساعيا في كل سبب موصل إلى ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق، قال الله له: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن بـ بدر وقتل صناديدهم، وفض بيضتهم، فله الحمد. وفي هذه الآيات، دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقا ولا تبدل في جميع الأمم، كل أمة كذبت رسولها وأخرجته، عاجلها الله بالعقوبة. ولما مكر به الذين كفروا وأخرجوه، لم يلبثوا إلا قليلا، حتى أوقع الله بهم أظهرهم، قد كادوا أن يخرجوك من الأرض، ويجلوك منها. ولو فعلوا ذلك، لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا، حتى تحل بهم العقوبة، كما هي سنة الله التي لا تحول تفسير الآيتين 76 و77 -: وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها أي: من بغضهم لمقامك بين

وقتهما جميعا. وفيه: فضيلة صلاة الفجر، وفضيلة إطالة القراءة فيها، وأن القراءة فيها، ركن لأن العبادة إذا سميت ببعض أجزائها، دل على فرضية ذلك. 78 أن الوقت شرط لصحة الصلاة، وأنه سبب لوجوبها، لأن الله أمر بإقامتها لهذه الأوقات. وأن الظهر والعصر يجمعان، والمغرب والعشاء كذلك، للعدر، لأن الله جمع الله، وملائكة الليل وملائكة النهار. ففي هذه الآية، ذكر الأوقات الخمسة، للصلوات المكتوبات، وأن الصلوات الموقعة فيه فرائض لتخصيصها بالأمم. وفيها: المغرب وصلاة العشاء. وقرآن الفجر أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنا، لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، وفضل القراءة فيها حيث شهدها لدلوك الشمس أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزوال، فيدخل في ذلك صلاة الظهر وصلاة العصر. إلى غسق الليل أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة يأمر تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة تامة، ظاهرا وباطنا، في أوقاتها.

ولد آدم، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيّمه مقاما يغبطه به الأولون والآخرين، وتكون له المنة على جميع الخلق. 79 والآخرين، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد فرض عليك بالخصوص، ولكرامتك على الله، أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك، وليكثر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمد فيه الأولون ورفع الدرجات، بخلاف غيرك، فإنها تكون كفارة لسيئاته. ويحتمل أن يكون المعنى: أن الصلوات الخمس فرض عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة الليل، فإنها ومن الليل فتهدج به أي: صل به في سائر أوقاته. نافلة لك أي: لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو القدر،

على المسلمين والظلمة، عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله، مكن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم. 80 وفي هذه الآيات التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي لنال يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تبدل ولا تغير. ومن نظر إلى تسليط الكفرة الله به منهم، فهذا جزاء الدنيا وما عند الله من النكال أعظم وأشنع، ولهذا قال: وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا يصلونها وبلازمونها لا يخرجون منها أبدا. على المعاصي فقال: وإن عدتم إلى الإفساد في الأرض عدنا إلى عقوبتكم، فعادوا لذلك فسلط الله عليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فانتقم عسى ربكم أن يرحمكم فيديل لكم الكرة عليهم، فرحمهم وجعل لهم الدولة. وتوعدهم

خيرا ومقربة له إلى ربه، وأن يكون له على كل حالة من أحواله دليلا ظاهرا، وذلك متضمن للعلم النافع، والعمل الصالح، للعلم بالمسائل والدلائل. 80 واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا أي: حجة ظاهرة، وبرهانا قاطعا على جميع ما آتبه وما أذره. وهذا أعلى حالة ينزلها الله العبد، أن تكون أحواله كلها رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق أي: اجعل مداخلتي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، وذلك لتضمنها الإخلاص وموافقتها الأمر. وقل

لم يقابله الحق فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقى له حراك. ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته. 81 قد جاء الحق الذي لا يقوم له شيء، وزهق الباطل أي: اضمحل وتلاشى. إن الباطل كان زهوقا أي: هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا وقل جاء الحق وزهق الباطل والحق هو ما أوحاه الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأمره الله أن يقول ويعلن،

وأسقامها. وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل. 82 السينة فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها آياته إلا خسارا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم فالقرآن مشتمل

من هداه الله فإنه عند النعم يخضع لربه، ويشكر نعمته، وعند الضراء يتضرع، ويرجو من الله عافيته، وإزالة ما يقع فيه، وبذلك يخف عليه البلاء. 83 بجانبه عن ربه، فلا يشكره ولا يذكره. وإذا مسه الشر كالمرض ونحوه كان ينوسا من الخير قد قطع ربه رجاءه، وظن أن ما هو فيه دائم أبدا. وأما هذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من هداه الله، فإن الإنسان عند إنعام الله عليه يفرح بالنعم ويبطر بها، ويعرض وينأى ولم يوافقهم إلا ما وافق أغراضهم. فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فيعلم من يصلح للهداية، فيهديه ومن لا يصلح لها فيخذله ولا يهديه. 84

تفسير السعدي

ما يليق به من الأحوال، إن كان من الصفوة الأبرار، لم يشاكلهم إلا عملهم لرب العالمين. ومن كان من غيرهم من المخدولين، لم يناسبهم إلا العمل للمخلوقين، أي: قل كل من الناس يعمل على شاكلته أي: على

هذه الآية دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر، الأولى بالسائل غيره أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه. 85 سؤالهم بقوله: قل الروح من أمر ربي أي: من جملة مخلوقاته، التي أمرها أن تكون فكانت، فليس في السؤال عنها كبير فائدة، مع عدم علمكم بغيرها. وفي عن الروح التي هي من الأمور الخفية، التي لا يتقن وصفها وكيفيتها كل أحد، وهم قاصرون في العلم الذي يحتاج إليه العباد. ولهذا أمر الله رسوله أن يجيب وهذا متضمن لردع من يسأل المسائل، التي لا يقصد بها إلا التعنت والتعجيز، ويدع السؤال عن المهم، فيسألون

فلتغضب به، وتقر به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجل النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم. 86 الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره. فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد رادا يردده، ولا وكيلا يتوجه عند الله فيه. تفسير الآيتين 86 و 87: يخبر تعالى أن القرآن والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباد، وهو أكبر النعم على

فلتغضب به، وتقر به عينك، ولا يحزنك تكذيب المكذبين، واستهزاء الضالين، فإنهم عرضت عليهم أجل النعم، فردوها لهوانهم على الله وخذلانه لهم. 87 الإطلاق على رسوله، فإن فضل الله عليه كبير، لا يقادر قدره. فالذي تفضل به عليك، قادر على أن يذهب به، ثم لا تجد رادا يردده، ولا وكيلا يتوجه عند الله فيه. تفسير الآيتين 86 و 87: يخبر تعالى أن القرآن والوحي الذي أوحاه إلى رسوله، رحمة منه عليه وعلى عباد، وهو أكبر النعم على

وأفعاله تبارك وتعالى. فتبا لمن اشتبه عليه كلام الخالق بكلام المخلوق، وزعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه على الله واختلقه من نفسه. 88 الله. فكما أنه ليس أحد من المخلوقين مماثلا لله في أوصافه فكلامه من أوصافه، التي لا يماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمدده من بعده سبعة أبحر مدادا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفذ كلمات الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسموات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال وتمكن من ذلك لفعله. فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعا وكرها، وعجزوا عن معارضته. وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، عليه. ووقع كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي: وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا وهذا دليل قاطع، وبرهان

إلا كفورا لهذه النعمة التي هي أكبر من جميع النعم، وجعلوا يتعننون عليه باقتراح آيات غير آياته، يخترعونها من تلقاء أنفسهم الظالمة الجاهلة. 89 يضطر إليها العباد، لأجل أن يتذكروا ويتقوا، فلم يتذكر إلا القليل منهم، الذين سبقت لهم من الله سابقة السعادة، وأعانهم الله بتوفيقه، وأما أكثر الناس فأبوا يقول تعالى: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي: نوعا فيه المواعظ والأمثال، وثبينا فيه المعاني التي

أموره. ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات من الواجبات والسنن، أن لهم أجرا كبيرا أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو. 9 وأنه يهدي للتي هي أقوم أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته

الله صلى الله عليه وسلم الذي أتى بهذا القرآن المشتمل على كل برهان وآية: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أي: أنهارا جارية. 90 فيقولون لرسول

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتستغنى بها عن المشي في الأسواق والذهاب والمجيء. 91

تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أي: قطعنا من العذاب، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أي: جميعا، أو مقابلة ومعينة، يشهدون لك بما جنت به. 92 أو

الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا. وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة. 93 أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. هل كنت إلا بشرا رسولا ليس بيده شيء من الأمر. وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزله فقال: قل سبحان ربي عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه و ومع هذا ف ولن نؤمن لرقبك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق تفسير الآيتين 93 و 94: أو يكون لك بيت من زخرف أي: مزخرف بالذهب وغيره أو ترقى في السماء رقيبا حسيا،

الإيمان، حيث كانت الرسل التي ترسل إليهم من جنسهم بشرا. وهذا من رحمته بهم، أن أرسل إليهم بشرا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة. 94 أن تكون أحكامه وآياته تابعة لأهوائهم الفاسدة، وآرائهم الضالة. هل كنت إلا بشرا رسولا ليس بيده شيء من الأمر. وهذا السبب الذي منع أكثر الناس من وسوء الأدب مع الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يأتي بالآيات، أمره الله أن ينزله فقال: قل سبحان ربي عما تقولون علوا كبيرا، وسبحانه

تفسير السعدي

و ومع هذا ف ولن نؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ولما كانت هذه تعنتات وتعجيزات؛ وكلام أسفه الناس وأظلمهم، المتضمنة لرد الحق تفسير الآيتين 93 و 94 :- أو يكون لك بيت من زخرف أي: مزخرف بالذهب وغيره أو ترقى في السماء رقيا حسيا، كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم؛ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ليمكنهم التلقي عنه. 95 فلو على من عاداه وناوأه. فلو تقول عليه بعض الأقاويل، لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين، فإنه خبير بصير، لا تخفى عليه من أحوال العباد خافية. 96 قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فمن شهادته لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزل عليه من الآيات، ونصره عذابها، ولم يظلمهم الله تعالى، بل جازاهم بما كفروا بآياته وأنكروا البعث الذي أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وعجزوا ربهم وأنكروا تمام قدرته 97 هم وغم وعذاب. كلما خبت أي: تهيات للانطفاء زدناهم سعيرا أي: سحرناهم بهم لا يفتر عنهم العذاب، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من ينصره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزيا عميا وبكما، لا يبصرون ولا ينطقون. مأواهم أي: مقرهم ودارهم جهنم التي جمعت كل فمن يهده، فييسره لليسرى ويجنبه العسرى، فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله، فيخذله، ويكله إلى نفسه، فلا هادي له من دون الله، وليس له ولي يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وقالوا أنذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا أي: لا يكون هذا لأنه في غاية البعد عن عقولهم الفاسدة. 98 أجلا لا ريب فيه ولا شك، وإلا فلو شاء لجاءهم به بغتة، ومع إقامته الحجج والأدلة على البعث. فأبى الظالمون إلا كفورا ظلما منهم وافتراء. 99 أن الله الذي خلق السماوات والأرض وهي أكبر من خلق الناس. قادر على أن يخلق مثلهم بلى، إنه على ذلك قدير. و لكنه قد وجعل لذلك أولم يروا

سورة 18

والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له. وحقيق بكتاب موصوف. بما ذكر، أن يحمده الله نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده به. 1 الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوس، وتطهرها وتنميتها وتكملها، لاشتمالها على كمال العدل والقسط، ونواهيها ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيمانا وعقلا، كالإخبار بأسماء مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره محمد صلى الله عليه وسلم فحمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، الحمد لله هو

إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم 10 الشر، وتوقفنا للخير وهيب لنا من أمرنا رشدا أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشd، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، أوى الفتية أي: الشباب، إلى الكهف يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم، فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي تثبتنا بها وتحفظنا من ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: إذ

بأغلالها وسعيرها، وحميمها، وزمهيرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الأذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا . 100 كما قال تعالى: وبرزت الجحيم للغاوين أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا

بأغلالها وسعيرها، وحميمها، وزمهيرها، وليذوقوا من العقاب، ما تبكم له القلوب، وتصم الأذان، وهذا آثار أعمالهم، وجزاء أفعالهم، فإنهم في الدنيا . 101 كما قال تعالى: وبرزت الجحيم للغاوين أي: عرضت لهم لتكون مأواهم ومنزلهم، وليتمتعوا

ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده. إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا أي ضيافة وقرى، فبنس النزل نزلهم، وبنست جهنم، ضيافتهم. 102 الضر عنكم ولا تحويلا ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها، أن المتخذ من دونه وليا ينصره ويواليه، باطل، وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين، ليس بيدهم من النفع والضر، شيء، ويكون هذا، كقوله تعالى: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف أن المعنى: أفحسب الكفار بالله، المنابدون لرسله، أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم، وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذى؟ هذا حسابا أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فمن زعم أنه يتخذ ولي الله وليا له، وهو معاد لله، فهو كاذب، ويحتمل وهو الظاهر لله أبدا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه، وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابها لقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء أي: لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معاديا

تفسير السعدي

والأولياء، شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله، وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسله. يقول الله لهم على وهذا برهان وبيان، لبطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء

أي: قل يا محمد، للناس على وجه التحذير والإنذار: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالا على الإطلاق؟ 103

وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟ فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، ففخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين 104 الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها 105 لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنة لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان، كما قال تعالى ومن يعمل والآيات العيانة، الدالة على وجوب الإيمان به، وملأته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر. فحبطت بسبب ذلك أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه أي: جحدوا الآيات القرآنية

بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب. ولما بين مآل الكافرين وأعمالهم، بين أعمال المؤمنين ومآلهم 106 بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزوا يستهزئون بها، ويسخرون منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله، الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام ذلك جزاؤهم أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة، وزنا لحقارتهم وخستهم،

النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت فكان، ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. 107 الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانا، ولم يؤثرها عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علما حقيقيا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم، فله تلك الضيافة، ما أجلها وأجلها، وأدومها وأكملها، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة. والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء والمقربون. ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل والباطنة، فهؤلاء على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح لهم جنات الفردوس. يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة،

أنه لا ينقطع لا ييغون عنها حولا أي: تحولا ولا انتقالا، لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه. 108 خالدين فيها هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه

وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن الله، له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى. 109 وحكمته، وقدرته، ورحمته، فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور الله، فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى، فأى سعة وعظمة تصورتها القلوب فالحه فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان، لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام قبل أن تنفذ كلمات ربي وهذا شيء عظيم، لا يحيط به أحد. وفي الآية الأخرى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر في العالم مدادا لكلمات ربي أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، لنفد البحر وتكسرت الأقلام أي: قل لهم مخبرا عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: لو كان البحر أي: هذه الأبحر الموجودة

سنتين عددا وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة. 11 فضربنا على آذانهم في الكهف أي أنماهم

ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه. آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد. 110 من واجب ومستحب، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي: لا يراي بعمله بل يعمل خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع الله، أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، أي: لست بـإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، إنما أنا بشر مثلكم عبد من عبيد ربي، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد

أي: قل يا محمد للكفار وغيرهم: إنما أنا بشر مثلكم

لبنهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم. 12
لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الآية، وفي العلم بمقدار
ثم بعثناهم أي: من نومهم

أي: بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان، زادهم الله من الهدى، الذي هو العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى 13
آمنوا بربهم وهذا من جموع القلة، يدل ذلك على أنهم دون العشرة، آمنوا بالله وحده لا شريك له من دون قومهم، ف شكر الله لهم إيمانهم، فزادهم هدى،
هذا شروع في تفصيل قصتهم، وأن الله يقصها على نبيه بالحق والصدق، الذي ما فيه شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، إنهم فتية
الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والتزام ذلك، وبيان أنه الحق وما سواه باطل، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم. 14
دعونا معه آلهة، بعد ما علمنا أنه الرب الإله الذي لا تجوز ولا تبغي العبادة، إلا له شططا أي: ميلا عظيما عن الحق، وطريقا بعيدة عن الصواب، فجمعوا بين
موتا ولا حياة ولا نشورا، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، ولهذا قالوا: لن ندعو من دونه إلهة أي: من سائر المخلوقات لقد قلنا إذا أي: إن
ودبرنا وربانا، هو خالق السماوات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام، التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تملك نفعا ولا ضرا، ولا
وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهدى، والصبر والثبات، والطمأنينة. إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض أي: الذي خلقنا ورزقنا،
وربطنا على قلوبهم أي صبرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة،

ولا يستطيعون سبيلا إلى ذلك، وإنما ذلك افتراء منهم على الله وكذب عليه، وهذا أعظم الظلم، ولهذا قال: فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا 15
وبينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم، بل في غاية الجهل والضلال فقالوا: لولا يأتون عليهم بسلطان بين أي: بحجة وبرهان، على ما هم عليه من الباطل،
لما ذكروا ما من الله به عليهم من الإيمان والهدى، والتفتوا إلى ما كان عليه قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم،

آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ما هو من رحمته بهم، ويسر لهم كل سبب، حتى المحل الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يمكن من الصيانة 16
أمرهم، ودعائه بذلك، وبين الثقة بالله أنه سيفعل ذلك، لا جرم أن الله نشر لهم من رحمته، وهياً لهم من أمرهم مرفقا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من
وفيما تقدم، أخبر أنهم دعوه بقولهم ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا فجمعوا بين التبري من حولهم وقوتهم، والالتجاء إلى الله في صلاح
ولا بقائهم بين أظهرهم، وهم على غير دينهم، فأووا إلى الكهف أي: انضموا إليه واختفوا فيه ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا
لبعض، إذ حصل لكم اعتزال قومكم في أجسامكم وأديانكم، فلم يبق إلا النجاء من شرهم، والتسبب بالأسباب المفضية لذلك، لأنهم لا سبيل لهم إلى قتالهم،
أي: قال بعضهم

تجد له وليا مرشدا أي: لا تجد من يتولاه ويدبره، على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه. 17
حتى في هذه الأمور، ولهذا قال: من يهد الله فهو المهتد أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين، ومن يضل فلن
والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث، وذلك من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم، وإجابة دعائهم وهدايتهم
عنه يمينا، وعند غروبها تميل عنه شمالا، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، وهم في فجوة منه أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء
أي: حفظهم الله من الشمس فيسر لهم غارا إذا طلعت الشمس تميل

المدينة جدا، والدليل على قربهم، أنهم لما استيقظوا، أرسلوا أحدهم، يشتري لهم طعاما من المدينة، وبقوا في انتظاره، فدل ذلك على شدة قربهم منها. 18
الله عليهم، فلو اطلع عليهم أحد، لامتأ قلبه رعبا، وولى منهم فرارا، وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة، وهم لم يعثر عليهم أحد، مع قربهم من
النوم وقت حراسته، فكان باسطة ذراعيه بالوصيد، أي: الباب، أو فئانه، هذا حفظهم من الأرض. وأما حفظهم من الآدميين، فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره
أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بمسبباتها. وكلبهم باسطة ذراعيه بالوصيد أي: الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، أصابه ما أصابهم من
قدر الله، أن قلبهم على جنوبهم يمينا وشمالا، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، والله تعالى قادر على حفظهم من الأرض، من غير تقليب، ولكنه تعالى حكيم،
يحسبهم أيقاظا، وهم رقود، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وهذا أيضا من حفظه لأبدانهم، لأن الأرض من طبيعتها، أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من
أيقاظا وهم رقود أي: تحسبهم أيها الناظر إليهم كأنهم أيقاظا، والحال أنهم نيام، قال المفسرون: وذلك لأن أعينهم منفتحة، لنلا تفسد، فالناظر إليهم
وتحسبهم

يلائمه إلا ذلك ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين، القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة، التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها. 19
أكل الطيبات، والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وخصوصا إذا كان الإنسان لا
ذلك. ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يردّه إلى عالمه، وأن يقف عند حده. ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك. ومنها: جواز
أبدا، بل يحشرون في دينهم ودنياهم وأخراهم، وقد دلت هاتان الآيتان، على عدة فوائد. منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل
بين أمرين، إما الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلة، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإما أن يفتنهم عن دينهم، ويردوهم في ملتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون

تفسير السعدي

في ذهابه وشرائه وإيابه، وأن يختفي في ذلك، ويخفي حال إخوانه، ولا يشعرون بهم أحدا. وذكروا المحذور من اطلاع غيرهم عليهم، وظهورهم عليهم، أنهم أي: بالدرهم، التي كانت معهم، ليستري لهم طعاما يأكلونه، من المدينة التي خرجوا منها، وأمروه أن يتخير من الطعام أزكاه، أي: أطيبه وألذ، وأن يتلطف الساعة لا ريب فيها فلولا أنه حصل العلم بحالهم، لم يكونوا دليلا على ما ذكر، ثم إنهم لما تساءلوا بينهم، وجرى منهم ما أخبر الله به، أرسلوا أحدهم بورقهم، في الأمور المطلوب علمها، وسعى لذلك ما أمكنه، فإن الله يوضح له ذلك، وبما ذكر فيما بعده من قوله. وكذلك أعتزنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن وصار آخر أمرهم، الاشتباه، فلا بد أن يكون قد أخبرهم يقينا، علمنا ذلك من حكمته في بعثهم، وأنه لا يفعل ذلك عبثا. ومن رحمته بمن طلب علم الحقيقة علمه بكل شيء، جملة وتفصيلا، ولعل الله تعالى بعد ذلك أطلعهم على مدة لبثهم، لأنه بعثهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنهم تساءلوا، وتكلموا بمبلغ ما عندهم، يوما أو بعض يوم وهذا مبني على ظن القائل، وكأنهم وقع عندهم اشتباه. في طول مدتهم، فلماذا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فردوا العلم إلى المحيط وكذلك بعثناهم أي: من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم أي: ليتباحثوا للوقوف على الحقيقة من مدة لبثهم. قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يقول تعالى:

ولا خطر على قلب بشر. وفي وصفه بالحسن، دلالة على أنه لا مكدر فيه ولا منغص بوجه من الوجوه، إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تاما. 2 أجرا حسنا وهو الثواب الذي رتبته الله على الإيمان والعمل الصالح، وأعظمه وأجله، الفوز برضا الله ودخول الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، به، وبرسله وكتبه، الذين كمل إيمانهم، فأوجب لهم عمل الصالحات، وهي: الأعمال الصالحة، من واجب ومستحب، التي جمعت الإخلاص والمتابعة، أن لهم وبينها لهم، وبين لهم الأسباب الموصلة إليها. ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا أي: وأنزل الله على عبده الكتاب، ليبشر المؤمنين لما ذكر في هذا القرآن وصف النار قال: ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون فمن رحمته بعباده، أن قيض العقوبات الغليظة على من خالف أمره، قدره وقضاه، على من خالف أمره، وهذا يشمل عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضا، من نعمه أن خوف عباده، وأنذرهم ما يضرهم ويهلكهم. كما قال تعالى وقوله لينذر بأسا شديدا من لدنه أي: لينذر بهذا القرآن الكريم، عقابه الذي عنده، أي:

عليه الشر من المضار والمفاسد، الداعية لبغضه، وتركه، وأن هذه الطريقة، هي طريقة المؤمنين المتقدمين، والمتأخرين لقولهم: ولن تفلحوا إذا أبدا 20 على الإنسان وعلى إخوانه في الدين. ومنها: شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين، وفرارهم من كل فتنة، في دينهم وتركهم أوطانهم في الله. ومنها: ذكر ما اشتمل ومنها: الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك

وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب وما عند الله خير للأبرار 21 الحال إلى ما ترى. وفي هذه القصة، دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها. وأن من حرص على العافية عافاه الله ومن أوى إلى الله، آواه الله، والثناء عليهم، وأن هؤلاء وصلت بهم الحال إلى أن قالوا: ابنوا عليهم مسجدا، بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم، وحذرهم من الاطلاع عليهم، فوصلت جرى لهم، وهذه الحالة محظورة، نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وذم فاعليها، ولا يدل ذكرها هنا على عدم ذمها، فإن السياق في شأن تعظيم أهل الكهف بنيانا الله أعلم بحالهم ومآلهم، وقال من غلب على أمرهم، وهم الذين لهم الأمر: لتتخذن عليهم مسجدا أي: نعبد الله تعالى فيه، ونذكر به أحوالهم، وما ويقين للمؤمنين، وحجة على الجاحدين، وصار لهم أجر هذه القضية، وشهر الله أمرهم، ورفع قدرهم حتى عظمهم الذين اطلعوا عليهم. و فقالوا ابنوا عليهم على أن وعد الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا بعد، بعدما كانوا يتنازعون بينهم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومن ناف لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة لهم طعاما، وأمروه بالاستخفاء والإخفاء، فأراد الله أمرا فيه صلاح للناس، وزيادة أجر لهم، وهو أن الناس رأوا منهم آية من آيات الله، المشاهدة بالعيان، يخبر الله تعالى، أنه أطلع الناس على حال أهل الكهف، وذلك والله أعلم بعدما استيقظوا، وبعثوا أحدهم يشتري

دون آخر. فيستفتى فيما هو أهل له، بخلاف غيره، لأن الله لم ينه عن استفتائهم مطلقا، إنما نهى عن استفتائهم في قصة أصحاب الكهف، وما أشبهها. 22 وإذا نهى عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى، من باب أولى وأحرى. وفي الآية أيضا، دليل على أن الشخص، قد يكون منهيا عن استفتائه في شيء، الحق شيئا، ففيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتى فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، ولا تستفت فيهم أي: في شأن أهل الكهف منهم أي: من أهل الكتاب أحدا وذلك لأن مبنى كلامهم فيهم على الرجم بالغيب والظن، الذي لا يغني من دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعا للزمان، وتأثيرا في مودة القلوب بغير فائدة. فيه فائدة، وأما الممارسة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معاندا، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة إلا قليل وهم الذين أصابوا الصواب وعلموا إصابتهم. فلا تمار أي: تجادل وتحتاج فيهم إلا مراء ظاهرا أي: مبني على العلم واليقين، ويكون أيضا صحتة، وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته، ولا يحصل بمعرفة عددهم مصلحة للناس، دينية ولا دنيوية، ولهذا قال تعالى: قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم أن هذا رجم منهم بالغيب، فدل على بطلانها. ومنهم من يقول: سبعة، وثامنهم كلبهم، وهذا والله أعلم بالصواب، لأن الله أبطل الأولين ولم يبطله، فدل على بما لا يعلمون، وأنهم فيهم على ثلاثة أقوال: منهم: من يقول: ثلاثة، رابعهم كلبهم، ومنهم من يقول: خمسة، سادسهم كلبهم. وهذان القولان، ذكر الله بعدهما، يخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، اختلافا صادرا عن رجمهم بالغيب، وتقولهم

بعبد، تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشد، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره. 23

تفسير السعدي

أمره الله أن يقول: عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشd. وحري وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، وينفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: واذكر ربك إذا نسيت الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشرا، لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالا، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ولما في ذكر مشيئة الله، من ذلك من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري، هل يفعله أم لا؟ وهل تكون أم لا؟ وفيه كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجها للرسول صل الله عليه وسلم، فإن الخطاب عام للمكلفين، فهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية، إني فاعل تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذا النهي

بعد، تكون هذه حاله، ثم يبذل جهده، ويستفرغ وسعه في طلب الهدى والرشd، أن يوفق لذلك، وأن تأتيه المعونة من ربه، وأن يسدده في جميع أموره. 24 أمره الله أن يقول: عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا فأمره أن يدعو الله ويرجوه، ويثق به أن يهديه لأقرب الطرق الموصلة إلى الرشd. وحري وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين، ولما كان العبد مفتقرا إلى الله في توفيقه للإصابة، وعدم الخطأ في أقواله وأفعاله، إذا ذكر، ليحصل المطلوب، وينفع المحذور، ويؤخذ من عموم قوله: واذكر ربك إذا نسيت الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولما كان العبد بشرا، لا بد أن يسهو فيترك ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك، رد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالا، وذلك محذور محظور، لأن المشيئة كلها لله وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ولما في ذكر مشيئة الله، من ذلك من دون أن يقرنه بمشيئة الله، وذلك لما فيه من المحذور، وهو: الكلام على الغيب المستقبل، الذي لا يدري، هل يفعله أم لا؟ وهل تكون أم لا؟ وفيه كغيره، وإن كان لسبب خاص وموجها للرسول صل الله عليه وسلم، فإن الخطاب عام للمكلفين، فهى الله أن يقول العبد في الأمور المستقبلية، إني فاعل تفسير الآيتين 23 و 24 :- هذا النهي

وغيبها مختص به، فما أخبر به عنها على أسنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحدا من الخلق، لا يعلمه. 25 أهل الكهف، لعدم علمهم بذلك، وكان الله عالم الغيب والشهادة، العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السماوات والأرض، لما نهاه الله عن استفتاء أهل الكتاب، في شأن

تعالى، له غيب السماوات والأرض، فليس لمخلوق إليها طريق، إلا عن الطريق التي يخبر بها عباده، وكان هذا القرآن، قد اشتمل على كثير من الغيوب 26 الحكم الكوني القدري، والحكم الشرعي الديني، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدر، وخالقا وتديرا، والحاكم فيهم، بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه. ولما أخبر أنه قال: ما لهم من دونه من ولي أي: هو الذي تولى أصحاب الكهف، بلطفه وكرمه، ولم يكلمهم إلى أحد من الخلق. ولا يشرك في حكمه أحدا وهذا يشمل العامة والخاصة، فهو الولي الذي يتولى تدبير جميع الكون، الولي لعباده المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور ويبسرهم لليسرى، ويجنبهم العسرى، ولهذا أبصر به وأسمع تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعد ما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات. ثم أخبر عن انفراد بالولاية وقوله:

وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المرغوب إليه، في السراء والضراء، المفتقر إليه في جميع الأحوال، المسئول في جميع المطالب. 27 تعظيم للقرآن، في ضمنه الترغيب على الإقبال عليه. ولن تجد من دونه ملتحدا أي: لن تجد من دون ربك، ملجأ تلجأ إليه، ولا معادا تعوذ به، فإذا تعين أنه من الحسن فوق كل غاية وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا فلتنامها، استحال عليها التغيير والتبديل، فلو كانت ناقصة، لعرض لها ذلك أو شيء منه، وفي هذا إليك بمعرفة معانيه وفهمها، وتصديق أخباره، وامتنال أوامره ونواهيه، فإنه الكتاب الجليل، الذي لا مبدل لكلماته، أي: لا تغير ولا تبدل لصدقها وعدلها، وبلوغها التلاوة: هي الاتباع، أي: اتبع ما أوحى الله

والدعاء والعبادة طرفي النهار، لأن الله مدحهم بفعله، وكل فعل مدح الله فاعله، دل ذلك على أن الله يحبه، وإذا كان يحبه فإنه يأمر به، ويرغب فيه. 28 يتبع ويجعل إماما، والصبر المذكور في هذه الآية، هو الصبر على طاعة الله، الذي هو أعلى أنواع الصبر، وبتمامه تتم باقي الأقسام. وفي الآية، استحباب الذكر واتباع مرضي ربه، فقدمها على هواه، فحفظ بذلك ما حفظ من وقته، وصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما من الله به عليه، فحقيق بذلك، أن لا يدعو إلا لما هو متصف به، ودلت الآية، على أن الذي ينبغي أن يطاع، ويكون إماما للناس، من امتلأ قلبه بمحبة الله، وفاض ذلك على لسانه، فلهج بذكر الله، على علم الآية. وكان أمره أي: مصالح دينه ودنياه فرطا أي: ضائعة معطلة. فهذا قد نهى الله عن طاعته، لأن طاعته تدعو إلى الاقتداء به، ولأنه حيث ما اشتتهت نفسه فعله، وسعى في إدراكه، ولو كان فيه هلاكه وخسرانه، فهو قد اتخذ إلهه هواه، كما قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله الأبدية، والندامة السردية. ولهذا قال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفل عن ذكره. واتباع هواه أي: صار تبعا لهواه، في الآخرة، فإن زينة الدنيا تروق للنظر، وتسحر العقل، فيغفل القلب عن ذكر الله، ويقبل على اللذات والشهوات، فيضيع وقته، وينفرط أمره، فيخسر الخسارة الدنيا فإن هذا ضار غير نافع، وقاطع عن المصالح الدينية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب بالدنيا، فتصير الأفكار والهواجس فيها، وتزول من القلب الرغبة

تفسير السعدي

وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى. ولا تعد عينك عنهم أي: لا تجاوزهم بصرك، وترفع عنهم نظرك. تريد زينة الحياة أي: أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم بنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وغيره أسوته، في الأوامر والنواهي أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يأمر تعالى

فيها ارتفاق، وإنما فيها العذاب العظيم الشاق، الذي لا يفتر عنهم ساعة، وهم فيه مبلسون قد أيسوا من كل خير، ونسيهم الرحيم في العذاب، كما نسوه. 29 بعض العذاب، فيكون زيادة في عذابهم، وشدة عقابهم. وساءت النار مرتفقا وهذا ذم لحالة النار، أنها ساءت المحل، الذي يرتفق به، فإنها ليست أي: فكيف بالأمعاء والبطون، كما قال تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد بنس الشراب الذي يراد ليطفئ العطش، ويدفع أي: يطلبوا الشراب، ليطفئ ما نزل بهم من العطش الشديد. يغاثوا بماء كالمهل أي: كالرصاص المذاب، أو كعكر الزيت، من شدة حرارته. يشوي الوجوه والفسوق والعصيان نارا أحاط بهم سراقها أي: سورها المحيط بها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية. وإن يستغيثوا وإنما ذلك تهديد ووعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال: إنا أعتدنا للظالمين بالكفر على الإيمان، كما قال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وليس في قوله: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الإذن في كلا الأمرين، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره الله على لسان رسوله، فإذا بان واتضح، ولم يبق فيه شبهة. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، أي: قل للناس يا محمد: هو الحق من ربكم أي: قد تبين الهدى من الضلال، والرشد من الغي، وصفات أهل السعادة، وصفات أهل الشقاوة، وذلك بما بينه التبشير ما يقتضي ذكر الأعمال الموجبة للمبشر به، وهو أن هذا القرآن قد اشتمل على كل عمل صالح، موصل لما تستبشر به النفوس، وتفرح به الأرواح. 3 ومع ذلك فهذا الأجر الحسن ماكتين فيه أبدا لا يزول عنهم، ولا يزولون عنه، بل نعيمهم في كل وقت متزايد، وفي ذكر

لوجه الله، متبعا في ذلك شرع الله. فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئا منه، بل يحفظه للعاملين، ويوفيههم من الأجر، بحسب عملهم وفضله وإحسانه 30 ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وعمل الصالحات من الواجبات والمستحبات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا وإحسان العمل: أن يريد العبد العمل ثم ذكر الفريق الثاني فقال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: جمعوا بين الإيمان بالله وملأته وكتبه

الكريمة وما أشبهها، على أن الحلية، عامة للذكور والإناث، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لأنه أطلقها في قوله يحلون وكذلك الحرير ونحوه. 31 فنعيمهم على الدوام متزايد في أوصافه وحسنه، فنسأل الله الكريم، أن لا يحرمانا خير ما عنده من الإحسان، بشر ما عندنا من التقصير والعصيان. ودلت الآية ونعيمه وقصوره وبساتينه ألفي سنة، ولا يرى فوق ما هو فيه من النعيم، قد أعطى جميع أمانيه ومطالبه، وزيد من المطالب، ما قصرت عنه الأمانى، ومع ذلك، مما تشتهي النفس وتلد الأعين، من الحبرة والسرور، والفرح الدائم، واللذات المتواترة، والنعم المتوافرة، وأي مرتفق أحسن من دار، أدنى أهلها، يسير في ملكه بما يشتهون، وتمام ذلك الخلود الدائم والإقامة الأبدية، فهذه الدار الجليلة نعم الثواب للعاملين وحسنت مرتفقا يرتفقون بها، ويتمتعون بما فيها، بالثياب الفاخرة فإنها لا تسمى أريكة حتى تكون كذلك، وفي اتكائهم على الأرائك، ما يدل على كمال الراحة، وزوال النصب والتعب، وكون الخدم يسعون عليهم الذهب، ولباسهم فيها الحرير الأخضر من السندس، وهو الغليظ من الديباج، والإستبرق، وهو ما رق منه. متكئين فيها على الأرائك، وهي السرر المزينة، المجملية لهم الجنات العاليات التي قد كثرت أشجارها، فأجنت من فيها، وكثرت أنهارها، فصارت تجري من تحت تلك الأشجار الأنيقة، والمنازل الرفيعة، وحليتهم فيها أي: أولئك الموصوفون بالإيمان والعمل الصالح،

وارجحت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته. 32 ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة. وكان له أي: لذلك الرجل ثمر أي: عظيم كما يفيد التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما، فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفا و أنها لم تظلم منه شيئا أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوه، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زراعا، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب. وحففناهما بنخل أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصا أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف، فأحد هذين الرجلين صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة تفسير الآيتين 32 و 33 -: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما

وارجحت أشجارهما، ولم تعرض لهما آفة أو نقص، فهذا غاية منتهى زينة الدنيا في الحرث، ولهذا اغتر هذا الرجل بهما، وتبجح وافتخر، ونسي آخرته. 33 ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة. وكان له أي: لذلك الرجل ثمر أي: عظيم كما يفيد التنكير، أي: قد استكملت جنتاه ثمارهما، فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفا و أنها لم تظلم منه شيئا أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء،

تفسير السعدي

التي تكمل بها الثمار، وتنضج وتتجوه، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعاً، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ أشرف الأشجار، العنب والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، أي: بستانين حسنين، من أعناب. وحففناهما بنخل أي: في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أعيان الرجلين، وفي أي: زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف، فأحد هذين الرجلين صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما، وليس معرفة تفسير الآيتين 32 و 33 :- يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 34 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 35 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

بدليل قوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه فإثبات أن وصفه الظلم، في حال دخوله، الذي جرى منه، من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده. 36 أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام، على وجه التهكم والاستهزاء، حذا من العقل، فأى: تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن من أعطي في الدنيا أعطي في الآخرة، بل الغالب، أن الله تعالى يزوي الدنيا عن الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس، وأبخسهم ولن ردت إلى ربي على ضرب المثل لأجدر خيراً منها منقلباً أي ليعطيني خيراً من هاتين الجنتين، وهذا لا يخلو من أمرين: إما أن يكون عالماً بحقيقة لما دخل جنته، ف قال ما أظن أن تبدي أي: تنقطع وتضمحل هذه أبداً فاطمأن إلى هذه الدنيا، ورضى بها، وأنكر البعث، فقال: وما أظن الساعة قائمة نفسية، ولا صفة معنوية، وإنما هو بمنزلة فخر الصبي بالأمان، التي لا حقائق تحتها، ثم لم يكفه هذا الافتخار على صاحبه، حتى حكم، بجهله وظلمه، وظن عليه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فخر بكثرة ماله، وعزة أنصاره من عبيد، وخدم، وأقارب، وهذا جهل منه، وإلا فأى: افتخار بأمر خارجي ليس فيه فضيلة تفسير الآيات من 34 حتى 36 :- أي: فقال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن، وهما يتحاوران، أي: يتراجعان بينهما في بعض الماكرات المعتادة، مفتخرا

أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولد، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن ما عداها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال، فقال: 37 والشبه: لكن الله ربي ولا أشرك بربي أحداً فأقر بربوبية لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحداً من المخلوقين، ثم ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبراً عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وتجدد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيراً من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهياً لك ما هياً من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك نطفة ثم سواك رجلاً فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح تفسير الآيتين 37 و 38 :- أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحاً له، ومذكراً له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا من تراب ثم من

تفسير السعدي

- أخبره أن نعمة الله عليه بالإيمان والإسلام، ولو مع قلة ماله وولد، أنها هي النعمة الحقيقية، وأن ما عاها معرض للزوال والعقوبة عليه والنكال، فقال: 38 والشبه: لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا فأقر بربوبية لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحدا من المخلوقين، ثم ولا يليق. ولهذا لما رأى صاحبه المؤمن حاله واستمراره على كفره وطغيانه، قال مخبرا عن نفسه، على وجه الشكر لربه، والإعلان بدينه، عند ورود المجادلات أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلا، وتجدد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيرا من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهياً لك ما هياً من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك، فكيف يليق بك نطفة ثم سواك رجلا فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلا، كامل الأعضاء والجوارح تفسير الآيتين 37 و 38 :- أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحا له، ومذكرا له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا من تراب ثم من ورايتني أقل منك مالا وولدا فإن ما عند الله، خير وأبقى، وما يرجى من خيره وإحسانه، أفضل من جميع الدنيا، التي يتنافس فيها المتنافسون. 39 أي: قال للكافر صاحبه المؤمن: أنت وإن فخرت علي بكثرة مالك وولدك، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا من اليهود والنصارى، والمشركين، الذين قالوا هذه المقالة الشنيعة، فإنهم لم يقولوها عن علم ولا يقين 40 السماء أي: عذابا، بمطر عظيم أو غيره، فتصبح بسبب ذلك صعيدا زلعا أي: قد اقتلعت أشجارها، وتلفت ثمارها، وغرق زرعها، وزال نفعها. 40 فعسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ويرسل عليها أي: على جنتك التي طغيت بها وغرتك حسباناً من إليه بالمعاول ولا بغيرها، وإنما دعا على جنته المؤمن، غضبا لربه، لكونها غرته وأطغته، واطمأن إليها، لعله ينيب، ويراجع رشده، ويبصر في أمره. 41 أو يصبح ماؤها الذي مادتها منه غورا أي: غائرا في الأرض فلن تستطيع له طلبا أي: غائرا لا يستطيع الوصول نفقاته الدنيوية عليها، حيث اضمحلت وتلاشت، فلم يبق لها عوض، وندم أيضا على شركه، وشره، ولهذا قال: ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا 42 والإحاطة بالثمر يستلزم تلف جميع أشجاره، وثماره، وزرعه، فندم كل الندامة، واشتد لذلك أسفه، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها أي على كثرة فاستجاب الله دعاءه وأحيط بثمره أي: أصابه عذاب، أحاط به، واستهلكه، فلم يبق منه شيء، عنه ما يطغيه، وعاقبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا. وفضل الله لا تحيط به الأوهام والعقول، ولا ينكره إلا ظالم جهول. 43 هذه الجنة، التي أحيط بها، تحسنت حاله، ورزقه الله الإنابة إليه، وراجع رشده، وذهب تمرده وطغيانه، بدليل أنه أظهر الندم على شركه بربه، وأن الله أذهب على قضاء الله وقدره الذي إذا أمضاه وقدره، لو اجتمع أهل السماء والأرض على إزالة شيء منه، لم يقدرُوا؟ ولا يستبعد من رحمة الله ولطفه، أن صاحب لصاحبه: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئا، أشد ما كان إليهم حاجة، وما كان بنفس منتصرا، وكيف ينتصر، أي: يكون له أنصارا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا أي: لما نزل العذاب بجنته، ذهب عنه ما كان يفتخر به من قوله إنما نتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم ف هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا أي: عاقبة ومآلا. 44 وفيه الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها وفيها أن المال والولد لا ينفعان، إن لم يعينا على طاعة الله كما قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير لقوله: إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتينا خيرا من جنتك ومسديها، وأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله ليكون شاكرًا لله متسببا لبقاء نعمته عليه، لقوله: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله مآله الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلا، فإنه يحرمها طويلا، وأن العبد ينبغي له إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى موليتها والأخروي، خير ثواب يرجى ويؤمل، ففي هذه القصة العظيمة، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن الحق، فمن كان مؤمنا به تقيًا، كان له وليا، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه، فثوابه الدنيوي الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن، وعمل صالحا، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا أي: في تلك كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل، لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ فبهذا يعرف توفيق العبد من خذلانه، وربحه من خسارانه 45 الموفق، يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدرتي أنك قد مت، ولا بد أن تموتي، فأني: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعقل الجازم فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح، أو سبى أعماله، هنالك يعرض الظالم على يديه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، غبراء ترابا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب، كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين،

تفسير السعدى

أصلاً، ولمن قام بورائته بعده تبعاً: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

به قليلا، ثم يزول بلا فائدة تعود لصاحبه، بل ربما لحقته مضرته وهو المال والبنون ونوع يبقى وينفع صاحبه على الدوام، وهي الباقيات الصالحات. 46 إليها العاملون، ويوجد في تحصيلها المجتهدون، وتأمل كيف لما ضرب الله مثل الدنيا وحالها واضمحلالها ذكر أن الذي فيها نوعان: نوع من زينتها، يتمتع عند الله ثوابا وخير أملا، فتوايها يبقى، ويتضاعف على الآباد، ويؤمل أجراها وبرها ونفعها عند الحاجة، فهذه التي ينبغي أن يتنافس بها المتنافسون، ويستنبق عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وقيام بحق الزوجات، والمماليك، والبهائم، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كل هذا من الباقيات الصالحات، فهذه خير من حقوق الله، وحقوق عباده، من صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي زينة الحياة الدنيا، أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره، الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة أن المال والبنين،

فلا يغادر منهم أحدا، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وقصور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقا جديدا 47 كالعهن المنفوش، ثم تضمحل وتتلشى، وتكون هباء منبثا، وتبرز الأرض فتصير قاعا صفصفا، لا عوج فيه ولا أمتا، ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، يخبر تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة فقال: ويوم نسير الجبال أي: يزيلها عن أماكنها، يجعلها كثيبا، ثم يجعلها للمنكرين للبعث، وقد شاهدوه عيانا: بل زعمتم أن نجعل لكم موعدا أي: أنكرتم الجزاء على الأعمال، ووعد الله ووعيده، فما قد رأيتموه وذقتموه 48 ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء وقال هنا، مخاطبا جئتمونا كما خلقناكم أول مرة أي: بلا مال، ولا أهل، ولا عشيرة، ما معهم إلا الأعمال، التي عملوها، والمكاسب في الخير والشر، التي كسبوها كما قال تعالى: فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم، ويقول لهم: لقد

يجازون بها، ويقررون بها، ويخزون، ويحق عليهم العذاب، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد، بل هم غير خارجين عن عدله وفضله. 49 مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها عمل سر ولا علانية، ولا ليل ولا نهار، ووجدوا ما عملوا حاضرا لا يقدرّون على إنكاره ولا يظلم ربك أحدا فحينئذ محصى عليهم أقوالهم وأفعالهم، قالوا: يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها أي: لا يترك خطيئة صغيرة ولا كبيرة، إلا وهي كتبتها الملائكة الكرام فطير لها القلوب، وتعظم من وقعها الكروب، وتكاد لها الصم الصلاب تذوب، ويشفق منها المجرمون، فإذا رأوها مسطرة عليهم أعمالهم، فحينئذ تحضر كتب الأعمال التي

منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانيا، أنه قول قبيح شنيع فقال: كبرت كلمة تخرج من أفواههم ثم ذكر ثالثا مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق. 5 وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدرج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولا: أنه ما لهم به من علم ولا لبائهم والقول على الله بلا علم، لا شك في الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ولهذا قال هنا: إن يقولون إلا كذبا أي: كذبا محضا ما فيه من الصدق شيء، تخرج من أفواههم أي: عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد الذي يقتضي نقصه، ومشاركة غيره له في خصائص لا علم منهم، ولا علم من آبائهم الذين قلدوهم واتبعوهم، بل إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس كبرت كلمة

الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات وقال تعالى: إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله 50 وأنه لا يفعل ذلك إلا ظالم، وأي: ظلم أعظم من ظلم من اتخذ عدوه الحقيقي وليا، وترك الولي الحميد؟ قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من عن ولاية الرحمن، الذي كل السعادة والفلاح والسرور في ولايته. وفي هذه الآية، الحث على اتخاذ الشيطان عدوا، والإغراء بذلك، وذكر السبب الموجب لذلك، أي: الشياطين أولياء من دوني وهم لكم عدو بسئ للظالمين بدلا أي: بسئ ما اختاروا لأنفسهم من ولاية الشيطان، الذي لا يأمرهم إلا بالفحشاء والمنكر كان من الجن ففسق عن أمر ربه وقال: أأسجد لمن خلقت طينا وقال: أنا خير منه فتبين بهذا عداوته لله ولأبيكم ولكم، فكيف تتخذونه وذريته يخبر تعالى، عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، إكراما وتعظيما، وامتناعا لأمر الله، فامتنعوا ذلك إلا إبليس

الشئون، أي: ما ينبغي ولا يليق بالله، أن يجعل لهم قسطاً من التدبير، لأنهم ساعون في إضلال الخلق والعداوة لربهم، فاللائق أن يقصيهـم ولا يدنيهـم. 51 يطاع الله، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقاً، ولم يعاونوا الله تعالى؟! ولهذا قال: وما كنت متخذ المضلين عضداً أي: معاونين، مظاهرين لله على شأن من المفرد بالخلق والتدبير، والحكمة والتقدير، هو الله، خالق الأشياء كلها، المتصرف فيها بحكمته، فكيف يجعل له شركاء من الشياطين، يوالون ويطاعون، كما الشياطين وهؤلاء المضلين، خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أي: ما أحضرتهم ذلك، ولا شاورتهم عليه، فكيف يكونون خالقين لشيء من ذلك؟! بل يقول تعالى: ما أشهدت

ويتبين حينئذ عداوة الشركاء لشركائهم، وكفرهم بهم، وتبريهم منهم، كما قال تعالى وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين 52 يملك مثقال ذرة من النفع لنفسه ولا لغيره. وجعلنا بينهم أي: بين المشركين وشركائهم موبقا أي، مهلكا، يفرق بينهم وبينهم، ويبعد بعضهم من بعض، لله شريك في الأرض، ولا في السماء، أي: نادوهم، لينفعوكم، ويخلصوكم من الشدائد، فدعوهم فلم يستجيبوا لهم لأن الحكم والملك يومئذ لله، لا أحد

تفسير السعدي

صاحبه وسفقه، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: نادوا شركائي بزعمكم أي: على موجب زعمكم الفاسد، وإلا فبالحقيقة ليس ولما ذكر حال من أشرك به في الدنيا، وأبطل هذا الشرك غاية الإبطال، وحكم بجهل

ولم يجدوا عنها مصرفا أي: معدلا يعدلون إليه، ولا شافع لهم من دون إذنه، وفي هذا من التخويف والترهيب، ما ترعد له الأفئدة والقلوب. 53
على المجرمين، فرأوا جهنم قبل دخولها، فانزعجوا واشتد قلقهم لظنهم أنهم واقعوها، وهذا الظن قال المفسرون: إنه بمعنى اليقين، فأيقنوا أنهم داخلوها أي: لما كان يوم القيامة وحصل من الحساب ما حصل، وتميز كل فريق من الخلق بأعمالهم، وحقت كلمة العذاب
الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته، وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم، ولهذا قال: 54
به الحق ولهذا قال: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك، غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم
وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل ليدحضوا
أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادا، وطمأنينة، ونورا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن
القرآن، وجلالته، وعمومه، وأنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه
يخبر الله تعالى عن عظمة

بالعذاب، أو يرون العذاب قد أقبل عليهم، ورأوه مقابلة ومعاناة، أي: فليخافوا من ذلك، وليتوبوا من كفرهم، قبل أن يكون العذاب الذي لا مرد له. 55
حجة الله، فلم يمنعه عدم البيان، بل منعهم الظلم والعدوان، عن الإيمان، فلم يبق إلا أن تأتيهم سنة الله، وعادته في الأولين من أنهم إذا لم يؤمنوا، عوجلوا
أي: ما منع الناس من الإيمان، والحال أن الهدى الذي يحصل به الفرق، بين الهدى والضلال، والحق والباطل، قد وصل إليهم، وقامت عليهم
تقييضة المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق وتبين شواهد وأدلتها، وتبين الباطل وفساده، فبضدها تتبين الأشياء. 56
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ويظهر الحق على الباطل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ومن حكمة الله ورحمته، أن
الباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل مهما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزؤوا برسول الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم،
العاجل والأجل، وينذرونهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والأجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون، إلا المجادلة
عبثا، ولا ليتخذهم الناس أربابا، ولا ليدعوا إلى أنفسهم، بل أرسلناهم يدعون الناس إلى كل خير، وينهون عن كل شر، ويبشرونهم على امتثال ذلك بالتواب
أي: لم نرسل الرسل

ولا طريق وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك. 57
وأما هؤلاء، الذين أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها، فليس في هدايتهم حيلة
الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة، فليس لهدايتهم سبيل، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا لأن الذي يرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالما،
أن يفقه الآيات وإن سمعتها، فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب، وفي آذانهم وقرا أي: صمما يمنعه من وصول الآيات، ومن سماعها على وجه
بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة، أي: أغطية محكمة تمنعه
الذي لم تأت آيات الله ولم يذكر بها، وإن كان ظالما، فإنه أخف ظلما من هذا، لكون العاصي على بصيرة وعلم، أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه
ورغب، فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قدمت يده من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلما من المعرض
يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلما، ولا أكبر جرما، من عبد ذكر بآيات الله وبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب

فإن تابوا وأنبأوا، غفر لهم ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا، فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعدا لهم، أنزل بهم بأسه 58
لا بد لهم منه، ولا مندوحة لهم عنه، ولا ملجأ، ولا محيد عنه، وهذه سنته في الأولين والآخرين، أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة،
والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخرت عنها مدة طويلة، ولهذا قال: بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا أي: لهم موعد، يجازون فيه بأعمالهم،
برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل،
ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده

وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا أي: بظلمهم، لا بظلم منا وجعلنا لمهلكهم موعدا أي: وقتا مقدرا، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون. 59
السلام يقول: رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر 6
الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله له: إنك لا تهدي من أحببت وموسى عليه
مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله
وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه،
وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك.
مؤمنين وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهنا قال فلعلك باخع نفسك أي: مهلكها، غما وأسفا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله،

تفسير السعدي

عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان صلى الله عليه وسلم يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذابين الضالين، شفقة منه صلى الله عليه وسلم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق،

عندك، أو أمضي حقبا أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه. 60
علي الشقة، ولحققتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو يوضع بنون الذي نبأه الله بعد ذلك: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أي: لا أزال مسافرا وإن طالت يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه أي: خادمه

قال المفسرون إن ذلك الحوت الذي كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان، أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا. 61
حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وعد أنه متى فقد الحوت فثم ذلك العبد الذي قصدته، فاتخذ ذلك الحوت سبيله، أي: طريقه في البحر سربا وهذا من الآيات. فلما بلغا أي: هو وفتاه مجمع بينهما نسيا حوتهما وكان معهما

الدالة لموسى، على وجود مطلبه، وأيضا فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب 62
نصبا أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدنا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا

ولموسى وفتاه عجا، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ 63
السبب في ذلك واتخذ سبيله في البحر عجا أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب. قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سربا، أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان لأنه قال له فتاه: أرايت إذ

المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه. 64
قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من لا نبيا على الصحيح. آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله وعلمناه من لدنا أي: من عندنا علما، وكان رجعا على آثارهما قصصا أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، تفسير الآيتين 64 و 65 :- ذلك ما كنا نبغ أي: نطلب فارتدا أي:

المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه. 65
قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من لا نبيا على الصحيح. آتيناه رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله وعلمناه من لدنا أي: من عندنا علما، وكان رجعا على آثارهما قصصا أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، تفسير الآيتين 64 و 65 :- ذلك ما كنا نبغ أي: نطلب فارتدا أي:

وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام 66
هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ لن تستطيع معي صبرا أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك 67
فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك

وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟ 68
لك أمرا وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر. 69
فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي

الدار، فتننة واختبارا. لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، ومع ذلك سيجعل الله جميع هذه المذكورات، فانية مضمحلة، وزائلة منقضية. 7
وأشجار، وأنهار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه يخبر تعالى: أنه جعل جميع ما على وجه الأرض، من مأكول لذیذة، ومشرب، ومسكن طيبة،

لا تبتدئي بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاء عن سؤاله، ووعد أنه يوقفه على حقيقة الأمر. 70
فحينئذ قال له الخضر: فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا أي:

تفسير السعدي

عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا أي: عظيما شنيعا، وهذا من عدم صبره عليه السلام 71 حتى إذا ركبا في السفينة خرقها أي: اقتلع الخضر منها لوحا، وكان له مقصود في ذلك، سببينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه فانطلقا

ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسيانا 72 على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر. 73 لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع جنت شيئا نكرا وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحدا؟! وكانت الأولى من موسى نسيانا، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر 74 أي: صغيرا فقتله الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب. قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما

فقال له الخضر معاتباً ومذكراً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا 75 سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني أي: فأنت معذور بذلك، وبترك صحبتي قد بلغت من لدني عذرا أي: أعذرت مني، ولم تقصر. 76 فقال له موسى: إن

لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تنبيه من دون أجرة، وأنت تقدر عليها؟. فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر الخضر منه 77 يريد أن ينقض أي: قد عاب واستهدم فأقامه الخضر أي: بناه وأعادته جديدا. فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي: أهل هذه القرية، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها أي: استضافاهم، فلم يضيفوهما فوجدا فيها جدارا ولا موضع للصحة، سأنبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أي: سأخبرك بما أنكرت علي، وأنبئك بما لي في ذلك من المآرب، وما ينول إليه الأمر. 78 هذا فراق بيني وبينك فإنك شرطت ذلك على نفسك، فلم يبق الآن عذر،

على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلما، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم. 79 فكانت لمساكين يعملون في البحر يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرافة بهم. فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أي: كان مرورهم أما السفينة التي خرقها

فنظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى ظاهرها، وعمل لآخرته، حين عمل البطل لدنياه، فشتان ما بين الفريقين، وما أبعد الفرق بين الطائفتين 8 لا منزل إقامة، فبذل جهده في معرفة ربه، وتنفيذ أوامره، وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل عند الله، وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم، وسرور وتكريم، المقصود منها ومنه، فإنه يتناول منها، ما يستعين به على ما خلق له، وانتهاز الفرصة في عمره الشريف، فجعل الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، وشقة سفر، أي حالة اتفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته، لا لما قدمت يداه من التفریط والسيئات. وأما من نظر إلى باطن الدنيا، وعلم فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، لا ينظرون في حق ربهم، ولا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، وعلى وحذرنا من الاغترار بها، ورغبنا في دار يودم نعيمها، ويسعد مقيمها، كل ذلك رحمة بنا، فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها، من نظر إلى ظاهر الدنيا، دون باطنها، وستعود الأرض صعيدا جرضا قد ذهب لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندurst أثارها، وزال نعيمها، هذه حقيقة الدنيا، قد جالها الله لنا كأنها رأي عين،

وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيتهما من الذرية، ما هو خير منه 80 أي: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهم إياه، أو للحاجة إليه أو يحدهما على ذلك، أي: فقتلته، لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وكان ذلك الغلام قد قدر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانا وكفرا، ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي: ولدا صالحا، زكيا، واصلا لرحمه، فإن الغلام الذي قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق بحملهما على الكفر والطغيان. 81 فأردنا أن يبدلها

كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجا من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة. 82 محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على أطفاه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أمورا يكرها جدا، وهي صلاح دينه، في غير الأمور المحذورة، مدعاة وسبب لبقاء الصحة وتأكدتها، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة. ومنها: أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى. ومنها: أن موافقة صاحب لصاحبه، وإذا مرضت فهو يشفين وقالت الجن: وأنا لا ندرى أشد أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا مع أن الكل بقضاء الله وقدره. ومنها: أنه ينبغي فأردت أن أعيبها وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى لقوله: فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك كما قال إبراهيم عليه السلام لأنه علل استخراج كنزهما، وإقامة جدارهما، أن أباهما صالح. ومنها: استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله

تفسير السعدي

غير منكر لقوله بغير نفس ومنها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته. ومنها: أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم، أفضل من غيرها، المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين، لهم سفينة. ومنها: أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام لقد جئت شيئا نكرا. ومنها: أن القتل قصاصا في البحر، كما يجوز في البر لقوله: يعملون في البحر ولم ينكر عليهم عملهم. ومنها: أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن. ومنها: أن العمل يجوز الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غضب ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها، داخل في هذا. ومنها: القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانها خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، بارتكاب الشر الصغير ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه، وبقاء الغلام في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار. ومنها: القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه يدفع الشر الكبير ظاهرها، أنها من المنكر، وموسى عليه السلام لا يسعه السكوت عنها، في غير هذه الحال، التي صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام، وبادر إلى الحكم على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية، في الأموال، والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام، أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسامة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر. ومنها: أن الأمور تجري أحكامها حقوق العباد لقوله: لا تؤاخذني بما نسيت. ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم، العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي سؤالا، لا يتعلق في موضع البحث. ومنها: جواز ركوب البحر، في غير الحالة التي يخاف منها. ومنها: أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في هو الذي يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصرا، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل. ومنها: أن المعلم إذا رأى المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول إن شاء الله. ومنها: أن العزم على فعل الشيء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ستجدي إن شاء الله صابرا إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يرد منه وما هو المقصود. ومنها: تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: الصبر لقوله: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبرا بالأمر. ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدرى، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه، لقول الخضر يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى في الأخذ عنه إنه لا يصبر معه. ومنها: أن السبب الكبير لحصول ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضارا، أو ليس فيه فائدة لقوله: أن تعلمن مما علمت رشدا. ومنها: أن من تعلمن مما علمت أي: مما علمك الله تعالى. ومنها: أن العلم النافع، هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير، وتحذير عن العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها. ومنها: إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: الخاص كان عند الخضر، ما ليس عنده، فهذا حرص على التعلم منه. فعلى هذا، لا ينبغي للفقهاء المحدث، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه في العلم بدرجات كثيرة. فإن موسى عليه السلام من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى بلا شك أفضل من الخضر. ومنها: تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم. ومنها الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقارهم من لدنا علما. ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام: هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا فأخرج ومنها: أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده. ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله وعلمناه على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذني من الجبال بيوتا ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا، لذكر ذلك كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: وما فعلته عن أمري فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل نسيه في الموضع الذي إليه منتهى قصده. ومنها: أن ذلك العبد الذي لقيه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا فحينئذ تذكر أنه والإشارة إلى السفر المجاوز، لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب، مع طوله، لأنه هو السفر على الحقيقة. وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم جميعا. ومنها: أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله، يعان ما لا يعان غيره لقوله: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ليتم له أمره الذي يريده. ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعا، لأن ظاهر قوله: آتنا غداءنا إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقا، لقول موسى: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. ومنها: استحباب كون خادم الإنسان، ذكيا فطنا كيسا،

تفسير السعدي

بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ومنها: جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أصحابه حين غزا تبوك بوجهه، مع أن عادته التورية، وذلك تبع للمصلحة. ومنها: إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التوسيل والتزيين، وإن كان الكل على بصيرة، وإظهارا لشرف هذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا وكما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لطلب علم أو جهاد أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريده، فإنه أكمل من كتمه، فإن في إظهاره فوائد من الاستعداد له عدته، وإتيان الأمر من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل. ومنها: جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤمن، وطلب الراحة، كما فعل موسى. ومنها: أن المسافر لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك. ومنها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم فمنها فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، الذي فسرت له تأويل ما لم تسطع عليه صبرا وفي هذه القصة العجيبة الجليلة، من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله. فعلمته رحمة من الله، آتاه الله عبده الخضر وما فعلته عن أمري أي: أتيت شيئا من قبل نفسي، ومجرد إرادتي، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره. ذلك فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما أي: فلماذا هدمت الجدار، واستخرجت ما تحته من كنزهما، وأعدته مجانا. رحمة من ربك أي: هذا الذي المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا أي: حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهم، لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما الله أيضا بصلاح والدهما. وأما الجدار الذي أقمته فكان لغلامين يتيمين في

منه ذكرا فيه نبأ مفيد، وخطاب عجيب. أي: سأتلوا عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة، وأما ما سوى ذلك من أحواله، فلم يتله عليهم. 83 كان أهل الكتاب أو المشركون، سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة ذي القرنين، فأمره الله أن يقول: سأتلوا عليكم

يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل. 84 قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على تفسير الآيتين 84 و 85: - إنا مكنا له في الأرض أي: ملكه الله تعالى، ومكنه

يسلكه، ولا كل أحد يكون قادرا على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإن عدما أو أحدهما لم يحصل. 85 قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب من النفوذ في أقطار الأرض، وانقيادهم له. وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على تفسير الآيتين 84 و 85: - إنا مكنا له في الأرض أي: ملكه الله تعالى، ومكنه

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 86 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وسنقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساد، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ العلم، فلماذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88: - وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 87 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وسنقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساد، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ

تفسير السعدي

العلم، فهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88 :- وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

ونيسر له المعاملة، وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله. 88 صالحا فله جزاء الحسنى أي: فله الجنة والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، وستقول له من أمرنا يسرا أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، أما من ظلم بالكفر فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة. وأما من آمن وعمل غير فساد، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله له لذلك، فقال: سأجعلهم قسمين: تعذيبهم بقتل، أو ضرب، أو أسر ونحوه، وإما أن تحسن إليهم، فخير بين الأمرين، لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين تغرب في نفس الماء وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي: إما أن به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها بها صار له جند عظيم، ذو عدد وعدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاريها، وأنحائها، فأعطاه الله، ما بلغ العلم، فهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، تفسير الآيات من 86 حتى 88 :- وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 89 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

العلم والإيقان. وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهر طويلا. 9 مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكير بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها، في من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ما يبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، وهذا الاستفهام بمعنى النفي، والنهي. أي: لا تظن أن قصة

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 90 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

الله له، وعلمه به ولهذا قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة وعلمنا معه، حيثما توجه وسار. 91 كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير من الشمس، إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم، وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروباً يذكر، متبعا للأسباب، التي أعطاها الله، فوصل إلى مطلع الشمس ف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي: وجدها تطلع على أناس ليس لهم ستر تفسير الآيات من 89 حتى 91 :- أي لما وصل إلى مغرب الشمس كر راجعا، قاصدا مطلعها،

من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم 92 بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا تفسير الآيتين 92 و 93 :- ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين

من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم 93 بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين السدين قال المفسرون: ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا

تفسير السعدي

تفسير الآيتين 92 و 93 :- ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين

تاركا لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح، فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجره، وشكر ربه على تمكينه واقتداره 94
اقتدار ذي القرنين عليه، فبدلوا له أجره، ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، ولا
الأموال وغير ذلك. فهل نجعل لك خرجا أي جعلنا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا
إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض بالقتل وأخذ

ربي خير أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم أجعل بينكم وبينهم ردا أي: مانعا من عبورهم عليكم. 95
فقال لهم: ما مكني فيه

أتوني أفرغ عليه قطرا أي: نحاسا مذابا، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكما هائلا، وامتنع من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج. 96
قال انفخوا النار أي: أوقدوها بإقادة عظيم، واستعملوا لها المنافخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد قال
أتوني زبر الحديد أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. حتى إذا ساوى بين الصدفين أي: الجبلين اللذين بني بينهما السد

فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا أي: فما لهم استطاعة، ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته. 97

ربي أي: لخروج يأجوج ومأجوج جعله أي: ذلك السد المحكم المتقن دكاء أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض وكان وعد ربي حقا 98
أشرا وبطرا. كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال: إنما أوتيته على علم عندي وقوله: فإذا جاء وعد
عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم، قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار، تزيدهم
وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا من الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترفهم بنعمة الله كما قال سليمان عليه السلام، لما حضر عنده
فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليتها وقال: هذا رحمة من ربي أي: من فضله وإحسانه علي،

منهم والآخرين، والكافرين والمؤمنين، ليسألوا ويحاسبوا ويجزون بأعمالهم، فأما الكافرون على اختلافهم فإن جهنم جزاؤهم، خالدين فيها أبدا. 99
في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أي: إذا نفخ إسرافيل في الصور، أعاد الله الأرواح إلى الأجساد، ثم حشرهم وجمعهم لموقف القيامة، الأولين
ويموج بعضهم ببعض، من الأهوال والزلازل العظام، بدليل قوله: ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم
قال تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ويحتمل أن الضمير يعود إلى الخلاق يوم القيامة، وأنهم يجتمعون فيه فيكثر
يحتمل أن الضمير، يعود إلى يأجوج ومأجوج، وأنهم إذا خرجوا على الناس من كثرتهم واستيعابهم للأرض كلها يموج بعضهم ببعض، كما

سورة 19

الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاتته القرب من مولاه، ونيل رضاه. آخر تفسير سورة الكهف، ولله الحمد. 1
الله، من واجب ومستحب، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي: لا يراني بعمله بل يعمل خالسا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو
وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع
أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره،
أي: لست بإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، إنما أنا بشر مثلكم عبد من عبيد ربي، يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
أي: قل يا محمد للكفار وغيرهم: إنما أنا بشر مثلكم

واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار فاطمأن قلبه، واستبشر بهذه البشارة العظيمة، وامثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه، 10
للعوائد، ومع هذا، ممنوع من الكلام الذي يتعلق بالآدميين وخطابهم. وأما التسبيح والتهليل، والذكر ونحوه، فغير ممنوع منه، ولهذا قال في الآية الأخرى:
وهذا من الآيات العجيبة، فإن منعه من الكلام مدة ثلاثة أيام، وعجزه عنه من غير خرس ولا آفة، بل كان سويا، لا نقص فيه، من الأدلة على قدرة الله الخارقة
ف قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وفي الآية الأخرى ثلاثة أيام إلا رمزا والمعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد،
كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فطلب زيادة العلم، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، فأجابه الله إلى طلبته رحمة به،
قال رب اجعل لي آية أي: يطمئن بها قلبي، وليس هذا شكا في خبر الله، وإنما هو، كما قال الخليل عليه السلام: رب أرني

وخرج على قومه منه فأوحى إليهم، أي: بالإشارة والرمز أن سبحوا بكرة وعشيا لأن البشارة بـ يحيى في حق الجميع، مصلحة دينية. 11

الله فيه من الذكاء والفطنة، ما لا يوجد في غيره ولهذا قال: وآتيناه الحكم صبيا أي: معرفة أحكام الله والحكم بها، وهو في حال صغره وصباه. 12
وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه، وجعل
دل الكلام السابق على ولادة يحيى، وشبابه، وتربيته، فلما وصل إلى حالة يفهم فيها الخطاب أمره الله أن يأخذ الكتاب بقوة، أي: بجده واجتهاده،

تفسير السعدي

للمحظور، ومن كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، وكان من أهل الجنة التي أعدت للمتقين، وحصل له من الثواب الدنيوي والأخروي، ما رتبته الله على التقوى. 13
وذلك يتضمن زوال الأوصاف المذمومة، والأخلاق الرديئة، وزيادة الأخلاق الحسنة، والأوصاف المحمودة، ولهذا قال: وكان تقيا أي: فاعلا للمأمور، تاركا
من لدنا أي: رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله. وزكاة أي: طهارة من الآفات والذنوب، فظهر قلبه وتزكى عقله،
و آتيناها أيضا حنانا

متذلا، مطيعا، أو ابنا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه، ولهذا حصلت له السلامة من الله، في جميع أحواله، مبادئها وعواقبها 14
محسنا إليهما بالقول والفعل. ولم يكن جبارا عصيا أي: لم يكن متجبرا متكبرا عن عبادة الله، ولا مترفعًا على عباد الله، ولا على والديه، بل كان متواضعا،
و كان أيضا برا بوالديه أي: لم يكن عاقا، ولا مسينا إلى أبويه، بل كان

وأنه سالم من النار والأهوال، ومن أهل دار السلام، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى والده وعلى سائر المرسلين، وجعلنا من أتباعهم، إنه جواد كريم. 15
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وذلك يقتضي سلامته من الشيطان، والشر، والعقاب في هذه الأحوال الثلاثة وما بينها،

وسعيها الكامل، أي: واذكر في الكتاب مريم، في حالها الحسنة، حين انتبذت أي: تباعدت عن أهلها مكانا شرقيا أي: مما يلي الشرق عنهم. 16
من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل،
وكانت من الآيات العجيبة، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها، تدريجا من الأدنى إلى الأعلى فقال: واذكر في الكتاب الكريم مريم عليها السلام، وهذا
لما ذكر قصة زكريا ويحيى،

عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها وهم أهلها، خافت أن يكون رجلا قد تعرض لها بسوء، وطمع فيها، فاعتصمت بربها، واستعاذت منه 17
في صورة جميلة، وهينة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، لكونها لا تحتتمل رؤيته على ما هو عليه، فلما رآته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة
مريم أقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وقوله: فأرسلنا إليها روحنا وهو: جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا أي: كاملا من الرجال،
الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا
فاتخذت من دونهم حجابا أي: سترًا ومانعا، وهذا التباعد منها، واتخاذ الحجاب، لتعتزل، وتتفرد بعبادة ربها، وتقتن له في حالة

من روحنا والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين فأعاضها الله بعفتها، ولدا من آيات الله، ورسولا من رسله. 18
العفة خصوصا مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع من أفضل الأعمال. ولذلك أتى الله عليها فقال: ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه
الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء، أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه. وهذه
التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك
إني أعوذ بالرحمن منك أي: ألتجئ به وأعتصم برحمته، أن تنالني بسوء. إن كنت تقيا أي: إن كنت تخاف الله، وتعمل بتقواه، فاترك

ربي فيك لأهب لك غلاما زكيا وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة 19
فلما رأى جبريل منها الروح والخيفة، قال: إنما أنا رسول ربك أي: إنما وظيفتي وشغلي، تنفيذ رسالة

يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا. 2
العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم
ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتنب واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا
فإن في قصتها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأوليائه، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره
تفسير الآيتين 2 و 3: أي: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة،

فتعجبت من وجود الولد من غير أب، فقالت: أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا والولد لا يوجد إلا بذلك؟ 20

أي: وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة أمرا مقضيا قضاء سابقا، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنفخ جبريل عليه السلام في جيبها. 21
نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولا، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، وكان
الله بوحيه ومن عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر
العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ورحمة منا أي: ولنجعل رحمة منا به، وبوالدته، وبالناس. أما رحمة الله به، فلما خصه
آية للناس تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب
قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله

وكانت نسيا منسيا فلا تذكر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل. 22
إلى جذع نخلة، فلما ألمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من حالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمت أنها ماتت قبل هذا الحادث،
تفسير الآيتين 22 و 23: أي: لما حملت بعيسى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس مكانا قصيا فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض

تفسير السعدي

وكانت نسيا منسيا فلا تذكر. وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة بتقدير ما حصل. 23 إلى جذع نخلة، فلما ألمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب، ووجع قلبها من حالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمنّت أنها ماتت قبل هذا الحادث، تفسير الآيتين 22 و 23: أي: لما حملت بعيسى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس مكانا قصيا فلما قرب ولادها، ألجأها المخاض وناداهما من تحتها، لعله في مكان أنزل من مكانها، وقال لها: لا تحزني، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف قد جعل ربك تحتك سريا أي: نهرا تشربين منه. 24 فحينئذ سكن الملك روعها وثبت جأشها

وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا أي: طريا لذيذا نافعا 25

من أكبر الدعاوى، التي لو أقيم عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا. 26 لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها، فإن إتيان المرأة بولد من دون زوج، ودعواها أنه من غير أحد، بكلام، لتستريح من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بخطابهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحدا من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: إني نذرت للرحمن صوما أي: سكوتا فلن أكلم اليوم إنسيا أي: لا تخاطبهم من التمر، واشربي من النهر وقري عينا بعيسى، فهذا طمأنينتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكّل والمشرب والهني. وأما من جهة حالة فكلي

لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها، فأنت غير مبالية ولا مكترثة، فقالوا: لقد جئت شيئا فريا أي: عظيما وخيما، وأرادوا بذلك البغاء حاشاها من ذلك. 27 أي: فلما تعلت مريم من نفاسها، أنت بعيسى قومها تحمله، وذلك

وأنت بما لم يأتيا به؟. وذلك أن الذرية في الغالب بعضها من بعض، في الصلاح وضده، فتعجبوا بحسب ما قام بقلوبهم كيف وقع منها 28 سوء وما كانت أمك بغيا أي: لم يكن أبواك إلا صالحين سالمين من الشر، وخصوصا هذا الشر، الذي يشيرون إليه، وقصدهم: فكيف كنت على غير وصفهما؟ الظاهر، أنه أخ لها حقيقي، فنسبوا إليه، وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء وليس هو هارون بن عمران أخا موسى، لأن بينهما قرونا كثيرة ما كان أبوك أمرا يا أخت هارون

فلما أشارت إليهم بتكليمه، تعجبوا من ذلك وقالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيا لأن ذلك لم تجر به عادة، ولا حصل من أحد في ذلك السن. 29 فأشارت لهم إليه، أي: كلموه. وإنما أشارت لذلك، لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها، أن، تقول: إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم، شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا، ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا. 3 العباد إلى ربه، وعلمهم ما علمه الله، ونصح لهم في حياته وبعد مماته، كإخوانه من المرسلين ومن اتبعهم، فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم ومعرفته، والسبب الموصل إليه. وذلك أن الله تعالى اجتنب واصطفى زكريا عليه السلام لرسالته، وخصه بوحيه، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا فإن في قصها عبرة للمعتبرين، وأسوة للمقتدين، ولأن في تفصيل رحمته لأولياته، وبأي: سبب حصلت لهم، مما يدعو إلى محبة الله تعالى، والإكثار من ذكره تفسير الآيتين 2 و 3: أي: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا سنقصه عليك، ونفصله تفصيلا يعرف به حالة نبيه زكريا، وآثاره الصالحة، ومناقبه الجميلة،

الكتاب أي: قضى أن يؤتيني الكتب وجعلني نبيا فأخبرهم بأنه عبد الله، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه 30 وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى في قوله إني عبد الله ومدعون موافقته. آتاني فحينئذ قال عيسى عليه السلام، وهو في المهد صبي: إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فخاطبهم بوصفه بالعبودية،

أي: أوصاني بالقيام بحقوقه، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عبادته، التي أجلها الزكاة، مدة حياتي، أي: فأنا ممتثل لوصية ربي، عامل عليها، منفذ لها 31 والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالس، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه. وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وجعلني مباركا أين ما كنت أي: في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله في من تعليم الخير والدعوة إليه،

في دنياي أو أخراي، فلم يجعلني كذلك بل جعلني مطيعا له خاضعا خاشعا متذللا، متواضعا لعباد الله، سعيدا في الدنيا والآخرة، أنا ومن اتبعني. 32 الإحسان، وأقوم بما ينبغي له، لشرفها وفضلها، ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها. ولم يجعلني جبارا أي: متكبرا على الله، مترفعا على عباده شقيا ووصاني أيضا، أن أبر والدي فأحسن إليها غاية

وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبد الله حقا. 33 يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا أي: من فضل ربي وكرمه، حصلت لي السلامة يوم ولادتي، ويوم موتي، ويوم بعثي، من الشر والشیطان والعقوبة، فلما تم له الكمال، ومحامد الخصال قال: والسلام علي

أي: يشكون فيمارون بشكهم، ويجادلون بخرصهم، فمن قائل عنه: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن إفكهم وتقولهم علوا كبيرا. 34 عن عيسى عليه السلام، وما قيل فيه مما يخالف هذا، فإنه مقطوع ببطلانه، وغايته أن يكون شكا من قائله لا علم له به، ولهذا قال: الذي فيه يمترون

تفسير السعدي

الموصوف بتلك الصفات، عيسى بن مريم، من غير شك ولا مرية، بل قول الحق، وكلام الله، الذي لا أصدق منه قيلا، ولا أحسن منه حديثا، فهذا الخبر اليقيني، أي: ذلك

نافذا في العالم العلوي والسفلي، فكيف يكون له ولد؟ وإذا كان إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون فكيف يستبعد إيجاد عيسى من غير أب؟! 35
عن الولد والنقص، إذا قضى أمرا أي: من الأمور الصغار والكبار، لم يمتنع، عليه ولم يستصعب وإنما يقول له كن فيكون فإذا كان قدره ومشيتته ولا يليق، لأن ذلك من الأمور المستحيلة، لأنه الغني الحميد، المالك لجميع الممالك، فكيف يتخذ من عباده ومماليكه، ولدا؟! سبحانه أي: تنزهه وتقدس ف ما كان لله أن يتخذ من ولد أي: ما ينبغي

ولهذا قال: هذا صراط مستقيم أي: طريق معتدل، موصل إلى الله، لكونه طريق الرسل وأتباعهم، وما عدا هذا، فإنه من طرق الغي والضلال. 36
وصرفنا تقديره. فاعبدوه أي: أخلصوا له العبادة، واجتهدوا في الإنابة، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني، أخبر عيسى أنه عبد مربوب كغيره، فقال: وإن الله ربي وربكم الذي خلقنا، وصورنا، ونفذ فينا تدبيره،

وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلئ بالزلازل والأهوال، المشتغل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبين ما كانوا يخفون ويبدون، وما كانوا يكتُمون. 37
ويدخل فيهم اليهود والنصارى، القائلون بعيسى قول الكفر. من مشهد يوم عظيم أي: مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والآخرون، أهل السماوات مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة، والشبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، ولهذا قال: فويل للذين كفروا بالله ورسله وكتبه، ومنهم من قال: إنه ابن الله. ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة. ومنهم من لم يجعله رسولا، بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود. وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وآراؤهم فاسدة، الأحزاب، أي: فرق الضلال، من اليهود والنصارى وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى عليه السلام، فمن غال فيه وجاف، فمنهم من قال: إنه الله، لما بين تعالى حال عيسى بن مريم الذي لا يشك فيها ولا يمتري، أخبر أن

فقلت في عيسى: إنه عبد الله ورسوله فآمنوا به، واتبعوه، فهؤلاء مؤمنون، غير داخلين في هذا الوعيد، فهذا خص الله بالكافرين. 38
فاختلف الأحزاب من بينهم ولم يقل فويل لهم ليعود الضمير إلى الأحزاب، لأن من الأحزاب المختلفين، طائفة أصابت الصواب، ووافقت الحق، الحق والصواب، ولكنه راض بضلاله وما هو عليه من سوء أعماله، غير ساع في معرفة الحق من الباطل، وتأمل كيف قال: فويل للذين كفروا بعد قوله في ضلال مبين وليس لهم عذر في هذا الضلال، لأنهم بين معاند ضال على بصيرة، عارف بالحق، صادف عنه، وبين ضال عن طريق الحق، متمكن من معرفة وشركهم وأقوالهم، ويقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ففي القيامة، يستيقنون حقيقة ما هم عليه. لكن الظالمون اليوم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم! فيقرون بكفرهم

ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه. 39
دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية. فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرت الله الأرض غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكر، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهمتهم سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في بعدها، وخسر نفسه وأهله. فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، وأتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاوة لا سعادة هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون تفسير الآيتين 39 و 40: الإنذار

أطافك تتوالى علي، وإحسانك وأصلا إلي، وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقا، أن يتم إحسانه لاحقا. 4
القلب بحول الله وقوته. ولم أكن بدعائك رب شقيا أي: لم تكن يا رب تردني خائبا ولا محروما من الإجابة، بل لم تزل بي حفيا ولدعائي مجيبا، ولم تزل والكبر، ورسول الموت ورائده، ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق رب إني وهن العظم مني أي: وهى وضعف، وإذا ضعف العظم، الذي هو عماد البدن، ضعف غيره، واشتعل الرأس شيبا لأن الشيب دليل الضعف ومن عليها، ويرجعهم إليه، فيجازيهم بما عملوا فيها، وما خسروا فيها أو ربحوا، فمن فعل خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه. 40
دنياهم، وحالت بينهم وبين الإيمان شهواتهم المنقضية الفانية. فالدنيا وما فيها، من أولها إلى آخرها، ستذهب عن أهلها، ويذهبون عنها، وسيرت الله الأرض غفلة عن هذا الأمر العظيم لا يخطر بقلوبهم، ولو خطر فعلى سبيل الغفلة، قد عمتهم الغفلة، وشملتهم السكر، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يتبعون رسله، قد ألهمتهم سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟! فهذا قدامهم، والحال أنهم في الدنيا في بعدها، وخسر نفسه وأهله. فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تتقطع منها القلوب، وتنصدع منها الأفئدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، وأتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقي شقاوة لا سعادة هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون

وشرعا. ودل بتنبهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى. 41
نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا
الأوثان: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي: لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها
على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: إذ قال لأبيه مهجنا له عبادة
كلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر
أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما
أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: واذكر
وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية. فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله
ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبتة، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه،
كان أصدق الأنبياء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل. وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه، أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيرا ما يبدئ
ذكر فيه الأخبار، كانت أصدق الأخبار وأحقها، وإن ذكر فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعيد،
تفسير الآيتين 41 و 42: أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن

وشرعا. ودل بتنبهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى. 42
نفعا ولا ضرا، بل لا تملك لأنفسها شيئا من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا
الأوثان: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا أي: لم تعبد أصناما، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها
على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه، وذكر الله مراجعته إياه، فقال: إذ قال لأبيه مهجنا له عبادة
كلهم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الأب الثالث للطوائف الفاضلة، وهو الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، وهو الذي دعا الخلق إلى الله، وصبر
أمر بالتصديق به، وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل، وإبراهيم عليه السلام، هو أفضل الأنبياء
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا جمع الله له بين الصديقية والنبوة. فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما
أن يذكرهم، لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم، فقال: واذكر
وحقوق العباد، ودعوة الخلق إلى الله، والصبر على ذلك، والمقامات الفاخرة، والمنازل العالية. فذكر الله في هذه السورة جملة من الأنبياء، يأمر الله رسوله
ويعيد في قصص الأنبياء، الذين فضلهم على غيرهم، ورفع قدرهم، وأعلى أمرهم، بسبب ما قاموا به، من عبادة الله ومحبتة، والإنابة إليه، والقيام بحقوقه،
كان أصدق الأنبياء وأحقها وأدلها على الحكمة والعدل والفضل. وإن ذكر فيه الأنبياء والمرسلون، كان المذكور فيه، أكمل من غيره وأفضل، ولهذا كثيرا ما يبدئ
ذكر فيه الأخبار، كانت أصدق الأخبار وأحقها، وإن ذكر فيه الأمر والنهي، كانت أجل الأوامر والنواهي، وأعدلها وأقسطها، وإن ذكر فيه الجزاء والوعيد،
تفسير الآيتين 41 و 42: أجل الكتب وأفضلها وأعلاها، هذا الكتاب المبين، والذكر الحكيم، فإن

من العلم شيء وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علما، وأن الذي وصل إلي لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها. 43
لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال. وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل أو ليس عندك
ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك، والمقصود من هذا قوله: فاتبعني أهدك صراطا سويا أي: مستقيما معتدلا، وهو: عبادة الله وحده
يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك، وإن عندك

ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن، إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها. كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته. 44
آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين إن الشيطان كان للرحمن عصيا فمن اتبع خطواته، فقد اتخذها وليا وكان عاصيا لله بمنزلة الشيطان. وفي
يا أبت لا تعبد الشيطان لأن من عبد غير الله، فقد عبد الشيطان، كما قال تعالى: ألم أعهد إليكم يا بني

إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون وليا للشيطان، 45
وترتفع في مراتبه الوخيمة. فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنت إن أطعني، اهتديت
أن يمسك عذاب من الرحمن أي: بسبب إصرارك على الكفر، وتماديك في الطغيان فتكون للشيطان وليا أي: في الدنيا والآخرة، فتتزل بمنازله الذميمة،
يا أبت إني أخاف

إليها. لأن لم تنته أي: عن شتم آلهتي، ودعوتي إلى عبادة الله لأرجمك أي: قتل بالحجارة واهجرني مليا أي: لا تكلمني زمانا طويلا 46
إبراهيم فتبجح بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو

تفسير السعدي

فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: أراغب أنت عن آلهتي يا

على ذلك، وعدم السأمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي. 47
أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر
رحيما رءوفا بحالي، معتنيا بي، فلم يزل يستغفر الله له رجاء أن يهديه الله، فلما تبين له أنه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئا، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه. وقد
سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا أي: لا أزال أدعو الله لك بالهداية والمغفرة، بأن يهديك للإسلام، الذي تحصل به المغفرة، ف إنه كان بي حفيا أي:
عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين، ولم يشتمه، بل صبر، ولم يقابل أباه بما يكره، وقال: سلام عليك أي: ستسلم من خطابي إياك بالشتيم والسب وبما تكره،
فأجابه الخليل جواب

دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون، أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، ويعتزل الشر وأهله. 48
لدعاء العبادة، ودعاء المسألة عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا أي: عسى الله أن يسعدني بإجابة دعائي، وقبول أعمالي، وهذه وظيفة من آيس ممن
فلما آيس من قومه وأبيه قال: وأعتزلكم وما تدعون من دون الله أي: أنتم وأصنامكم وأدعو ربي وهذا شامل
ويعقوب جعلنا نبيا فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحيه، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين. 49
شيئا لله عوضه الله خيرا منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا من إسحاق
ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمر كثيرة معروفة، ومنها انفراده عن يعتز بهم ويتكبر، وكان من ترك
وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد. فهب لي من لدنك وليا وهذه الولاية، ولاية الدين، وميراث النبوة والعلم والعمل 5
من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر، أي ليست تلد أصلا،
وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته
لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدعوا عبادك إليك، وظاهر هذا، أنه لم ير فيهم أحدا فيه لياقة للإمامة في الدين، وهذا فيه شفقة زكريا عليه السلام ونصحه،
وإني خفت الموالى من ورائي أي: وإني خفت من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن

فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين.. ولا تزال أذكراهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. 50
فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملاأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة،
لهم لسان صدق عليا وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين،
يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون. وجعلنا
ووهبنا لهم أي: لإبراهيم وابنيه من رحمتنا وهذا

بل خصه الله من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجيا لله تعالى، وبهذا اختص من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن 51
وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دقه وجله. والنبوة تقتضي إحياء الله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق،
حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه. وكان رسولا نبيا أي: جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل،
في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه، موجب لاستخلاصه، وأجل
إنه كان مخلصا قرئ بفتح اللام، على معنى أن الله تعالى اختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين. وقرئ بكسرها، على معنى أنه كان مخلص لله تعالى،
أي: واذكر في هذا القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التبرجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم، وأخلاقه الكاملة،

إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النداء، والنجاء، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافا لمن أنكر ذلك، من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم. 52
قوله تعالى: أن بورك من في النار ومن حولها وقربناه نجيا والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك، وفي هذه
ونادينا من جانب الطور الأيمن أي: الأيمن من موسى في وقت مسيره، أو الأيمن: أي: الأبرك من اليمن والبركة. ويدل على هذا المعنى

مثله، فاستجاب الله له ذلك، ووهب له من رحمته أخاه هارون نبيا. فنبوة هارون تابعة لنبوة موسى عليهما السلام، فساعدته على أمره، وأعاناه عليه. 53
ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا هذا من أكبر فضائل موسى وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولا

من الذبح، الذي هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان، ثم وصفه بالرسالة والنبوة، التي هي أكبر منن الله على عبده، وأهلها من الطبقة العليا من الخلق. 54
للوعد الذي يعقده مع الله أو مع العباد، ولهذا لما وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه له وقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين وفي بذلك ومكن أباه
النبي العظيم، الذي خرج منه الشعب العربي، أفضل الشعوب وأجلها، الذي منهم سيد ولد آدم. إنه كان صادق الوعد أي: لا يعد وعدا إلا وفى به. وهذا شامل
أي: واذكر في القرآن الكريم، هذا

بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه. 55
للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم. وكان عند ربه مرضيا وذلك

تفسير السعدي

وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة أي: كان مقيما لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة

نبيا جمع الله له بين الصديقية، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفاؤه لوحيه، واختياره لرسالته. 56
أي: اذكر في الكتب على وجه التعظيم والإجلال، والوصف بصفات الكمال. إدريس إنه كان صديقا

ورفعناه مكانا عليا أي: رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة. 57

دلالة على أن آياته، من رحمته بعباده وإحسانه إليهم حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة. 58
ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم، ولم يكونوا من الذين إذا سمعوا آيات الله خروا عليها صما وعميانا. وفي إضافة الآيات إلى اسمه الرحمن الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد. خروا سجدا وبكيا أي: خضعوا لآيات الله، وخشعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة، وإسرائيل فهذه خير بيوت العالم، اصطفاهم الله، واختارهم، واجتباهم. وكان حالهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب وصفات علام وأن من أطاع الله، كان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية. وأن بعضهم من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح أي: من ذريته ومن ذرية إبراهيم عليهم من النبيين أي: أنعم الله عليهم نعمة لا تحق، ومنه لا تسبق، من النبوة والرسالة، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعمت عليهم، لما ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين، وخوادم المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: أولئك الذين أنعم الله

لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم، حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها. فسوف يلحقون غيا أي: عذابا مضاعفا شديدا 59
أضيق، وله أرفض، والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت همهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق الله، فنشأ من ذلك التضيق وضيقوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي أكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم من أتى بعدهم، وبدلوا ما أمروا به، وأنه خلف من بعدهم خلف، رجعوا إلى الخلف والوراء، فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهانوا بها لما ذكر تعالى هؤلاء الأنبياء المخلصون المتبعون لمراضي ربهم، المنيبون إليه، ذكر

خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته 6
أي: عبدا صالحا ترضاه وتحببه إلى عبادك، والحاصل أنه سأل الله ولدا، ذكرا، صالحا، يبق بعد موته، ويكون وليا من بعده، ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضى

على النعيم المقيم، والعيش السليم، وجوار الرب الكريم، ولا يظلمون شيئا من أعمالهم، بل يجدونها كاملة، موفرة أجورها، مضاعفا عددها. 60
وهو العمل الذي شرعه الله على أسنة رسله، إذا قصد به وجهه، فأولئك الذي جمعوا بين التوبة والإيمان، والعمل الصالح، يدخلون الجنة المشتملة عن الشرك والبدع والمعاصي، فأقلع عنها وندم عليها، وعزم عزمًا جازمًا أن لا يعاودها، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا ثم استثنى تعالى فقال: إلا من تاب

كلها صحيحة ثابتة، ولكن الاحتمال الأول أولى، بدليل قوله: إنه كان وعده مأتيا لابد من وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين. 61
المجمل، ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل قوله: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون والمعاني ويحتمل أيضا، أن المعنى: هذه الجنات التي وعدنا الرحمن عباده، من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلا الله، ففيه من التشويق لها، والوصف بعباده، أي: الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياها، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه، لكانوا أشد له عبادة، وأعظم إنابة، وأكثر حبا، وأجل شوقا، لو رأوها، لكانوا أشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، وأكثر لها سعيًا، ويكون في هذا، مدح له بإيمانهم بالغيب، الذي هو الإيمان النافع. ويحتمل أن تكون متعلقة فيكون المعنى على هذا، أن الله وعدهم إياها وعدا غائبا، لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها، وصدقوا غيبها، وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها، فكيف العبودية الاختيارية، التي يمدح صاحبها، وإنما عبوديتهم عبودية اضطرار، لا مدح لهم فيها. وقوله: بالغيب يحتمل أن تكون متعلقة ب وعد الرحمن ونحوه، بخلاف عباده المماليك فقط، الذين لم يعبدوه، فهؤلاء وإن كانوا عبيدا لربوبيته، لأنه خلقهم ورزقهم، ودبرهم، فليسوا داخلين في عبيد إلهيته رحمته، التي هي أثرها وموجبها، والعباد في هذه الآية، المراد: عباد إلهيته، الذين عبدوه، والتزموا شرائعه، فصارت العبودية وصفا لهم كقوله: وعباد الرحمن فقال: وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون وأيضا ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية بقاء الرحمن، وأضافها إلى اسمه الرحمن لأن فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وسماها تعالى رحمته، لا ظعن فيها، ولا حول ولا زوال، وذلك لسعتها، وكثرة ما فيها من الخيرات والسرور، والبهجة والحبور. التي وعد الرحمن عباده بالغيب أي: التي وعدنا الجنة التي وعدهم بدخلوها، ليست كسائر الجنات، وإنما هي جنات عدن، أي: جنات إقامة،

الذات، مستمرة حيثما طلبوا، وفي أي: وقت رغبوا، ومن تمامها ولذاتها وحسنها، أن تكون في أوقات معلومة. بكرة وعشيا ليعظم وقعها ويتم نفعها 62
الرخيمة، لأن الدار، دار السلام، فليس فيها إلا السلام التام في جميع الوجوه. ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أي: أرزاقهم من المأكول والمشرب، وأنواع وبشارة، ومطابقة الأحاديث الحسنة بين الإخوان، وسماع خطاب الرحمن، والأصوات الشجية، من الحور والملائكة والولدان، والنغمات المطربة، والألفاظ فلا يسمعون فيها شتما، ولا عيبا، ولا قولاً فيه معصية لله، أو قولاً مكذرا، إلا سلاما أي: إلا الأقوال السالمة من كل عيب، من ذكر لله، وتحية، وكلام سرور،

لا يسمعون فيها لغوا أي: كلاما لاغيا لا فائدة فيه، ولا ما يؤثم،

الدائم، الذي لا يظعنون عنه، ولا يبيغون عنه حولا، كما قال تعالى: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين 63 فتلك الجنة التي وصفناها بما ذكر التي نورث من عبادنا من كان تقيا أي: نورثها المتقين، ونجعلها منزلهم

الجميلة، وتدابيره الجميلة. أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك ولا يهملك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه. 64 قال: وما كان ربك نسيا أي: لم يكن لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ما ودعك ربك وما قلى بل لم يزل معتنيا بأمورك، مجريا لك على أحسن عوائد المكان، فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأنا عبيد مدبرون، فيبقى الأمر دائرا بين: هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخره؟ ولهذا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فنحن عبيد مأمورون، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك أي: له الأمور الماضية والمستقبلية والحاضرة، في الزمان الله تعالى على لسان جبريل: وما ننزل إلا بأمر ربك أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أمرنا، ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمرا، كما قال عنهم: لا يعصون الله الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: لو تأتينا أكثر مما تأتينا تشوقا إليه، وتوحشا لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله فأنزل

استبطن النبي صلى

بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى. 65 الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، قال: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية. هل تعلم له سميا أي: هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، الله تسليق للعابد عن جميع التعلقات والمشتبهات، كما قال تعالى: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه إلى أن وهو: عبادته وحده لا شريك له، واصطبر لعبادته أي: اصبر نفسك عليها واجهداها، وقم عليها أتم القيام وأكملها بحسب قدرتك، وفي الاشتغال بعبادة نظام وأكملها، ليس فيه غفلة ولا إهمال، ولا سدى، ولا باطل، برهان قاطع على علمه الشامل، فلا تشغل نفسك بذلك، بل اشغلها بما ينفعك ويعود عليك طائله، ثم علل إحاطة علمه، وعدم نسيانه، بأنه رب السماوات والأرض فربوبيته للسماوات والأرض، وكونهما على أحسن

وهذا بحسب عقله الفاسد ومقصده السيء، وعناده لرسل الله وكتبه، فلو نظر أدنى نظر، وتأمل أدنى تأمل، لرأى استعباده للبعث، في غاية السخافة 66 على وجه النفي والعناد والكفر أنذا ما مت لسوف أخرج حيا أي: كيف يعيدني الله حيا بعد الموت، وبعد ما كنت رميما؟ هذا لا يكون ولا يتصور، المراد بالإنسان هاهنا، كل منكر للبعث، مستبعد لوقوعه، فيقول مستفهما

للنظر، بالدليل العقلي، بألطف خطاب، وأن إنكار من أنكر ذلك، مبني على غفلة منه عن حاله الأولى، وإلا فلو تذكرها وأحضرها في ذهنه، لم ينكر ذلك. 67 بقادر على إنشائه بعد ما تمزق، وجمعه بعد ما تفرق؟ وهذا كقوله: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وفي قوله: أولا يذكر الإنسان دعوة يك شيئا أي: أولا يلفت نظره، ويستذكر حالته الأولى، وأن الله خلقه أول مرة، ولم يك شيئا، فمن قدر على خلقه من العدم، ولم يكن شيئا، مذكورا، أليس ذكر تعالى برهانا قاطعا، ودليلا واضحا، يعرفه كل أحد على إمكان البعث فقال: أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم

معلوم، ثم لنحضرهم حول جهنم جثيا أي: جاثين على ركبهم من شدة الأهوال، وكثرة الزلازل، وفظاعة الأحوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال 68 أقسم الله تعالى وهو أصدق القائلين ربوبيته، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث، هم وشياطينهم فيجمعهم لميقات يوم

عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل وكل هذا تابع لعدله وحكمته وعلمه الواسع 69 العذاب، ثم هكذا يقدم إلى العذاب، الأغلط إثما، فالأغلظ وهم في تلك الحال متلاعنون، يلعن بعضهم بعضا، ويقول أخراهم لأولاهم: ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم الرحمن عتيا أي: ثم لننزعن من كل طائفة وفرقة من الظالمين المشتركين في الظلم والكفر والعتو أشدهم عتوا، وأعظمهم ظلما، وأكبرهم كفرا، فيقدمهم إلى ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على

من قبله، ولكن على هذا الاحتمال، هذا العموم لا بد أن يكون مخصوصا بإبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام، ونحوهم، ممن هو أفضل من يحيى قطعا 7 أي: لم يسم هذا الاسم قبله أحد، ويحتمل أن المعنى: لم نجعل له من قبل مثيلا ومساميا، فيكون ذلك بشارة بكماله، واتصافه بالصفات الحميدة، وأنه فاق وكان اسما موافقا لمساماه: يحيى حياة حسية، فتتم به المنة، ويحيى حياة معنوية، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعلم والدين. لم نجعل له من قبل سميا أي: بشره الله تعالى على يد الملائكة بـ يحيى وسماه الله له يحيى

ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا أي: علمنا محيط بمن هو أولى صليا بالنار، قد علمناهم، وعلمنا أعمالهم واستحقاقها وقسطها من العذاب. 70

الخیل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه 71 بردا وسلاما. وقيل: الورود، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الورود، فقيل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه. واختلف في معنى

وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم،

ونذر الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي فيها جثيا وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب. 72 ثم ننجي الذين اتقوا الله تعالى بفعل المأمور، واجتنب المحذور

وهذا دليل في غاية الفساد، وهو من باب قلب الحقائق، وإلا فكثر الأموال والأولاد، وحسن المنظر، كثيرا ما يكون سببا لهلاك صاحبه، وشقائه، وشده 73 أنهم أكثر مالا وأولادا، وقد حصلت لهم أكثر مطالبهم من الدنيا، ومجالسهم وأنديتهم مزخرفة مزوقة. والمؤمنون بخلاف هذه الحال، فهم خير من المؤمنين، والمؤمنون خير مقاما أي: في الدنيا، من كثرة الأموال والأولاد، وتوفر الشهوات وأحسن نديا أي مجلسا. أي: فاستنتجوا من هذه المقدمة الفاسدة، ما يجب لها، واستهزؤا بها وبمن آمن بها، واستدلوا بحسن حالهم في الدنيا، على أنهم خير من المؤمنين، فقالوا معارضين للحق: أي الفريقين أي: نحن أي: وإذا تتلى على هؤلاء الكفار آياتنا بينات، أي: واضحات الدلالة على وحدانية الله وصدق رسله، توجب لمن سمعها صدق الإيمان وشدة الإيقان، قابلوها بضد أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ؟ وعلم من هذا، أن الاستدلال على خير الآخرة بخير الدنيا من أفسد الأدلة، وأنه من طرق الكفار. 74 الصور، فإذا كان هؤلاء المهلكون أحسن منهم أثاثا ورثيا، ولم يمنعهم ذلك من حلول العقاب بهم، فكيف يكون هؤلاء، وهم أقل منهم وأذل، معتصمين من العذاب من قرن هم أحسن أثاثا أي: متاعا، من أوان وفرش، وبيوت، وزخارف، وأحسن رثيا، أي: أحسن مرأى ومنظرا، من غصارة العيش، وسرور اللذات، وحسن وكم أهلكنا قبلهم

مضمحلة، ويتيقنون أنهم أهل الشر، وأضعف جندا ولكن لا يفيدهم هذا العلم شيئا، لأنه لا يمكنهم الرجوع إلى الدنيا، فيعملون غير عملهم الأول. 75 أو غيره وإما الساعة التي هي باب الجزاء على الأعمال فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا أي: فحينئذ يتبين لهم بطلان دعوهم، وأنها دعوى به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون حتى إذا رأوا أي: القائلون: أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ما يوعدون إما العذاب بقتل الله يمدد منها، ويزيده فيها حبا، عقوبة له على اختيارها على الهدى، قال تعالى: فلما زاعوا أزاغ الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا لما ذكر دليلهم الباطل، الدال على شدة عنادهم، وقوة ضلالهم، أخبر هنا، أن من كان في الضلالة، بأن رضيها لنفسه، وسعى فيها، فإن

ذلك، علامة لحسن حال صاحبها، أخبر هنا أن الأمر، ليس كما زعموا، بل العمل الذي هو عنوان السعادة ومنشور الفلاح، هو العمل بما يحبه الله ويرضاه. 76 يبقى لصاحبه ثوابه ولا ينجع، ومناسبة ذكر الباقيات الصالحات والله أعلم أنه لما ذكر أن الظالمين جعلوا أحوال الدنيا من المال والولد، وحسن المقام ونحو عند الله، ثوابها وأجرها، وكثير للعاملين نفعها وردها، وهذا من باب استعمال أفضل التفضيل في غير باب، فإنه ما ثم غير الباقيات الصالحات، عمل ينفع، ولا وعمره، وقرأة، وتسبيح، وتكبير، وتحميد، وتهليل، وإحسان إلى المخلوقين، وأعمال قلبية وبدنية. فهذه الأعمال خير عند ربك ثوابا وخير مردا أي: خير تفاوت، ثم قال: والباقيات الصالحات أي: الأعمال الباقية، التي لا تنقطع إذا انقطع غيرها، ولا تضمحل، هي الصالحات منها، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، آياته زادتهم إيمانا ويدل عليه أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تدخل تحت كسبه، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى ويزداد الذين آمنوا إيمانا وإذا تليت عليهم والهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له، ووهب له أمورا أخر، لا لما ذكر أنه يمد للظالمين في ضلالهم، ذكر أنه يزيد المهتدين هداية من فضله عليهم ورحمته،

مؤمننا بالله وادعى هذه الدعوى، لسهل الأمر. وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين فإنها تشمل كل كافر، زعم أنه على الحق، وأنه من أهل الجنة 77 من حالة هذا الكافر، الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولدا، أي: يكون من أهل الجنة، هذا من أعجب الأمور، فلو كان أي: أفلا تتعجب

عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذين عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك بطلان الدعوى 78 عن علم بالغيوب المستقبل، وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئا من المستقبلات الغيبية، إلا من أطلعه الله عليه من رسله. وإما أن يكون متخذا عهدا وهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة؛ فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو: إما أن يكون قوله صادرا ما يكون، أنه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا؟ أم اتخذ عند الرحمن عهدا أنه نائل ما قاله، أي: لم يكن شيء من ذلك، فعلم أنه متقول، قائل ما لا علم له به. قال الله، توبيخا له وتكذيبا: أطلع الغيب أي: أحاط علمه بالغيب، حتى علم ما يكون، وأن من جملة

محفوظ، ليجازى عليه ويعاقب، ولهذا قال: سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا أي: نزيده من أنواع العقوبات، كما ازداد من الغي والضلال. 79 اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسائل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا، لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تقوله، وأن قوله مكتوب، كلا أي: ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل

وكأنه وقت دعائه، لم يستحضر هذا المانع لقوة الوارد في قلبه، وشدة الحرص العظيم على الولد، وفي هذه الحال، حين قبلت دعوته، تعجب من ذلك 8 فحينئذ لما جاءته البشارة بهذا المولود الذي طلبه استغرب وتعجب وقال: رب أنى يكون لي غلام والحال أن المانع من وجود الولد، موجود بي وبزوجتي؟

تفسير السعدي

- 80 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 81 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 82 فينتقل من الدنيا فردا، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ولا أعوان ويأتينا فردا فيرى من وخيم العذاب وأليم العقاب، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين. ونثره ما يقول أي: نثره ماله وولده،
- 83 له عليه سلطان، كما قال تعالى: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون عنه، ويجاهد أهل الحق في سبيل الباطل، وهذا كله، جزاء له على توليه من وليه وتوليه لعدوه، جعل له عليه سلطان، وإلا فلو آمن بالله، وتوكل عليه، لم يكن إليهم، ويزينون لهم الباطل، ويقبحون لهم الحق، فيدخل حب الباطل في قلوبهم ويتشربها، فيسعى فيه سعي المحق في حقه، فينصره بجده ويحارب ووالوا أعداءه، من الشياطين سلطهم عليهم، وقبضهم لهم، فجعلت الشياطين تؤزهم إلى المعاصي أزا، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجا، فيوسوسون لهم، ويوحدون وهذا من عقوبة الكافرين أنهم لما لم يعتصموا بالله، ولم يتمسكوا بحبل الله، بل أشركوا به
- 84 أي أن لهم أياما معدودة لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، نملهم ونحلم عنهم مدة ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فيهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر. 84 فلا تعجل عليهم أي: على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب إنما نعد لهم عدا
- بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على السنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضل. 85 من الرجاء، وحسن الظن بالوفاة إليه ما هو معلوم، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك والبدع والمعاصي يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين، مبجلين معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودا إليه، والوفاة لابد أن يكون في قلبه يخبر تعالى عن تفاوت الفريقين المتقين، والمجرمين، وأن المتقين له باتقاء الشرك
- إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم 86 وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم وردا، أي: عطاشا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار
- قال تعالى: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وسمى الله الإيمان به واتباع رسله عهدا، لأنه عهد في كتبه وعلى السنة رسله، بالجزاء الجميل لمن اتبعهم. 87 الشافعين، لأنهم لم يتخذوا عنده عهدا بالإيمان به وبرسله، وإلا فمن اتخذ عنده عهدا فآمن به وبرسله واتباعهم، فإنه ممن ارتضاه الله، وتحصل له الشفاعة كما لا يملكون الشفاعة أي: ليست الشفاعة ملكهم، ولا لهم منها شيء، وإنما هي لله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وقد أخبر أنه لا تنفعهم شفاعة
- زعموا أن الرحمن اتخذ ولدا، كقول النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزيز ابن الله، والمشركون: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. 88 وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين
- لقد جئتم شيئا إذا أي: عظيما وخيما. 89
- وفي سنة الله في الخليقة، ولكن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد الأشياء بدون أسبابها فذلك هين عليه، ليس بأصعب من إيجادها قبل ولم يكن شيئا. 9 فأجابه الله بقوله: كذلك قال ربك هو علي هين أي: الأمر مستغرب في العادة،
- على عظمتها وصلابتها يتفطرن منه أي: من هذا القول وتنشق الأرض منه، أي: تتصدع وتنفطر وتخر الجبال هذا أي: تندك الجبال. 90 من عظيم أمره أنه تكاد السماوات
- ولدا وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبه له ولا مثل ولا سمي. 91 للرحمن أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ما ينبغي أي: لا يليق ولا يكون للرحمن أن يتخذ تفسير الآيتين 91 و 92 :- أن دعوا
- ولدا وذلك لأن اتخاذه الولد، يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد. والولد أيضا، من جنس والده، والله تعالى لا شبه له ولا مثل ولا سمي. 92 للرحمن أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر. والحال أنه: ما ينبغي أي: لا يليق ولا يكون للرحمن أن يتخذ تفسير الآيتين 91 و 92 :- أن دعوا
- والجن وغيرهم، الجميع ممالك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمته ملكه؟ 93 إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا أي: ذليلا منقادا، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس،
- وعدهم عدا أي: لقد أحاط علمه بالخلائق كلهم، أهل السماوات والأرض، وأحصاهم وأحصى أعمالهم، فلا يضل ولا ينسى، ولا تخفى عليه خافية. 94 لقد أحصاهم

تفسير السعدي

أنصار، ليس معه إلا عمله، فيجازيه الله ويوفيه حسابه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما قال تعالى: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة 95 وكلهم آتية يوم القيامة فردا أي: لا أولاد، ولا مال، ولا

إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض وإنما جعل الله لهم ودا، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه. 96 والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: وودادا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة

أي: شديدين في باطلهم، أقوياء في كفرهم، فتذرهم. فتقوم عليهم الحجة، وتبين لهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. 97 المقصود منه والانتفاع به، لتبشر به المتقين بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للبشارة، وتذره به قوما لدا يخبر تعالى عن نعمته تعالى، وأن الله يسر هذا القرآن الكريم بلسان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، يسر ألفاظه ومعانيه، ليحصل

الصوت الخفي، أي: لم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسماهم عظة للمتعظين. تم تفسير سورة مريم، ولله الحمد والشكر. 98 وفرعون، وغيرهم من المعاندين المكذبين، لما استمروا في ظغيانهم، أهلكهم الله فليس لهم من باقية. هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا والركز: ثم توعدهم بإهلاك المكذبين قبلهم، فقال: وكم أهلكنا قبلهم من قرن من قوم نوح، وعاد، وثمود،

سورة 20

طه من جملة الحروف المقطعة، المفتحة بها كثير من السور، وليست اسما للنبي صلى الله عليه وسلم. 1

تستنير به الأرواح والقلوب، والهداية الحقيقية، هداية الصراط المستقيم، الموصلة إلى جنات النعيم، فحصل له أمر لم يكن في حسابه، ولا خطر بباله. 10 تصطلون به أو أجد على النار هدى أي: من يهديني الطريق. وكان مطلبه، النور الحسي والهداية الحسية، فوجد ثم النور المعنوي، نور الوحي، الذي فقال لأهله امكثوا إني آنست أي: أبصرت نارا وكان ذلك في جانب الطور الأيمن، لعلي آتيكم منها بقبس

أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة فإنه يحمل يوم القيامة وزرا وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، 100 وأما مقابلته بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار، فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: من أعرض عنه فلم يؤمن به، عذابا على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها. وساء لهم يوم القيامة حملا أي: بنس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة 101 خالدين فيه أي: في وزرهم، لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب

وخرج الناس من قبورهم، كل على حسب حاله، فالمتقون يحشرون إلى الرحمن وفدا، والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش 102 أي: إذا نفخ في الصور

كما قال تعالى: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون 103 القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. ويسمع ما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير إن لبثتم إلا يوما والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات و 104 نيتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، تفسير الايتين 103

كما قال تعالى: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون 104 القصيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم، فها قد حضر الجزاء، وحق الوعيد، فلم يبق إلا الندم، والدعاء بالويل والثبور. ويسمع ما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة أي: أعدلهم وأقربهم إلى التقدير إن لبثتم إلا يوما والمقصود من هذا، الندم العظيم، كيف ضيعوا الأوقات و 104 نيتناجون بينهم، ويتخافتون في قصر مدة الدنيا، وسرعة الآخرة، فيقول بعضهم: ما لبثتم إلا عشرة أيام، ويقول بعضهم غير ذلك، والله يعلم تخافتهم، تفسير الايتين 103

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 105 منبها، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمثا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرمال، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 إلى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 106

تفسير السعدي

منبتا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمتا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن والكرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 الى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

وأماكن منخفضة، أو مرتفعة فتبرز الأرض، وتتسع للخلائق، ويمدها الله مد الأديم، فيكونون في موقف واحد، يسمعون الداعي، وينفذهم البصر، ولهذا 107 منبتا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عوجا، هذا من تمام استوائها ولا أمتا أي: أودية ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ فقل ينسفها ربي نسفا أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن والكرمل، ثم يدكها فيجعلها هباء تفسير الآيات من 105 الى 107: يخبر تعالى عن أهوال القيامة، وما فيها من الزلازل والقلقل، فقال: ويسألونك عن الجبال أي:

كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من غني عن عبادته، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين. 108 فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد مع قوله صلى الله عليه وسلم: لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها فقل ما شئت عن رحمته، رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه أي: من الرحمة المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم الأصوات للرحمن إلا من أذن له الرحمن مع قوله الملك يومئذ الحق للرحمن مع قوله صلى الله عليه وسلم: إن لله مائة رحمة أنزل لعباده سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصا في فصل القيامة، فإن قوله: وخشعت المؤمنون به وبرسله بالرحمة فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟ قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه فيختص شأن يغنيه فحينئذ يحكم فيهم الحاكم العدل الديان، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بالحرمان. والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق عانية وجوههم، لا يدرون ماذا ينفصل كل منهم به، ولا ماذا يفعل به، قد اشتغل كل بنفسه وشأنه، عن أبيه وأخيه، وصديقه وحبيبه لكل امرئ منهم يومئذ العظيم، الأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والأحرار والأرقاء، والملوك والسوقة، ساكتين منصتين، خاشعة أبصارهم، خاضعة رقابهم، جاثين على ركبهم، سرا بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارا لحكم الرحمن فيهم، وتعنو وجوههم، أي: تذلل وتخضع، فترى في ذلك الموقف الخلق، يسمعون جميعهم، ويصيح بهم أجمعين، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن، فلا تسمع إلا همسا أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون عنه، ولا يعرجون يمنا ولا يسرة، وقوله: لا عوج له أي: لا عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقا وصدقا، لجميع يومئذ يتبعون الداعي وذلك حين يبعثون من قبورهم ويقومون منها، يدعوه الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، والمرسلين، وعباده المقربين، فيمن ارتضى قوله وعمله، وهو المؤمن المخلص، فإذا اختل واحد من هذه الأمور، فلا سبيل لأحد إلى شفاعته من أحد. 109 الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا أي: لا يشفع أحد عنده من الخلق، إلا إذا أذن في الشفاعة ولا يأذن إلا لمن رضي قوله، أي: شفاعته، من الأنبياء يومئذ لا تنفع

لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره فلما وصل إليها نودي منها، أي: ناداه الله، كما قال: ونادينه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا 11 النار التي أنسها من بعيد، وكانت في الحقيقة نورا، وهي نار تحرق وتشرق، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: حجاب النور أو النار، لو كشفه فلما أتاها أي:

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 110 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 111 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

ولا هضما أي: نقصا من حسناته، بل تغفر ذنوبه، وتطهر عيوبه، وتضاعف حسناته، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 112 الأليم في جهنم، وسخط الديان. والقسم الثاني: من آمن بالإيمان المأمور به، وعمل صالحا من واجب ومسنون فلا يخاف ظلما أي: زيادة في سيئاته تفسير الآيات من 110 الى 112: يوينقسم الناس في ذلك الموقف قسمين: ظالمين بكفرهم وشرهم، فهؤلاء لا ينالهم إلا الخيبة والحرمان، والعذاب

عربيا، وكونه مصرفا فيه من الوعيد، أكبر سبب، وأعظم داع للتقوى والعمل الصالح، فلو كان غير عربي، أو غير مصرف فيه، لم يكن له هذا الأثر. 113 كل هذا رحمة بالعباد، لعلهم ينتقون الله فيتركون من الشر والمعاصي ما يضرهم، أو يحدث لهم ذكرا فيعملون من الطاعات والخير ما ينفعهم، فكونه آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة يذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة يذكر جهنم وما فيها من أنواع العقاب وأصناف العذاب،

تفسير السعدي

نوعانها أنواعا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثالات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر أي: وكذلك أنزلنا هذا الكتاب، باللسان الفاضل العربي، الذي تفهمونه وتفقهونه، ولا يخفى عليكم لفظه، ولا معناه. وصرنا فيه من الوعيد أي:

العلم، فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب. 114 له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل ببعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت. ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي إليه، تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرأناه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم، على تلقف الوحي ومبادرته بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقراءه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقرأتك إياه، كما قال تعالى: لا الأشياء، فإنه ملك قاصر باطل يزول، وأما الرب، فلا يزال ولا يزول ملكا حيا قيوما جليلا. ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه أي: لا تبادر وجوده وملكه وكماله حق، فصافات الكمال، لا تكون حقيقة إلا لذي الجلال، ومن ذلك: الملك، فإن غيره من الخلق، وإن كان له ملك في بعض الأوقات، على بعض أي: جل وارتفع وتقدس عن كل نقص وآفة، الملك الذي الملك وصفه، والخلق كله ممالك له، وأحكام الملك القدريّة والشرعية، نافذة فيهم. الحق أي: لما ذكر تعالى حكمه الجزائي في عبادته، وحكمه الأمري الديني، الذي أنزله في كتابه، وكان هذا من آثار ملكه قال: فتعالى الله

ذريته، وخطي فخطوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم. 115 على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فسيت أي: ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهدا ليقوم به، فالتزمه، وأدع له وانقاد، وعزم

أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتبينت حينئذ، عداوته البليغة لآدم وزوجه، لما كان عدوا لله، وظهر من حسده، ما كان سبب العداوة 116 وكرمه، أمر الملائكة بالسجود له، إكراما وتعظيما وإجلالا، فبادروا بالسجود ممتثلين، وكان بينهم إبليس، فاستكبر عن أمر ربه، وامتنع من السجود لآدم وقال: أي: لما أكمل خلق آدم بيده، وعلمه الأسماء، وفضله،

فحذر الله آدم وزوجه منه، وقال لا يخرجكما من الجنة فتشقى إذا أخرجت منها، فإن لك فيها الرزق الهني، والراحة التامة. 117

فيها ولا تعرى وأنت لا تظما فيها ولا تضحي أي: تصيبك الشمس بحرهما، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب 118 تفسير الآيتين 118 و119: إن لك ألا تجوع

فيها ولا تعرى وأنت لا تظما فيها ولا تضحي أي: تصيبك الشمس بحرهما، فضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب 119 تفسير الآيتين 118 و119: إن لك ألا تجوع

إلا أن الله اختاره لمناجاته كلمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: إن الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار فالله أعلم بذلك. 12 المقدس طوى أخبره أنه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، ويلقي نعليه، لأنه بالوادي المقدس المطهر المعظم، ولو لم يكن من تقديسه، إني أنا ربك فالخلع نعليك إنك بالواد

لكل منهما سواة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم. 120 إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: هل أدلك على شجرة الخلد أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة. وملك لا يبلى أي: لا ينقطع تفسير الآيتين 120 و121: ولكن نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فلم يزل الشيطان

لكل منهما سواة الآخر، بعد أن كانا مستورين، وجعلا يخصفان على أنفسهما من ورق أشجار الجنة ليستترا بذلك، وأصابهما من الخجل ما الله به عليم. 121 إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطف له في الكلام، فاغتر به آدم، وأكلا من الشجرة فسقط في أيديهما، وسقطت كسوتهما، واتضحت معصيتهما، وبدا يسول لهما، ويزين أكل الشجرة، ويقول: هل أدلك على شجرة الخلد أي: الشجرة التي من أكل منها خلد في الجنة. وملك لا يبلى أي: لا ينقطع تفسير الآيتين 120 و121: ولكن نهاه عن أكل شجرة معينة فقال: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فلم يزل الشيطان

كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون 122 عليه وعلى ذريته، ووجب عليهم القيام بها والاعتراف، وأن يكونوا على حذر من هذا العدو المرباط الملازم لهم، ليلا ونهارا يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان الخاسرين فاجتبه ربه، واختاره، ويسر له التوبة فتاب عليه وهدي فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها، ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكره، فتمت النعمة وعصى آدم ربه فغوى فبادر إلى التوبة والإنابة، وقال: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتنال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة. 123

تفسير السعدي

ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة. وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، بقوله: المبين، وأنهم أي: وقت جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسول، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، منه، ويعدوا له عدته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من هذا العدو يخبر تعالى، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يتخذوا آدم وبنوه الشيطان عدواً لهم، فيأخذوا الحذر

هذا المعرض عن ذكر ربه يوم القيامة أعمى البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً 124 عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها. ونحشره أي: ذلك والله أعلم آخر الآية، وأن الله ذكر في آخرها عذاب يوم القيامة. وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض العذاب الأكبر والرابعة قوله عن آل فرعون: النار يعرضون عليها غدواً وعشياً الآية. والذي أوجب لمن فسرهما بعذاب القبر فقط من السلف، وقصرها على عذاب القبر. والثانية قوله تعالى: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم الآية. والثالثة قوله: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون ذلك إلا عذاباً. وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به فإن له معيشة ضنكاً أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ومن أعرض عن ذكرى أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض

والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: رب لم حشرتني أعمى وقد كنت في دار الدنيا بصيراً فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة. 125 قال على وجه الدل

ربك، وعشيت عنه ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب. 126 آياتنا فنسيته بإعراضك عنها وكذلك اليوم تنسى أي: تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، والجزاء من جنس العمل، فكما عميت عن ذكر قال كذلك أتتك

أشد من عذاب الدنيا أضعافاً مضاعفة وأبقى لكونه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا فإنه منقطع، فالواجب الخوف والحذر من عذاب الآخرة. 127 الدالة على جميع مطالب الإيمان دالة واضحة صريحة، فالله لم يظلمه ولم يضع العقوبة في غير محلها، وإنما السبب إصراره وعدم إيمانه. ولعذاب الآخرة وكذلك أي: هذا الجزاء نجزيه من أسرف بأن تعدى الحدود، وارتكب المحارم وجاوز ما أذن له ولم يؤمن بآيات ربه هم عليه، ولكن ما كل أحد ينتفع بالآيات، إنما ينتفع بها أولو النهى، أي: العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والألباب التي تزجر أصحابها عما لا ينبغي. 128 بل هم أذل وأحق من ذلك، فإهلاك القرون الماضية بذنوبهم، من أسباب الهداية، لكونها من الآيات الدالة على صحة رسالة الرسل الذين جاءوهم، وبطلان ما بخيرهم، بل هم شر منهم، لأنهم كفروا بأشرف الرسل وخير الكتب، وليس لهم براءة مزبورة وعهد عند الله، وليسوا كما يقولون أن جمعهم ينفعهم ويدفع عنهم، خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر لا شيء من هذا كله، فليس هؤلاء الكفار، خيراً من أولئك، حتى يدفع عنهم العذاب هود وصالح ولوط وغيرهم، وأنهم لما كذبوا رسلنا، وأعرضوا عن كتبنا، أصبناهم بالعذاب الأليم؟ فما الذي يؤمن هؤلاء، أن يحل بهم، ما حل بأولئك؟ أكفاركم ما أحل الله بالمكذبين قبلهم، من القرون الخالية، والأمم المتتابعة، الذين يعرفون قصصهم، ويتناقلون أسماهم، وينظرون بأعينهم، مساكنهم من بعدهم، كقوم أي: أفلم يهد هؤلاء المكذبين المعرضين، ويدلهم على سلوك طريق الرشاد، وتجنب طريق الغي والفساد،

ونفوذ كلمة الله، هو الذي أخر عنهم العقوبة إلى إبان وقتها، ولعلمهم يراجعون أمر الله، فيتوب عليهم، ويرفع عنهم العقوبة، إذا لم تحق عليهم الكلمة. 129 وناشنا عن الذنوب، ملازماً لها، وهؤلاء قد أتوا بالسبب، ولكن الذي أخره عنهم كلمة ربك، المتضمنة لإمهالهم وتأخيرهم، وضرب الأجل المسمى، فالأجل المسمى للرسول، وتصبير له عن المبادرة إلى إهلاك المكذبين المعرضين، وأن كفرهم وتكذيبهم سبب صالح لحلول العذاب بهم، ولزومه لهم، لأن الله جعل العقوبات سبباً هذا تسلياً

ما يليق بها، ولهذا قال: فاستمع لما يوحى أي: ألق سمعك للذي أوحى إليك، فإنه حقيق بذلك، لأنه أصل الدين ومبدأه، وعماد الدعوة الإسلامية. 13 وأنا اخترتك أي: تخيرتك واصطفيتك من الناس، وهذه أكبر نعمة ومنة أنعم الله بها عليه، تقتضي من الشكر

ذلك، ترضى بما يعطيك ربك من الثواب العاجل والآجل، وليطمئن قلبك، وتقر عينك بعبادة ربك، وتتسلى بها عن أذيتهم، فيخف حينئذ عليك الصبر. 130 بحمد ربه، في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس وغروبها، وفي أطراف النهار، أوله وآخره، عموم بعد خصوص، وأوقات الليل وساعاته، لعلك إن فعلت أمر الله رسوله بالصبر على أذيتهم بالقول، وأمره أن يتعوض عن ذلك، ويستعين عليه بالتسبيح

وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا، وإقبالاً عليها، أن يذكرها ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. 131 خير مما متعنا به أزواجاً، في ذاته وصفاته وأبقى لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها، كما قال تعالى: بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى عليها صعيداً جزواً ورزق ربك العاجل من العلم والإيمان، وحقائق الأعمال الصالحة، والآجل من النعيم المقيم، والعيش السليم في جوار الرب الرحيم واختباراً، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً، كما قال تعالى: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وإنا لجاعلون ما

تفسير السعدي

ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وإنما جعلها الله فتنة المجمل، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها بقطع النظر عن الآخرة القوم الظالمون، لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشرب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء أي:

والعاقبة في الدنيا والآخرة للتقوى التي هي فعل المأمور وترك المنهي، فمن قام بها، كان له العاقبة، كما قال تعالى والعاقبة للمتقين 132 الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره، فينبغي الاهتمام بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، ولهذا قال: لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه، فقال: نحن نرزقك أي: رزقك علينا قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان ما يصلح الصلاة ويفسدها ويكملها. واصطبر عليها أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشق على النفس، ولكن أي: حث أهلك على الصلاة، وأزعجهم إليها من فرض ونفل. والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به، فيكون أمرا بتعليمهم،

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 133 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعها آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعارضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليلة، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأتهار خلالها تفجييرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: بأي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 134 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعها آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به ريب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعارضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليلة، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب وافتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأتهار خلالها تفجييرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: بأي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

صاحبه هو الفائز الراشد، الناجي المفلح، ومن حاد عنه خاسر خائب معذب، وقد علم أن الرسول هو الذي بهذه الحالة، وأعداؤه بخلافه، والله أعلم. 135 أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي أي: المستقيم، ومن اهتدى بسلوكة، أنا أم أنتم؟ فإن قل كل متربص فتربصوا بي الموت، وأنا أتربص بكم العذاب قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي: الظفر أو الشهادة ونحن نتربص بكم

تفسير السعدي

بالعقوبة، فما قد جاءكم رسولي ومعه آياتي وبراهيني، فإن كنتم كما تقولون، فصدقوه. قل يا محمد مخاطبا للمكذبين لك الذين يقولون تربصوا به رب المنون في سوقها إليهم ومخاطبتهم بها، لتقوم عليهم حجة الله، ولئلا يقولوا حين ينزل بهم العذاب: لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى عنها المعارضون لها، فلا يؤمنون بها، ولا ينتفعون بها، إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب وإنما الفائدة أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون فالآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون الصحف الأولى، من التوراة والإنجيل، والكتب السابقة المطابق لها، المخبر بما أخبرت به، وتصديقه أيضا مذكور فيها، ومبشر بالرسول بها، وهذا كقوله تعالى: ولهذا قال: أولم تأتئهم إن كانوا صادقين في قولهم، وأنهم يطلبون الحق بدليله، بينة ما في الصحف الأولى أي: هذا القرآن العظيم، المصدق لما في يقتضي أنه لم يأتهم بآية على صدقه، ولا بينة على حقه، وهذا كذب واقتراء، فإنه أتى من المعجزات الباهرات، والآيات القاهرة، ما يحصل ببعضه المقصود، لله، فلا يليق منهم الاقتراح بحسب أهوائهم، وإنما الذي ينزلها ويختار منها ما يختار بحسب حكمته، هو الله. ولأن قولهم: لولا أنزل عليه آيات من ربه الأتھار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وهذا تعنت منهم وعناد وظلم، فإنهم، هم والرسول، بشر عبيد وسلم: هلا يأتينا بآية من ربه؟ يعنون آيات الاقتراح كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر تفسير الآيات من 133 إلى 135: أي: قال المكذبون للرسول صلى الله عليه

من ذكر الله أكبر من نهيهما عن الفحشاء والمنكر، وهذا النوع يقال له توحيد الألوهية، وتوحيد العباد، فالألوهية وصفه تعالى، والعبودية وصف عبده. 14 إقامة ذكره، وخصوصا الصلاة. قال الله تعالى: اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر أي: ما فيها وهو عبودية القلب، وبه سعادته، فالقلب المعطل عن ذكر الله، معطل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات، التي المقصود منها لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح. وقوله: لذكرى اللام للتعليل أي: أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي، لأن ذكره تعالى أجل المقاصد، له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، فاعبدني بجميع أنواع العبادات، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادات، بين الذي يوحى إليه بقوله: إني أنا الله لا إله إلا أنا أي: الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك ثم

الساعة لتجزى كل نفس بما تسعى من الخير والشر، فهي الباب لدار الجزاء ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى 15 الساعة قل إنما علمها عند الله وقال: وعنده علم الساعة فعلمها قد أخفاه عن الخلائق كلهم، فلا يعلمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والحكمة في إتيان إن الساعة آتية أي: لا بد من وقوعها أكاد أخفيها أي: عن نفسي كما في بعض القراءات، كقوله تعالى: يسألك الناس عن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله: فتردى أي: تهلك وتهشى، إن اتبعت طريق من يصد عنها. 16 شيء منها. وهذه نظير قوله تعالى في الإخبار عن ميزان سعادة الفرق، الذين أتوا الكتاب وشقاوتهم: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى في هذا الإيمان به، وعبادته، والإيمان باليوم الآخر، لأن هذه الأمور الثلاثة أصول الإيمان، وركن الدين، وإذا تمت تم أمر الدين، ونقصه أو فقده بنقصها، أو نقص وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك، وذكر الله تعالى عمن هذه حاله لأنه من أخوف ما يكون على المؤمن بوسوسته وتدجيله وكون النفوس مجبولة على التشبه، والاقتران بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه إلى الحق، وإنما قصاره اتباع هواه، فأياك أن تصغي إلى من هذه حاله، أو تقبل شيئا من أقواله وأعماله الصادرة عن الإيمان بها والسعي لها سعيها، وإنما حذر بها، غير معتقد لوقوعها. يسعى في الشك فيها والتشكيك، ويجادل فيها بالباطل، ويقيم من الشبه ما يقدر عليه، متبعا في ذلك هواه، ليس قصده الوصول أي: فلا يصدك ويشغلك عن الإيمان بالساعة، والجزاء، والعمل لذلك، من كان كافرا

الله له على عدوه فقال: وما تلك بيمينك يا موسى هذا، مع علمه تعالى، ولكن لزيادة الاهتمام في هذا الموضع، أخرج الكلام بطريق الاستفهام. 17 لما بين الله لموسى أصل الإيمان، أراد أن يبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه، ويقوي إيمانه، بتأييد الأمرين. ومن أدب موسى عليه السلام، أن الله لما سأله عما في يمينه، وكان السؤال محتملا عن السؤال عن عينها، أو منفعتها أجابه بعينها، ومنفعتاتها 18 البهيم، والإحسان إليه دل على عناية من الله له واصطفاء، وتخصيص تقتضيه رحمة الله وحكمته. ولي فيها مآرب أي: مقاصد أخرى غير هذين شجر الخبط ونحوه، هش بها، أي: ضرب الشجر، ليتساقط ورقه، فيرعاه الغنم. هذا الخلق الحسن من موسى عليه السلام، الذي من آثاره، حسن رعاية الحيوان هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة. ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم، فإذا رعاها في هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ذكر فيها

موسى هاربا خائفا، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم. 19 تفسير الآيتين 19 و 20: فقال الله له: ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما، فولى غذاء للقلوب والأرواح، وراحة للأبدان، فتلقته الفطر السليمة والعقول المستقيمة بالقبول والإنذاع، لعلمها بما احتوى عليه من الخير في الدنيا والآخرة. 2. العاملين. وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طريقه وأبوابه، وجعله

تفسير السعدي

لتشقى أي: ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة، لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى ما أنزلنا عليك القرآن

موسى هاربا خائفا، ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى، إزالة لوهم يمكن وجوده، وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة، فكونها تسعى يزيل هذا الوهم. 20
تفسير الآيتين 19 و 20: فقال الله له: ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى انقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما، فولى بأس. سنعيدها سيرتها الأولى أي: هيئتها وصفتها، إذ كانت عصا، فامتثل موسى أمر الله إيمانا به وتسليما، فأخذها، فعادت عصاه التي كان يعرفها 21 فقال الله لموسى: خذها ولا تخف أي: ليس عليك منها

غير سوء أي: بياضا ساطعا، من غير عيب ولا برص آية أخرى قال الله: فذالك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين 22 واضمم يدك إلى جناحك أي: أدخل يدك في جيبك، وضم عليك عضدك، الذي هو جناح الإنسان تخرج بيضاء من على صحة رسالتك وحقيقة ما جئت به، فيطمئن قلبك ويزداد علمك، وتثق بوعد الله لك بالحفظ والنصرة، وتكون حجة وبرهانا لمن أرسلت إليهم. 23 لنريك من آياتنا الكبرى أي: فعلنا ما ذكرنا، من انقلاب العصا حية تسعى، ومن خروج اليد بيضاء للناظرين، لأجل أن نريك من آياتنا الكبرى، الدالة فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشرحه عليهم. 24 والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: بالانشرح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: رب اشرح لي صدري أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجة بالرسول، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث فرعون إنه طغى أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية قبحه الله أي: وطغيانه تفسير الآيتين 24 و 25: فلما أوحى الله إلى موسى، ونباه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: اذهب إلى

فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشرحه عليهم. 25 والفعل، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: بالانشرح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي هي من تمام الدعوة، فقال: رب اشرح لي صدري أي: وسعه وأفسحه، لأتحمل الأذى القولي أرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحدا، إلا بعد قيام الحجة بالرسول، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملا عظيما، حيث فرعون إنه طغى أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية قبحه الله أي: وطغيانه تفسير الآيتين 24 و 25: فلما أوحى الله إلى موسى، ونباه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: اذهب إلى

ومن تيسير الأمر أن يبسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله. 26 ويسر لي أمري أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد،

هارون هو أفصح مني لسانا فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني. 27 و 28 :- واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قال المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: وأخي

تفسير الآيتين

هارون هو أفصح مني لسانا فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني. 28 و 27 :- واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قال المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: وأخي

تفسير الآيتين

قربانه، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزمي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 29 :- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان تفسير الآيات من 29 إلى 31

من لم يؤمن بجنة ولا نار، ولا في قلبه من خشية الله مثقال ذرة؟ هذا ما لا يكون، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلح النار الكبرى 3 والتذكير لشيء كان موجودا، إلا أن صاحبه غافل عنه، أو غير مستحضر لتفصيله، وخص بالتذكير من يخشى لأن غيره لا ينتفع به، وكيف ينتفع به ويتذكر به الأحكام الحسنة الشرعية المفصلة، التي كان مستقرا في عقله حسنهما مجعلا، فوافق التفصيل ما يجده في فطرته وعقله، ولهذا سماه الله تذكرا يخشى إلا ليتذكر به من يخشى الله تعالى، فيتذكر ما فيه من الترغيب إلى أجل المطالب، فيعمل بذلك، ومن الترهيب عن الشقاء والخسران، فيهرب منه،

قربته، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 30
:- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان
تفسير الآيات من 29 إلى 31

قربته، ثم عينه بسؤاله فقال: هارون أخي اشد به أزي أي: قوني به، وشد به ظهري، قال الله: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا 31
:- واجعل لي وزيرا من أهلي أي: معينا يعاونني، ويؤازرنني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان
تفسير الآيات من 29 إلى 31

وأشركه في أمري أي: في النبوة، بأن تجعله نبيا رسولا، كما جعلتني. 32

ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات. 33
تفسير الايتين 33 و34 :- كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على
ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات. 34
تفسير الايتين 33 و34 :- كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على
بنا بصيرا تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور، وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمن علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك. 35
إنك كنت

صفة كمال، وله من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وفصاحة اللسان، وحسن التعبير والبيان، والأعوان على الحق من الصحابة، فمن بعدهم، ما ليس لغيره. 36
حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق، رأيتهم بهذه الحال، بحسب أحوالهم خصوصا، خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه في الذروة العليا من كل
صفته، أعوان ووزراء، يساعده على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيتها. وإذا نظرت إلى
البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتام ذلك، أن يكون لمن هذه
ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه، لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضا، أن يتيسر له أمره، فيأتي
الأذى، ولسان فصيح، يتمكن من التعبير به عن ما يريد ويقتضيه، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات،
نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من
يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال
أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنتشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ونجعل لكما سلطانا فلا
فقال الله: قد أوتيت سؤلك يا موسى

بن عمران، في الدين، والوحي، والرسالة، وإجابة سؤاله، ذكر نعمته عليه، وقت التربية، والتنقلات في أطواره فقال: ولقد مننا عليك مرة أخرى 37
لما ذكر منته على عبده ورسوله، موسى

فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون ماله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. 38
في يد عدوه، قلقت أمه قلعا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع،
إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع
مني فكل من رآه أحبه ولتصنع على عيني ولتتربى على نظري وفي حظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على
الله اليم، أن يلقيه في الساحل، وقبض أن يأخذه، أعدى الأعداء لله ولموسى، ويتربى في أولاده، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: وألقيت عليك محبة
خوفا من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفا شديدا فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر
تفسير الآيتين 38 و 39: بحيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع،

فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليكون ماله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قريرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثديا. 39
في يد عدوه، قلقت أمه قلعا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا، وكادت تخبر به، لولا أن الله ثبتها وربط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضع،
إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عنه؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبر ذلك لمصلحة موسى، ومن حسن تدبيره، أن موسى لما وقع
مني فكل من رآه أحبه ولتصنع على عيني ولتتربى على نظري وفي حظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجل وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على
الله اليم، أن يلقيه في الساحل، وقبض أن يأخذه، أعدى الأعداء لله ولموسى، ويتربى في أولاده، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: وألقيت عليك محبة
خوفا من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفا شديدا فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر
تفسير الآيتين 38 و 39: بحيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع،

تفسير السعدي

فلم يخلق شيئا عبثا، فكذلك لا يأمر ولا ينهى إلا بما هو عدل وحكمة وإحسان. فلما بين أنه الخالق المدبر، الأمر الناهي، أخبر عن عظمتة وكبريائه 4
إلزام ولا أمر ولا نهى إلا من خالقهم، وأيضا فإن خلقه للخلق فيه التدبير القدري الكوني، وأمره فيه التدبير الشرعي الديني، فكما أن الخلق لا يخرج عن الحكمة،
وفي قوله: الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلن ينزل الأمر بينهن وذلك أنه الخالق الأمر الناهي، فكما أنه لا خالق سواه، فليس على الخلق
تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتسليم، وعظموه نهاية التعظيم. وكثيرا ما يقرن بين الخلق والأمر، كما في هذه الآية، وكما في قوله: ألا له الخلق والأمر
ثم ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقبلوا

في هذا الوقت وهذا الزمان وهذا المكان، ليس مجيئك اتفاقا من غير قصد ولا تدبير منا، وهذا يدل على كمال اعتناء الله بكليمه موسى عليه السلام 40
إلى مدين، ووصل إليها، وتزوج هناك، ومكث عشر سنين، أو ثمان سنين، ثم جئت على قدر يا موسى أي: جئت مجيئا قد مضى به القدر، وعلمه الله وأراد
أو نقلناك في أحوالك، وأطوارك، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، فلبثت سنين في أهل مدين حين فر هاربا من فرعون وملئه، حين أرادوا قتله، فتوجه
سمع أن المأططوبه، يريدون قتله. فنجاه الله من الغم من عقوبة الذنب، ومن القتل، وفتناك فتونا أي: اختبرناك، وبلوناك، فوجدناك مستقيما في أحوالك
والآخر من عدوه قبطي فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى ففضى عليه فدعا الله وسأله المغفرة، فغفر له، ثم فر هاربا لما
فرجعناك إلى أمك كي تقرر عينها ولا تحزن وقتلت نفسها وهو القبطي لما دخل المدينة وقت غفلة من أهلها، وجد رجلين يقتتلان، واحد من شيعه موسى،
فجاءت أخت موسى، فقالت لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

غاية جهده، ويسعى نهاية ما يمكنه في إيصاله لذلك، فما ظنك بصنائع الرب القادر الكريم، وما تحسبه يفعل بمن أرادته لنفسه، واصطفاه من خلقه؟ 41
ذلك مبلغا لا يناله أحد من الخلق، إلا النادر منهم، وإذا كان الحبيب إذا أراد اصطناع حبيبه من المخلوقين، وأراد أن يبلغ من الكمال المطلوب له ما يبلغ، يبذل
واصطنعتك لنفسه أي: أجريت عليك صنائعي ونعمي، وحسن عوائي، وتربيتي، لتكون لنفسي حبيبا مختصا، وتبلغ في

بل استمر عليه، والزماه كما وعدتما بذلك كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها. 42
على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كالكيد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون وملئه، ولا تنبأ في ذكره أي: لا تفتتر، ولا تكسلا، عن مداومة ذكره
لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له: اذهب أنت وأخوك هارون بآياتي أي: الآيات التي مني، الدالة

انذهبا إلى فرعون إنه طغى أي: جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه. 43

فقال: وأهديك إلى ربك فتخشى فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب، علم أنه لا ينجح فيه تذكير، فأخذ الله أخذ عزيز مقتدر. 44
أزكيك بل قال: تزكى أنت بنفسك، ثم دعاه إلى سبيل ربه، الذي رباه، وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، التي ينبغي مقابلتها بشكرها، وذكرها
على العرض والمشاورة، التي لا يشمئز منها أحد، ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس، التي أصلها، التطهر من الشرك، الذي يقبله كل عقل سليم، ولم يقل
أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإن في هذا الكلام، من لطف القول وسهولته، وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل، فإنه أتى به هل الدالة
ينفعه فيأتيه، أو يخشى ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: فقل هل لك إلى
أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، لعله بسبب القول اللين يتذكر ما
فقلوا له قولا ليئا

يبادرن بالعبودية والإيقاع بنا، قبل أن تبغفه رسالاتك، ونقيم عليه الحجة أو أن يطغى أي: يتمرد عن الحق، ويطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعوانه. 45
قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أي:

معكما أسمع وأرى أي: أننا بحفظي ورعايتي، أسمع أقوالكما، وأرى جميع أحوالكما، فلا تخافا منه، فزال الخوف عنهما، واطمأنت قلوبهما بوعده ربهما. 46
قال لا تخافا أن يفرط عليكما إنني

آخر ما ذكر الله عنهما. والسلام على من اتبع الهدى أي: من اتبع الصراط المستقيم، واهتدى بالشرع المبين، حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة. 47
موسى شرع الله ودينه. قد جئناك بآية تدل على صدقنا فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين إلى
أي: فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم
لفرعون بالإيمان والتصديق واتباعهما، والترهيب من ضد ذلك، ولكن لم يفد فيه هذا الوعد والتذكير، فأنكر ربه، وكفر، وجادل في ذلك ظلما وعنادا. 48
خبر من عند الله، لا من عند أنفسنا أن العذاب على من كذب وتولى أي: كذب بأخبار الله، وأخبار رسله، وتولى عن الانقياد لهم واتباعهم، وهذا فيه الترغيب
إنا قد أوحى إلينا أي:

أي: قال فرعون لموسى على وجه الإنكار: فمن ربكما يا موسى 49

الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها، استوى استواء يليق بجلاله، ويناسب عظمتة وجماله، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك. 5
الرحمن على العرش

تفسير السعدي

المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك، ولهذا لما لم يمكن فرعون، أن يعاند هذا الدليل القاطع، عدل إلى المشاغبة، وحاد عن المقصود 50 فوق حسنه، وهادها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور من العقل، ما يتمكن به على ذلك. وهذا كقوله تعالى: الذي أحسن كل شيء خلقه فالذي خلق المخلوقات، وأعطاه خلقها الحسن، الذي لا تقتصر العقول العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق فما بال القرون الأولى أي: ما شأنهم؟ وما خبرهم؟ وكيف وصلت بهم الحال، وقد سبقونا إلى الإنكار والكفر، والظلم، والعناد، ولنا فيهم أسوة؟ 51 فقال لموسى:

أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر فعلم أنه ظالم في جداله، قصده العلو في الأرض. 52 بالدليل، والبرهان بالبرهان، ولن تجد لذلك سبيلا، ما دام الملوان. كيف وقد أخبر الله عنه، أنه جحدوا مع استيقانها، كما قال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها الحق، ودع عنك الكفر والظلم، وكثرة الجدل بالباطل، وإن كنت قد شككت فيها أو رأيته غير مستقيمة، فالطريق مفتوح وباب البحث غير مغلق، فرد الدليل فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، فإن كان الدليل الذي أوردناه عليك، والآيات التي أريناها، قد تحققت صدقها ويقينها، وهو الواقع، فانقد إلى شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها. ومضمون ذلك، أنهم قدموا إلى ما قدموا، ولاقوا أعمالهم، وسيجازون عليها، فلا معنى لسؤالك واستفهامك يا فرعون عنهم، عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى أي: قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علما وخبرا، فلا يضل عن فقال موسى: علمها

النوابت على اختلاف أنواعها، وتشتت أشكالها، وتباين أحوالها، فساقيه، وقدره، ويسره، رزقا لنا ولأنعامنا، ولولا ذلك لهلك من عليها من آدمي وحيوان 53 مما ينتفعون بإقامتهم. وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى أي: أنزل المطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأنبث بذلك جميع أصناف الطرق الموصلة، من أرض إلى أرض، ومن قطر إلى قطر، حتى كان الآدميون يتمكنون من الوصول إلى جميع الأرض بأسهل ما يكون، وينتفعون بأسفارهم، أكثر فيها، والقرار، والبناء، والغراس، وإثارتها للزادراغ وغيره، وذلك لذلك، ولم يجعلها ممتنعة عن مصلحة من مصالحكم. وسلك لكم فيها سبلا أي: نفذ لكم فقال: الذي جعل لكم الأرض مهذا أي: فراشا بحالة تتمكنون من السكون

حظهم، حظ البهائم، يأكلون ويشربون، وقلوبهم لاهية، وأجسامهم معرضة. وكأين من آية في السماوات والأرض يَمرون عليها وهم عنها معرضون 54 الناظرون إليها نظر اعتبار، وأما من عداهم، فإنهم بمنزلة البهائم السارحة، والأنعام السائمة، لا ينظرون إليها نظر اعتبار، ولا تنفذ بصائرهم إلى المقصود منها، بل إلا من امتن بهذه النعم، وعلى أنه على كل شيء قدير، فكما أحيا الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى. وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، على فضل الله وإحسانه، ورحمته، وسعة جوده، وتام عنايته، وعلى أنه الرب المعبود، المالك المحمود، الذي لا يستحق العبادة سواه، ولا الحمد والمدح والثناء، في جميع النوابت الإباحة، فلا يحرم منهم إلا ما كان مضرًا، كالسموم ونحوه. إن في ذلك لآيات لأولي النهى أي: لذوي العقول الرزينة، والأفكار المستقيمة كلوا وارعوا أنعامكم وسياقها على وجه الامتنان، ليدل ذلك على أن الأصل

بأعمالنا التي عملناها عليها. وهذان دليان على الإعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم. 55 وفيها يعيدنا إذا متنا دفندا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك وتحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا ولما ذكر كرم الأرض، وحسن شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، والنفسية، فما استقام ولا ارعوى، وإنما كذب وتولى، كذب الخبر، وتولى عن الأمر والنهي، وجعل الحق باطلا، والباطل حقا، وجادل بالباطل لبيضل الناس 56 يخبر تعالى، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع، جميع أنواعها العيانية، والأفقية

في قلوب قومه، فإن الطباع تميل إلى أوطانها، ويصعب عليها الخروج منها ومفارقةا. فأخبرهم أن موسى هذا قصده، ليبغضوه، ويسعوا في محاربته 57 من أرضنا بسحرك زعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى، سحر وتمويه، المقصود منها إخراجهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، ليكون كلامه مؤثرا أجنثنا لتخرجنا سحرك فأملنا، واجعل لنا موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى أي: مستو علمنا وعلمك به، أو مكانا مستويا معتدلا ليتمكن من رؤية ما فيه. 58 فلنأتينك بسحر مثل

الضحى، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره 59 فقال موسى: موعدكم يوم الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، وأن يحشر الناس ضحى أي: يجمعون كلهم في وقت ملك لله تعالى، عبيد مدبرون، مسخرون تحت قضائه وتديره، ليس لهم من الملك شيء، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. 6 له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما من ملك وإنسي وجني، وحيوان، وجماد، ونبات، وما تحت الثرى أي: الأرض، فالجميع

تفسير السعدي

- والأشراف، والعوام، والصغار، والكبار، وحضوا الناس على الاجتماع، وقالوا للناس: هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين 60 وعلمه علما مرغوبا فيه، فجمع خلقا كثيرا من السحرة، ثم أتى كل منهما للموعد، واجتمع الناس للموعد. فكان الجمع حافلا، حضره الرجال والنساء، والماء، فرعون فجمع كيده أي: جميع ما يقدر عليه، مما يكيد به موسى، فأرسل في مدائنه من يحشر السحرة الماهرين في سحرهم، وكان السحر إذ ذاك، متوفرا، وإنما سأل موسى ذلك، لأن يوم الزينة ووقت الضحى فيه يحصل فيه من كثرة الاجتماع، ورؤية الأشياء على حقائقها، ما لا يحصل في غيره، فتولى موسى: موعدهم يوم الزينة وهو عيدهم، الذي يتفرغون فيه ويقطعون شواغلهم، وأن يحشر الناس ضحى أي: يجمعون كلهم في وقت الضحى، فقال
- سعيكم وافترؤكم، فلا تدركون ما تطلبون من النصر والجاه عند فرعون وملائه، ولا تسلمون من عذاب الله، وكلام الحق لا بد أن يؤثر في القلوب. 61
- الله كذبا فيسحتكم بعذاب أي: لا تنصروا ما أنتم عليه من الباطل بسحركم وتغالبون الحق، وتفترون على الله الكذب، فيستأصلكم بعذاب من عنده، ويخيب فحين اجتماعوا من جميع البلدان، وعظهم موسى عليه السلام، وأقام عليهم الحجة، وقال لهم: ويلكم لا تفتروا على
- ويحيا من حي عن بيته فحينئذ أسروا فيما بينهم النجوى، وأنهم يتفقون على مقالة واحدة، لينجحوا في مقالهم وفعالهم، وليتمسك الناس بدينهم 62 ولعل من جملة نزاعهم، الاشتباه في موسى، هل هو على الحق أم لا؟ ولكن هم إلى الآن، ما تم أمرهم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، ليهلك من هلك عن بينة لا جرم ارتفع الخصام والنزاع بين السحرة لما سمعوا كلام موسى، وارتبكوا،
- الذي أشغلتهم زمانكم فيه، ويذهب عنكم ما كنتم تأكلون بسببه، وما يتبع ذلك من الرياسة، وهذا حض من بعضهم على بعض على الاجتهاد في مغالبتة 63 قالوا: ويذهب بطريقتكم المثلى أي: طريقة السحر حسدكم عليها، وأراد أن يظهر عليكم، ليكون له الفخر والصيت والشهرة، ويكون هو المقصود بهذا العلم، توافقا من فرعون والسحرة على هذه المقالة من غير قصد، وإما أن يكون تلقينا منه لهم مقالته، التي صمم عليها وأظهرها للناس، وزادوا على قول فرعون أن فسرنا بقوله: قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى كمقالة فرعون السابقة، فإما أن يكون ذلك والنجوى التي أسروها
- في باطلهم، وأشدهم فيه، حيث أتوا بكل سبب، ووسيلة وممكن، ومكيدة يكيدون بها الحق، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر الحق على الباطل 64 يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل، واعلموا أن من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره، فإنه المفلح الفائز، فهذا يوم له ما بعده من الأيام فله درهم ما أصلهم أي: أظهروه دفعة واحدة متظاهرين متساعدين فيه، متناصرين، متفقا رأيكم وكلمتكم، ثم اتوا صفا ليكون أمكن لعلكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا فأجمعوا كيدكم
- إلا العمل قالوا يا موسى إما أن تلقي عصاك وإما أن نكون أول من ألقى خيروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي: حالة كانت 65 فلما تمت مكيدتهم، وانحصر مقصدهم، ولم يبق
- وعصيتهم، فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه أي: إلى موسى من سحرهم البليغ أنها تسعى أي: أنها حيات تسعى فلما خيل إلى موسى ذلك. 66 فقال لهم موسى: بل ألقوا فألقوا حبالهم
- أوجس في نفسه خيفة موسى كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره. 67 قلنا له تثبينا وتطمينا: لا تخف إنك أنت الأعلى عليهم، أي: ستعلو عليهم وتقهرهم، ويدلوا لك ويخضعوا. 68
- موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علما يقينا أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للإيمان. 69 أتى أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى وألق ما في يمينك أي: عصاك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث
- على عرشه، وعموم ملكه، وعموم علمه، نتج من ذلك، أنه المستحق للعبادة، وأن عبادته هي الحق التي يوجبها الشرع والعقل والفطرة، وعبادة غيره باطلة 7 فسواء جهرت بقولك أو أسررت، فالكل سواء، بالنسبة لعلمه تعالى. فلما قرر كماله المطلق، وعموم خلقه، وعموم أمره ونهيه، وعموم رحمته، وسعة عظمتة، وعلوه القلب. وأخفى ما لم يخطر. يعلم تعالى أنه يخطر في وقته، وعلى صفته، المعنى: أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، دقيقها، وجليلها، خفيها، وظاهرها، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر الكلام الخفي وأخفى من السر، الذي في القلب، ولم ينطق به. أو السر: ما خطر على
- فوقع الحق وظهر وسط، وبطل السحر والمكر والكيد، في ذلك المجمع العظيم. 70
- أن تشتتوها وتختزوها، ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى يعني بزعمه هو أو الله، وأنه أشد عذابا من الله وأبقى، قلبا للحقائق، وترهيبا لمن لا عقل له. 71 فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف كما يفعل بالمحارب الساعي بالفساد، يقطع يده اليمنى، ورجله اليسرى، ولأصلبكنم في جذوع النخل أي: لأجل وكان منهم ما كان، فهل يمكن أن يتصور مع هذا أن يكونوا دبوا هم وموسى واتفقوا على ما صدر؟ هذا من أمحل المحال، ثم توعد فرعون السحرة فقال: في مدائنه من يجمع له كل ساحر عليهم. فجاءوا إليه، ووعدهم الأجر والمنزلة عند الغلبة، وهم حرصوا غاية الحرص، وكادوا أشد الكيد، على غلبتهم لموسى،

تفسير السعدي

لم يجتمع بأحد من السحرة ولا غيرهم، بل بادر إلى دعوة فرعون وقومه، وأراهم الآيات، فأراد فرعون أن يعارض ما جاء به موسى فسعى ما أمكنه، وأرسل إنهم كانوا قوما فاسقين مع أن هذه المقالة التي قالها، لا تدخل عقل من له أدنى مسكة من عقل ومعرفة بالواقع، فإن موسى أتى من مدين وحيدا، وحين أتى الحق، بل لأنه تمالأ هو والسحرة، ومكروا، ودبروا أن يخرجوا فرعون وقومه من بلادهم، فقبل قومه هذا المكر منه، وظنوه صدقا فاستخف قومه فأطاعوه هذا من ذاك. ثم استلج فرعون في كفره وطغيانه بعد هذا البرهان، واستخف عقول قومه، وأظهر لهم أن هذه الغلبة من موسى للسحرة، ليس لأن الذي معه آذن لكم أي: كيف أقدمتم على الإيمان من دون مراجعة مني ولا إذن؟ استغرب ذلك منهم، لأدبهم معه، وذللهم، وانقيادهم له في كل أمر من أمورهم، وجعل فصارت بينة ورحمة للمؤمنين، وحجة على المعاندين ف قال فرعون للسحرة: آمنتم له قبل أن

عذابا وأبقى وفي هذا الكلام، من السحرة، دليل على أنه ينبغي للعقل، أن يوازن بين لذات الدنيا، ولذات الآخرة، وبين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة. 72 في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله، لمن استمر على كفره، فإنه دائم عظيم. وهذا كأنه جواب منهم لقوله: ولتعلمن أينا أشد وخلقنا، هذا لا يكون فاقض ما أنت قاض مما أوعدتنا به من القطع، والصلب، والعذاب. إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون والتقريب، على ما أرانا الله من الآيات البينات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده، المعظم المبجل وحده، وأن ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا السحرة الحق، ورزقهم الله من العقل ما يدركون به الحقائق، أجابوه بقولهم: لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات أي: لن نختاركم وما وعدتنا به من الأجر ولهذا لما عرف

على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعدوه إياهم بذلك مع اقتداره، دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك. 73 إذا أتى على قصة السحرة، أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجزم بوقوعه، أو عدمه، يتوقف ثوبا وإحسانا لا ما يقول فرعون: ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى يريد أنه أشد عذابا وأبقى. وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون، يذكر الله فيه ما فعلوا على وجه الإغماض، هي التي أثرت معهم، ورحمهم الله بسببها، ووفقهم للإيمان والتوبة، والله خير مما وعدتنا من الأجر والمنزلة والجاه، وأبقى يخرجكم من أرضكم بسحرهما فجروا على ما سنه لهم، وأكرههم عليه، ولعل هذه النكتة، التي قامت بقلوبهم من كراهتهم لمعارضة الحق بالباطل وفعلهم، والموعظة، ثم إن فرعون ألزمهم ذلك، وأكرههم على المكر الذي أجروه، ولهذا تكلموا بكلامه السابق قبل إتيانهم، حيث قالوا: إن هذان لساحران يريدان أن أن موسى لما وعظهم كما تقدم في قوله: وليكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب أثر معهم، ووقع منهم موقعا كبيرا، ولهذا تنازعوا بعد هذا الكلام وما أكرهتنا عليه من السحر الذي عارضنا به الحق، هذا دليل على أنهم غير مختارين في عملهم المتقدم، وإنما أكرههم فرعون إكراها. والظاهر والله أعلم إننا آمننا بربنا ليغفر لنا خطايانا أي: كفرنا ومعاصينا، فإن الإيمان مكفر للسيئات، والتوبة تجب ما قبلها، وقولهم،

ساعة، يستغيث فلا يغاث، ويدعو فلا يستجاب له. نعم إذا استغاث، أغيث بماء كالمهل يشوي الوجوه، وإذا دعا، أجيب بـ اخسئوا فيها ولا تكلمون 74 المعذب فيها لا يموت ولا يحيا، لا يموت فيستريح، ولا يحيا حياة يتلذذ بها، وإنما حياته محشوة بعذاب القلب والروح والبدن، الذي لا يقدر قدره، ولا يفتر عنه حتى مات، فإن له نار جهنم، الشديد نكالها، العظيمة أغلالها، البعيد قعرها، الأليم حرها وقرها، التي فيها من العقاب ما يذيب الأكباد والقلوب، ومن شدة ذلك أن يخبر تعالى أن من أتاه، وقدم عليه مجرما أي: وصفه الجرم من كل وجه، وذلك يستلزم الكفر واستمر على ذلك

المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 75 يأت ربه مؤمنا به مصدقا لرسله، متبعا لكتبه قد عمل الصالحات الواجبة والمستحبة، فأولئك لهم الدرجات العلى أي: المنازل العاليات، وفي الغرف

ومن

أيضا نفسه، ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين، التنقية، وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة، لهذين الأمرين. 76 وذلك الثواب، جزاء من تزكى أي: تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو يتوب مما فعله منها، وزكى

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هدامهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 77 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتمام بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الغرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبيس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورأهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعده ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقيموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه

تفسير السعدي

في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هداهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 78 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الفرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبسس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورائهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقوموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

الكفر، وتهجين ما أتى به موسى، واستخفافه إياهم، وما هداهم في وقت من الأوقات، فأوردتهم موارد الغي والضلال، ثم أوردتهم مورد العذاب والنكال. 79 إلى عدوهم، قد أقر الله أعينهم بهلاكه وهذا عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله، ولهذا قال تعالى: وأضل فرعون قومه بما زين لهم من موسى خارجين وقوم فرعون داخلين، أمر الله البحر فالتطم عليهم، وغشيه من اليم ما غشيه، وغرقوا كلهم، ولم ينجح منهم أحد، وبنو إسرائيل ينظرون الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون، ولا يخشوا من الفرق في البحر، فسلخوا في تلك الطرق. فجاء فرعون وجنوده، فسلخوا وراءهم، حتى إذا تكامل قوم البحر بعصاه، فضربه، فانفرد اثني عشر طريقا، وصار الماء كالجبال العالية، عن يمين الطرق ويسارها، وأبسس الله طرقهم التي انفرد عنها الماء، وأمرهم ورائهم، قد امتلأ عليهم غيظا وحنقا، وموسى مطمئن القلب، ساكن البال، قد وثق بوعد ربه، فقال: كلا إن معي ربي سيهدين فأوحى الله إليه أن يضرب فرعون فصار بهم يتبع بني إسرائيل، فأتبعوهم مشرقين، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون وقلقوا وخافوا، البحر أمامهم، وفرعون من فرعون، وأرسل في المدائن، من يجمع له الناس ويحضهم على الخروج في أثر بني إسرائيل ليوقع بهم وينفذ غيظه، والله غالب على أمره، فتكاملت جنود سيتبعونه، فخرجوا أول الليل، جميع بني إسرائيل هم ونساؤهم وذريتهم، فلما أصبح أهل مصر إذا ليس فيها منهم داع ولا مجيب، فحنق عليهم عدوهم ويمكن لهم في الأرض ليعبدوه جهرا، ويقوموا أمره، فأوحى إلى نبيه موسى أن سر أو سيروا أول الليل، ليتماذوا في الأرض، وأخبره أن فرعون وقومه في القرآن، وبنو إسرائيل لا يقدر أن يظهر إيمانهم ويعلموه، قد اتخذوا بيوتهم مساجد، وصبروا على فرعون وأذاه، فأراد الله تعالى أن ينجيهم من عدوهم، ويسعى في تخلص بني إسرائيل من فرعون وعذابه، وفرعون في عتو ونفور، وأمره شديد على بني إسرائيل ويريه الله من الآيات والعبر، ما قصه الله علينا تفسير الآيات من 77 إلى 79: فلما ظهر موسى بالبراهين على فرعون وقومه، مكث في مصر يدعوهم إلى الإسلام،

مقربة إليه يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها، قال تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها 8 هي أسماء وأوصاف، ومن حسننها أنها دالة على الصفات الكاملة، وأن له من كل صفة أكملها وأعما وأجلها، ومن حسننها أنه أمر العباد أن يدعوه بها، لأنها وسيلة الكثيرة الكاملة الحسنى، من حسننها أنها كلها أسماء دالة على المدح، فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسننها أنها ليست أعلاما محضة، وإنما الله لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق، ولا مألوه بالحب والذل، والخوف والرجاء، والمحبة والإنابة والدعاء، وإلا هو. له الأسماء الحسنى أي: له الأسماء فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منته أيضا عليهم في التيه، بإزالة المن والسلوى، والرزق الرغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقة 80 منته العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعيده لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، يذكر تعالى بني إسرائيل

عليكم، ثم عذبتكم، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى أي: ردى وهلك، وخاب وخسر، لأنه عدم الرضا والإحسان، وحل عليه الغضب والخسران. 81 على ما أسدى إليكم من النعم ولا تطغوا فيه أي: في رزقه، فتستعملونه في معاصيه، وتبطلون النعمة، فإنكم إن فعلتم ذلك، حل عليكم غضبي أي: غضبت كلوا من طيبات ما رزقناكم أي: واشكروه

به، ودعوة إلى دين الحق، ورد بدعة أو كفر أو ضلالة، وجهاد، وهجرة، وغير ذلك من جزئيات الهداية، كلها مكفرات للذنوب محصلات لغاية المطلوب. 82

تفسير السعدي

الصالح الذي هو الحسنات، يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية بجميع أنواعها، من تعلم علم، وتدبر آية أو حديث، حتى يتبين له معنى من المعاني يهتدي لأنه أتى بالسبب الأكبر، للمغفرة والرحمة، بل الأسباب كلها منحصرة في هذه الأشياء فإن التوبة تجب ما قبلها، والإيمان والإسلام يهدم ما قبله، والعمل اللسان. ثم اهتدى أي: سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، فهذا يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره، أي: كثير المغفرة والرحمة، لمن تاب من الكفر والبدعة والفسوق، وآمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وعمل صالحا من أعمال القلب والبدن، وأقوال ومع هذا، فالتوبة معروضة، ولو عمل العبد ما عمل من المعاصي، فهذا قال: وإني لغفار

شوقا لربه، وحرصا على موعوده، فقال الله له: وما أعجلك عن قومك يا موسى أي: ما الذي قدمك عليهم؟ ولم لم تصبر حتى تقدم أنت وهم؟ 83 كان الله تعالى، قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعود قال: هم أولاء على أثري أي: قريبا مني، وسيصلون في أثري والذي عجلني إليك يا رب طلبا لقربك ومسارة في رضاك، وشوقا إليك 84 جسدا وصاغه فصار له خوار فقالوا لهم هذا إلهكم وإله موسى ففسيه موسى، فافتتن به بنو إسرائيل، فعبدوه، ونهاهم هارون فلم ينتهوا. 85 فتنا قومك من بعدك أي: بعبادتهم للعجل، ابتليناهم، واختبرناهم، فلم يصبروا، وحين وصلت إليهم المحنة، كفروا وأضلهم السامري فأخرج لهم عجلا فإذا قد

واقترحتهم موجب عذابه، وهذا هو الواقع، فأخلفتم موعدي حين أمرتكم بالاستقامة، ووصيت بكم هارون، فلم ترقبوا غائبا، ولم تحترموا حاضرا. 86 الرسالة؟ أي: ليس الأمر كذلك، بل النبوة بين أظهركم، والعلم قائم، والعذر غير مقبول؟ أم أردتم بفعلكم، أن يحل عليكم غضب من ربكم؟ أي: فتعرضتم لأسبابه فلم يكن لكم بالنبوة علم ولا أثر، واندرست آثارها، فلم تقفوا منها على خير، فانمحت آثارها بعد العهد بها، فعبدتم غير الله، لغلبة الجهل، وعدم العلم بآثار أفعالكم العهد أي: المدة، فتناولتم غيبيتي وهي مدة قصيرة؟ هذا قول كثير من المفسرين، ويحتمل أن معناه: أفعالكم عهد النبوة والرسالة، موسى إلى قومه وهو غضبان أسف، أي: ممتلى غيظا وحنقا وغما، قال لهم موبخا ومقبحا لفعلهم: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا وذلك بإنزال التوراة، فلما رجع

ربه، وهو هاهنا ففسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسموات. 87 ألقاها على شيء حيي، فتنة وامتحان، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع. وكان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم تفسير الآيتين 87 و88: أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد

ربه، وهو هاهنا ففسيه، وهذا من بلادتهم، وسخافة عقولهم، حيث رأوا هذا الغريب الذي صار له خوار، بعد أن كان جمادا، فظنوه إله الأرض والسموات. 88 ألقاها على شيء حيي، فتنة وامتحان، فألقاها على ذلك العجل الذي صاغه بصورة عجل، فتحرك العجل، وصار له خوار وصوت، وقالوا: إن موسى ذهب يطلب وألقوه، وجمعوه حين ذهب موسى ليراجعوه فيه إذا رجع. وكان السامري قد بصر يوم الغرق بأثر الرسول، فسولت له نفسه أن يأخذ قبضة من أثره، وأنه إذا منا، وملك منا لأنفسنا، ولكن السبب الداعي لذلك، أننا تأثنا من زينة القوم التي عندنا، وكانوا فيما يذكرون استعاروا حليا كثيرا من القبط، فخرجوا وهو معهم تفسير الآيتين 87 و88: أي: قالوا له: ما فعلنا الذي فعلنا عن تعمد

للكمال والكلام والفعال لا يستحق أن يعبد وهو أنقص من عابديه، فإنهم يتكلمون ويقدرّون على بعض الأشياء، من النفع والدفع، بإقدار الله لهم. 89 أفلا يرون أن العجل لا يرجع إليهم قولا أي: لا يتكلم ويراجعهم ويراجعونه، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا، فالعادم موسى في حاله التي هي مبدأ سعادته، ومنشأ نبوته، أنه رأى نارا من بعيد، وكان قد ضل الطريق، وأصابه البرد، ولم يكن عنده ما يتدفأ به في سفره. 9 يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام التقريري والتعظيم لهذه القصة والتفخيم لها: هل أتاك حديث فإن هارون قد نهاهم عنه، وأخبرهم أنه فتنة، وأن ربهم الرحمن، الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم وأنه أمرهم أن يتبعوه، ويعتزلوا العجل أي: إن اتخاذهم العجل، ليسوا معذورين فيه، فإنه وإن كانت عرضت لهم الشبهة في أصل عبادته، فأبوا وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى 91

إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ أفعصيت أمري في قولي اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين 92 تفسير الآيتين 92 و93: فأقبل موسى على أخيه لاثما له، وقال: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن فتخبرني لأبادر للرجوع إليهم؟ أفعصيت أمري في قولي اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين 93 تفسير الآيتين 92 و93: فأقبل موسى على أخيه لاثما له، وقال: يا هارون ما منعك فينا الأعداء، فندم موسى على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك ف قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين 94

تفسير السعدي

أن تقول فرقت بين بني إسرائيل حيث تركتهم، وليس عندهم راع ولا خليفة، فإن هذا يفرقهم ويشنت شملهم، فلا تجعلني مع القوم الظالمين، ولا تشمت برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي فإنك أمرتني أن أخلفك فيهم، فلو تبعتك، لتركت ما أمرتني بلزومه وخشيت لأثمتك، و فآخذ موسى برأس هارون ولحيته، يجره من الغضب والعتب عليه، فقال هارون: يا ابن أم ترقيق له، وإلا فهو شقيقه لا تأخذ بلحيتي ولا

أي: ما شأنك يا سامري، حيث فعلت ما فعلت؟، 95

على ما قاله المفسرون، فقبضت قبضة من أثر حافر فرسه، فنبذتها على العجل، وكذلك سولت لي نفسي أن أقبضها، ثم أنبذها، فكان ما كان 96 بصرت بما لم يبصروا به وهو جبريل عليه السلام على فرس رآه وقت خروجهم من البحر، وغرق فرعون وجنوده

كما زال شخصه، ولأن في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داع إلى الباطل، فلما تبين لهم بطلانه، أخبرهم بمن يستحق العبادة وحده لا شريك له 97 بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه، ليزول ما في قلوبهم من حبه، العجل لنحرقنه ثم لننسفه في اليم نسفا ففعل موسى ذلك، فلو كان إله، لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب مس ما لم يمسه غيره، وأجرى ما لم يجره أحد، وإن لك موعدا لن تخلفه فتجازى بعملك، من خير وشر، وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا أي: أي: تعاقب في الحياة عقوبة، لا يدنو منك أحد، ولا يمسك أحد، حتى إن من أراد القرب منك، قلت له: لا تمسني، ولا تقرب مني، عقوبة على ذلك، حيث فقال له موسى: فاذهب أي: تباعد عني واستأخر مني فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس

الأسماء الحسنی، والصفات العلی، المحيط علمه بجميع الأشياء، الذي ما من نعمة بالعباد إلا منه، ولا يدفع سوء إلا هو، فلا إله إلا هو، ولا معبود سواه. 98 أي: لا معبود إلا وجهه الكريم، فلا يؤله، ولا يحب، ولا يرجى ولا يخاف، ولا يدعى إلا هو، لأنه الكامل الذي له

ذكرا للرسول ولأمته، فيجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم. 99 يدل على أن القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام، التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها، ويذكر هذا القرآن ما أودع الله فيها، وإذا كان القرآن الكريم، ذكر للأخبار السابقة واللاحقة، وذكر يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، وهذا مما أخبرهم، دليل على أنك رسول الله حقا، وما جئت به صدق، ولهذا قال: وقد آتيناك من لدنا أي: عطية نفيسة، ومنحة جزيلة من عندنا. ذكرنا وهو هذا العظيمة، وما فيها من الأحكام وغيرها، التي لا ينكرها أحد من أهل الكتاب، فأنت لم تدرس أخبار الأولين، ولم تتعلم ممن دراها، فإخبارك بالحق اليقين من يمتن الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بما قصه عليه من أنباء السابقين، وأخبار السالفين، كهذه القصة

سورة 21

على أعمالهم الصالحة والطالحة، والحال أنهم في غفلة معرضون، أي: غفلة عما خلقوا له، وإعراض عما زجروا به. كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا 1 هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم، ومجازاتهم

لم يرفع بهذا القرآن رأسا، ولم يهتد به ويتزك به، من المقت والضعف، والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب. 10 من الصحابة، فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل، لمن الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيهما، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي رجيح. وهذه الآية، مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، الذين تذكروا بالقرآن، ما فيه ذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة، فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا السبيل، فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق، التي فيها ضعتكم وخستكم في ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم، أفلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم؟ كيف لا ترضون ولا تعملون على بن عبد المطلب كتابا جليلا، وقرأنا مبينا فيه ذكركم أي: شرفكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكركم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتلتم لقد أنزلنا إليكم أيها المرسل إليهم، محمد بن عبد الله

من الأصوات غير صوتها، لشدة غليانها، واشتداد زفيرها وتغيظها. ودخول آلهة المشركين النار، إنما هو الأصنام، أو من عبد، وهو راض بعبادته. 100 لهم فيها زفير من شدة العذاب وهم فيها لا يسمعون صم بكم عمي، أولا يسمعون

من المأكّل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب. 101 فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبا منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتى لا يسمعوها حسيستها، ولا يروا شخصها، وهم في ما اشتتت أنفسهم خالدون

أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا ليسرى الأعمال الصالحة. أولئك عنها أي: عن النار مبعدون 101 و102: نوأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى

تفسير الآيتين

من المأكّل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب. 102

تفسير السعدي

فلا يدخلونها، ولا يكونون قريباً منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتى لا يسمعون حسيسها، ولا يروا شخصها، وهم في ما اشتتت أنفسهم خالدون أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى والأعمال الصالحة. أولئك عنها أي: عن النار مبعدون 101 و102: نوأما المسيح، وعزير، والملائكة ونحوهم، ممن عبد من الأولياء، فإنهم لا يعذبون فيها، ويدخلون في قوله: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى

تفسير الآيتين

كنتم توعدون فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره. 103 عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون. وتتلقاهم الملائكة إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفداً، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: هذا يومكم الذي إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون لا يحزنهم الفزع الأكبر أي: لا يقلقهم

فكما ابتدأنا خلقهم، ولم يكونوا شيئاً، كذلك نعيدهم بعد موتهم. وعدا علينا إنا كنا فاعلين ننفذ ما وعدنا، لكمال قدرته، وأنه لا تمتنع منه الأشياء. 104 أي: الورقة المكتوب فيها، فتنثر نجومها، ويكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها كما بدأنا أول خلق نعيده أي: إعادتنا للخلق، مثل ابتدأنا لخلقهم، يخبر تعالى أنه يوم القيامة يطوي السماوات على عظمها واتساعها كما يطوي الكاتب للسجل

في الأرض، ويوليهم عليها كقوله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية. 105 الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ويحتمل أن المراد: الاستخلاف في الأرض، وأن الصالحين يمكن الله لهم في ذلك: أن الأرض أي: أرض الجنة يرثها عبادي الصالحون الذين قاموا بالمأمورات، واجتنبوا المنهيات، فهم الذين يورثهم الله الجنات، كقول أهل الذكر أي: كتبناه في الكتب المنزلة، بعد ما كتبنا في الكتاب السابق، الذي هو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه والمكتوب ولقد كتبنا في الزبور وهو الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة، كالتوراة ونحوها من بعد

في دقيق الدين وجليه، والتحذير من طرق الشيطان، وبيان مداخله على الإنسان، فمن لم يغنه القرآن، فلا أغناه الله، ومن لا يكفيه، فلا كفاه الله. 106 الصادقة، وبال دعوة لحقائق الإيمان، وشواهد الإيقان، المبين للمأمورات كلها، والمنهيات جميعاً، المعرف بعيوب النفس والعمل، والطرق التي ينبغي سلوكها أجل المطالب، وأفضل الرغائب. وليس للعابدين، الذين هم أشرف الخلق، وراءه غاية، لأنه الكفيل بمعرفة ربهم، بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وبالإخبار بالغيوب كفايته التامة عن كل شيء، وأنه لا يستغنى عنه فقال: إن في هذا لبلغا لقوم عابدين أي: يتبلغون به في الوصول إلى ربهم، وإلى دار كرامته، فوصلهم إلى يثني الله تعالى على كتابه العزيز القرآن ويبين

فهو رحمته المهداة لعباده، فالؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفروا، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأبوا رحمة الله ونعمته. 107 ثم أتني على رسوله، الذي جاء بالقرآن فقال: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

قال: فهل أنتم مسلمون أي: منقادون لعبوديته مستسلمون لألوهيته، فإن فعلوا فليحمدوا ربهم على ما من عليهم بهذه النعمة التي فاقت المن. 108 قل يا محمد إنما يوحى إلي أنما إليكم إله واحد الذي لا يستحق العبادة إلا هو، ولهذا

بمآل الكفر، ولم أكنتم عنكم شيئاً. وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أي: من العذاب لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر شيء. 109 علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا إذا أنزل بكم العذاب: ما جاءنا من بشير ولا نذير بل الآن، استوى علمي وعلمكم، لما أنذرتكم، وحذرتكم، وأعلمتكم فإن تولوا عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة. فقل أذنتكم أي: أعلمتكم بالعقوبة على سواء أي

بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من الرسل وكم قصصنا أي: أهلكنا بعذاب مستأصل من قربة تلفت عن آخرها وأنشأنا بعدها قوما آخرين 11 يقول تعالى محذراً لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول،

بمآل الكفر، ولم أكنتم عنكم شيئاً. وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون أي: من العذاب لأن علمه عند الله، وهو بيده، ليس لي من الأمر شيء. 110 علمي وعلمكم بذلك مستو، فلا تقولوا إذا أنزل بكم العذاب: ما جاءنا من بشير ولا نذير بل الآن، استوى علمي وعلمكم، لما أنذرتكم، وحذرتكم، وأعلمتكم فإن تولوا عن الانقياد لعبودية ربهم، فحذرهم حلول المثلات، ونزول العقوبة. فقل أذنتكم أي: أعلمتكم بالعقوبة على سواء أي

أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين أي: لعل تأخير العذاب الذي استعجلتموه شر لكم، وأن تتمتعوا في الدنيا إلى حين، ثم يكون أعظم لعقوبتكم. 111

وإن

ولا نتكل على حولنا وقوتنا، وإنما نستعين بالرحمن، الذي ناصية كل مخلوق بيده، ونرجوه أن يتم ما استعناه به من رحمته، وقد فعل، ولله الحمد. 112 المستعان على ما تصفون أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون، من قولكم سنظهر عليكم، وسيضمحل دينكم، فنحن في هذا، لا نعجب بأنفسنا، وبين القوم الكافرين، فاستجاب الله هذا الدعاء، وحكم بينهم في الدنيا قبل الآخرة، بما عاقب الله به الكافرين من وقعة بدر وغيرها. وربنا الرحمن قال رب احكم بالحق أي: بيننا

تفسير السعدي

- وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع ولا طريق لهم إلى النزوع وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندما وقلقا، وتحسرا على ما فعلوا وهربوا من وقوعه 12 وأن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه،
- وهيئات، أين الوصول إلى هذا؟ وقد فات الوقت، وحل بهم العقاب والمقت، وذهب عنهم عزهم، وشرفهم وديانهم، وحضرهم ندمهم وتحسروهم؟. 13 وللذات جاني، وفي منازلكم مطمئنين معظمين، لعلكم أن تكونوا مقصودين في أموركم، كما كنتم سابقا، مسئولين من مطالب الدنيا، كحالتكم الأولى، اقتدار، فارجعوا إلى ما أترفتم فيه، من اللذات، والمشتهيات، ومساكنكم المزخرفات، وديانكم التي غرتكم وألهتكم، حتى جاءكم أمر الله. فكونوا فيها متمكنين، فليل لهم على وجه التهكم بهم: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون أي: لا يفيدكم الركوض والندم، ولكن إن كان لكم قد خدمت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا أيها المخاطبون أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل فيحل بكم كما حل بأولئك. 14 بالويل والثبور، والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن الله عادل فيما أحل بهم. حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنهم، تفسير الآيتين 14 و 15 :- قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم أي: الدعاء
- قد خدمت منهم الحركات، وسكنت منهم الأصوات، فاحذروا أيها المخاطبون أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل فيحل بكم كما حل بأولئك. 15 بالويل والثبور، والندم، والإقرار على أنفسهم بالظلم وأن الله عادل فيما أحل بهم. حتى جعلناهم حصيدا خامدين أي: بمنزلة النبات الذي قد حصد وأنهم، تفسير الآيتين 14 و 15 :- قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم أي: الدعاء
- رسله، فيما تخبر عنه، وأن القادر على خلقهما مع سعتهما وعظمتها، قادر على إعادة الأجساد بعد موتها، ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. 16 وللحق، ليستدل بها العباد على أنه الخالق العظيم، المدير الحكيم، الرحمن الرحيم، الذي له الكمال كله، والحمد كله، والعزة كلها، الصادق في قوله، الصادقة يخبر تعالى أنه ما خلق السماوات والأرض عبثا، ولا لعبا من غير فائدة، بل خلقها بالحق
- منها العبث واللهو، كل هذا تنزل مع العقول الصغيرة وإقناعها بجميع الوجوه المقنعة، فسبحان الحليم الرحيم، الحكيم في تنزيه الأشياء منازلها. 17 نطلعكم على ما فيه عبث ولهو، لأن ذلك نقص ومثل سوء، لا نحب أن نريه إياكم، فالسماوات والأرض اللذان برأى منكم على الدوام، لا يمكن أن يكون القصد لو أردنا أن نتخذ لهما على الفرض والتقدير المحال لاتخذنا من لدنا أي: من عندنا إن كنا فاعلين ولم
- لكم مما قلتم فائدة، ولا يرجع عليكم بعائدة تؤملونها، وتعملون لأجلها، وتسعون في الوصول إليها، إلا عكس مقصودكم، وهو الخيبة والحرمان 18 الواصفون الله، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك، ونصيبكم الذي تدركون به الويل والندامة والخسران. ليس ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد. وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك، ثم قال: ولكم أيها فان، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبهة، عقلية ولا نقلية، في إحقاق باطل، أو رد حق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية، الباطل، وإن كل باطل قبيح وجود له، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه فإذا هو زاهق أي: مضمحل، يخبر تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال
- ومن عنده أي من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون أي: لا يملون ولا يسأمونها، لشدة رغبتهم، وكمال محبتهم، وقوة أبدانهم. 19 وتقدس، المالك العظيم، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وخشعت له الملائكة المقربون، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة أجمعون، ولهذا قال: ومما يليك، فليس لأحد منهم ملك ولا قسط من الملك، ولا معاونه عليه، ولا يشفع إلا بإذن الله، فكيف يتخذ من هؤلاء آلهة وكيف يجعل لله منها ولدا؟! فتعالى أخبر أنه له ملك السماوات والأرض وما بينهما، فالكل عبيده
- ذكر من ربهم محدث يذكرهم ما ينفعهم ويحثمهم عليه وما يضرهم، ويرهبهم منه إلا استمعوه سماعا، تقوم عليهم به الحجة، وهم يلعبون 2 وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم، ولهذا قال: ما يأتيهم من
- وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمتهم وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره. 20 يسبحون الليل والنهار لا يفترون أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا خال منها
- والنفع والضر، وهذا من عدم توفيقه، وسوء حظه، وتوفر جهله، وشدة ظلمه، فإنه لا يصلح الوجود، إلا على إله واحد، كما أنه لم يوجد، إلا برب واحد. 21 ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فالمشرك يعبد المخلوق، الذي لا ينفع ولا يضر، ويدع الإخلاص لله، الذي له الكمال كله وبيده الأمر من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا واتخذوا من دون الله آلهة لهم
- آلهة من الأرض، في غاية العجز وعدم القدرة هم ينشرون استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدر على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: واتخذوا لما بين تعالى كمال اقتداره وعظمته، وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله
- وأعظمها، فربوبية ما دونه من باب أولى، عما يصفون أي: الجاحدون الكافرون، من اتخاذ الولد والصاحبة، وأن يكون له شريك بوجه من الوجوه. 22 عما يقولون علوا كبيرا ولهذا قال هنا: فسبحان الله أي: تنزهه وتقدس عن كل نقص لكماله وحده، رب العرش الذي هو سقف المخلوقات وأوسعها،

تفسير السعدي

سبحان الله عما يصفون ومنه على أحد التأويلين قوله تعالى: قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى هو الله الواحد القهار، ولهذا ذكر الله دليل التمانع في قوله: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربّه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات. وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولهذا قال: لو كان فيهما أي: في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا

وأقوالهم، لعجزهم وفقيرهم، ولكونهم عبيدا، قد استحققت أفعالهم وحركاتهم فليس لهم من التصرف والتدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم، مثقال ذرة. 23 وإتقانها، أحسن كل شيء يقدره العقل، فلا يتوجه إليه سؤال، لأن خلقه ليس فيه خلل ولا إخلال. وهم أي: المخلوقين كلهم يسألون عن أفعالهم لا يسأل عما يفعل لعظمته وعزته، وكمال قدرته، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل، ولكمال حكمته ووضع الأشياء مواضعها،

وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: فهم معرضون 24 شيئا. وقوله: بل أكثرهم لا يعلمون الحق أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه بطلان ما ذهبوا إليه، علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعيا، وإن وجد في معارضات، فإنها شبه لا تغني من الحق كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلتها العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، براهين وأدلة لما قلت. ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: هذا ذكر من معي وذكر من قبلي أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم، من إبطال الشرك، فهذا فقل لهم موبخا ومقرعا: أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلا، بل قد قامت رجوع إلى تهجين حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة

الرسول الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة. 25 وأمر بالرجوع إليهم في بيان هذه المسألة، بينها أتم تبين في قوله: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فكل ولما حول تعالى على ذكر المتقدمين،

الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل، وأنهم في غاية الأدب مع الله، والامتثال لأوامره. 26 بنات الله، تعالى الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربيون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم يخبر تعالى عن سفاهة المشركين المكذبين للرسول، وأنهم زعموا قبحهم الله أن الله اتخذ ولدا فقالوا: الملائكة

بأمره يعملون أي: مهما أمرهم، امتثلوا لأمره، ومهما دبرهم عليه، فعلوه، فلا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله 27 لا يسبقونه بالقول أي: لا يقولون قولا مما يتعلق بتدبير المملكة، حتى يقول الله، لكامل أدبهم، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه. وهم

من أدلة إثبات الشفاعة، وأن الملائكة يشفعون. وهم من خشيته مشفقون أي: خائفون وجلون، قد خضعوا لجلاله، وعنت وجوههم لعزه وجماله. 28 ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضى من يشفعون فيه، شفّعوا فيه، ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل، إلا ما كان خالصا لوجهه، متبعا فيه الرسول، وهذه الآية والمستقبلية، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره. ومن جزئيات وصفهم، بأنهم لا يسبقونه بالقول، أنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ومع هذا، فإله قد أحاط بهم علمه، فعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي: أمورهم الماضية

كذلك نجزي الظالمين وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟ 29 الصفات المقتضية لذلك، ذكر أيضا أنه لا حظ لهم، ولا بمجرد الدعوى، وأن من قال منهم: إني إله من دونه على سبيل الفرض والتنزل فذلك نجزيه جهنم فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية، ولا يستحقون شيئا من العبودية بما وصفهم به من

شاهدوا من الآيات الباهرة ما لم يشاهد غيرهم، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والظلم والعناد، والله تعالى قد أحاط علما بما تناجوا به، وسيجازيهم عليه 3 وأنه ساحر، وما جاء به من القرآن سحر، فانفروا عنه، ونفروا الناس، وقولوا: أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هذا وهم يعلمون أنه رسول الله حقا بما عليكم، وخصه من بينكم، فلو ادعى أحد منكم مثل دعواه، لكان قوله من جنس قوله، ولكنه يريد أن يتفضل عليكم، ويرأس فيكم، فلا تطيعوه، ولا تصدقوه، على وجه العناد، ومقابلة الحق بالباطل، وأنهم تناجوا، وتواطأوا فيما بينهم، أن يقولوا في الرسول صلى الله عليه وسلم، إنه بشر مثلكم، فما الذي فضله متى يفجأه الموت، صباحا أو مساء، فهذه حالة الناس كلهم، إلا من أدركته العناية الربانية، فاستعد للموت وما بعده. ثم ذكر ما يتناجى به الكافرون الظالمون والقول الثاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات، قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض، لا يدري فقد قرب الحساب منها بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين إصبعيه، السبابة والتي تليها. وتزكوا أعمالهم، وفي معنى قوله: اقترب للناس حسابهم قولان: أحدهما أن هذه الأمة هي آخر الأمم، ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة،

تفسير السعدي

منه، وتسعى جوارحهم، في عبادة ربهم، التي خلقوا لأجلها، ويجعلون القيامة والحساب والجزاء منهم على بال، فبذلك يتم لهم أمرهم، وتستقيم أحوالهم، الشهوات والعمل بالباطل، والأقوال الردية، مع أن الذي ينبغي لهم أن يكونوا بغير هذه الصفة، تقبل قلوبهم على أمر الله ونهيه، وتستمتع استماعا، تفقه المراد لاهية قلوبهم أي: قلوبهم غافلة معرضة لاهية بمطالبتها الدنيوية، وأبدانهم لاهية، قد اشتغلوا بتناول

دليلا على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: أفلا يؤمنون أي: إيماننا صحيحا، ما فيه شك ولا شرك. 30 ميت قد اغبرت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه، فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، أليس ذلك ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافيا لا قرعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد مشاهدة، على أنه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونها رتقا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامة ميتة، لا نبات فيها، أي: أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة

فجاجة سبلا، أي: طرقا سهلة لا حزنه، لعلمهم يهتدون إلى الوصول، إلى مطالبهم من البلدان، ولعلمهم يهتدون بالاستدلال بذلك على وحدانية المنان. 31 اتصلا كثيرا جدا، فلو بقيت بحالها، جبلا شامخات، وقللا باذخات، لتعطل الاتصال بين كثير من البلدان. فمن حكمة الله ورحمته، أن جعل بين تلك الجبال فيها، ولا حرثها، ولا الاستقرار بها، فأرساها بالجبال، فحصل بسبب ذلك، من المصالح والمنافع، ما حصل، ولما كانت الجبال المتصل بعضها ببعض، قد تتصل وكما له ووحدايته ورحمته، أنه لما كانت الأرض لا تستقر إلا بالجبال، أرساها بها وأوتدها، لئلا تميد بالعباد، أي: لئلا تضطرب، فلا يتمكن العباد من السكون أي: ومن الأدلة على قدرته

مكملة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله. 32 للبيت، وتقدم أن معنى تعظيمها، إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون تعظيم حرمانه وشعائره، والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر الله ومنها الهدايا والقربان أي: ذلك الذي ذكرنا لكم من

دار غير هذه الدار، يجدون فيها جزاء أعمالهم، كاملا موفرا ويعلم أن المقصود من هذه الدار أن تكون مزرعة لدار القرار، وأنها منزل سفر، لا محل إقامة. 33 العباد منها مآربهم، وتقوم بها منافعهم، وليستمتعوا وينتفعوا، ثم بعد هذا، ستزول وتضمحل، ويفنيها الذي أوجدها، ويسكنها الذي حركها، وينتقل المكلفون إلى في معاشهم، كل هذه الأمور إذا تدبرها اللبيب، وأمعن فيها النظر، جزم حتما لا شك فيه، أن الله جعلها مؤقتة في وقت معلوم، إلى أجل محتوم، يقضي منافع العباد من الحر والبرد، والفصول، ويعرفون حساب عباداتهم ومعاملاتهم، ويستريحون في ليلهم، ويهدأون ويسكنون وينتشرون في نهارهم، ويسعون من الكواكب الثوابت والسيارات، وشمسها، وقمرها النيرات، المتولد عنهما، الليل والنهار، وكونهما دائما في فلكهما سابحين، وكذلك النجوم، فتقوم بسبب ذلك معرضون أي: غافلون لاهون، وهذا عام في جميع آيات السماء، من علوها، وسعتها، وعظمتها، ولونها الحسن، وإتقانها العجيب، وغير ذلك من المشاهد فيها، التي أنتم عليها محفوظا من السقوط إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا محفوظا أيضا من استراق الشياطين للسمع. وهم عن آياتها تفسير الآيتين 32 و33 :- وجعلنا السماء سقفا للأرض

فإذا مت، فسبيل أمثالك، من الرسل والأنبياء، والأولياء، وغيرهم. أفان مت فهم الخالدون أي: فهل إذا مت خلدوا بعدك، فليهنهم الخلود إذا إن كان أعداء الرسول يقولون تربصوا به ريب المنون. قال الله تعالى: هذا طريق مسلوك، ومعبد منهوك، فلم نجعل لبشر من قبلك يا محمد الخلد في الدنيا، لما كان

ربك بظلام للعبيد وهذه الآية، تدل على بطلان قول من يقول ببقاء الخضر، وأنه مخلص في الدنيا، فهو قول، لا دليل عليه، ومناقض للأدلة الشرعية. 35 منه تعالى ليلوهم أيهم أحسن عملا، ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، وإلينا ترجعون فنجازيكم بأعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر وما بالعبد المدى، وعمر سنين، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم، ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل والحياة والموت، فتنة بل كل من عليها فان، ولهذا قال: كل نفس ذائقة الموت وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال

لقباحة حالهم، وأنهم كيف قابلوا الرحمن مسدي النعم كلها، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع السوء إلا بإياه بالكفر والشرك. 36 به إلا وهم مشركون فذكرهم كفر وشرك، فكيف بأحوالهم بعد ذلك؟ ولهذا قال: وهم بذكر الرحمن هم كافرون وفي ذكر اسمه الرحمن هنا، بيان بالرب وجدهم لرسله فصاروا بذلك، من أخس الخلق وأرذلهم، ومع هذا، فذكرهم للرحمن، الذي هو أعلى حالاتهم، كافرون بها، لأنهم لا يذكرونه ولا يؤمنون لله، وذم كل ما يعبد من دونه وتنقصه، وذكر محله ومكانته، ولكن محل الازدراء والاستهزاء، هؤلاء الكفار، الذين جمعوا كل خلق ذميم، ولو لم يكن إلا كفرهم ويقع فيها، أي: فلا تبالوا به، ولا تحفلوا به. هذا استهزاؤهم واحتقارهم له، بما هو من كماله، فإنه الأكمل الأفضل الذي من فضائله ومكارمه، إخلاص العبادة فإن المشركين إذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، استهزأوا به وقالوا: أهذا الذي يذكر آلهتكم أي: هذا المحقر بزعمهم، الذي يسب آلهتكم ويذمها، وهذا من شدة كفرهم،

إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولهذا قال: سأريكم آياتي أي: في انتقامي ممن كفر بي وعصاني فلا تستعجلون ذلك 37

تفسير السعدي

- يتولون ويستعجلون بالعذاب، تكذبا وعنادا، ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين والله تعالى، يمهّل ولا يهمل ويحلم، ويجعل لهم أجلا مؤقتا خلق الإنسان من عجل أي: خلق عجولا، يبادر الأشياء، ويستعجل بوقوعها، فالمؤمنون، يستعجلون عقوبة الله للكافرين، ويتباطئون، والكافرون وكذلك الذين كفروا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قالوا هذا القول، اغترارا، ولما يحق عليهم العقاب، وينزل بهم العذاب. 38
- النار ولا عن ظهورهم، إذ قد أحاط بهم من كل جانب وغشيه من كل مكان ولا هم ينصرون أي: لا ينصرهم غيرهم، فلا نصروا ولا انتصروا. 39
- لو يعلم الذين كفروا حالهم الشنيعة حين لا يكفون عن وجوههم
- في جميع ما احتوت عليه أقطارهما وهو السميع لساائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات العليم بما في الضمائر، وأكنته السرائر. 4
- قل ربي يعلم القول أي: الخفي والجلي في السماء والأرض أي:
- فيؤخر عنهم العذاب. فلو علموا هذه الحالة حق المعرفة، لما استعجلوا بالعذاب، ولخافوه أشد الخوف، ولكن لما ترحل عنهم هذا العلم، قالوا ما قالوا 40
- تأتيهم النار بغتة فتبتهتهم من الانزعاج والذعر والخوف العظيم. فلا يستطيعون ردها إذ هم أذل وأضعف من ذلك. ولا هم ينظرون أي: يمهلون،
- بل
- منهم أي: نزل بهم ما كانوا به يستهزئون أي: نزل بهم العذاب، وتقطعت عنهم الأسباب، فليحذر هؤلاء، أن يصيبهم ما أصاب أولئك المكذبين. 41
- استهزاءهم برسوله بقولهم: أهذا الذي يذكر آلهتكم سلاه بأن هذا دأب الأمم السالفة مع رسلكم فقال: ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا ولما ذكر
- لا حافظ إلا هو. بل هم عن ذكر ربهم معرضون فهذا أشركوا به، وإلا فلو أقبلوا على ذكر ربهم، وتلقوا نصائحه، لهدوا لرشدكم، ووقفوا في أمرهم. 42
- بالليل إذ كنتم نائمين على فرشكم، وذهبت حواسكم والنهار وقت انشراككم وغفلتكم من الرحمن أي: بدله غيره، أي: هل يحفظكم أحد غيره؟
- آلهة، وأنهم محتاجون مضطرون إلى ربهم الرحمن، الذي رحمته، شملت البر والفاجر، في ليالهم ونهارهم فقال: قل من يكلؤكم أي: يحرسكم ويحفظكم
- يقول تعالى ذاكرة عجز هؤلاء، الذين اتخذوا من دونه
- هم منا يصحبون أي: لا يعانون على أمورهم من جهتنا، وإذا لم يعانون من الله، فهم مخذولون في أمورهم، لا يستطيعون جلب منفعة، ولا دفع مضرة. 43
- أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا أي: إذا أردناهم بسوء هل من آلهتهم، من يقدر على منعهم من ذلك السوء، والشر النازل بهم؟؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا
- عن الموت؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم، أذعنوا، وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى ممانعة؟ 44
- وهو خير الوارثين، فلو رأوا هذه الحالة لم يغتروا ويستمروا على ما هم عليه. أفهم الغالبون الذين بوسعهم، الخروج عن قدر الله؟ وبطاعتهم الامتناع
- النفوس الأشرار، ولهذا قال: أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئا فشيئا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها
- وعن يسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكا ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص
- فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهاوا بها، عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعظم طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو لفتوا أنظارهم إلى من عن يمينهم،
- والذي أوجب لهم استمرارهم على كفرهم وشركهم قوله: بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أي: أمددناهم بالأموال والبنين، وأطلنا أعمارهم،
- بالنسبة إلى الأصوات فهؤلاء المشركون، صم عن الهدى، فلا يستغرب عدم اهتدائهم، خصوصا في هذه الحالة، التي لم يأتهم العذاب، ولا مسهم ألمه. 45
- قابل لذلك، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب والأرواح، وللغة عن الله، ولكن إذا كان القلب غير قابل لسماع الهدى، كان بالنسبة للهدى والإيمان، بمنزلة الأصم،
- وإنما الأمر لله، والتقدير كله لله. ولا يسمع الصم الدعاء أي: الأصم لا يسمع صوتا، لأن سمعه قد فسد وتعطل، وشرط السماع مع الصوت، أن يوجد محل
- ولا أقول إني ملك، وإنما أنذركم بما أوحاه الله إلي، فإن استجبتم، فقد استجبتم لله، وسيثيبكم على ذلك، وإن أعرضتم وعارضتم، فليس بيدي من الأمر شيء،
- أي: قل يا محمد، للناس كلهم: إنما أنذركم بالوحي أي: إنما أنا رسول، لا آتيكم بشيء من عندي، ولا عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب،
- من عذابه، ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين أي: لم يكن قولهم إلا الدعاء بالويل والثبور، والندم، والاعتراف بظلمهم وكفرهم واستحقاقهم للعذاب. 46
- فلو مسهم نفحة من عذاب ربك أي: ولو جزءا يسيرا ولا يسير
- فكفى به حاسبا، أي: عالما بأعمال العباد، حافظا لها، مثبتا لها في الكتاب، عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها وعقابها واستحقاقها، موصلا للعمال جزاءها. 47
- يره وقالوا يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وكفى بنا حاسبين يعني بذلك نفسه الكريمة،
- أصغر الأشياء وأحقرها، من خير أو شر أتينا بها وأحضرناها، ليجازي بها صاحبها، كقوله: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
- الحسنات والسيئات، فلا تظلم نفس مسلمة أو كافرة شيئا بأن تنقص من حسناتها، أو يزداد في سيئاتها. وإن كان مثقال حبة من خردل التي هي
- يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها
- لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد. 48

تفسير السعدي

في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، وهم من الساعة مشفقون أي: خائفون وجلون، ويتذكر به الخير والشر، وخص المتقين بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك، علما وعملا. ثم فسر المتقين فقال: الذين يخشون ربهم بالغيب أي: يخشونه السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع والغواية، وذكر للمتقين يتذكرون به، ما ينفعهم، وما يضرهم، أتى موسى أصلا، وهارون تبع الفرقان وهي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ضياء أي: نور يهتدي به المهتدون، ويأتى به تعالى، بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكرا، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبيانا، وهما التوراة والقرآن فأخبر أنه كثيرا ما يجمع

لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد. 49 في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، وهم من الساعة مشفقون أي: خائفون وجلون، ثم فسر المتقين فقال: الذين يخشون ربهم بالغيب أي: يخشونه

جاءتهم كل آية، لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. ولهذا قال الله عنهم: فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي: كناية صالح، وعصا موسى، ونحو ذلك. 5 بدونها، وإن كان قصدهم التعجيز وإقامة العذر لأنفسهم، إن لم يأت بما طلبوا فإنهم بهذه الحالة على فرض إتيان ما طلبوا من الآيات لا يؤمنون قطعا، فلو الذين كذبوه وطلبوا من الآيات الاقتراح ما هو أضر شيء عليهم، وليس لهم فيها مصلحة، لأنهم إن كان قصدهم معرفة الحق إذا تبين دليله، فقد تبين دليله ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه، وهو كاف شاف، فمن طلب دليلا غيره، أو اقترح آية من الآيات سواه، فهو جاهل ظالم مشبه لهؤلاء المعاندين إلا الحق الذي لا يقوم له شيء، وإنما يقولون هذه الأقوال فيه حيث لم يؤمنوا به تنفيرا عنه لمن لم يعرفه، وهو أكبر الآيات المستمرة، الدالة على صحة مع توفر دواعيهم لمعارضته وعداوته، فلم يقدروا على شيء من معارضته، وهم يعلمون ذلك وإلا فما الذي أقامهم وأقعدهم وأقض مضاجعهم وبلبل ألسنتهم جزم جزما لا يقبل الشك، أنه أجل الكلام وأعلاه، وأنه من عند الله، وأن أحدا من البشر لا يقدر على الإتيان بمثل بعضه، كما تحدى الله أعداءه بذلك، ليعارضوا واختلقه وتقلبه من عند نفسه، وتارة يقولون: إنه شاعر وما جاء به شعر. وكل من له أدنى معرفة بالواقع، من حالة الرسول، ونظر في هذا الذي جاء به، سفهوه وقالوا فيه الأقاويل الباطلة المختلفة، فتارة يقولون: أضغاث أحلام بمنزلة كلام النائم الهادي، الذي لا يحس بما يقول، وتارة يقولون: افتراه يذكر تعالى ائتفاك المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من القرآن العظيم، وأنهم

والإضراب عنه، صفحا وإنكاره، وعدم الإيمان به فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: أفأنتم له منكرون 50 والانقياد، والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرا مباركا، وجب تلقيه بالقبول والفرح، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلا، والنهي عن القبيح عقلا، وكونه مباركا يقتضي كثرة خيراته ونمائها وزيادتها، ولا شيء من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكرا، لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول بوصفين جليلين، كونه ذكرا يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع وهذا أي: القرآن ذكر مبارك أنزلناه فوصفه

في الدنيا والآخرة، لعلمنا أنه أهل لذلك، وكفء له، لركائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه، ونهيه عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة 51 حاله، وعلو مرتبته، وإلا فكل مؤمن، له من الرشد، بحسب ما معه من الإيمان. وكنا به عالمين أي: أعطيناه رشده، واختصاصه بالرسالة والخلة، واصطفيناه السماوات والأرض، وأعطاه من الرشد، الذي كمل به نفسه، ودعا الناس إليه، ما لم يؤته أحدا من العالمين، غير محمد، وأضاف الرشد إليه، لكونه رشدا، بحسب ومحمدا صلى الله عليه وسلم، وكتابينهما قال: ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي: من قبل إرسال موسى ومحمد ونزول كتابيهما، فأراه الله ملكوت لما ذكر تعالى موسى

لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيت أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تحتون. 52 التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات التي أنتم لها عاكفون مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل

على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصا، في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين 53 فأجابوا بغير حجة، جواب العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة فقالوا: وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، فسلكتنا سبيلهم، وتبعناهم

ضلال، أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد؟ أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البين لكل أحد. 54 ولهذا قال لهم إبراهيم مضللا للجميع: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أي: ضلال بين واضح، وأي

الذي أرادوا، وإنما ردوا الكلام بين الأمرين، لأنهم نزلوه منزلة المقرر المعلوم عند كل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم، كلام سفيه لا يعقل ما يقول 55 أجننتنا بالحق أم أنت من اللاعبيين أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزئ، لا يدري ما يقول؟ وهذا

تفسير السعدي

قالوا على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام لما قال، وكيف بادأهم بتسفيهم، وتسفيه آبائهم:

وأن عبادة ما سواه باطل من الشاهدين وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصا أولي العزم منهم خصوصا خليل الرحمن. 56 به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلماذا قال إبراهيم: وأنا على ذلكم أي: أن الله وحده المعبود نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟ أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاءوا مفطوراً مدبراً متصرفاً فيه، ودخل في ذلك، جميع ما عبد من دون الله. أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك أن الله وحده، الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسموات، والأرض، المدير لهم، بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق وأنا على ذلكم من الشاهدين فجمع لهم بين الدليل العقلي، والدليل السمعي. أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم، فرد عليهم إبراهيم رداً بين به وجه سفههم، وقلة عقولهم فقال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن

كيدا يحصل به إقرارهم بذلك فلماذا قال: وتالله لا أكيدن أصنامكم أي أكسرها على وجه الكيد بعد أن تولوا مدبرين عنها إلى عيد من أعيادهم 57 ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد

ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه، ويستملوا حجته، ويلتفتوا إليها، ولا يعرضوا عنها ولهذا قال في آخرها: فرجعوا إلى أنفسهم 58 ولم يقل كبيراً من أصنامهم فهذا ينبغي التنبيه له، والاحتراز من تعظيم ما حقره الله، إلا إذا أضيف إلى من عظمه. وقوله: لعلمهم إليه يرجعون أي ملوك الأرض المشركين يقول: إلى عظيم الفرس إلى عظيم الروم ونحو ذلك، ولم يقل إلى العظيم وهنا قال تعالى: إلا كبيراً لهم هذا الاحتراز العجيب، فإن كل ممقوت عند الله، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم، إلا على وجه إضافته لأصحابه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كتب إلى فجعلهم جذاذاً أي كسراً وقطعاً، وكانت مجموعة في بيت واحد، فكسرها كلها، إلا كبيراً لهم أي إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لمقصد سيئ، وتأمل فلما تولوا مدبرين، ذهب إليها بخفية

الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده، وإنما الظالم من اتخذها آلهة، وقد رأى ما يفعل بها 59 فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين فرموا إبراهيم بالظلم

هؤلاء بها؟ ما الذي فضلهم على أولئك، وما الخير الذي فيهم، يقتضي الإيمان عند وجودها؟ وهذا الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يكون ذلك منهم أبداً. 6 من قرية أهلكناها أي: بهذه الآيات المقترحة، وإنما سنته تقتضي أن من طلبها، ثم حصلت له، فلم يؤمن أن يعاجله بالعقوبة. فالأولون ما آمنوا بها، أفيؤمن ما آمنت قبلهم

سمعنا فتى يذكرهم أي: يعيبهم ويذمهم، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها يقال له إبراهيم 60 قالوا

بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة، كما قال موسى حين واعد فرعون: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى 61 أي: بإبراهيم على أعين الناس أي بمرأى منهم ومسمع لعلمهم يشهدون أي: يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون فلما تحققوا أنه إبراهيم قالوا فأتوا به

له: أأنت فعلت هذا أي: التكسير بآلهتنا يا إبراهيم؟ وهذا استفهام تقرير، أي: فما الذي جرأك، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر؟ 62 فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا

إن كان عندهم نطق، فسيجيبونكم إلى ذلك، وأنا وأنتم، وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر، بل ولا تنصر نفسها ممن يريد بها بأذى. 63 وإقامة الحجة عليه، ولهذا قال: فاسألوهم إن كانوا ينطقون وأراد الأصنام المكسرة أسألوها لم كسرت؟ والصنم الذي لم يكسر، أسألوه لأي شيء كسرها، كبيرهم هذا أي: كسرها غضبا عليها، لما عبدت معه، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده، وهذا الكلام من إبراهيم، المقصد منه إلزام الخصم فقال إبراهيم والناس شاهدون: بل فعله

إنكم أنتم الظالمون فحصل بذلك المقصود، ولزمتهم الحجة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل وأن فعلهم كفر وظلم، ولكن لم يستمروا على هذه الحالة 64 فرجعوا إلى أنفسهم أي: ثابت عليهم عقولهم، ورجعت إليهم أحلامهم، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك، فقالوا

عقولهم وضلت أحلامهم، فقالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تهكم بنا وتستهزئ بنا وتأمرا أن نسألها وأنت تعلم أنها لا تنطق؟ . 65 ولكن نكسوا على رؤوسهم أي: انقلب الأمر عليهم، وانتكست

ومعلنا بشركهم على رؤوس الأشهاد، ومبيناً عدم استحقاق آلهتهم للعبادة: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فلا نفع ولا دفع. 66 فقال إبراهيم موبخاً لهم

وما عبدتم من دون الله، إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدمتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم، أحسن حالا منكم. 67

تفسير السعدي

أف لكم ولما تعبدون من دون الله أي: ما أضلكم وأخسر صفقتكم، وما أخسكم، أنتم

فاعلين أي: اقتلوه أشنع القتلات، بالإحراق، غضبا لآلهتكم، ونصرة لها. فتعسا لهم تعسا، حيث عبدوا من أقروا أنه يحتاج إلى نصرهم، واتخذوه إلهًا 68 فحينئذ لما أفحمهم، ولم يبينوا حجة، استعملوا قوتهم في معاقبته، ف قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم

فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: كوني بردا وسلاما على إبراهيم فكانت عليه بردا وسلاما، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه. 69

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجلا 7 الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كآهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقروا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسل، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 بهذا جواب لشبهة المكذبين للرسل القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

وأرادوا به كيدا حيث عزموا على إحراقه، فجعلناهم الأخسرين أي: في الدنيا والآخرة، كما جعل الله خليله وأتباعه، هم الرابحين المفلحين. 70 الحكيم ومن بركة الشام، أن كثيرا من الأنبياء كانوا فيها، وأن الله اختارها، مهاجرا لخليله، وفيها أحد بيوته الثلاثة المقدسة، وهو بيت المقدس. 71 الله، وهاجر إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين أي: الشام، فغادر قومه في بابل من أرض العراق، وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز ونجينا ولوطا وذلك أنه لم يؤمن به من قومه إلا لوط عليه السلام قيل: إنه ابن أخيه، فنجاه

الفاضلة العربية، ومن ذريته، سيد الأولين والآخرين. وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلنا صالحين أي: قائمين بحقوقه، وحقوق عباده 72 فبشرته الملائكة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ويعقوب، هو إسرائيل، الذي كانت منه الأمة العظيمة، وإسماعيل بن إبراهيم، الذي كانت منه الأمة ووهبنا له حين اعتزل قومه إسحاق ويعقوب ابن إسحاق نافلة بعدما كبر، وكانت زوجته عاقرا،

أي: مديمين على العبادات القلبية والقلبية والبدنية في أكثر أوقاتهم، فاستحقوا أن تكون العبادة وصفهم، فاتصفوا بما أمر الله به الخلق، وخلقهم لأجله. 73 كان لما سواهما أضيع، ولأن الصلاة أفضل الأعمال، التي فيها حق، والزكاة أفضل الأعمال، التي فيها الإحسان لخلقه. وكانوا لنا أي: لا لغيرنا عابدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هذا من باب عطف الخاص على العام، لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولأن منكملهما كما أمر، كان قائما بدينه، ومن ضيعهما، إماما حتى يدعو إلى أمر الله. وأوحينا إليهم فعل الخيرات يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد. وكانوا بآيات الله يوقنون. وقوله: يهدون بأمرنا أي: يهدون الناس بديننا، لا يأمرن بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، وأتباع مرضاته، ولا يكون العبد ومن صلاحهم، أنه جعلهم أئمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماما يهتدي به المهتدون، ويمشي خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، كذبوا الداعي، وتوعده بالإخراج، ونجى الله لوطا وأهله، فأمره أن يسري بهم ليلا، ليبعدوا عن القرية، فسروا ونجوا، من فضل الله عليهم ومنته. 74 إلى عبادة الله، وبيناهم عما هم عليه من الفواحش، فلبث يدعوهم، فلم يستجيبوا له، فقلب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم لأنهم قوم سوء فاسقين هذا ثناء من الله على رسوله لوط عليه السلام بالعلم الشرعي، والحكم بين الناس، بالصواب والساد، وأن الله أرسله إلى قومه، يدعوهم

والخير، وأعظم الناس صلاحا، الأنبياء عليهم السلام ولهذا يصفهم بالصلاح، وقال سليمان عليه السلام: وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين 75 من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد، سبب لحرمانه الرحمة وأدخلناه في رحمتنا التي من دخلها، كان من الأمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة، وبر، وسرور، وثناء، وذلك لأنه

يبقى منهم أحدا، ونجى الله نوحا وأهله، ومن معه من المؤمنين، في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، ونصرهم الله على قومه المستهزئين. 76 الزجر، نادى ربه وقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا فاستجاب الله له، فأغرقهم، ولم

تفسير السعدي

عاما، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويبيدي فيهم ويعيد، ويدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، فلما رآهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم تفسير الآيتين 76 و 77 :أي: واذكر عبدنا ورسولنا، نوحا عليه السلام، مثنيا مادحا، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة، إلا خمسين

يبقى منهم أحدا، ونجى الله نوحا وأهله، ومن معه من المؤمنين، في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، ونصرهم الله على قومه المستهزئين. 77 الزجر، نادى ربه وقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا فاستجاب الله له، فأغرقهم، ولم عاما، يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الشرك به، ويبيدي فيهم ويعيد، ويدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، فلما رآهم لا ينجع فيهم الوعظ، ولا يفيد لديهم تفسير الآيتين 76 و 77 :أي: واذكر عبدنا ورسولنا، نوحا عليه السلام، مثنيا مادحا، حين أرسله الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة، إلا خمسين

على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام 78 فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدها وصوفها ويقومون القوم الآخرين، أي: رعت ليلا، فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرع، ففضى فيه داود عليه السلام، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظرا إلى تفريط أصحابها، آتاها الله العلم الواسع والحكم بين العباد، بدليل قوله: إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم أي: واذكر هذين النبيين الكريمين داود و سليمان مثنيا مبعلا، إذ

لم يؤته أحدا من الخلق، فكان إذا سبح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصم والطيور البهم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه فلماذا قال: وكنا فاعلين 79 الجبال يسبحن والطيور وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم لله ذكرا وتسبيحا وتمجيذا، وكان قد أعطاه الله من حسن الصوت ورقته ورخامته، ما على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب وقد يخطئ ذلك، وليس بمعلوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده. ثم ذكر ما خص به كلا منهما فقال: وسخرنا مع داود هذه القضية، ولا يدل ذلك، أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: وكلا من داود وسليمان آتيناهما حكما وعلمنا وهذا دليل ففهمناهما سليمان أي: فهمناه

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجلا 8 الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كآهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك لو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقرؤا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقرؤا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطراً عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأمهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسول، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسول، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 :هذا جواب لشبه المكذبين للرسول القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

وإنما المنة بالجنس، والاحتمال الذي ذكره المفسرون، لا دليل عليه إلا قوله: وألنا له الحديد وليس فيه أن الإلانة من دون سبب، والله أعلم بذلك. 80 صنعتها من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها، لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعذر أن يكون المراد أعيانها، جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن، لإذابتها، وهذا هو الظاهر، لأن الله امتن بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن للعادة، وأن يكون كما قاله المفسرون: إن الله ألان له الحديد، حتى كان يعمل كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار، ويحتمل أن تعليم الله له، على وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم ولكم تسلمون يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق من بأسكم أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب، واشتداد البأس. فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم، حيث أجزاها على يد عبده داود، كما قال تعالى: السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها وسرت صناعته إلى من بعده، فالآن الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها والفائدة فيها كبيرة، لتحصنكم وعلمناه صنعة لبوس لكم أي: علم الله داود عليه

ورجوعها إلى الأرض المباركة، وكنا بكل شيء عالمين قد أحاط علمنا بجميع الأشياء، وعلمنا من داود وسليمان، ما أوصلناهما به إلى ما ذكرنا. 81

تفسير السعدي

- امتثلت أمره، غدوها شهر ورواحها شهر إلى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام، حيث كان مقره، فيذهب على الريح شرقا وغربا، ويكون مأواها ولسليمان الريح أي: سخرناها عاصفة أي: سريعة في مرورها، تجري بأمره حيث دبرت
- موته، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وكنا لهم حافظين أي: لا يقدرّون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه. 82
- يعمل له محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وسخر طائفة منهم، لبناء بيت المقدس، ومات، وهم على عمله، وبقوا بعده سنة، حتى علموا وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم، فكان منهم من يغوص له في البحر، ويستخرج الدر، واللؤلؤ، وغير ذلك، ومنهم من ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وهذا أيضا من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ 83 صابرا راضيا عنه، وذلك أن الشيطان سلب على جسده، ابتلاء من الله، وامتحانا فنفي في جسده، فتقترح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، أي: واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب مثنيا معظما له، رافعا لقدره حين ابتلاءه، ببلاء شديد، فوجده
- ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أننى الله عليه به في قوله: إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر. 84
- الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة. وذكرى للعابدين أي: جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، أهله أي: رددنا عليه أهله وماله. ومثلهم معهم بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، رحمة من عندنا به، حيث صبر ورضي، فأثابه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، وآتيناه وبرحمة ربه الواسعة فاستجاب الله له، وقال له:
- الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا. 85
- من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاتهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبة، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبين من أنبياء بني إسرائيل كل من هؤلاء المذكورين من الصابرين تفسير الآيتين 85 و 86: أي: واذكر عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين
- الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفا وفضلا. 86
- من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي. فبصبرهم وصلاتهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبة، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبا الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها. فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها والصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار بأحسن الذكر، وأثن عليهم أبلغ الثناء، إسماعيل بن إبراهيم، وإدريس، وذا الكفل، نبين من أنبياء بني إسرائيل كل من هؤلاء المذكورين من الصابرين تفسير الآيتين 85 و 86: أي: واذكر عبادنا المصطفين، وأنبياءنا المرسلين
- لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنابته. 87
- من يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصاب القربة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: أو ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فافترعوا، يلام عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت مغاضبا، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله: إذ أبق إلى الفلك وهو ملهم أي: فاعل ما إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعنهم إلى حين وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله. ولكنه عليه الصلاة والسلام، ذهب قال تعالى: فلولا كانت قرية آمنت فففعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين وقال: وأرسلناه قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم. فجاءهم العذاب ورأوه عيانا، فعجوا إلى الله، وضجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب كما أي: واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهي الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى وهذا وعد وبشارة، لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيها منها، ويكشف عنه ويخفف، لإيمانه كما فعل بـ يونس عليه السلام. 88
- : فاستجبت له ونجيناه من الغم أي: الشدة التي وقع فيها. وكذلك ننجي المؤمنين
- أي: خير الباقيين، وخير من خلفني بخير، وأنت أرحم بعبادك مني، ولكني أريد ما يطمئن به قلبي، وتسكن له نفسي، ويجري في موازيني ثوابه. 89

تفسير السعدي

لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فردا، ولا يخلف من يشفعه ويعينه، على ما قام به، وأنت خير الوارثين فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضا من هذه الآيات علما أن قوله رب لا تذرنني فردا أنه لما تقارب أجله، خاف أن رب لا تذرنني فردا أي: قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا عبدنا ورسولنا زكريا، منوها بذكره، ناشرا لمناقبه وفضائله، التي من جملتها، هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه للخلق، ورحمة الله إياه، وأنه نادى ربه أي: واذكر

المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك، وفي هذه الآية دليل على أن النساء ليس منهن نبيه، لا مريم ولا غيرها، لقوله إلا رجالا 9
الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهي عن سؤال المتقدمين لأهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه كأهل التوراة والإنجيل، يخبرونكم بما عندهم من العلم، وأنهم كلهم بشر من جنس المرسل إليهم. وهذه الآية وإن كان سببها خاصا بالسؤال عن حالة الرسل يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فإن حصل معكم شك وعدم علم بحالة الرسل المتقدمين فاسألوا أهل الذكر من الكتب السالفة، ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وأن البشر لا طاقة لهم بتلقي الوحي من الملائكة قل لو كان في الأرض ملائكة لا يكون نبي إن لم يكن ملكا مخلدا، لا يأكل الطعام، فقد أجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ولن يقرؤا برسول من غير البشر، إن شبههم باطلة، قد أبطلوها هم بإقرارهم بفسادها، وتناقضهم بها، فلو قدر انتقالهم من هذا إلى إنكار نبوة البشر رأسا، وأنه على إنكار رسالته، وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقر بهم المكذبون لمحمد؟ فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح، وأنهم إن أقروا برسول من البشر، وأن الله صدقهم ما وعدهم به من النجاة، والسعادة لهم ولأتباعهم، وأهلك المسرفين المكذبين لهم. فما بال محمد صلى الله عليه وسلم، تقام الشبهة الباطلة ويمشون في الأسواق، وتطأ عليهم العوارض البشرية، من الموت وغيره، وأن الله أرسلهم إلى قومهم وأممهم، فصدقهم من صدقهم، وكذبهم من كذبهم، قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته بأن الرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، كلهم من البشر، الذين يأكلون الطعام، في الكفر، فتشابهت أقوالهم، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة لهؤلاء المكذبين للرسل، المقرين بإثبات الرسل قبله ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي طعام وشراب، وتصرف في الأسواق، وهلا كان خالدا؟ فإذا لم يكن كذلك، دل على أنه ليس برسول. وهذه الشبهة ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا تفسير الآيات من 7 إلى 9 بهذا جواب لشبهة المكذبين للرسل القائلين: هلا كان ملكا، لا يحتاج إلى

الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون، وكانوا لنا خاشعين أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم. 90
انتهزوا الفرصة فيها، ويدعوننا رغبا ورهبا أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار كانوا يسارعون في الخيرات أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدر عليها، إلا والقرين الصالح، أنه مبارك على قرينه، فصار يحيى مشتركا بين الوالدين. ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراد، أثنى عليهم عموما فقال: إنهم الله له من قبل سميا. وأصلحنا له زوجه بعدما كانت عاقرا، لا يصلح رحمها للولادة فأصلح الله رحمها للحمل، لأجل نبيه زكريا، وهذا من فوائد الجليس، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى النبي الكريم، الذي لم يجعل

تلك الحالة، وأجرى الله على يديه من الخوارق والمعجزات ما هو معلوم، فكانت وابنها آية للعالمين، يتحدث بها جيلا بعد جيل، ويعتبر بها المعتبرون. 91
الله. وجعلناها وابنها آية للعالمين حيث حملت به، ووضعت من دون مسبب أحد، وحيث تكلم في المهد، وبرأها مما ظن بها المتهمون وأخبر عن نفسه في والحسن قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فجازاها الله من جنس عملها، ورزقها ولدا من غير أب، بل نفخ فيها جبريل عليه السلام، فحملت بإذن حفظته من الحرام وقربانه، بل ومن الحلال، فلم تتزوج لاشتغالها بالعبادة، واستغراق وقتها بالخدمة لربها. وحين جاءها جبريل في صورة بشر سوي تام الخلق أي: واذكر مريم، عليها السلام، مثنيا عليها مبينا لقدرها، شاهرا لشرفها فقال: والتي أحصنت فرجها أي:

بجميع أنواع العبادة كان وظيفتكم والواجب عليكم، القيام بها، ولهذا قال: فاعبدون فرتب العبادة على ما سبق بالفاء، ترتيب المسبب على سببه. 92
قال: وأنا ربكم الذي خلقتكم، وربيتكم بنعمتي، في الدين والدنيا، فإذا كان الرب واحدا، والنبي واحدا، والدين واحدا، وهو عبادة الله، وحده لا شريك له، واحدة أي: هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتون، وبهديهم تقتدون، كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضا واحد. ولهذا ولما ذكر الأنبياء عليهم السلام، قال مخاطبا للناس: إن هذه أمتكم أمة

الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، ولهذا قال: كل من الفرق المتفرقة وغيرهم إلينا راجعون أي: فنجازيهم أتم الجزاء 93
وقد علم أن المصيب منهم، من كان سالكا للدين القويم، والصراط المستقيم، مؤتما بالأنبياء وسيظهر هذا، إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله أمرهم بينهم أي: تفرق الأحزاب المنتسبون لاتباع الأنبياء فرقا، وتشتتوا، كل يدعي أن الحق معه، والباطل مع الفريق الآخر و كل حزب بما لديهم فرحون وكان اللائق، الاجتماع على هذا الأمر، وعدم التفرق فيه، ولكن البغي والاعتداء، أبيا إلا الافتراق والتقطع. ولهذا قال: وتقطعوا

في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي مع الحفظة. أي: ومن لم يعمل من الصالحات، أو عملها وهو ليس بمؤمن، فإنه محروم، خاسر في دينه، ودنياه. 94

تفسير السعدي

وهو مؤمن بالله وبرسله، وما جاءوا به فلا كفران لسعيه أي: لا نضيع سعيه ولا نبطله، بل نضاعفه له أضعافا كثيرة. وإنا له كاتبون أي: مثبتون له ثم فصل جزاءه فيهم، منطوقا ومفهوما، فقال: فمن يعمل من الصالحات أي: الأعمال التي شرعتها الرسل وحثت عليها الكتب إلى الرجوع لمن أهلك وعذب، فليحذر المخاطبون، أن يستمروا على ما يوجب الإهلاك فيقع بهم، فلا يمكن رفعه، وليقلعوا وقت الإيمان والإدراك. 95 أي: يمتنع على القرى المهلكة المعذبة، الرجوع إلى الدنيا، ليستدركوا ما فرطوا فيه فلا سبيل وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلمون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم. 96 والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحذب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفث السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب افتتاح أجوج ومأجوج، وهما قبيلتان فلو كان يموت أحد من الندم والحسرة، لماتوا. بل كنا ظالمين اعترفوا بظلمهم، وعدل الله فيهم، فحينئذ يؤمر بهم إلى النار، هم وما كانوا يعبدون. 97 على ما فات ويقولون لـ: قد كنا في غفلة من هذا اليوم العظيم، فلم نزل فيها مستغرقين، وفي لهو الدنيا متمتعين، حتى أتانا اليقين، ووردنا القيامة، شاخصة، من شدة الأفزع والأهوال المزعجة، والقلقل المفطعة، وما كانوا يعرفون من جنائياتهم وذنوبهم، وأنهم يدعون بالويل والثبور، والندم والحسرة، واقترب الوعد الحق أي: يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، ففي ذلك اليوم ترى أبصار الكفار أي: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره حصب جهنم أي: وقودها وحطبها أنتم لها واردون وأصنامكم. 98 ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وكل من العابدين والمعبودين فيها، خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها. 99 النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم، فلماذا قال: لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهذا كقوله تعالى: والحكمة في دخول الأصنام

سورة 22

وتكور الشمس والقمر، وتنتثر النجوم، ويكون من القلائل والباليل ما تنصدع له القلوب، وتجل منه الأفئدة، وتشيب منه الولدان، وتذوب له الصم الصلاب 1 رجفت الأرض وارتجت، وزلزلت زلزالها، وتصدعت الجبال، واندكت، وكانت كثيبا مهيلا، ثم كانت هباء منبثا، ثم انقسم الناس ثلاثة أزواج. فهناك تنفطر السماء، على التقوى، ويحذرهم من تركها، وهو الإخبار بأهوال القيامة، فقال: إن زلزلة الساعة شيء عظيم لا يقدر قدره، ولا يبلغ كنهه، ذلك بأنها إذا وقعت الساعة، يتقوا ربهم، الذي رباهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فحقيق بهم أن يتقوه، بترك الشرك والفسوق والعصيان، ويمتثلوا أوامره، مهما استطاعوا. ثم ذكر ما يعينهم يخاطب الله الناس كافة، بأن

وذلك بما قدمت يداه، وأن الله ليس بظلام للعبيد 10

له إلا ما قسم له، وأما الآخرة، فظاهر، حرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، واستحق النار، ذلك هو الخسران المبين أي: الواضح البين. 11 دينه، خسر الدنيا والآخرة أما في الدنيا، فإنه لا يحصل له بالردة ما أمله الذي جعل الردة رأسا لماله، وعوضا عما يظن إدراكه، فخاب سعيه، ولم يحصل أن الله يعافيه، ولا يقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه، وإن أصابته فتنة من حصول مكروه، أو زوال محبوب انقلب على وجهه أي: ارتد عن وجهه لا يثبت عند المحن، فإن أصابه خير اطمأن به أي: إن استمر رزقه رغدا، ولم يحصل له من المكروه شيء، اطمأن بذلك الخير، لا بإيمانه. فهذا، ربما أي: ومن الناس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفا، وإما عادة على أعرض عن عبادة النافع الضار، الغني المغني، وأقبل على عبادة مخلوق مثله أو دونه، ليس بيده من الأمر شيء بل هو إلى حصول ضد مقصوده أقرب 12 وهذا صفة كل مدعو ومعبود من دون الله، فإنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ذلك هو الضلال البعيد الذي قد بلغ في البعد إلى حد النهاية، حيث يدعو هذا الراجع على وجهه من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه

أي: القرنين الملازم على صحبته، فإن المقصود من المولى والعشير، حصول النفع، ودفع الضرر، فإذا لم يحصل شيء من هذا، فإنه مذموم ملوم. 13 يدعو لمن ضره أقرب من نفعه فإن ضرره في العقل والبدن والدنيا والآخرة معلوم لبئس المولى أي: هذا المعبود ولبئس العشير من كثرتها، إن الله يفعل ما يريد فما أرادته تعالى ففعله من غير ممانع ولا معارض، ومن ذلك، إيصال أهل الجنة إليها، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. 14 فأخبر تعالى أنه يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وسميت الجنة جنة، لاشتغالها على المنازل والقصور والأشجار والنوابت التي تجن من فيها، ويستتر بها ذكر أن المتسمي بالإيمان أيضا على قسمين، قسم لم يدخل الإيمان قلبه كما تقدم، والقسم الثاني: المؤمن حقيقة، صدق ما معه من الإيمان بالأعمال الصالحة، لما ذكر تعالى المجادل بالباطل، وأنه على قسمين، مقلد، وداع،

المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفنوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون، أي: وسعوا مهما أمكنهم. 15

تفسير السعدي

الحال فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق. وهذه الآية الكريمة، فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه ولرسوله وعباده ثم اصعد به حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر، فسدها وأغلقها واقطعها، فهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي: والمكيدة، وأما ما سوى هذه به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول إن كان ممكنا انت الأمر مع بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علقه في السماء، أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي، تتمكن ومعنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجعله، أن سعيه سيفيده شيئا، اعلم ويعمله من محاربته، والحرص على إبطال دينه، ما يغيظه من ظهور دينه، وهذا استفهام بمعنى النفي وأنه، لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمل به من الأسباب. الزان بسبب أي: حبل إلى السماء وليرقى إليها ثم ليقطع النصر النازل عليه من السماء فلينظر هل يذهب كيده أي: ما يكيده به الرسول، أي: من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله، وأن دينه سيضمحل، فإن النصر من الله ينزل من السماء فليمدد ذلك

بهذا القرآن، وجعله إماما له وقودة، واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئا، بل يكون حجة عليه. 16 فصلنا في هذا القرآن ما فصلنا، جعلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى أي: وكذلك لما

جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: إن الله على كل شيء شهيد 17 يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم وهدوا إلى صراط الحميد

جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها، ولهذا قال: إن الله على كل شيء شهيد 18 يخبر تعالى عن طوائف أهل الأرض، من الذين أوتوا الكتاب، من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم وهدوا إلى صراط الحميد

من جميع جوانبهم. يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار جدا، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء، من شدة حره، وعظيم أمره 19 كافر، من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين. قطعت لهم ثياب من نار أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم كل يدعي أنه المحق. فالذين كفروا يشمل كل

يعرف أن كل هذا أمامه، أن يعد له عدته، وأن لا يلهيه الأمل، فيترك العمل، وأن تكون تقوى الله شعاره، وخوفه دثاره، ومحبة الله، وذكره، روح أعماله. 2 لم يفقدوا منها نقيرا ولا قطميرا. هذا، والمتقون في روضات الجنات يحبرون، وفي أنواع اللذات يتفكهون، وفيما اشتتت أنفسهم خالدون، فحقيق بالعاقل الذي ربهم ليخرجهم منها، قال: اخسئوا فيها ولا تكلمون قد غضب عليهم الرب الرحيم، وحضرهم العذاب الأليم، وأيسوا من كل خير، ووجدوا أعمالهم كلها، بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ويقال لهم: لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وإذا نادوا من جميع الأعمال والأقوال والنيات، من صغير وكبير، وينصب الصراط على متن جهنم، وتزلف الجنة للمتقين، وبرزت الجحيم للغاوين. إذا رأتهم من مكان لم أتخذ فلانا خليلا وتسود حينئذ وجوه وتبيض وجوه، وتنصب الموازين، التي يوزن بها مئاقيل الذر، من الخير والشر، وتنشر صحائف الأعمال وما فيها وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وهناك بعض الظالم على يديه، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار، وفي ذلك اليوم، لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. ويومئذ يفر المرء من أخيه وأمه أي: تحسبهم أبها الرائي لهم سكارى من الخمر، وليسوا سكارى. ولكن عذاب الله شديد فلذلك أذهب عقولهم، وفرغ قلوبهم، وملأها من الفزع، محبتها لولدها، خصوصا في هذه الحال، التي لا يعيش إلا بها. وتضع كل ذات حمل حملها من شدة الفزع والهول، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت مع أنها مجبولة على شدة

من جميع جوانبهم. يصب من فوق رؤوسهم الحميم الماء الحار جدا، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء، من شدة حره، وعظيم أمره 20 كافر، من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين. قطعت لهم ثياب من نار أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم كل يدعي أنه المحق. فالذين كفروا يشمل كل

ولهم مقامع من حديد بيد الملائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها وتقمعهم 21

يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها فلا يفتر عنهم العذاب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخا: ذوقوا عذاب الحريق أي: المحرق للقلوب والأبدان 22 كلما أرادوا أن

بذكر أنواع المأكولات اللذيذات المشتمل عليها، لفظ الجنات، وذكر الأنهار السارحات، أنهار الماء واللبن والعسل والخمر، وأنواع اللباس، والحلي الفاخر 23 الكتب، وجميع الرسل، يحلون فيها من أساور من ذهب أي: يسورون في أيديهم، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب. ولباسهم فيها حرير فتم نعيمهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير المسلمين، الذين آمنوا بجميع

تفسير السعدي

لعزته، عانية لسلطانه، دل على أنه وحده، الرب المعبود، والملك المحمود، وأن من عدل عنه إلى عبادة سواه، فقد ضل ضلالا بعيدا، وخسر خسارنا مبينا. 24 لأن الله أهانه، ومن يهن الله فما له من مكرم ولا راد لما أراد، ولا معارض لمشيئته، فإذا كانت المخلوقات كلها ساجدة لربها، خاضعة لعظمته، مستكينة والدواب، الذي يشمل الحيوانات كلها، وكثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير حق عليه العذاب أي: وجب وكتب، لكفره وعدم إيمانه، فلم يوفقه للإيمان، لولا أن هدانا الله. واعترض تعالى بين هذه الآيات بذكر سجود المخلوقات له، جميع من في السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، إلى الله، وفي ذكر الحميد هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لا إفراف فيه ولا تفريط، المشتغل على العلم النافع والعمل الصالح. أو: وهدا إلى صراط الله الحميد، لأن الله كثيرا ما يضيف الصراط إليه، لأنه يوصل صاحبه إلى صراط الحميد أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتو على الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهي عنه، وهو الدين الذي هدوا إلى الطيب من القول الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله، وهدا

يريد بزيارة، فما ظنكم أن يفعل الله بهم؟ وفي هذه الآية الكريمة، وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفعلها. 25 في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم، من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومنع من محمدا وأصحابه، والحال أن هذا المسجد الحرام، من حرمة واحترامه وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. فمجرد إرادة الظلم والإلحاد الناس من الإيمان، والصد أيضا عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكا لهم ولا لأبائهم، بل الناس فيه سواء، المقيم فيه، والطارئ إليه، بل صدوا عنه أفضل الخلق يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيل الله ومنع

التي تشوش المتعبدين، بالصلاة والطواف، وقدم الطواف على الاعتكاف والصلاة، لاختصاصه بهذا البيت، ثم الاعتكاف، لاختصاصه بجنس المساجد. 26 والتقرب إليه عند بيته، فهؤلاء لهم الحق، ولهم الإكرام، ومن إكرامهم تطهير البيت لأجلهم، ويدخل في تطهيره، تطهيره من الأصوات اللاغية والمرتفعة ذكر، وقراءة، وتعلم علم وتعليمه، وغير ذلك من أنواع القرب، والركع السجود أي: المصلين، أي: طهره هؤلاء الفضلاء، الذين همهم طاعة مولاها وخدمته، القلوب، وتنصب إليه الأفئدة من كل جانب، وليكون أعظم لتطهيره وتعظيمه، لكونه بيت الرب للطائفين به والعاكفين عنده، المقيمين لعبادة من العبادات من ويبنيه على اسم الله. وظهر بيتي أي: من الشرك والمعاصي، ومن الأنجاس والأدناس وأضافه الرحمن إلى نفسه، لشرفه، وفصله، ولتعظم محبته في ذريته من سكانه، وأمره الله بنيانه، فبناه على تقوى الله، وأسس على طاعة الله، وبناه هو وابنه إسماعيل، وأمره أن لا يشرك به شيئا، بأن يخلص لله أعماله، تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته وعظمته بانيه، وهو خليل الرحمن، فقال: وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أي: هيأناه له، وأنزلناه إياه، وجعل قسما من يذكر

عليه وسلم، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت، وأبديا في ذلك وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالا وركبانا من مشارق الأرض ومغاربها 27 وتواصل السير، حتى تأتي إلى أشرف الأماكن، من كل فج عميق أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل عليه السلام، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله فرضه وفضيلته، فإنك إذا دعوتهم، أتوك حجاجا وعمارا، رجالا، أي: مشاة على أرجلهم من الشوق، وعلى كل ضامر أي: ناقة ضامر، تقطع المهامه والمفاوز، وأذن في الناس بالحج أي: أعلمهم به، وادعهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم،

أي: ليذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا، شكرا لله على ما رزقهم منها، ويسرها لهم، فإذا ذبحتوها فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير أي: شديد الفقر 28 الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهذا من المنافع الدينية والدنيوية، فقال: ليشهدوا منافع لهم أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول ثم ذكر فوائد زيارة بيت الله الحرام، مرغبا فيه

المقصود، وما قبله وسائل إليه. ولعله والله أعلم أيضا لفائدة أخرى، وهو: أن الطواف مشروع كل وقت، وسواء كان تابعا لنسك، أم مستقلا بنفسه. 29 أي: القديم، أفضل المساجد على الإطلاق، المعتقد: من تسلط الجبابرة عليه. وهذا أمر بالطواف، خصوصا بعد الأمر بالمناسك عموما، لفصله، وشرفه، ولكونه ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام، وليوفوا نذورهم التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا، وليطوفوا بالبيت العتيق ثم ليقتضوا تفتتهم أي: يقضوا نسكهم،

ما عندهم، تقليد أئمة الضلال، من كل شيطان مريد، متمرد على الله وعلى رسله، معاند لهم، قد شاق الله ورسوله، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار. 3 سلكوا طريق الضلال، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق، والحال أنهم في غاية الجهل ما عندهم من العلم شيء، وغاية أي: ومن الناس طائفة وفرقة،

قول الزور أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور فلما نهاهم عن الشرك والرجس وقول الزور. 30 المفسرين، وإنما هي للتبويض، وأن الرجس عام في جميع المنهيات المحرمات، فيكون منهيا عنها عموما، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصا، واجتنبوا الخبث القذر من الأوثان أي: الأنداد، التي جعلتموها آلهة مع الله، فإنها أكبر أنواع الرجس، والظاهر أن من هنا ليست لبيان الجنس، كما قاله كثير من الآية، ولكن الذي من رحمته بعباده، أن حرمه عليهم، ومنعهم منه، تزكية لهم، وتطهيرا من الشرك به وقول الزور، ولهذا قال: فاجتنبوا الرجس أي:

تفسير السعدي

التي يتقرب بها إليه، فعظمت منته فيها من الوجهين، إلا ما يتلى عليكم في القرآن تحريمه من قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متناقل، ثم ذكر منته وإحسانه بما أحله لعباده، من بهيمة الأنعام، من إبل وبقر وغنم، وشرعها من جملة المناسك، باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، والحرم والإحرام، والهدايا، والعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل المحبوبة لله، المقربة إليه، التي من عظمها وأجلها، أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه، ودنياه وأخراه عند ربه. وحرمت الله: كل ماله حرمة، وأمر ذلك الذي ذكرنا لكم من تلکم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمت الله وإجلالها وتكريمها، لأن تعظيم حرمت الله، من الأمور

فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. 31 في مكان سحيق أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، معرضين عما سواه. غير مشركين به ومن يشرك بالله فمثله فكأنما خر من السماء أي: سقط منها فتخطفه الطير بسرعة أو تهوي به الريح أمرهم أن يكونوا حنفاء لله أي: مقبلين عليه وعلى عبادته،

فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه. 32 في مكان سحيق أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات والبلبات، معرضين عما سواه. غير مشركين به ومن يشرك بالله فمثله فكأنما خر من السماء أي: سقط منها فتخطفه الطير بسرعة أو تهوي به الريح أمرهم أن يكونوا حنفاء لله أي: مقبلين عليه وعلى عبادته،

موقت وهو ذبحها إذا وصلت محلها وهو البيت العتيق، أي: الحرم كله منى وغيرها، فإذا ذبحت، أكلوا منها وأهدوا، وأطعموا البائس الفقير. 33 منافع إلى أجل مسمى هذا في الهدايا الموقوفة، من البدن ونحوها، ينتفع بها أربابها، بالركوب، والحلب ونحو ذلك، مما لا يضرها إلى أجل مسمى مقدر، لكم فيها أي: في الهدايا

الإسلام له طريق إلى الوصول إلى دار السلام. وبشر المخبتين بخير الدنيا والآخرة، والمخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده. 34 الشرائع، فكلها متفقة على هذا الأصل، وهو ألوهية الله، وإفراده بالعبودية، وترك الشرك به ولهذا قال: فله أسلموا أي: انقادوا واستسلموا له لا لغيره، فإن الله لكل أمة منسكا، لإقامة ذكره، والالتفات لشكره، ولهذا قال: ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهمكم إله واحد وإن اختلفت أجناس أي: ولكل أمة من الأمم السالفة جعلنا منسكا، أي: فاستبقوا إلى الخيرات وتسارعوا إليها، ولننظر أيكم أحسن عملا، والحكمة في جعل الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة، لولا تيسير الله له ورزقه إياه. فإياها المرزوق من فضل الله، أنفق مما رزقك الله، ينفق الله عليك، ويزدك من فضله. 35 والأقارب، والنفقات المستحبة، كالصدقات بجميع وجوهها، وأتي بـ من المفيدة للتبعض، ليعلم سهولة ما أمر الله به ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة، ومما رزقناهم ينفقون وهذا يشمل جميع النفقات الواجبة، كالزكاة، والكفارة، والنفقة على الزوجات والماليك، من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم، محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، والمقيمي الصلاة أي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها فتركوا لذلك المحرمات، لخوفهم ووجلهم من الله وحده، والصابرين على ما أصابهم من البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خوفا وتعظيما،

لعلكم تشكرون الله على تسخيرها، فإنه لولا تسخيرها لها، لم يكن لكم بها طاقة، ولكنه ذلها لكم وسخرها، رحمة بكم وإحسانا إليكم، فاحمدوه. 36 من هديه، وأطعموا القانع والمعتز أي: الفقير الذي لا يسأل، وتقنعا، وتعففا، والفقير الذي يسأل، فكل منهما له حق فيهما. كذلك سخرناها لكم أي: البدن في الأرض جنوبها، حين تسليح، ثم يسقط الجزار جنوبها على الأرض، فحينئذ قد استعدت لأن يؤكل منها، فكلوا منها وهذا خطاب للمهدي، فيجوز له الأكل بسم الله س واذبحوها، صواف أي: قائمات، بأن تقام على قوائمها الأربع، ثم تعقل يدها اليسرى، ثم تنحر. فإذا وجبت جنوبها أي: سقطت وتستحسن، لكم فيها خير أي: المهدي وغيره، من الأكل، والصدقة، والانتفاع، والثواب، والأجر، فاذكروا اسم الله عليها أي: عند ذبحها قولوا أن الله أخبر أن من عظم شعائره، فإن ذلك من تقوى القلوب، وهنا أخبر أن من جملة شعائره، البدن، أي: الإبل، والبقر، على أحد القولين، فتعظم وتستسمن، هذا دليل على أن الشعائر عام في جميع أعلام الدين الظاهرة. وتقدم

بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم، كما أحسنوا في عبادته ولعباده هل جزاء الإحسان إلا الإحسان للذين أحسنوا الحسنى وزيادة 37 الله، بجميع وجوه الإحسان من نفع مال، أو علم، أو جاه، أو نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو كلمة طيبة ونحو ذلك، فالمحسنون لهم البشارة من الله، بعبادة الله بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة فليعبده، معتقدين وقت عبادتهم اطلاعه عليهم، ورؤيته إياهم، والمحسنين لعباد لتكبروا الله أي: تعظموه وتجلوه، على ما هداكم أي: مقابلة لهديته إياكم، فإنه يستحق أكمل الثناء وأجل الحمد، وأعلى التعظيم، وبشر المحسنين ولا مجرد عادة، وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترب بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه. كذلك سخرها لكم ولهذا قال: ولكن يناله التقوى منكم ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده، لا فخرا ولا رياء، ولا سمعة، أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط. ولا ينال الله من لحومها ولا دماؤها شيء، لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها، والاحتساب، والنية الصالحة،

وقوله: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقتة، وسيجازهيه على كفره وخيانتة، ومفهوم الآية، أن الله يحب كل أمين قائم بأمانته، شكور لمولاه. 38
خوان أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها، فيبخص حقوق الله عليه، ويخونها، ويخون الخلق. كفور لنعم الله، يوالي عليه الإحسان، ويتوالى منه نزول المكارة، ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف. كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر. إن الله لا يحب كل الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر بسبب إيمانهم من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن

وإنما أذن لهم، لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم. وإن الله على نصرهم لقدير فليستنصروه، وليستعينوا به. 39
وأودوا، وحصل لهم منعة وقوة، أذن لهم بالقتال، قال تعالى: أذن للذين يقاتلون يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، كان المسلمون في أول الإسلام ممنوعين من قتال الكفار، وأمورين بالصبر عليهم، لحكمة إلهية، فلما هاجروا إلى المدينة، الناس، وهو متبع، ومقلد لكل شيطان مريد، ظلمات بعضها فوق بعض، ويدخل في هذا، جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدة، يجادلون بغير علم. 4
نائب إبليس حقا، فإن الله قال عنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فهذا الذي يجادل في الله، قد جمع بين ضلاله بنفسه، وتصديه إلى إضلال أي: قدر على هذا الشيطان المريد أنه من تولاه أي: اتبعه فإنه يضلّه عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم ويهديه إلى عذاب السعير وهذا كتب عليه

في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا 40
تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقوموا، أيها المسلمون، بحق الإيمان والعمل الصالح، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم القوي العزيز، ومعتمدكم على من خلقكم وخلق ما تعملون، فاعملوا بالأسباب المأمور بها، ثم اطلبوا منه نصركم، فلا بد أن ينصركم. يا أيها الذين آمنوا إن القوة، عزيز لا يرام، قد قهر الخلائق، وأخذ بنواصيهم، فأبشروا، يا معشر المسلمين، فإنكم وإن ضعف عددكم وعددكم، وقوي عدد عدوكم وعدتهم فإن ركنكم للواقع: ولينصرن الله من ينصره أي: يقوم بنصر دينه، مخلصا له في ذلك، يقاتل في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا. إن الله لقوي عزيز أي: كامل الحمد أسبابه بشعور المسلمين بضرورة رجوعهم إلى دينهم والشعور مبدأ العمل فنحمده ونسأله أن يتم نعمته، ولهذا قال في وعده الصادق المطابق أن يمد يده عليها، خوفا من احتمائها بالآخر، مع أن الله تعالى لا بد أن يري عباده من نصر الإسلام والمسلمين، ما قد وعد به في كتابه. وقد ظهرت والله الله أنه لا يزال إلى يوم القيامة، فتبقى الحكومة المسلمة، التي لا تقدر تدافع عن نفسها، سالمة من كثير ضررهم، لقيام الحسد عندهم، فلا يقدر أحدهم في عواصم الدول الكبار. وتراعي تلك الدول الحكومات المستقلة، نظرا لخواطر رعاياهم المسلمين، مع وجود التحاسد والتباغض بين دول النصارى، الذي أخبر لم تفعل ذلك أن يختل نظامها، وتفقد بعض أركانها، فيقوم من أمر الدين بهذا السبب ما يقوم، خصوصا المساجد، فإنها والله الحمد في غاية الانتظام، حتى الحكومة، سواء كانت تلك الأمة مقتدرة بعدها أو عددها، أو مالها، أو عملها، أو خدمتها، فتراعي الحكومات مصالح ذلك الشعب، الدينية والدينية، وتخشى إن فإن من عرف أحوال الدول الآن ونظامها، وأنها تعتبر كل أمة وجنس تحت ولايتها، وداخل في حكمها، تعتبره عضوا من أعضاء المملكة، وجزء من أجزاء لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدمت هذه المعابد، ونحن لا نشاهد دفعا. أجب بأن هذا السؤال والاستشكال، داخل في عموم هذه الآية وفرد من أفرادها، من جاورهم من الإفرنج، بل نرى المساجد التي تحت ولايتهم وسيطرتهم عامرة، وأهلها آمنون مطمئنون، مع قدرة ولايتهم من الكفار على هدمها، والله أخبر أنه فضل على العالمين فإن قلت: نرى الآن مساجد المسلمين عامرة لم تخرب، مع أنها كثير منها إمارة صغيرة، وحكومة غير منظمة، مع أنهم لا يدان لهم بقتال شعائر الدين كلها، من فضائل المجاهدين وبركتهم، دفع الله عنها الكافرين، قال الله تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو الجهاد مشروع، لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها الله، ويذكر فيها اسم الله بأنواع الذكر، فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لاستولى الكفار على المسلمين، فخرّبوا معابدهم، وفتنوه عن دينهم، فدل هذا، أن لطوائف أهل الكتاب، معابد اليهود والنصارى، والمساجد للمسلمين، يذكر فيها أي: في هذه المعابد اسم الله كثيرا تقام فيها الصلوات، وتتلّى فيها كتب دفع الله الناس بعضهم ببعض فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد أي: لهدمت هذه المعابد الكبار، دين الله، وزب الكفار المؤذنين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة، ولهذا قال: ولولا له الدين، فإن كان هذا ذنبا، فهو ذنبهم كقوله تعالى: وما نعموا بالله العظيم الحميد وهذا يدل على حكمة الجهاد، وأن المقصود منه إقامة أي: ألجئوا إلى الخروج بالأذية والفتنة بغير حق إلا أن ذنبهم الذي نقم منهم أعداؤهم أن يقولوا ربنا الله أي: إلا أنهم وحدوا الله، وعبدوه مخلصين الذين أخرجوا من ديارهم

ومن تسلط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له ملك موقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشنومة، وعاقبته مذمومة. 41
أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به. والله عاقبة الأمور

تفسير السعدي

فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعا، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، وعقلا، من حقوق الله، وحقوق الأدميين، ونهوا عن المنكر كل منكر شرعا وعقلا، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، وآتوا الزكاة التي عليهم خصوصا، وعلى رعيتهم عموما، آتوها أهلها، الذين هم أهلها، وأمروا بالمعروف وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعا إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، أقاموا الصلاة في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات. علامة من ينصره، وبها يعرف، أن من ادعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: الذين إن مكناهم في الأرض أي: ملكناهم ثم ذكر

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 42 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 43 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

المكذبون، أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم ليسوا خيرا منهم، ولا كتب لهم براءة في الكتب المنزلة من الله، وكم من المعذبين المهلكين أمثال هؤلاء كثير 44 من أغرقه، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أهلك بالريح العقيم، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظلة، فليعتبر بهم هؤلاء ثم أخذتهم بالعذاب أخذ عزيز مقتدر فكيف كان نكير أي: إنكاري عليهم كفرهم، وتكذيبهم كيف حاله، كان أشد العقوبات، وأفظع المثلات، فمنهم شعيب. وكذب موسى فأمليت للكافرين المكذبين، فلم أعاجلهم بالعقوبة، بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وفي كفرهم وشرهم يزدادون، فلست بأول رسول كذب، وليسوا بأول أمة كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي: قوم تفسير الآيات من 42 و44: يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك هؤلاء المشركون

ورفعوه، وحصنوه، وزخرفوه، فحين جاءهم أمر الله، لم يغن عنهم شيئا، وأصبح خاليا من أهله، قد صاروا عبرة لمن اعتبر، ومثالا لمن فكر ونظر. 45 مشيد أي: وكم من بئر، قد كان يزدحم عليه الخلق، لشربهم، وشرب مواشيتهم، ففقد أهله، وعدم منه الوارد والصادر، وكم من قصر، تعب عليه أهله، فشيدوه، فديارهم متهدمة، قصورها، وجدرانها، قد سقطت عروشها، فأصبحت خرابا بعد أن كانت عامرة، وموحشة بعد أن كانت أهلة بأهلها أنسة، وبئر معطلة وقصر أهلكناها بالعذاب الشديد، والخزي الدنيوي، وهي ظالمة بكفرها بالله وتكذيبها لرسله، لم يكن عقوبتنا لها ظلما منا، فهي خاوية على عروشها أي: فكأين من قرية أي: وكم من قرية

أي: هذا العمى الضار في الدين، عمى القلب عن الحق، حتى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيات، وأما عمى البصر، فغايبته بلغة، ومنفعة دنيوية. 46 الأذن، وسير البدن الخالي من التفكير والاعتبار، غير مفيد، ولا موصل إلى المطلوب، ولهذا قال: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قلوب يعقلون بها آيات الله ويتأملون بها مواقع عبره، أو آذان يسمعون بها أخبار الأمم الماضين، وأنباء القرون المعذبين، وإلا فمجرد نظر العين، وسماع دعا الله عباده إلى السير في الأرض، لينظروا، ويعتبروا فقال: أفلم يسيروا في الأرض بأبداهم وقلوبهم فتكون لهم

مما تعدون، فالمدّة، وإن تطاولتموها، واستبطأتم فيها نزول العذاب، فإن الله يمهل المدد الطويلة ولا يهمل، حتى إذا أخذ الظالمين بعذابه لم يفلتهم. 47 عذاب في الدنيا، أم تأخر عنهم العذاب، فإن هذا اليوم، لا بد أن يدرّكهم. ويحتمل أن المراد: أن الله حليم، ولو استعجلوا العذاب، فإن يوما عنده كألف سنة وآخرهم، ويجازون بأعمالهم، ويقع بهم العذاب الدائم الأليم، ولهذا قال: وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون من طوله، وشدته، وهو له، فسواء أصابهم يمتنعهم منه مانع، وأما عجلته، والمبادرة فيه، فليس ذلك إليك يا محمد، ولا يستفزك عجلتهم وتعجزهم إيانا. فإن أمامهم يوم القيامة، الذي يجمع فيه أولهم هؤلاء المكذبون بالعذاب، لجهلهم، وظلمهم، وعنادهم، وتعجزوا لله، وتكذبا لرسله، ولن يخلف الله وعده، فما وعدهم به من العذاب، لا بد من وقوعه، ولا أي: يستعجل

وإلي المصير أي: مع عذابها في الدنيا، سترجع إلى الله، فيعذبها بذنوبها، فليحذر هؤلاء الظالمون من حلول عقاب الله، ولا يغتروا بالإمهال. 48

تفسير السعدي

من قرية أمليت لها أي: أمهلتها مدة طويلة وهي ظالمة أي: مع ظلمهم، فلم يكن مبادرتهم بالظلم، موجبا لمبادرتنا بالعقوبة، ثم أخذتها بالعذاب وكأين

والظالمين من عقابه، وقوله: مبين أي: بين الإنذار، وهو التخويف مع الإعلام بالمخوف، وذلك لأنه أقام البراهين الساطعة على صدق ما أنذرهم به 49 يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس جميعا، بأنه رسول الله حقا، مبشرا للمؤمنين بثواب الله، منذرا للكافرين أي: صنف من أصناف النبات بهيج أي: يبهج الناظرين، ويسر المتأملين، فهذان الدليлан القاطعان، يدلان على هذه المطالب الخمسة، وهي هذه. 5 لا نبات فيها، ولا خضر، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت أي: تحركت بالنبات وربت أي: ارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، وأنبئت من كل زوج بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير والدليل الثاني، إحياء الأرض بعد موتها، فقال الله فيه: وترى الأرض هامة أي: خاشعة مغبرة الآدمي محفوفة بضعفين، ضعف الطفولية ونقصها، وضعف الهرم ونقصه، كما قال تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من كما زالت باقي القوة، وضعفت. لكيلا يعلم من بعد علم شيئا أي: لأجل أن لا يعلم هذا المعمر شيئا مما كان يعلمه قبل ذلك، وذلك لضعف عقله، فقوة يتوفى من قبل أن يبلغ سن الأشد، ومنكم من يتجاوزه فيرد إلى أرذل العمر، أي: أخسه وأرذله، وهو سن الهرم والتخريف، الذي به يزول العقل، ويضمحل، وليس لكم قدرة، وسخرنا لكم الأمهات، وأجرينا لكم في ثديها الرزق، ثم تنتقلون طورا بعد طور، حتى تبلغوا أشدكم، وهو كمال القوة والعقل. ومنكم من في الأرحام من الحمل، الذي لم تقذفه الأرحام، ما نشاء إبقاءه إلى أجل مسمى، وهو مدة الحمل. ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا لا تعلمون شيئا، تكميل خلقه في لحظة واحدة، ولكن ليبين لنا كمال حكمته، وعظيم قدرته، وسعة رحمته. ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى أي: ونقر، أي: نبقي تارة تكون مخلقة أي: مصور منها خلق الآدمي، وغير مخلقة تارة، بأن تقذفها الأرحام قبل تخليقها، لنبين لكم أصل نشأتكم، مع قدرته تعالى، على التخليق، ثم من علقه أي: تنقلب تلك النطفة، بإذن الله دما أحمر، ثم من مضغة أي: ينتقل الدم مضغة، أي: قطعة لحم، بقدر ما يمرض، وتلك المضغة الإنسان، وأن الذي ابتدأه سعيده، فقال فيه: فإننا خلقناكم من تراب وذلك بخلق أبي البشر آدم عليه السلام، ثم من نطفة أي: مني، وهذا ابتداء أول إلا الرب، فهاكم دليلين عقليين تشاهدونهما، كل واحد منهما، يدل دلالة قطعية على ما شككتكم فيه، ويزيل عن قلوبكم الريب. أحدهما: الاستدلال بابتداء خلق أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث أي: شك واشتبهاء، وعدم علم بوقوعه، مع أن الواجب عليكم أن تصدقوا ربكم، وتصدقوا رسله في ذلك، ولكن إذا أبيتم يقول تعالى: يا

رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها. 50 بها بأنواع النعيم من المأكول والمشرب والمناخ والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع كلامه والذين كفروا أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا النذارة والبشارة فقال: فالذين آمنوا بقلوبهم إيمانا صحيحا صادقا وعملوا الصالحات بجوارحهم في جنات النعيم أي: الجنات التي يتنعم تفسير الآيتين 50 و51: ثم ذكر تفصيل

رسله وآياته فأولئك أصحاب الجحيم أي: الملازمون لها، المصاحبون لها في كل أوقاتهم، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم لحظة من عقابها. 51 بها بأنواع النعيم من المأكول والمشرب والمناخ والصور والأصوات والتنعم برؤية الرب الكريم وسماع كلامه والذين كفروا أي: جحدوا نعمة ربهم وكذبوا النذارة والبشارة فقال: فالذين آمنوا بقلوبهم إيمانا صحيحا صادقا وعملوا الصالحات بجوارحهم في جنات النعيم أي: الجنات التي يتنعم تفسير الآيتين 50 و51: ثم ذكر تفصيل

وحيه، ويزيل ما تلقبه الشياطين، حكيم يضع الأشياء مواضعها، فمن كمال حكمته، مكن الشياطين من الإلقاء المذكور، ليحصل ما ذكره بقوله: 52 يحكم الله آياته أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان، والله عزيز أي: كامل القوة والاعتدال، فبكمال قوته، يحفظ وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتهبه، أو يختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، إلا إذا تمنى أي: قرأ قراءته، التي يذكر بها الناس، ويأمرهم وبينهاهم، ألقى الشيطان في أمنيته أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله ما أرسل قبل محمد من رسول ولا نبي

فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها، وأما الطائفة الثالثة، فإنه يكون رحمة في حقها 53 لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: وإن الظالمين لفي شقاق بعيد أي: مشاقة لله، ومعاداة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فتنة لهم. والقاسية قلوبهم أي: الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة قلوبهم مرض أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة لطائفتين من الناس، لا يبالي الله بهم، وهم الذين في

الشيطان في قراءته: تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآيات. 54 عليه وسلم أسوة بإخوانه المرسلين، لما وقع منه عند قراءته صلى الله عليه وسلم: والنجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى

تفسير السعدي

بمقتضاه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا النوع من تثبيت الله لعبده. وهذه الآيات، فيها بيان أن للرسول صلى الله أي: تخشع وتخضع، وتسلم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم، وإن الله لهادي الذين آمنوا بسبب إيمانهم إلى صراط مستقيم علم بالحق، وعمل بعض أنواع الابتلاء، ليظهر بذلك كمائن النفوس الخيرة والشريرة، فيؤمنوا به بسبب ذلك، ويزداد إيمانهم عند دفع المعارض والشبه. فتخبت له قلوبهم الغي، فيميزون بين الأمرين، الحق المستقر، الذي يحكمه الله، والباطل العارض الذي ينسخه الله، بما على كل منهما من الشواهد، وليعلموا أن الله حكيم، يقيض وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك لأن الله منحهم من العلم، ما به يعرفون الحق من الباطل، والرشد من

حيث لا ينفعهم الندم، وأبلسوا وأيسوا من كل خير، وودوا لو آمنوا بالرسول واتخذوا معه سبيلا، ففي هذا تحذيرهم من إقامتهم على مريتهم وفريتهم. 55 مفاجأة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم أي: لا خير فيه، وهو يوم القيامة، فإذا جاءتهم الساعة، أو أتاهم ذلك اليوم، علم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وندموا الكفار، وأنهم لا يزالون في شك مما جنتهم به يا محمد، لعنادهم، وإعراضهم، وأنهم لا يبرحون مستمرين على هذه الحال حتى تأتيهم الساعة بغتة أي: يخبر تعالى عن حالة

جاءوا به وعملوا الصالحات ليصدقوا بذلك إيمانهم في جنات النعيم نعيم القلب والروح والبدن، مما لا يصفه الواصفون، ولا تدركه العقول. 56 الملك يومئذ أي: يوم القيامة لله تعالى، لا لغيره، يحكم بينهم بحكمه العدل، وقضائه الفصل، فالذين آمنوا بالله ورسله، وما فأعرضوا عنها، أو عاندوها، فأولئك لهم عذاب مهين لهم، من شدته، وألمه، وبلوغه للأفئدة كما استهانوا برسله وآياته، أهانهم الله بالعذاب. 57 والذين كفروا بالله ورسله وكذبوا بآياته الهادية للحق والصواب

وأبناءهم وأموالهم، نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيرا، حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكنهم من العباد فاجتنبوا من أموالها، ما كانوا به من أغنى الناس 58 له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله، سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر، فإن المهاجرين السابقين، تركوا ديارهم أن المعنى أن المهاجر في سبيل الله، قد تكفل برزقه في الدنيا، رزقا واسعا حسنا، سواء علم الله منه أنه يموت على فراشه، أو يقتل شهيدا، فكلهم مضمون الله، ليرزقهم الله رزقا حسنا في البرزخ، وفي يوم القيامة بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، ويحتمل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله، ابتغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، فهذا قد وجب أجره على الله، سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهدا في سبيل هذه بشارة كبرى، لمن هاجر في سبيل

ومتأخرها، حلیم يعصيه الخلائق، ويبارزون به بالعظام، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله. 59 الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من إرادة الجميع وإن الله لعليم بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، من البلدان، خصوصا فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين ليدخلهم مدخلا يرضونه إما ما يفتحه الله عليهم

وأنه يحيي الموتى كما ابتدأ الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، وأنه على كل شيء قدير كما أشهدكم من بديع قدرته وعظيم صنعته ما أشهدكم. 6 من ما وصف لكم، وأحيا الأرض بعد موتها، بأن الله هو الحق أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة، ذلك الذي أنشأ الآدمي

فينبغي لكم أيها المظلومون المجني عليهم، أن تعفوا وتصفحوا وتغفروا لبعاملكم الله كما تعاملون عباده فمن عفا وأصلح فأجره على الله 60 فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم فيزيلا، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو والمغفرة، بإساءته إذا ظلم بعد ذلك، نصره الله، فالذي بالأصل لم يعاقب أحدا إذا ظلم وجني عليه، فالنصر إليه أقرب. إن الله لعفو غفور أي: يعفو عن المذنبين، عليه سبيل، وليس بملوم، فإن بغي عليه بعد هذا، فإن الله ينصره، لأنه مظلوم، فلا يجوز أن يبغى عليه، بسبب أنه استوفى حقه، وإذا كان المجازي غيره، ذلك بأن من جني عليه وظلم، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس

يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار 61 التي هي من أجل نعمه على العباد، وهي من الضروريات لهم. وأن الله سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، بصير بعد النهار، وبالنهار بعد الليل، ويزيد في أحدهما ما ينقصه في الآخر، ثم بالعكس، فيترب على ذلك، قيام الفصول، ومصالح الليل والنهار، والشمس والقمر، لكم تلك الأحكام الحسنة العادلة، هو حسن التصرف، في تقديره وتدبيره، الذي يولج الليل في النهار أي: يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، فيأتي بالليل ذلك الذي شرع

الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها، تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها. 62 إلا هو، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، أنها كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة، فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلاها وأكملها، ومن كبريائه، أن العبادات كلها، السماوات والأرض، ومن عظمت وكبريائه، أن نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته. وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها الكبير في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، الذي من عظمت وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، ومن كبريائه، أن كرسيه وسع

تفسير السعدي

لغايتها ومقصودها، وأن الله هو العلي الكبير العلي في ذاته، فهو عال على جميع المخلوقات وفي قدره، فهو كامل الصفات، وفي قهره لجميع المخلوقات، من دونه من الأصنام والأنداد، من الحيوانات والجمادات، هو الباطل الذي، هو باطل في نفسه، وعبادته باطلة، لأنها متعلقة بمضمحل فان، فتبطل تبعاً بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد، الذي وعده حق ولقاؤه حق، ودينه حق، وعبادته هي الحق، النافعة الباقية على الدوام. وأن ما يدعون ذلك صاحب الحكم والأحكام بأن الله هو الحق أي: الثابت، الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس

باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق فينبت منه أنواع النبات، خبير بسرائر الأمور، وخبايا الصدور، وخفايا الأمور. 63 أنه يري عبده، عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك، ومن لطفه، أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في خبير اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، مخضرة قد اكتست من كل زوج كريم، وصار لها بذلك منظر بهيج، إن الذي أحياها بعد موتها وهمودها لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميمًا. إن الله لطيف ببصرك وبصيرتك أن الله أنزل من السماء ماء وهو: المطر، فينزل على أرض خاشعة مجدبة، قد أغبرت أرجاؤها، ويبس ما فيها، من شجر ونبات، فتصبح هذا حث منه تعالى، وترغب في النظر بآياته الدالات على وحدانيته، وكماله فقال: ألم تر أي: ألم تشاهد

بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وهو المحمود على توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله، وهو الغني في حمده، الحميد في غناه. 64 إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، الذي له الحمد، الذي يملأ ما في السماوات والأرض، وما بينهما، وما شاء بعدها، الذي لا يحصي العباد ثناء على حمده، كلها صفات كمال، وفي أفعاله، لكونها دائرة بين العدل والإحسان والرحمة والحكمة وفي شرعه، لكونه لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الحميد أي: المحمود في ذاته، وفي أسمائه، لكونها حسنى، وفي صفاته، لكونها فوق أمانيتهم، ما نقص ذلك من ملكه شيء، ومن غناه، أن يده سحاء بالخير والبركات، الليل والنهار، لم يزل إفضاله على الأنفاس، ومن غناه وكرمه، ما أودعه دينهم ودنياهم، ومن غناه، أنه لو اجتمع من في السماوات ومن في الأرض، الأحياء منهم والأموات، في صعيد واحد، فسأل كل منهم ما بلغت أمنيته، فأعطاهم ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق بوجه من الوجوه، فهو يطعم ولا يطعم، ومن غناه، أن الخلق كلهم مفتقرون إليه، في إيجادهم، وإعدادهم وإمدادهم، وفي أنه لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يواليهم من ذلة، ولا يتكبر بهم من قلة، ومن غناه، أنه ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومن غناه، أنه صمد، لا يأكل ولا يشرب، فيهم بملكه وحكمته وكمال اقتداره، ليس لأحد غيره من الأمر شيء. وإن الله لهو الغني بذاته الذي له الغنى المطلق التام، من جميع الوجوه، ومن غناه، له ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وعبداً، يتصرف

رحيم أرحم بهم من والديهم، ومن أنفسهم، ولهذا يريد لهم الخير، ويريدون لها الشر والضر، ومن رحمته، أن سخر لهم ما سخر من هذه الأشياء. 65 ما عليها، وهلك من فيها إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً إن الله بالناس لرءوف وتستخرجون من البحر حلية تلبسونها، ومن رحمته بكم أنه يمسك السماء أن تقع على الأرض فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف يستخرجها، وينتفع بها، والفلك أي: وسخر لكم الفلك، وهي السفن تجري في البحر بأمره تحملكم، وتحمل تجارتكم، وتوصلكم من محل إلى محل، الأرض، مسخر لبني آدم، حيواناتها، لركوبه، وحمله، وأعماله، وأكله، وأنواع انتفاعه، وأشجارها، وثمارها، يقاتها، وقد سلط على غرسها واستغلالها، ومعادنها، أي: ألم تشاهد ببصرك وقلبك نعمة ربك السابعة، وأياديه الواسعة، و أن الله سخر لكم ما في الأرض من حيوانات، ونبات، وجمادات، فجميع ما في

والمسيء بإساءته، إن الإنسان أي: جنسه، إلا من عصمه الله لكفور لنعم الله، كفور بالله، لا يعترف بإحسانه، بل ربما كفر بالبعث وقدرة ربه. 66 وهو الذي أحياكم أوجدكم من العدم ثم يميتكم بعد أن أحياكم، ثم يحييكم بعد موتكم، ليجازي المحسن بإحسانه،

مسائل الأصول والفروع، وهي المسائل التي يعرف حسننها وعدلها وحكمتها بالعقل والفطرة السليمة، وهذا يعرف بتدبر تفاصيل الأمور والمنهيات. 67 هدى مستقيم إرشاد لأجوبة المعترضين على جزئيات الشرع، بالعقل الصحيح، فإن الهدى وصف لكل ما جاء به الرسول، والهدى: ما تحصل به الهداية، من فتقف مع الناس ومع أهوائهم، وآرائهم، ويوقفك اعتراضهم، ونظير هذا قوله تعالى: فتوكل على الله إنك على الحق المبين مع أن في قوله: إنك على الحق والعمل به، فأنت على ثقة من أمرك، وبقين من دينك، فيوجب ذلك لك الصلابة والمضي لما أمرك به ربك، ولست على أمر مشكوك فيه، أو حديث مفترى، على ذلك، سواء اعترض المعترضون أم لا، وأنه لا ينبغي أن يثنيك عن الدعوة شيء، لأنك على هدى مستقيم أي: معتدل موصل للمقصود، متضمن علم الرسالة وعدمها، وإلا فالاعتصار على هذه، دليل أن مقصوده التعنت والتعجيز، ولهذا أمر الله رسوله أن يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وبمضي مجادلة ومحااجة بانفرادها، بل لكل مقام مقال، فصاحب هذا الاعتراض، المنكر لرسالة الرسول، إذا زعم أنه يجادل ليسترشد، يقال له: الكلام معك في إثبات تأكلون ما قتل الله وكقولهم إنما البيع مثل الربا ونحو ذلك من اعتراضاتهم، التي لا يلزم الجواب عن أعيانها، وهم منكرون لأصل الرسالة، وليس فيها ينازع المكدبون لك، ويعترضون على بعض ما جئتهم به، بقولهم الفاسدة، مثل منازعتهم في حل الميتة، بقياهم الفاسد، يقولون: تأكلون ما قتلتم، ولا المبين، فإنه إذا ثبت رسالة الرسول بأدلتها، وجب أن يتلقى جميع ما جاء به بالقبول والتسليم، وترك الاعتراض، ولهذا قال: فلا ينازعك في الأمر أي: لا في ما أتاكم الآية، هم ناسكوه أي: عاملون عليه، بحسب أحوالهم، فلا اعتراض على شريعة من الشرائع، خصوصاً من الأميين، أهل الشرك والجهل قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها على العدل والحكمة، كما قال تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم

يخبر تعالى أنه جعل لكل أمة منسكا أي: معبدا وعبادة،

في يوم القيامة الذي يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من أهل الجحيم 68 و 69: ولهذا أمره الله بالعدل عن جدالهم في هذه الحالة، فقال: وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم، فمجازيكم عليها تفسير الايتين 68

في يوم القيامة الذي يحكم الله بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فمن وافق الصراط المستقيم، فهو من أهل النعيم، ومن زاغ عنه، فهو من أهل الجحيم 69 و 69: ولهذا أمره الله بالعدل عن جدالهم في هذه الحالة، فقال: وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون أي: هو عالم بمقاصدكم ونياتكم، فمجازيكم عليها تفسير الايتين 68

وأن الساعة آتية لا ريب فيها فلا وجه لاستبعادها، وأن الله يبعث من في القبور فيجازيكم بأعمالكم حسناتها وسيئها. 7

على الله يسير وإن كان تصويره عندكم لا يحاط به، فالله تعالى يسير عليه أن يحيط علما بجميع الأشياء، وأن يكتب ذلك في كتاب مطابق للواقع. 70 قد أثبتته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، حين خلق الله القلم، قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة إن ذلك في السماء والأرض لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها، أن ذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض ومن تمام حكمه، أن يكون حكما بعلم، فلذلك ذكر إحاطة علمه، وإحاطة كتابه فقال: ألم تعلم أن الله يعلم ما

القاطعة على فساد وبطلانه، ثم توعده الظالمين منهم المعاندين للحق فقال: وما للظالمين من نصير ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم وحل. 71 لا علم عنده بما فعله، وهو في نفس الأمر له حجة ما علمها، فأخبر هنا، أن الله لم ينزل في ذلك سلطانا، أي: حجة تدل علي وتجوزه، بل قد أنزل البراهين به، العادلين به غيره، وأن حالهم أقبح الحالات، وأنه لا مستند لهم على ما فعلوه، فليس لهم به علم، وإنما هو تقليد تلقوه عن آبائهم الضالين، وقد يكون الإنسان يذكر تعالى حالة المشركين

فلهذا قال: قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدوها الله الذين كفروا وبئس المصير فهذه شرها طويل عريض، ومكروها وآلامها تزداد على الدوام. 72 البليغ، من شدة بغضهم وبغض الحق وعداوتهم، فهذه الحالة من الكفار بئس الحالة، وشرها بئس الشر، ولكن ثم ما هو شر منها، حالتهم التي يؤولون إليها، من بغضها وكراحتها، ترى وجوههم معبسة، وأبشارهم مكفهرة، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا أي: يكادون يوقعون بهم القتل والضرب عليهم آياتنا التي هي آيات الله الجليلة، المستلزمة لبيان الحق من الباطل، لم يلتفتوا إليها، ولم يرفعوا بها رأسا، بل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر وإذا تتلى

الضعيف، فما فوقه من باب أولى، ولو اجتمعوا له بل أبلغ من ذلك لو يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه وهذا غاية ما يصير من العجز. 73 الذين تدعون من دون الله شمل كل ما يدعى من دون الله، لن يخلقوا ذبابا الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق فاستمعوا له أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبا لاهية، وأسمعا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: إن عبدها، وضعف الجميع، فقال: يا أيها الناس هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علما وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، ضرب مثل هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من

كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه. 74 لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسخ السماوات والأرض أن تزولا، ومن مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف. إن الله لقوي عزيز أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين. فهذا ما قدر الله حق قدره حيث سوى الفقير العاجز من جميع ضعف الطالب الذي هو المعبود من دون الله والمطلوب الذي هو الذباب،

ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيورها إلى الله، فلا تعدم منه فضلا أو عدلا. 75 الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته وإلى الله ترجع الأمور أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب، شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم تميزوا به من الفضائل فقال: الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، يكونون أزكى ذلك النوع، تفسير الايتين 75 و 76: لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقا، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما

ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيورها إلى الله، فلا تعدم منه فضلا أو عدلا. 76 الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته وإلى الله ترجع الأمور أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب،

تفسير السعدي

شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعته وبصره بجميع الأشياء، فاخياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم تميزوا به من الفضائل فقال: الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، يكونون أذكى ذلك النوع، تفسير الايتين 75 و76: لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حق، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما

المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبده، فمن وفق لذلك، فله القدر المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح. 77 له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير عموما. وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: لعلمكم تفعلون أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه منها الركوع والسجود، لفضلهما وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا يأمر تعالى، عباده المؤمنين بالصلاة، وخص

أي: نعم المولى لمن تولاه، فحصل له مطلوبه ونعم النصير لمن استنصره فدفع عنه المكروه. تم تفسير سورة الحج، والحمد لله رب العالمين. 78 ذلك، ولا تتكلموا على حولكم وقوتكم، هو مولاكم الذي يتولى أموركم، فيدبركم بحسن تدبيره، ويصرفكم على أحسن تقديره، فنعلم المولى ونعم النصير وشروطها وحدودها، وجميع لوازمها، وآتوا الزكاة المفروضة لمستحقيها شكرا لله على ما أولاكم، واعتصموا بالله أي: امتنعوا به وتوكلوا عليه في أمة وسطا عدلا خيارا، تشهدون للرسل أنهم بلغوا أممهم، وتشهدون على الأمم أن رسلكم بلغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فأقيموا الصلاة بأركانها زال هذا الاسم لكم قديما وحديثا، ليكون الرسول شهيدا عليكم بأعمالكم خيرها وشرها وتكونوا شهداء على الناس لكونكم خير أمة أخرجت للناس، فالزموها واستمسكوا بها. هو سماكم المسلمين من قبل أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون، وفي هذا أي: هذا الكتاب، وهذا الشرع. أي: ما الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام. ملة أبيكم إبراهيم أي: هذه الملة المذكورة، والأوامر المذبذبة، ملة أبيكم إبراهيم، التي ما زال عليها، بعضه. ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن المشقة تجلب التيسير و الضرورات تبيح المحظورات فيدخل في ذلك من الأحكام فأولا ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤدها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق، احتراز منه بقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة، بالقيام بالجهاد فيه حق القيام، ولما كان قوله: وجاهدوا في الله حق جهاده ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف وزجر ووعظ، وغير ذلك. هو اجتباكم أي: اختاركم يا معشر المسلمين من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وجاهدوا في الله حق جهاده والجهاد بذل الوسع في حصول

منير أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية، إن هي إلا شبهات، يوحىها إليه الشيطان وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم 8 وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، بغير علم صحيح ولا هدى أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ولا كتاب المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المرید، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه يجادل في الله أي: يجادل رسل الله العالمين، واللعنة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله. ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي: نذيقه حرها الشديد، وسعيرها البليغ، 9 له في الدنيا خزي أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا من آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعيا من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين وما معهم من الحق، ليضل الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال، ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية فقال: ثاني عطفه أي: لاوي جانبه وعنفه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق

سورة 23

زيادة ونقصا، كثرة وقلة، فقله قد أفلح المؤمنون أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين 1 ذلك، وفي ضمن ذلك، الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، هذا تنويه من الله، بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى

كل بحسب حاله، هم فيها خالدون لا يظعنون عنها، ولا ييغون عنها حولا لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضلها وأتمه، من غير مكدر ولا منغص. 10 أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و مراتبهم تفسير الايتين 10 و 11 :- أولئك الموصوفون بتلك الصفات هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الذي هو

الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبة. 100 غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشئيين، فهو هنا:

تفسير السعدي

لا يرجعون، إنها أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضا شهواتها وإنما ذلك يقول: لعلني أعمل صالحا فيما تركت من العمل، وفرطت في جنب الله. كلا أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى ماله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف تفسير الآيتين 99 و100 يخبر تعالى عن

بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه 101 ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير الأنساب من باب أولى، وأنه لا يسأل أحد أحدا عن حاله، لا اشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجا لا شقاوة القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول يخبر تعالى عن هول يوم

فمن تقلت موازينه بأن رجحت حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل 102 القيامة مواضع، يشهد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، وفي

وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته، فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة. 103 كافرا، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، في جوار الرب الكريم. في جهنم خالدون لا يخرجون منها أبد الأبد، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم، على حسناته، وأحاطت بها خطيئته فأولئك الذين خسروا أنفسهم كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها بالنسبة إليها سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته

أعضاءهم الشريفة، ويتقطع لهبها عن وجوههم، وهم فيها كالخون قد عبست وجوههم، وقلصت شفاههم، من شدة ما هم فيه، وعظيم ما يلقونه 104 ثم ذكر تعالى، سوء مصير الكافرين فقال: تفلح وجوههم النار أي: تغشاهم من جميع جوانبهم، حتى تصيب

بها، لتؤمنوا، وتعرض عليكم لتنظروا، فكنتم بها تكذبون ظلما منكم وعنادا، وهي آيات بينات، دالات على الحق والباطل، مبينات للمحق والمبطل 105 فيقال لهم توبихا ولوما: ألم تكن آياتي تتلى عليكم تدعون

أنهم ظالمون، أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير 106 أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع، وكنا قوما ضالين في عملهم، وإن كانوا يدرون فحينئذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولم يبق الله لهم حجة، بل قطع أذارهم، وعمرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه من المتذكر، ويرتدع فيه المجرم 107 ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى:

والذل، والخسار، والتأيس من كل خير، والبشرى بكل شر، وهذا الكلام والغضب من الرب الرحيم، أشد عليهم وأبلغ في نكايتهم من عذاب الجحيم 108 الله جوابا لسؤالهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا القول نسأله تعالى العافية أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب، والتوبيخ،

فقال

ومنته عليهم بالإيمان، والإخبار بسعة رحمته، وعموم إحسانه، وفي ضمنه، ما يدل على خضوعهم وخشوعهم، وانكسارهم لربهم، وخوفهم ورجائهم. 109 ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فجمعوا بين الإيمان المقتضي لأعماله الصالحة، والدعاء لربهم بالمغفرة والرحمة، والتوسل إليه بربوبيته، ثم ذكر الحال التي أوصلتهم إلى العذاب، وقطعت عنهم الرحمة فقال: إنه كان فريق من عبادي يقولون

كل بحسب حاله، هم فيها خالدون لا يظعنون عنها، ولا ييغون عنها حولا لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، من غير مكدر ولا منغص. 11 أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، أو المراد بذلك جميع الجنة، ليدخل بذلك عموم المؤمنين، على درجاتهم و مراتبهم تفسير الآيتين 10 و 11 :- أولئك الموصوفون بتلك الصفات هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الذي هو

لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟! 110 ناقصو العقول والأحلام سخرها تهزءون بهم وتحثرونهم، حتى اشتغلتم بذلك السفه. حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون وهذا الذي أوجب فهؤلاء سادات الناس وفضلائهم، فاتخذتموهم أيها الكفرة الأنذال

وصلوا إلي. أنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم، والنجاة من الجحيم، كما قال في الآية الأخرى: فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون الآيات. 111

تفسير السعدي

إني جزيتهم اليوم بما صبروا على طاعتي، وعلى أذاكم، حتى

- وعقوبته، ولم يكتسبوا ما اكتسبه المؤمنون من الخير، الذي يوصلهم إلى السعادة الدائمة ورضوان ربهم. كم لبثتم في الأرض عدد سنين 112
- قال لهم على وجه اللوم، وأنهم سفهاء الأحلام، حيث اكتسبوا في هذه المدة اليسيرة كل شر أوصلهم إلى غضبه
- ذلك، لكنه لا يفيد مقداره، ولا يعينه، فهذا قالوا: فاسأل العادين أي: الضابطين لعدده، وأما هم ففي شغل شاغل وعذاب مذهب، عن معرفة عدده 113
- قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم كلامهم هذا، مبني على استقصارهم جدا، لمدة مكثهم في الدنيا وأفاد
- فقال لهم: إن لبثتم إلا قليلا سواء عينتم عدده، أم لا لو أنكم كنتم تعلمون 114
- وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: وأنكم إلينا لا ترجعون لا يخطر هذا ببالكم 115
- أي: أفحسبتم أيها الخلق أنما خلقناكم عبثا أي: سدى وباطلا، تأكلون وتشربون وتمرحون،
- للخلق كلهم حقا، في صدقه، ووعده، ووعيده، مألوها معبودا، لما له من الكمال رب العرش الكريم فما دونه من باب أولى، يمنع أن يخلقكم عبثا. 116
- فتعالى الله أي: تعاضم وانتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدر في حكمته. الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم فكونه ملكا
- عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربه، فيجازه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا، لأنه كافر، إنه لا يفلاح الكافرون فكفرهم منعهم من الفلاح. 117
- أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض
- أي: ومن دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من
- الراحمين فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبد من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه. تم تفسير سورة المؤمنين، من فضل الله وإحسانه. 118
- وقل داعيا لربك مخلصا له الدين رب اغفر لنا حتى نتجنبنا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير وأنت خير
- من طين أي: قد سلت، وأخذت من جميع الأرض، ولذلك جاء بنوه على قدر الأرض، منهم الطيب والخبيث، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك. 12
- ذكر الله في هذه الآيات أطوار الآدمي وتنقلاته، من ابتداء خلقه إلى آخر ما يصير إليه، فذكر ابتداء خلق أبي النوع البشري آدم عليه السلام، وأنه من سلالة
- أي: جنس الآدميين نطفة تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر في قرار مكين وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك. 13
- ثم جعلناه
- أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ولهذا كان أخاؤه أفضل المخلوقات وأكملها. 14
- ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون فخلقه كله حسن، والإنسان من
- كونه جمادا، إلى أن صار حيوانا، فتبارك الله أي: تعالى وتعاضم وكثر خيره أحسن الخالقين الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين
- العظام لحما أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عمادا للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ثم أنشأناه خلقا آخر نفخ فيه الروح، فانتقل من
- مضغة أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها. فخلقنا المضغة اللينة عظاما صلبة، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، فكسونا
- ثم خلقنا النطفة التي قد استقرت قبل علقه أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوما من النطفة، فخلقنا العلقه بعد أربعين يوما
- ثم إنكم بعد ذلك الخلق، ونفخ الروح لميتون في أحد أطواركم وتنقلاتكم 15
- يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقه فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى 16
- ثم إنكم يوم القيامة تبعثون فتجازون بأعمالكم، حسننها وسيئها. قال تعالى: أيعسب الإنسان أن
- كقوله: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير بلى وهو الخلاق العليم لأن خلق المخلوقات، من أقوى الأدلة العقلية، على علم خالقها وحكمته. 17
- الفلوات، ولا دابة إلا سقنا إليها رزقها وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وكثيرا ما يقرن تعالى بين خلقه وعلمه
- أيضا محيط بما خلقنا، فلا نفعل مخلوقا ولا ننساه، ولا نخلق خلقا فنضيعه، ولا نفعل عن السماء فتقع على الأرض، ولا ننسى ذرة في لجج البحار وجوانب
- فوق الأخرى، قد زينت بالنجوم والشمس والقمر، وأودع فيها من مصالح الخلق ما أودع، وما كنا عن الخلق غافلين فكما أن خلقنا عام لكل مخلوق، فعلمنا
- ذكر سكنه، وتوفر النعم عليه من كل وجه فقال: ولقد خلقنا فوقكم سقفا للبلاد، ومصلحة للعباد سبع طرائق أي: سبع سماوات طباقا، كل طبقة
- لما ذكر تعالى خلق الآدمي،
- منه لعباده أن يشكروه على نعمته، ويقدرُوا عدمها، ماذا يحصل به من الضرر، كقوله تعالى: قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتبكم بماء معين 18
- لا يوصل إليه، ولا يبلغ قعره، وإنا على ذهاب به لقادرون إما بأن لا ننزله، أو ننزله، فيذهب نازلا لا يوصل إليه، أو لا يوجد منه المقصود منه، وهذا تنبيه
- في الأرض أي: أنزلناه عليها، فسكن واستقر، وأخرج بقدرة منزله، جميع الأزواج النباتية، وأسكنه أيضا معدا في خزائن الأرض، بحيث لم يذهب نازلا، حتى
- ولا يزيده زيادة لا تحتل، بحيث يتلف المساكن، ولا تعيش معه النباتات والأشجار، بل أنزله وقت الحاجة لنزوله ثم صرفه عند الضرر من دوامه، فأسكناه
- وأنزلنا من السماء ماء يكون رزقا لكم ولأنعامكم بقدر ما يكفيكم، فلا ينقصه، بحيث لا يكفي الأرض والأشجار، فلا يحصل منه المقصود،

تفسير السعدي

فاقت بها الأشجار، ولهذا ذكر العام في قوله: لكم فيها أي: في تلك الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون من تين، وأترج، ورماني، وتفتح وغيرها 19 به أي: بذلك الماء جنات أي: بساتين من نخيل وأعناب خص تعالى هذين النوعين، مع أنه ينشئ منه غيرها من الأشجار، لفضلها ومنافعها، التي فأنشأنا لكم

منها، وهو الذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فإن الثواب على حسب ما يعقل القلب منها. 2 بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوسواس والأفكار الرديئة، وهذا روح الصلاة، والمقصود والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا في صلاتهم خاشعون

وصبغ للأكلين أي: فيها الزيت، الذي هو دهن، يستعمل استعماله من الاستصباح به، واصطباغ الأكلين، أي: يجعل إداما للأكلين، وغير ذلك من المنافع. 20 تخرج من طور سيناء وهي شجرة الزيتون، أي: جنسها، خصت بالذكر، لأن مكانها خاص في أرض الشام، ولمنافعها، التي ذكر بعضها في قوله: تنبت بالدهن وشجرة

أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومنها تأكلون أفضل المأكول من لحم وشحم. 21 فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين نسقيكم مما في بطونها من لبن، يخرج من بين فرث ودم، خالص سائغ للشاربين، ولكم فيها منافع كثيرة من أي: ومن نعمه عليكم، أن سخر لكم الأنعام، الإبل والبقر والغنم،

أنواع الإحسان، وأدر علينا من خيره الممدار، هو الذي يستحق كمال الشكر، وكمال الثناء، والاجتهاد في عبوديته، وأن لا يستعان بنعمه على معاصيه. 22 أنقلكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، كما جعل لكم السفن في البحر تحملكم، وتحمل متاعكم، قليلا كان أو كثيرا، فالذي أنعم بهذه النعم، وصنف وعليها وعلى الفلك تحملون أي: جعلها سفنا لكم في البر، تحملون عليها

صور قوم صالحين، فعبدها مع الله، فاستمر على ذلك، يدعوهم سرا وجهارا، وليلا ونهارا، ألف سنة إلا خمسين عاما، وهم لا يزدادون إلا عتوا ونفورا. 23 وإثبات الإلهية لله تعالى، لأنه الخالق الرازق، الذي له الكمال كله، وغيره بخلاف ذلك. أفلا تتقون ما أنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام، التي صورت على عبادة الله وحده، فقال: يا قوم اعبدوا الله أي: أخلصوا له العبادة، لأن العبادة لا تصح إلا بإخلاصها. ما لكم من إله غيره فيه إبطال ألوهية غير الله، يذكر تعالى رسالة عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول رسول أرسله لأهل الأرض، فأرسله إلى قومه، وهم يعبدون الأصنام، فأمرهم

على غيره، فليحمدوا ربهم ويشكروه أن خصهم بنعمة لم تأت آباءهم، ولا شعروا بها، ولا يجعلوا عدم الإحسان على غيرهم سببا لكفرهم للإحسان إليهم. 24 علما بما تقدم، فلا يجعلوا جهلهم حجة لهم، وعلى تقدير أنه لم يرسل فيهم رسولا، فإما أن يكونوا على الهدى، فلا حاجة لإرسال الرسول إذ ذلك، وإما أن يكونوا كما كان. وقولهم: ما سمعنا بهذا أي بإرسال الرسول في آبائنا الأولين وأي حجة في عدم سماعهم إرسال رسول في آبائهم الأولين؟ لأنهم لم يحيطوا بحكمته ورحمته تقتضي أن يكون الرسول من جنس آدميين، لأن الملك لا قدرة لهم على مخاطبته، ولا يمكن أن يكون إلا بصورة رجل، ثم يعود اللبس عليهم من إيصال فضله علينا. وقالوا هنا: ولو شاء الله لأنزل ملائكة وهذه أيضا معارضة بالمشيئة باطلة، فإنه وإن كان لو شاء لأنزل ملائكة، فإنه حكيم رحيم، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فأخبروا أن هذا فضل الله ومنته، فليس لكم أن تحجروا على الله، وتمنعوه عنها بجواب شاف، على السنة رسله كما في قوله: قالوا أي: لرسولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين النبوة أن يزيد عليكم فضيلة، ليكون متبوعا، وإلا فما الذي يفضل عليكم، وهو من جنسكم؟ وهذه المعارضة لا زالت موجودة في مكذبي الرسل، وقد أجاب الله على وجه المعارضة لنبيه نوح، والتحذير من اتباعه: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم أي: ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى فقال المأ من قومه الأشراف والسادة المتبوعون

إلا من مشبه ضال، منقلب عليه الأمر، قصده الدفع بأي: طريق اتفق له، غير عالم بما يقول؟. ويأبى الله إلا أن يظهر خزي من عاداه وعادى رسله. 25 أثبتوا أن له عقلا يكيدهم به، ليعلوهم ويسودهم، ويحتاج مع هذا أن يحذر منه لئلا يغتر به، فكيف يلتئم مع قولهم: إن هو إلا رجل به جنة وهل هذا والضلال، فإنها لا تصلح للمعارضة بوجه من الوجوه، كما ذكرنا، بل هي في نفسها متناقضة متعارضة. فقوله: ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم انتظروا به حتى حين إلى أن يأتيه الموت. وهذه الشبه التي أوردوها معارضة لنبوة نبيهم، دالة على شدة كفرهم وعنادهم، وعلى أنهم في غاية الجهل إن هو إلا رجل به جنة أي: مجنون فتربصوا به أي:

رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قال تعالى: ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون 26 فلما رأى نوح أنه لا يفيدهم دعاؤه إلا فرارا قال رب انصرني بما كذبون فاستنصر ربه عليهم، غضبا لله، حيث ضيعوا أمره، وكذبوا رسوله وقال:

أي: أدخلهم إلا من سبق عليه القول كابنه، ولا تخاطبني في الذين ظلموا أي: لا تدعني أن أنجيهم، فإن القضاء والقدر، قد حتم أنهم مغرقون. 27 أي: أدخل في الفلك من كل جنس من الحيوانات، ذكرا وأنثى، تبقى مادة النسل لسائر الحيوانات، التي اقتضت الحكمة الربانية إيجادها في الأرض، وأهلك عذبوا به وفار التنور أي: فارت الأرض، وتفجرت عيونها، حتى محل النار، الذي لم تجر العادة إلا ببعده عن الماء، فاسلك فيها من كل زوجين اثنين

تفسير السعدي

الفلك أي: السفينة بأعيننا ووحينا أي: بأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا بحيث نراك ونسمعك. فإذا جاء أمرنا بإرسال الطوفان الذي فأوحينا إليه عند استجابتنا له، سببا ووسيلة للنجاة، قبل وقوع أسبابه، أن اصنع

لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وهذا تعليم منه له ولمن معه، أن يقولوا هذا شكرا له وحمدا على نجاتهم من القوم الظالمين في عملهم وعذابهم. 28
فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك أي: علوتم عليها، واستقلت بكم في تيار الأمواج، ولجج اليم، فاحمدوا الله على النجاة والسلامة. فقل الحمد الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين إلى أن قال: قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية. 29
مباركا وأنت خير المنزلين أي: وبقيت عليكم نعمة أخرى، فادعوا الله فيها، وهي أن ييسر الله لكم منزلا مباركا، فاستجاب الله دعاءه، قال الله: وقضي وقل رب أنزلني منزلا

كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: كف عليك هذا فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كف أسنتهم عن اللغو والمحرمات. 3
ملك العبد لسانه وخزنه إلا في الخير كان مالكا لأمره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين وصاه بوصايا قال: ألا أخبرك بملاك ذلك رغبة عنه، وتنزيها لأنفسهم، وترفعاً عنه، وإذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا والذين هم عن اللغو وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، معرضون

والفلك أيضا من آيات الله، قال تعالى: ولقد تركناها آية فهل من مدكر ولهذا جمعها هنا لأنها تدل على عدة آيات ومطالب. وإن كنا لمبتلين 30
الله وحده المعبود، وعلى أن رسوله نوحا صادق، وأن قومه كاذبون، وعلى رحمة الله بعباده، حيث حملهم في صلب أبيهم نوح، في الفلك لما غرق أهل الأرض. إن في ذلك أي: في هذه القصة لآيات تدل على أن

نوحا وقومه، وكيف أهلكهم قال: ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين الظاهر أنهم ثمود قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم. 31

لما ذكر

أنه المستحق لذلك، والنهي عن عبادة ما سواه، والإخبار ببطلان ذلك وفساده، ولهذا قال: أفلا تتقون ربكم، فتجتنبوا هذه الأوثان والأصنام. 32
ما دعت إليه الرسل أممهم أن اعبدا الله ما لكم من إله غيره فكلهم اتفقوا على هذه الدعوة، وهي أول دعوة يدعون بها أممهم، الأمر بعبادة الله، والإخبار فأرسلنا فيهم رسولا منهم من جنسهم، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم، إذا كان منهم، وأبعد عن اشمئزازهم، فدعا إلى بشر مثلكم أي: من جنسكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون فما الذي يفضل عليه عليكم؟ فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب 33
في الحياة الدنيا أي: قال الرؤساء الذين جمعوا بين الكفر والمعاندة، وأطغاهم ترفهم في الحياة الدنيا، معارضة لنبيهم، وتكذيبا وتحذيرا منه: ما هذا إلا وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم

وابتلي بعبادة الشجر والحجر. وهذا نظير قولهم: قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر أولقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر 34
من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقلد له. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون 35
فلما أنكروا

هذا شيء عجيب أنذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال في جوابهم: قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي في البلى، وعندنا كتاب حفيظ 36
إن ذلك لمحبي الموتى، إنه على كل شيء قدير، وثم دليل آخر، وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث، وينقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟ وهنا دليل آخر، وهو: أن الذي أحيا الأرض بعد موتها، أنشأهم من العدم، فأعادته لهم بعد البلى أهون عليه، وكلاهما هين لديه، فلم لا ينكرون أول خلقهم، ويكابرون المحسوسات، ويقولون: إنا لم نزل موجودين، إلى قدرهم غير ممكن، فقاوسا قدرة الخالق بقدرهم، تعالى الله. فأنكروا قدرته على إحياء الموتى، وعجزوه غاية التعجيز، ونسوا خلقهم أول مرة، وأن الذي أي: بعيد بعيد ما يعدكم به، من البعث، بعد أن تمزقتم وكنتم ترابا وعظاما، فنظروا نظرا قاصرا، ورأوا هذا بالنسبة

إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس وما نحن بمبعوثين 37

إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا أي: يموت أناس، ويحيا أناس وما نحن بمبعوثين 38

لما اشتد كفرهم، ولم ينفع فيهم الإنذار، دعا عليهم نبيهم فقال: رب انصرني بما كذبون أي: يهلكهم، وخزيهم الديني، قبل الآخرة. 39

أدناس الأخلاق ومسائى الأعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة. 4
والذين هم للزكاة فاعلون أي مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزيين لأنفسهم من

. قال الله مجيبا لدعوته: عما قليل ليصبحن نادمين 40

تفسير السعدي

المحتظر فبعدا للقوم الظالمين أي: أتبعوا مع عذابهم، البعد واللعنة والذم من العالمين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين 41 فجعلناهم غناء أي: هشيما يبسا بمنزلة غناء السيل الملقى في جنبات الوادي، وقال في الآية الأخرى إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم فأخذتهم الصيحة بالحق لا بالظلم والجور، بل بالعدل وظلمهم، أخذتهم الصيحة، فأهلكتهم عن آخرهم.

أي: ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين المعاندين قرونا آخرين 42

كل أمة في وقت مسمى، وأجل محدود، لا تتقدم عنه ولا تتأخر 43

ويكونون عبرة للمتقين، ونكالا للمكذبين، وخزيا عليهم مقرونا بعذابهم. فبعدا لقوم لا يؤمنون ما أشقاهم وتعسا لهم، ما أخسر صفقتهم. 44 على حقيقه ما جاءوا به، فأتبعنا بعضهم بعضا بالهلاك، فلم يبق منهم باقية، وتعطلت مساكنهم من بعدهم وجعلناهم أحاديث يتحدث بهم من بعدهم، دأب الأمم العصاة، والكفرة البغاة، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، مع أن كل رسول يأتي من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، بل مجرد دعوة الرسل وشرعهم، يدل ، وأرسلنا إليهم رسلا متتابعة، لعلمهم يؤمنون وينيبون، فلم يزل الكفر والتكذيب

بالله، واستكبروا على أنبيائه، وكانوا قوما عالين أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم. 45 ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه ك هامان وغيره من رؤسائهم، فاستكبروا أي: تكبروا عن الإيمان علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثيرا وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال هنا: الحق وعاند فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي: بتلك الآيات البينات فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ف قال موسى قال لقد عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات ولهذا رئيس المعاندين عرف ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله. بآياتنا الدالة على صدقهما وصحة ما جاء به وسلطان مبين أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعده موسى وهارون الآيات والله أعلم. فقلوه: ثم أرسلنا موسى بن عمران، كليم الرحمن وأخاه هارون حين سأل يونس من قوله: ثم بعثنا من بعده أي: من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على ورحمة لعلمهم يتذكرون فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة التي في سورة القصص، فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين تفسير الآيتين 45 و46: يمر علي منذ زمان طويل كلام

بالله، واستكبروا على أنبيائه، وكانوا قوما عالين أي: وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم. 46 ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه ك هامان وغيره من رؤسائهم، فاستكبروا أي: تكبروا عن الإيمان علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثيرا وقال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال هنا: الحق وعاند فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم أي: بتلك الآيات البينات فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ف قال موسى قال لقد عليها لقوتها فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة البينة على المعاندين، وهذا كقوله ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات ولهذا رئيس المعاندين عرف ربه أن يشركه في أمره فأجاب سؤله. بآياتنا الدالة على صدقهما وصحة ما جاء به وسلطان مبين أي: حجة بينة، من قوتها، أن تقهر القلوب، وتتسلط قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعده موسى وهارون الآيات والله أعلم. فقلوه: ثم أرسلنا موسى بن عمران، كليم الرحمن وأخاه هارون حين سأل يونس من قوله: ثم بعثنا من بعده أي: من بعد نوح رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على ورحمة لعلمهم يتذكرون فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدي ورحمة، ولعل من هذا، ما ذكر الله في سورة التي في سورة القصص، فهي صريحة جدا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ولقد أتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدي على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا، إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه، أما هذه الآيات، فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين تفسير الآيتين 45 و46: يمر علي منذ زمان طويل كلام

نوح: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي من المعلوم أن هذا لا يصلح لدفع الحق، وأنه تكذيب ومعاندة. 47 نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فكيف نكون تابعين بعد أن كنا متبوعين؟ وكيف يكون هؤلاء رؤساء علينا؟ ونظير قولهم، قول قوم لنا عابدون أي: معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة، كما قال تعالى: وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبوحون أبناءكم ويستحيون

تفسير السعدي

كما قاله من قبلهم سواء بسواء، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم وأفعالهم، وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة. وقومهما أي: بنو إسرائيل فقالوا كبيرا وتبها، وتحذيرا لضعفاء العقول، وتمويهها: أنؤمن لبشرين مثلنا

ولهذا قال: فكذبوهما فكانوا من المهلكين في الغرق في البحر، وبنو إسرائيل ينظرون. 48

موعظة وتفصيلا لكل شيء. ولهذا قال هنا: لعلهم يهتدون أي: بمعرفة تفاصيل الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته. 49 من إقامة أمر الله فيهم، وإظهار شعائره، وعده الله أن ينزل عليه التوراة أربعين ليلة، فذهب لميقات ربه، قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء ولقد آتينا موسى بعدما أهلك الله فرعون، وخلص الشعب الإسرائيلي مع موسى، وتمكن حينئذ

فحفظوا فروجهم من كل أحد إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء المملوكات فإنهم غير ملومين بقربهما، لأن الله تعالى أحلها. 5 تفسير الآيتين 5 و 6 -: والذين هم لفروجهم حافظون عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر والممس ونحوهما.

المكان الذي أنت فيه، لارتفاعه، سريا أي: نهرا وهو المعين وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا 50 أي: مكان مرتفع، وهذا والله أعلم وقت وضعها، ذات قرار أي: مستقر وراحة ومعين أي: ماء جار، بدليل قوله: قد جعل ربك تحتك أي: تحت وأمه من آيات الله العجيبة، حيث حملته وولده من غير أب، وتكلم في المهد صبيا، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى، وأويناهما إلى ربوة أي: وامتننا على عيسى ابن مريم، وجعلناه

فإنه إذا أمر بما أمر به الأنبياء، الذين من قبله، ونهى عما نهوا عنه، دل على أنه من جنسهم، بخلاف الكذاب، فلا بد أن يأمر بالشر، وينهى عن الخير. 51 أهل العلم، والكتب السابقة، والعقل، حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، يستدلون على نبوته بأجناس ما يأمر به، وينهى عنه، كما جرى له رقل وغيره، بالعهد، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامى، والحنو والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة، ولهذا كان التي هي صلاح في جميع الأزمنة، قد اتفقت عليها الأنبياء والشرائع، كالأمر بتوحيد الله، وإخلاص الدين له، ومحبته، وخوفه، ورجائه، والبر، والصدق، والوفاء على كل عمل صالح وإن تنوعت بعض أجناس المأمورات، واختلفت بها الشرائع، فإنها كلها عمل صالح، ولكن تتفاوت بتفاوت الأزمنة. ولهذا، الأعمال الصالحة، الله يعلمه، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء وأفضله، فدل هذا على أن الرسل كلهم، متفقون على إباحة الطيبات من المأكول، وتحريم الخبائث منها، وأنهم متفقون الحلال، وشكر الله، بالعمل الصالح، الذي به يصلح القلب والبدن، والدنيا والآخرة. ويخبرهم أنه بما يعملون عليهم، فكل عمل عملوه، وكل سعي اكتسبوه، فإن هذا أمر منه تعالى لرسله بأكل الطيبات، التي هي الرزق الطيب

آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون فالواجب من كل المنتسبين إلى الأنبياء وغيرهم، أن يمتثلوا هذا، ويعملوا به 52 واحد. فاتقون بامتنال أوأمري، واجتناب زواجري. وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، لأنهم بهم يقتدون، وخلفهم يسلكون، فقال: يا أيها الذين ولهذا قال تعالى للرسول: وإن هذه أمتكم أمة أي: جماعتكم يا معشر الرسل جماعة واحدة متفقة على دين واحد، وربكم

أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون. 53 المنتسبون إلى اتباع الأنبياء أمرهم أي: دينهم بينهم زبرا أي: قطعا كل حزب بما لديهم أي: بما عندهم من العلم والدين فرحون يزعمون ، ولكن أبى الظالمون المفترقون إلا عصيانا، ولهذا قال: فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أي: تقطع

أي: إلى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه؟. 54 فذرهم في غمرتهم أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم المحقون. حتى حين

أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة 55 أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك. بل لا يشعرون تفسير الآيتين 55 و 56 -: أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنيين نsار لهم في الخيرات أي: أychنون

أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة 56 أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك. بل لا يشعرون تفسير الآيتين 55 و 56 -: أychسبون أنما نمدهم به من مال وبنيين نsار لهم في الخيرات أي: أychنون

منهم برهم، وما يستحقه من الإجلال والإكرام، وخوفهم وإشفاقهم يوجب لهم الكف عما يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتقصير في الواجبات. 57 ربهم، خوفا أن يضع عليهم عدله، فلا يبقى لهم حسنة، وسوء ظن بأنفسهم، أن لا يكونوا قد قاموا بحق الله تعالى، وخوفا على إيمانهم من الزوال، ومعرفة خيرهم وفضلهم، ذكر الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، فقال: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون أي: وجلون، مشفقة قلوبهم كل ذلك من خشية لما ذكر تعالى الذين جمعوا بين الإساءة والأمن، الذين يزعمون أن عطاء الله إياهم في الدنيا دليل على

ويتفكرون أيضا في الآيات الأفقية، كما في قوله: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار إلى آخر الآيات. 58

تفسير السعدي

واتفاقه، وعدم اختلافه وتناقضه، وما يدعو إليه من معرفة الله وخوفه ورجائه، وأحوال الجزاء، فيحدث لهم بذلك من تفاصيل الإيمان، ما لا يعبر عنه اللسان. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون أي: إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، ويتفكرون أيضاً في الآيات القرآنية ويتدبرونها، فيبين لهم من معاني القرآن وجلالته

أي: لا شركاً جلياً، كاتخاذ غير الله معبوداً، يدعوه ويرجوه ولا شركاً خفياً، كالرياء ونحوه، بل هم مخلصون لله، في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم. 59 والذين هم بربهم لا يشركون

فحفظوا فروجهم من كل أحد إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء المملوكات فإنهم غير ملومين بقربهم، لأن الله تعالى أحلها. 6 تفسير الآيتين 5 و 6 :- والذين هم لفروجهم حافظون عن الزنا، ومن تمام حفظها تجنب ما يدعو إلى ذلك، كالنظر واللمس ونحوهما. أي: خائفة عند عرض أعمالها عليه، والوقوف بين يديه، أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم، وما يستحقه من أصناف العبادات. 60 مما أمروا به، ما أتوا من كل ما يقدر عليه، من صلاة، وزكاة، وحج، وصدقة، وغير ذلك، و مع هذا قلوبهم وجلّة أي: خائفة أنهم إلى ربهم راجعون والذين يؤتون ما أتوا أي: يعطون من أنفسهم

وهم لها أي: للخيرات سابقون قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون. 61 الزلفى عند ربهم، فنافسوه. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجدّه وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزه وبادروه، قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في أولئك يسارعون في الخيرات أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل الذي فيه كل شيء، وهو يطابق كل واقع يكون، فلذلك كان حقاً، وهم لا يظلمون أي لا ينقص من إحسانهم، ولا يزداد في عقوبتهم وعصيانهم. 62 يستوعب قوتها، رحمة منه وحكمة، لتيسير طريق الوصول إليه، ولتعمّر جادة السالكين في كل وقت إليه. ولدينا كتاب ينطق بالحق وهو الكتاب الأول، واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور أو متعسر، أخبر تعالى أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه، ليس مما ولما ذكر مسارعتهم إلى الخيرات وسبقهم إليها، ربما وهم

فيهم، فإن الله يمهّلهم ليعملوا هذه الأعمال، التي بقيت عليهم مما كتب عليهم، فإذا عملوها واستوفوها، انتقلوا بشر حالة إلى غضب الله وعقابه. 63 الكفرية، والمعاندة للشرع، ما هو موجب لعقابهم، و لكن لهم أعمال من دون هذه الأعمال هم لها عاملون أي: فلا يستغربوا عدم وقوع العذاب بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا فلما كانت قلوبهم في غمرة منه، عملوا بحسب هذا الحال، من الأعمال والغفلة والإعراض، تمنعهم من الوصول إلى هذا القرآن، فلا يهتدون به، ولا يصل إلى قلوبهم منه شيء. وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون يخبر تعالى أن قلوب المكذبين في غمرة من هذا، أي: وسط غمرة من الجهل والظلم،

ولم تحصل لهم المكارة، فإذا أخذناهم بالعذاب ووجدوا مسه إذا هم يجأرون يصرخون ويتوجعون، لأنه أصابهم أمر خالف ما هم عليه 64 حتى إذا أخذنا مترفيهم أي: متنعميهم، الذين ما اعتادوا إلا الترف والرفاهية والنعيم، لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون وإذا لم تأتهم النصرة من الله، وانقطع عنهم الغوث من جانبه، لم يستطيعوا نصر أنفسهم، ولم ينصرهم أحد. 65 ، ويستغيثون، فيقال لهم:

على أعقابكم تنكصون أي: راجعين القهقري إلى الخلف، وذلك لأن باتباعهم القرآن يتقدمون، وبالإعراض عنه يستأخرون وينزلون إلى أسفل سافلين. 66 فكأنه قيل: ما السبب الذي أوصلهم إلى هذا الحال؟ قال: قد كانت آياتي تتلى عليكم لتؤمنوا بها وتقبلوها عليها، فلم تفعلوا ذلك، بل كنتم

لهذه الرذائل، لا جرم حقت عليهم العقوبة، ولما وقعوا فيها، لم يكن لهم ناصر ينصرهم، ولا مغيث ينقذهم، ويوبخون عند ذلك بهذه الأعمال الساقطة 67 والغوا فيه لعلكم تغلبون وقال الله عنهم: أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون أم يقولون تقوله فلما كانوا جامعين الذي هو القبيح في هذا القرآن. فالمكذبون كانت طريقتهم في القرآن، الإعراض عنه، ويوصي بعضهم بعضاً بذلك وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن بسببه، تقولون: نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا وأعلى، سامرا أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت تهجرون أي: تقولون الكلام الهجر مستكبرين به سامرا تهجرون قال المفسرون معناه: مستكبرين به، الضمير يعود إلى البيت، المعهود عند المخاطبين، أو الحرم، أي: متكبرين على الناس

قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم فهل تتبعون إن كان قصدكم الحق، فأجابوا بحقيقة أمرهم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون 68 الكفار، ما أخبر الله عنهم: وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فأجابهم بقوله: من الإيمان، أنه جاءهم رسول وكتاب، ما جاء آبائهم الأولين، فرضوا بسلوك طريق آبائهم الضالين، وعارضوا كل ما خالف ذلك، ولهذا قالوا، هم ومن أشبههم من أن تدبر القرآن، يدعو إلى كل خير، ويعصم من كل شر، والذي منعهم من تدبره أن على قلوبهم أفعالها. أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أي: أو منعهم في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه، أي: فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه، ودل هذا على

أفلم يدبروا القول أي: أفلا يتفكرون

خلق جميل، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين فلم لا يصدقونه، حين جاءهم بالحق العظيم، والصدق المبين؟. 69
نظر حاله ونسأل عنه من له به خبرة، أي: لم يكن الأمر كذلك، فإنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، صغيرهم وكبيرهم يعرفون منه كل
أي: أو منعهم من اتباع الحق، أن رسولهم محمدا صلى الله عليه وسلم، غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟ يقولون: لا نعرفه، ولا نعرف صدقه، دعونا حتى
أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون

لأنها ليست مما ملكت يمينه، بل هي ملك له ولغيره، فكما أنه لا يجوز أن يشترك في المرأة الحرة زوجان، فلا يجوز أن يشترك في الأمة المملوكة سيدان. 7
ولا مملوكة، وتحريم نكاح المحلل لذلك. ويدل قوله أو ما ملكت أيمانهم أنه يشترط في حل المملوكة أن تكون كلها في ملكه، فلو كان له بعضها لم تحل،
الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه، المتجرئون على محارم الله. وعموم هذه الآية، يدل على تحريم نكاح المتعة، فإنها ليست زوجة حقيقة مقصودا بقاؤها،
فمن ابتغى وراء ذلك غير الزوجة والسرية فأولئك هم العادون

للحق بالأصل، هو الذي أوجب لهم التكذيب بالحق لا شكا ولا تكذيبا للرسول، كما قال تعالى: فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 70
الذي جاءهم به إخلاص العباد لله وحده، وترك ما يعبد من دون الله، وقد علم كراحتهم لهذا الأمر وتعجبهم منه، فكون الرسول أتى بالحق، وكونهم كارهين
ومكارم الأخلاق، وأيضا فإن في هذا الانتقال مما تقدم، أي: بل الحقيقة التي منعهم من الإيمان أنه جاءهم بالحق وأكثرتهم للحق كارهون وأعظم الحق
أي: بالأمر الثابت، الذي هو صدق وعدل، لا اختلاف فيه ولا تناقض، فكيف يكون من جاء به، به جنة؟! وهلا يكون إلا في أعلى درج الكمال، من العلم والعقل
قال ما قال، والمجنون غير مسموع منه، ولا عبرة بكلامه، لأنه يهذي بالباطل والكلام السخيف. قال الله في الرد عليهم في هذه المقالة: بل جاءهم بالحق
أم يقولون به جنة أي: جنون، فلهذا

ومن جاء به، أعظم نعمة ساقها الله إليهم، فلم يقابلوها إلا بالرد والإعراض، فهل بعد هذا الحرمان حرمان؟ وهل يكون وراءه إلا نهاية الخسران؟. 71
يقومون به، ويكونون به سادة الناس. فهم عن ذكرهم معرضون شقاوة منهم، وعدم توفيق نسوا الله فنسيهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم فالقرآن
وعدم العدل، فالسماوات والأرض ما استقامتا إلا بالحق والعدل بل أتيناكم بذكرهم أي: بهذا القرآن المذكر لهم بكل خير، الذي به فخرهم وشرفهم، حين
أهواءهم متعلقة بالظلم والكفر والفساد من الأخلاق والأعمال، فلو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، لفساد التصرف والتدبير المبني على الظلم
لم لم يكن الحق موافقا لأهوائهم لأجل أن يؤمنوا و يسرعوا الانقياد؟ أجاب تعالى بقوله: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ووجه ذلك أن
فإن قيل:

نصحا لهم، وتحصيلا لمصالحهم، بل كان الرسل أنصح للخلق من أنفسهم، فجزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، ورزقنا الاقتداء بهم في جميع الأحوال. 72
وهذا كما قال الأنبياء لأممهم: يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الله أي: ليسوا يدعون الخلق طمعا فيما يصيبهم منهم من الأموال، وإنما يدعون
أجرا فهم من مغرم مثقلون يتكلفون من اتباعك، بسبب ما تأخذ منهم من الأجر والخراج، ليس الأمر كذلك فخارج ربك خير وهو خير الرازقين
أي: أو منعهم من اتباعك يا محمد، أنك تسألهم على الإجابة

لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله 73
عن الصراط لناكبون متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق،
أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم
موصل إلى المقصود، من قرب حنيقية سمحة، حنيقية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إليهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق
وسلم، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرا، وإنما سعيه لنفعهم ومصالحهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته،
قالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن، وتلقي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال الرسول محمد صلى الله عليه
سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحدا بعد واحد، فذكر من الموانع أن قلوبهم في غمرة، وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بأبائهم، وأنهم
تفسير الآيتين 73 و 74 ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمات، كل

لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله 74
عن الصراط لناكبون متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق،
أن يتبعك، لأنه مما تشهد العقول والفطر بحسنه، وموافقته للمصالح، فأين يذهبون إن لم يتابعوك؟ فإنهم ليس عندهم ما يغنيهم ويكفيهم عن متابعتك، لأنهم
موصل إلى المقصود، من قرب حنيقية سمحة، حنيقية في التوحيد، سمحة في العمل، فدعوتك إليهم إلى الصراط المستقيم، موجب لمن يريد الحق
وسلم، وكمال صدقه وأمانته، وأنه لا يسألهم عليه أجرا، وإنما سعيه لنفعهم ومصالحهم، وأن الذي يدعوهم إليه صراط مستقيم، سهل على العاملين لاستقامته،
قالوا: برسولهم جنة، كما تقدم الكلام عليها، وذكر من الأمور الموجبة لإيمانهم، تدبر القرآن، وتلقي نعمة الله بالقبول، ومعرفة حال الرسول محمد صلى الله عليه
سبب موجب للإيمان، وذكر الموانع، وبين فسادها، واحدا بعد واحد، فذكر من الموانع أن قلوبهم في غمرة، وأنهم لم يدبروا القول، وأنهم اقتدوا بأبائهم، وأنهم

تفسير الآيتين 73 و 74 ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمت، كل

كما ذكر الله حالهم عند ركوب الفلك، وأنهم يدعون مخلصين له الدين، وينسون ما يشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره. 75 عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين. هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف

وذلوا وما يتضرعون إليه ويفتقرون، بل مر عليهم ذلك ثم زال، كأنه لم يصبهم، لم يزالوا في غيهم وكفرهم، ولكن وراءهم العذاب الذي لا يرد 76 الذي أصابهم سبع سنين، وأن الله ابتلاهم بذلك، ليرجعوا إليه بالذل والاستسلام، فلم ينجع فيهم، ولا نجح منهم أحد، فما استكانوا لربهم أي: خضعوا ولقد أخذناهم بالعذاب قال المفسرون: المراد بذلك: الجوع

الدنيوية، التي يؤدب الله بها عباده. قال تعالى فيها: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون 77 آيسون من كل خير، قد حضرهم الشر وأسبابه، فليحذروا قبل نزول عذاب الله الشديد، الذي لا يرد، بخلاف مجرد العذاب، فإنه ربما أقنع عنهم، كالعقوبات حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد كالقتل يوم بدر وغيره، إذا هم فيه مبلسون

تفقدون من ضرورياتكم وكما لكم؟ أفلا تشكرون الذي من عليكم بهذه النعم، فتقومون بتوحيده وطاعته؟ ولكنكم، قليل شكركم، مع توالي النعم عليكم. 78 أي: العقول التي تدركون بها الأشياء، وتتميزون بها عن البهائم، فلو عدمتم السمع، والأبصار، والعقول، بأن كنتم صما عميا بكما ماذا تكون حالكم؟ وماذا الذي أنشأ لكم السمع لتدركوا به المسموعات، فتنتفعوا في دينكم ودنياكم، والأبصار لتدركوا بها المبصرات، فتنتفعوا بها في مصالحكم. والأفئدة يخبر تعالى بمننه على عباده الداعية لهم إلى شكره، والقيام بحقه فقال: وهو

كافية لمعايشكم ومساكنكم، وإليه تحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم في الأرض، من خير وشر، وتحدث الأرض التي كنتم فيها بأخبارها 79 وهو تعالى الذي ذرأكم في الأرض أي: بثكم في أقطارها، وجهاتها، وسلطكم على استخراج مصالحها ومنافعها، وجعلها

بينهم وبين ربهم والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، التي يعقدها العبد، فعليه مراعاتها والوفاء بها، ويحرم عليه التفريط فيها وإهمالها 80 الأموال والأسرار ونحوهما، فعلى العبد مراعاة الأمور، وأداء الأمانتين إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وكذلك العهد، ويشمل العهد الذي وأشفق منها وحملها الإنسان فجميع ما أوجبه الله على عبده أمانة، على العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات وهذا عام في جميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد، قال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي: مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها،

تخلصوا له العبادة وحده لا شريك له، وتركوا عبادة من لا ينفع ولا يضر، ولا يتصرف بشيء، بل هو عاجز من كل وجه، فلو كان لكم عقل لم تفعلوا ذلك. 80 من النعم، السمع، والأبصار، والأفئدة، والذي نشارككم في الأرض وحده، والذي يحيي ويميت وحده، والذي يتصرف بالليل والنهار وحده، أن ذلك موجب لكم، أن ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. ولهذا قال هنا: أفلا تعقلون فتعرفون أن الذي وهب لكم فلو شاء أن يجعل النهار سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟ ولو شاء أن يجعل الليل سرمدا، من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تبصرون؟. وهو تعالى وحده الذي يحيي ويميت أي: المتصرف في الحياة والموت، هو الله وحده، وله اختلاف الليل والنهار أي: تعاقبها وتناوبها،

من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد وقالوا: أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم. 81 تفسير الآيتين 81 و 82 أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين

من المكذبين بالبعث، واستبعدوه غاية الاستبعاد وقالوا: أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أي: هذا لا يتصور، ولا يدخل العقل، بزعمهم. 82 تفسير الآيتين 81 و 82 أي: بل سلك هؤلاء المكذبون مسلك الأولين

وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم الآيات وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت الآيات. 83 بها وتلهي، وإلا فليس لها حقيقة، وكذبوا قبحهم الله فإن الله أراهم، من آياته أكبر من البعث، ومثله، لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس هذا من قبل أي: ما زلنا نعهد بأن البعث كائن، نحن وآباؤنا، ولم نره، ولم يأت بعد، إن هذا إلا أساطير الأولين أي: قصصهم وأسمارهم، التي يتحدث لقد وعدنا نحن وآباؤنا

في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل 84 الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: أفلا تذكرون أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عنكم، مستقر في فطركم، قد يعييه الإعراض فيها أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدير له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: ما أنكره من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكره من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. لمن الأرض ومن تفسير الآيتين 84 و 85 أي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على

تفسير السعدي

في بعض الأوقات. والحقيقة أنكم إن رجعتكم إلى ذاكرتكم، بمجرد التأمل، علمتم أن مالك ذلك، هو المعبود وحده، وأن إلهية من هو مملوك أبطل الباطل 85 الله وحده. فقل لهم إذا أقروا بذلك: أفلا تذكرون أي: أفلا ترجعون إلى ما ذكركم الله به، مما هو معلوم عنكم، مستقر في فطركم، قد يعييه الإعراض فيها أي: من هو الخالق للأرض ومن عليها، من حيوان، ونبات وجماد وبحار وأنهار وجبال، المالك لذلك، المدير له؟ فإنك إذا سألتهم عن ذلك، لا بد أن يقولوا: ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وبما أثبتوه من خلق المخلوقات العظيمة، على ما أنكروه من إعادة الموتى، الذي هو أسهل من ذلك. لمن الأرض ومن تفسير الآيتين 84 و85 أي: قل لهؤلاء المكذبين بالبعث، العادلين بالله غيره، محتجا عليهم بما أثبتوه، وأقروا به، من توحيد الربوبية، وانفراد الله بها، على السيارات، والثوابت ورب العرش العظيم الذي هو أعلى المخلوقات وأوسعها وأعظمها، فمن الذي خلق ذلك ودبره، وصرفه بأنواع التدبير؟ 86 قل من رب السماوات السبع وما فيها من النيرات، والكواكب العظيم، كامل القدرة، عظيم السلطان؟ وفي هذا من لطف الخطاب، من قوله: أفلا تذكرون أفلا تتقون والوعظ بأداة العرض الجاذبة للقلوب 87 سيقولون لله أي: سيقرون بأن الله رب ذلك كله. قل لهم حين يقرون بذلك: أفلا تتقون عبادة المخلوقات العاجزة، وتتقون الرب المكاره، ويحفظهم مما يضرهم، ولا يجار عليه أي: لا يقدر أحد أن يجبر على الله. ولا يدفع الشر الذي قدره الله. بل ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه 88 من العالم العلوي، والعالم السفلي، ما نصره، وما لا نصره؟ و الملكوت ب صيغة مبالغة بمعنى الملك. وهو يجبر عباده من الشر، ويدفع عنهم قل من بيده ملكوت كل شيء أي: ملك كل شيء،

إلا مسحورة، وهي بلا شك قد سحرها الشيطان، بما زين لهم، وحسن لهم، وقلب الحقائق لهم، فسحر عقولهم، كما سحرت السحرة أعين الناس. 89 لهم، ولا قسط من الملك، وأنهم عاجزون من جميع الوجوه، وتركتهم الإخلاص للمالك العظيم القادر المدير لجميع الأمور، فالعقول التي دلتكم على هذا، لا تكون شيء، المجير، الذي لا يجار عليه. قل لهم حين يقرون بذلك، ملزما لهم، فأنى تسحرون أي: فأين تذهب عقولكم، حيث عبدتم من علمتم أنهم لا ملك سيقولون لله أي: سيقرون أن الله المالك لكل وبالمحافظة عليها، لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص. 9 والذين هم على صلواتهم يحافظون أي: يداومون عليها في أوقاتها وحدودها وأشراتها وأركانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، العدل في الأمر والنهي، فما بالهم لا يعترفون به، وهو أحق أن يتبع؟ وليس عندهم ما يعرضهم عنه، إلا الكذب والظلم، ولهذا قال: وإنهم لكاذبون 90 يقول تعالى: بل أتينا هؤلاء المكذبين بالحق، المتضمن للصدق في الأخبار، إليه جميع المخلوقات، في ربوبيته لها، وفي إلهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك، لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة 91 تقدير إلهين ربين؟ سبحانه الله عما يصفون قد نطق بلسان حالها، وأفهمت بديع أشكالها، أن المدير لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت لمصالح الخلق كلهم، ليست مقصورة على مصلحة أحد دون أحد، ولن ترى فيها خلا ولا تناقضا، ولا معارضة في أدنى تصرف، فهل يتصور أن يكون ذلك، واعتبر ذلك بالشمس والقمر، والكواكب الثابتة، والسيارة، فإنها منذ خلقت، وهي تجري على نظام واحد، وترتيب واحد، كلها مسخرة بالقدرة، مدبرة بالحكمة الآخر ومغالبتة، ولعلا بعضهم على بعض فالغالب يكون هو الإله، وإلا فمع التمانع لا يمكن وجود العالم، ولا يتصور أن ينتظم هذا الانتظام المدهش للعقول، إلهين فقال: إذا أي: لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله بما خلق أي: لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته، واستقل بها، ولحرص على ممانعة ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله كذب يعرف بخبر الله، وخبر رسله، ويعرف بالعقل الصحيح، ولهذا نبه تعالى على الدليل العقلي، على امتناع والمستحيلات والممكنات، والشهادة وهو ما نشاهد من ذلك فتعالى أي: ارتفع وعظم، عما يشركون به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله 92 نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك، وهو علمه المحيط، فقال: عالم الغيب أي: الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من الواجبات وارجمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم عند نزولها العاصي وغيره 93 الله رسوله أن يقول: قل رب إما تربيني ما يوعدون أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي: اعصمني تفسير الآيتين 93 و 94 لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد وارجمني، مما ابتليتهم به من الذنوب الموجبة للنقم، واحمني أيضا من العذاب الذي ينزل بهم، لأن العقوبة العامة تعم عند نزولها العاصي وغيره 94 الله رسوله أن يقول: قل رب إما تربيني ما يوعدون أي: أي وقت أريتني عذابهم، وأحضرتني ذلك رب فلا تجعلني في القوم الظالمين أي: اعصمني تفسير الآيتين 93 و 94 لما أقام تعالى على المكذبين أدلته العظيمة، فلم يلتفتوا لها، ولم يذعنوا لها، حق عليهم العذاب، ووعدوا بنزوله، وأرشد ، قال الله في تقريب عذابهم: وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ولكن إن أخرجناه فلحكمة، وإلا، فقدرتنا صالحة لإيقاعه فيهم. 95 من الشياطين، فإنه لا يفيد فيه الإحسان، ولا يدعو حزبه إلا ليكونوا من أصحاب السعير، فالوظيفة في مقابلته، أن يسترشد بما أرشد الله إليه رسوله 96 لنا، وتكذيبهم لنا، فأنت يا محمد ينبغي لك أن تصبر على ما يقولون، وتقابلهم بالإحسان، هذه وظيفة العبد في مقابلة المسيء من البشر، وأما المسيء نحن أعلم بما يصفون أي: بما يقولون من الأقوال المتضمنة للكفر والتكذيب بالحق، قد أحاط علمنا بذلك، وقد حلمنا عنهم، وأمهلناهم، وصبرنا عليهم، والحق

تفسير السعدي

أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها أي: ما يوفق لهذا الخلق الجميل إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وقوله: بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب، قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال تعالى: ادفع بالتي هي أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، هذا من مكارم الأخلاق، التي أمر الله رسوله بها فقال: ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي: إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم

وقل رب أعوذ بك أي اعتصم بحولك وقوتك متبرئاً من حولي وقوتي من همزات الشياطين 97

فيها، الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر، وأجاب دعاءه، سلم من كل شر، ووفق لكل خير. 98 بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم وهمزهم ومسهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم ووسوستهم، وهذه استعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل وأعوذ بك رب أن يحضرون أي: أعوذ

الحاجز بين الدنيا والآخرة، وفي هذا البرزخ، يتنعم المطيعون، ويعذب العاصون، من موتهم إلى يوم يبعثون، أي: فليعدوا له عدته، وليأخذوا له أهبة. 99 غير صادق في ذلك، فإنه لو رد لعاد لما نهي عنه. ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي: من أمامهم وبين أيديهم برزخ، وهو الحاجز بين الشئين، فهو هنا: لا يرجعون، إنها أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا كلمة هو قائلها أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضاً شهواتها وإنما ذلك يقول: لعلني أعمل صالحاً فيما تركت من العمل، وفرطت في جنب الله. كلا أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها حال من حضره الموت، من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال، إذا رأى مآله، وشاهد قبح أعماله فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف تفسير الآيتين 99 و100 يخبر تعالى عن

سورة 24

جليلة، وأوامر وزواجر، وحكما عظيمة لعلكم تذكرون حين نبين لكم، ونعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. ثم شرع في بيان تلك الأحكام المشار إليها 1 رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان وفرضاها أي: قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، وأنزلنا فيها آيات بينات أي: أحكاما أي: هذه سورة عظيمة القدر أنزلناها

ثبوت هذا الحكم الخاص بالزوجين، لشدة الحاجة إليه، وأن بين لكم شدة الزنا وفظاعته، وفظاعة القذف به، وأن شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها. 10 وأن الله تواب حكيم وجواب الشرط محذوف، يدل عليه سياق الكلام أي: لأحل بأحد المتلاعنين الكاذب منهما، ما دعا به على نفسه، ومن رحمته وفضله، ولولا فضل الله عليكم ورحمته

كبره أي: معظم الإفك، وهو المنافق الخبيث، عبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله له عذاب عظيم ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار. 11 ما اكتسب من الإثم وهذا وعيد للذين جاءوا بالإفك، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك، وقد حد النبي صلى الله عليه وسلم منهم جماعة، والذي تولى فليكره من كل أحد، أن يقدر في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه وعدم نصحه. لكل امرئ منهم توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فكما أنه يكره أن يقدر أحد في عرضه، ذلك، وإذا أراد الله أمراً جعل له سبباً، ولذلك جعل الخطاب عاماً مع المؤمنين كلهم، وأخبر أن قدح بعضهم ببعض كقدح في أنفسهم، ففيه أن المؤمنين في الله عليه وسلم، ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة، فكل هذا خير عظيم، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لما تضمن ذلك تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها، والتنويه بذكرها، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي صلى أم المؤمنين عصة منكم أي: جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ولكنه اغتر بترويج المنافقين ومنهم المنافق. براءتها في هذه الآيات، ووعظ الله المؤمنين، وأعظم ذلك، ووصاهم بالوصايا النافعة. فقله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك أي: الكذب الشنيع، وهو رمي يتناقلون هذا الكلام، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة، فحزنت حزناً شديداً، فأنزل الله تعالى الله عليه وسلم، في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاع ما أشاع، ووشى الحديث، وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين، وصاروا فأناخ راحلته، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي صلى في مسيرهم، وكان صفوان بن المعطل السلمي، من أفاضل الصحابة رضي الله عنه، قد عرس في أخريات القوم ونام، فرأى عائشة رضي الله عنها فعرفها، عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها، فلم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلاً، وجاءت مكانهم، وعلمت أنهم إذا فقدوها، رجعوا إليها فاستمروا الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد. وحاصلها أن النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض غزواته، ومعه زوجته عائشة الصديقة بنت الصديق، فانقطع بالزنا عموماً، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة، التي وقعت على أشرف النساء، أم المؤمنين رضي الله عنها، وهذه الآيات، نزلت في قصة الإفك المشهورة، لما ذكر فيما تقدم، تعظيم الرمي

تفسير السعدي

- وبهت، من أعظم الأشياء، وأبينها. فهذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، أن يبهره بلسانه، ويكذب القائل لذلك. 12
- من الإفك الباطل، وقالوا بسبب ذلك الظن سبحانه أي: تنزيها لك من كل سوء، وعن أن تبتلي أصفاءك بالأمور الشنيعة، هذا إفك مبين أي: كذب المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم ثم أرشد الله عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال: لولا إذ سمعتموه ظن
- ولم يقل فأولئك هم الكاذبون وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه، من دون نصاب الشهادة بالصدق. 13
- كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك، من دون أربعة شهود، ولهذا قال: فأولئك عند الله هم الكاذبون عليه بأربعة شهداء أي: هلا جاء الرامون على ما رموا به، بأربعة شهداء أي: عدول مرضيين. فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وإن لولا جاءوا
- من شأن الإفك عذاب عظيم لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، أن شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب. 14
- ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة بحيث شملكم إحسانه فيهما، في أمر دينكم ودنياكم، لمسكم فيما أفضتم أي: خضتم فيه بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيد حسبانته شيئا، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقفته مرة أخرى. 15
- وتحسبونه هينا فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، وهو عند الله عظيم وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعضكم إلى بعض، وتستوشون حديثه، وهو قول باطل. وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم والأمران محظوران، التكلم بالباطل، والقول بلا علم، إذ تلقونه بالسنتكم أي: تلقفونه، ويلقيه
- لنا أن نتكلم بهذا أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، بهذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح هذا بهتان أي: كذب عظيم. 16
- ولولا إذ سمعتموه أي: وهلا إذ سمعتم أيها المؤمنون كلام أهل الإفك قلتم منكرين لذلك، معظمين لأمره: ما يكون والشكر له، على ما بين لنا إن الله نعمًا يعظكم به إن كنتم مؤمنين دل ذلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات. 17
- أي: لنظيره، من رمي المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم يعظكم الله أن تعودوا لمثله
- لكم توضيحا جليا. والله عليم أي: كامل العلم عام الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعا لمصالحكم في كل وقت. 18
- ويبين الله لكم الآيات المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها
- المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. والله يعلم وأنتم لا تعلمون فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلون. 19
- وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي لهم، وجراءته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟
- المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم أي: موجه للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة أي: الأمور الشنيعة
- الحد فعلا، فإن مشاهدة أحكام الشرع بالفعل، مما يقوى بها العلم، ويستقر به الفهم، ويكون أقرب لإصابة الصواب، فلا يزداد فيه ولا ينقص، والله أعلم. 2
- عليه، فلا نرحمه من هذا الجانب، وأمر تعالى أن يحضر عذاب الزانيين طائفة أي: جماعة من المؤمنين، ليشتهر ويحصل بذلك الخزي والارتداد، وليشاهدوا أو صداقة أو غير ذلك، وأن الإيمان موجب لانتفاء هذه الرافة المانعة من إقامة أمر الله، فرحمته حقيقة، بإقامة حد الله عليه، فنحن وإن رحمناه لجريان القدر السنة الصحيحة المشهورة، أن حده الرجم، ونهانا تعالى أن تأخذنا رافة بهما في دين الله، تمنعنا من إقامة الحد عليهم، سواء رافة طبيعية، أو لأجل قرابة هذا الحكم في الزاني والزانية البكرين، أنهما يجلد كل منهما مائة جلدة، وأما الثيب، فقد دلت
- والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم أثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه. 20
- ولولا فضل الله عليكم قد أحاط بكم من كل جانب ورحمته عليكم وأن الله رءوف رحيم لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ،
- أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ولهذا قال: ولكن الله يزكي من يشاء من يعلم منه أن يزكى بالتزكية، ولهذا قال: والله سميع عليم 21
- يتضمن الطهارة والنماء، ولكن فضله ورحمته أوجبا أن يتزكى منكم من تزكى. وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها
- مستول على العبد من جميع جهاته، والإيمان غير قوي، فلو خلى وهذه الدواعي، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب والسيئات والنماء بفعل الحسنات، فإن الزكاء من أحد أبدا أي: ما تظهر من اتباع خطوات الشيطان، لأن الشيطان يسعى، هو وجنده، في الدعوة إليها وتحسينها، والنفس ميالة إلى السوء أمارة به، والنقص عن التدنس بالردائل والقبائح، فمن إحسانه عليهم، أن نهاهم عنها، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها، ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
- العقول ولا تعرفه. فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان، لا تخرج عن ذلك، فهي الله عنها للعباد، نعمة منه عليهم أن يشكروه ويذكروه، لأن ذلك صيانة لهم فإنه أي: الشيطان يأمر بالفحشاء أي: ما تستفحشه العقول والشرائع، من الذنوب العظيمة، مع ميل بعض النفوس إليه. والمنكر وهو ما تنكره

تفسير السعدي

الحكم، وهو: النهي عن اتباع خطوات الشيطان. والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه، من الشر المقتضي، والداعي لتركه فقال: ومن يتبع خطوات الشيطان لا تتبعوا خطوات الشيطان أي: طريقه ووساوسه. وخطوات الشيطان، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان والبدن. ومن حكمته تعالى، أن بين ولما نهى عن هذا الذنب بخصوصه، نهى عن الذنوب عموما فقال: يا أيها الذين آمنوا

الآية دليل على النفقة على القريب، وأنه لا تترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان، والحث على العفو والصفح، ولو جرى عليه ما جرى من أهل الجرائم. 22 إذا عاملتم عبیده، بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكر لما سمع هذه الآية: بلى، والله إنني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع النفقة إلى مسطح، وفي هذه عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحثه على العفو والصفح، ويعدّه بمغفرة الله إن غفر له، فقال: ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيرا من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، لقوله الذي قال. فنزلت هذه الآية، ينهاهم أن يؤثوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثانة وهو قريب ولا يأتل أي: لا يحلف أولو الفضل منكم والسعة

على ذنب كبير. وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ولهم عذاب عظيم وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته. 23 إن الذين يرمون المحصنات أي: العفاف عن الفجور الغافلات التي لم يخطر ذلك بقلوبهن المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة واللعنة لا تكون إلا ثم ذكر الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال:

كانوا يعملون فكل جارية تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم 24 وذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما

حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعدته ووعدته، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا ثم حق، إلا في الله وما من الله. 25 عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا. ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى. فأوصافه العظيمة الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفرا، لم يفقدوا منها شيئا، ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما يومئذ يوفيه الله دينهم الحق أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء

عائشة رضي الله عنها أصلا، وللمؤمنات المحصنات الغافلات تبعاً لهم مغفرة تستغفر الذنوب ورزق كريم في الجنة صادر من الرب الكريم. 26 في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا، ولا لشك وشبهة مجالا، فقال: أولئك مبرءون مما يقولون والإشارة إلى طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح. فكيف وهي هي؟ صديقة النساء وأفضلهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، يعلم أنها لا تكون إلا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء خصوصا أولي العزم منهم، خصوصا سيدهم الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، الخبيثات للخبثيين والخبيثون للخبثيات أي: كل خبيث من

ذلكم أي: الاستئذان المذكور خير لكم لعلكم تذكرون لاشتماله على عدة مصالح، وهو من مكارم الأخلاق الواجبة، فإن أذن، دخل المستأذن. 27 استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة، وتسلموا على أهلها وصفة ذلك، ما جاء في الحديث: السلام عليكم، أأدخل؟ ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئذان على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده. ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، فإن في ذلك عدة مفاصد: منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال إنما جعل الاستئذان من أجل البصر فبسبب الإخلال به، يقع البصر يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان،

للإنسان، وأما البيوت التي ليس فيها أهلها، وفيها متاع الإنسان المحتاج للدخول إليه، وليس فيها أحد يتمكن من استئذانه، وذلك كبيوت الكراء وغيرها 28 عامل بعمله، من كثرة وقلة، وحسن وعدمه، هذا الحكم في البيوت المسكونة، سواء كان فيها متاع للإنسان أم لا، وفي البيوت غير المسكونة، التي لا متاع فيها يأخذ أحدكم الكبر والاشمئزاز من هذه الحال، هو أزكى لكم أي: أشد لتطهيركم من السيئات، وتتميتكم بالحسنات. والله بما تعملون عليم فيجازي كل أي: فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل، لم يمنعكم حقا واجبا لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فأنتم لا

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون أحوالكم الظاهرة والخفية، وعلم مصالحكم، فلذلك شرع لكم ما تحتاجون إليه وتضطرون، من الأحكام الشرعية. 29 بيوتكم لفظ عام في كل بيت ليس ملكا للإنسان، أخرج منه تعالى البيوت التي ليست ملكه، وفيها متاعه، وليس فيها ساكن، فأسقط الحرج في الدخول إليها، البيوت السابقة، أنه محرم، وفيه حرج أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وهذا من احترازات القرآن العجيبة، فإن قوله: لا تدخلوا بيوتا غير ليس عليكم جناح أي: حرج وإثم، دل على أن الدخول من غير استئذان في

تفسير السعدي

النبي صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فهو وإن لم يكن مشركا، فلا يطلق عليه اسم المدح، الذي هو الإيمان المطلق. 3
والحاق الأولاد، الذين ليسوا من الزوج، وكون الزاني لا يعفها بسبب اشتغاله بغيرها، مما بعضه كاف للتحريم وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمنا، كما قال
أشد الاقترانات والازدواجات، وقد قال تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي: قرناءهم، فحرم الله ذلك، لما فيه من الشر العظيم، وفيه من قلة الغيرة،
حقا، لم يقدم على ذلك، وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك إنكاح الزاني حتى يتوب، فإن مقارنة الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها،
لا يكون إلا مشركا، وإما أن يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فأقدم على نكاحه مع علمه بزنا، فإن هذا النكاح زنا، والناكح زان مسافح، فلو كان مؤمنا بالله
أن من اتصف بالزنا، من رجل أو امرأة، ولم يتب من ذلك، أن المقدم على نكاحه، مع تحريم الله لذلك، لا يخلو إما أن لا يكون ملتزما لحكم الله ورسوله، فذاك
ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك، لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي: حرم عليهم أن ينكحوا زانيا، أو ينكحوا زانية. ومعنى الآية:
وما زجه، ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء، إلا أنثى زانية، تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله، لا تؤمن ببعث ولا جزاء،
هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يندس عرض صاحبه، وعرض من قارنه

النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات. 30
أمر بحفظ الفرج مطلقا، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: يفضوا من أبصارهم أتى بأداة من الدالة على التبعيض، فإنه يجوز
في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه، لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما، أوقعاه في بلايا ومحن، وتأمل كيف
ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع داعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه
وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه، ومن غص بصره عن المحرم، أنار الله بصيرته،
ذلك الحفظ للأبصار والفروج أركى لهم أظهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش،
زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. ويحفظوا فروجهم عن الوطء الحرام، في قبل أو دبر، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسها، والنظر إليها.
من وقوع ما يخل بالإيمان: يفضوا من أبصارهم عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبية، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى
أي: أرشد المؤمنين، وقل لهم: الذين معهم إيمان، يمنهم

الإخلاص بالتوبة في قوله: وتوبوا إلى الله أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة. 31
الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على
إلى الله جميعا أيه المؤمنون لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: لعلكم تفلحون فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي
منه. ولما أمر تعالى بهذه الأوامر الحسنة، ووصى بالوصايا المستحسنة، وكان لا بد من وقوع تقصير من المؤمن بذلك، أمر الله تعالى بالتوبة، فقال: وتوبوا
إذا كان مباحا، ولكنه يفضي إلى محرم، أو يخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض، الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلة لعلم الزينة، منع
بأرجلهم، ليصوت ما عليهم من حلي، كخلاخل وغيرها، فتعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة. ويؤخذ من هذا ونحوه، قاعدة سد الوسائل، وأن الأمر
الشهوة بعد ودل هذا، أن المميز تستتر منه المرأة، لأنه يظهر على عورات النساء. ولا يضرين بأرجلهم ليعلم ما يخفين من زينتهن أي: لا يضرين الأرض
الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجانب، وعلل تعالى ذلك، بأنهم لم يظهروا على عورات النساء، أي: ليس لهم علم بذلك، ولا وجدت فيهم
يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره. أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء أي:
يجز النظر. أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلقون بكم، من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا
لا يجوز أن تنتظر إليها الذمية. أو ما ملكت أيمانهم فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى، أن ينظر لسيدته، ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملك أو بعضه، لم
يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقا، ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية، أي: النساء المسلمات، اللاتي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إن المسلمة
أو أبناء بعولتهن ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا أو إخوانهن أو بني إخوانهن أشقاء، أو لأب، أو لأم. أو بني أخواتهن أو نسائهن أي:
كرر النهي عن إبداء زينتهن، ليستثني منه قوله: إلا لبعولتهن أي: أزواجهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن يشمل الأب بنفسه، والجد وإن علا، أو أبنائهن
إلى الفتنة بها، وليضرين بخمرهن على جيوبهن وهذا لكمال الاستتار، ويدل ذلك على أن الزينة التي يحرم إبدائها، يدخل فيها جميع البدن، كما ذكرنا. ثم
كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة، لا بد لها منها، قال: إلا ما ظهر منها أي: الثياب الظاهرة، التي جرت العادة بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو
النظر الممنوع، ويحفظن فروجهن من تمكين من جماعها، أو مسها، أو النظر المحرم إليها. ولا يبيدين زينتهن كالثياب الجميلة والحلي، وجميع البدن
بغض الأبصار وحفظ الفروج، أمر المؤمنين بذلك، فقال: وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن عن النظر إلى العورات والرجال، بشهوة ونحو ذلك من
لما أمر المؤمنين

واسع كثير الخير عظيم الفضل عليم بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كلا ما علمه واقتضاه حكمه. 32
الله من فضله فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعود للمتزوج بالغنى بعد الفقر. والله
غير مأمور بتزويج مملوكه، قبل حاجته إلى الزواج. ولا يبعد إرادة المعنيين كليهما، والله أعلم. وقوله: إن يكونوا فقراء أي: الأزواج والمتزوجين يغنهم
دون الأحرار، لكثرة وجود ذلك في العبيد عادة، ويحتمل أن المراد بالصالحين الصالحون للتزويج المحتاجون إليه من العبيد والإماء، يؤدي هذا المعنى، أن السيد

تفسير السعدي

بالزنا، منهى عن تزوجه، فيكون مؤيدا للمذكور في أول السورة، أن نكاح الزاني والزانية محرم حتى يتوب، ويكون التخصيص بالصلاح في العبيد والإماء صلاح الدين، وأن الصالح من العبيد والإماء وهو الذي لا يكون فاجرا زانيا مأمور سيده بإنكاحه، جزاء له على صلاحه، وترغيبا له فيه، ولأن الفاسد وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى. والصالحين من عبادكم وإمائكم يحتمل أن المراد بالصالحين، ولايتهم من الأيامي وهم: من لا أزواج لهم، من رجال، ونساء ثيب، وأبكار، فيجب على القريب وولي البيتيم، أن يزوج من يحتاج للزواج، ممن تجب نفقته عليه، يأمر تعالى الأولياء والأسياد، بإنكاح من تحت

وليقلع عما صدر منه مما يفضبه، فإذا فعل ذلك، غفر الله ذنوبه، ورحمه كما رحم نفسه بفكاحها من العذاب، وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها. 33
القليل، الذي يكسبكم الرذالة والخسة. ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة، فقال: ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم فليتب إلى الله، ذلك، لأجل عرض الحياة، متاع قليل يعرض ثم يزول. فكسبكم النزاهة، والنظافة، والمروءة بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها أفضل من كسبكم العرض أمته على البغاء، ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال: لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فلا يليق بكم أن تكون إماءكم خيرا منكم، وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن إلا بهذه الحال، وأما إذا لم ترد تحصنا فإنها تكون بغيا، يجب على سيدها منعها من ذلك، وإنما هذا نهى لما كانوا يستعملونه في الجاهلية، من كون السيد يجبر لما فيه من المحذور المذكور. ثم قال تعالى: ولا تكرهوا فتياتكم أي: إماءكم على البغاء أي: أن تكون زانية إن أردن تحصنا لأنه لا يتصور إكراهها له، فيكون بسبب ذلك كلا على الناس، ضائعا، وإما أن يخاف إذا أعتق، وصار في حرية نفسه، أن يتمكن من الفساد، فهذا لا يؤمر بكتابتها، بل ينهى عن ذلك ومفهوم الآية الكريمة، أن العبد إذا لم يطلب الكتابة، لا يؤمر سيده أن يبتدئ بكتابتها، وأنه إذا لم يعلم منه خيرا، بأن علم منه عكسه، إما أنه يعلم أنه لا كسب بقوله: من مال الله الذي آتاكم أي: فكما أن المال مال الله، وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منه، فأحسنوا لعباد الله، كما أحسن الله إليكم. في ذلك أمر سيده الذي كاتبه، أن يعطيه من كتابته أو يسقط عنه منها، وأمر الناس بمعونتهم. ولهذا جعل الله للمكاتبين قسطا من الزكاة، ورغب في إعطائه أمر استحباب على القول الآخر، وأمر بمعاونتهم على كتابتهم، لكونهم محتاجين لذلك، بسبب أنهم لا مال لهم، فقال: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يدخل لا يحصل في رقه، فلا يكون ضرر على السيد في كتابته، مع حصول عظيم المنفعة للعبد، فلذلك أمر الله بالكتابة على هذا الوجه أمر إيجاب، كما هو الظاهر، أو الكتابة تحصيل المصلحتين، مصلحة العتق والحرية، ومصلحة العوض الذي يبذله في فداء نفسه. وربما جد واجتهد، وأدرك لسيد في مدة الكتابة من المال ما من عبيد وإماء، فأجيبوه إلى ما طلب، وكاتبوه، إن علمتم فيهم أي: في الطالبين للكتابة خيرا أي: قدرة على التكسب، وصلاحا في دينه، لأن في عليه ما هو فيه. وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا أي: من ابتغى وطلب منكم الكتابة، وأن يشتري نفسه، والإماء ومن إنكاحه على وليه، كما ذكرنا. حتى يغنيهم الله من فضله وعد للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمر له بانتظار الفرج، لنلا يشق في ذلك محذورين: أحدهما: الحذف في الكلام، والأصل عدم الحذف. والثاني كون المعنى قاصرا على من له حالان، حالة غنى بماله، وحالة عدم، فيخرج العبيد لهم من قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير، أحسن من تقدير من قدر لا يجدون مهر نكاح وجعلوا المضاف إليه نائبا مناب المضاف، فإن بالصوم فإنه له وجاء وقوله: الذين لا يجدون نكاحا أي: لا يقدر نكاحا، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم وليس التي تخطر بإيقاعه فيه، ويفعل أيضا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه يغنيهم الله من فضله هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى

للمتقين أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين، من الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون، فينكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله. 34
الأولين، الصالح منهم والطالح، وصفة أعمالهم، وما جرى لهم وجرى عليهم تعتبرونه مثلا ومعتبرا، لمن فعل مثل أفعالهم أن يجازى مثل ما جوزوا. وموعظة على كل أمر تحتاجون إليه، من الأصول والفروع، بحيث لا يبقى فيها إشكال ولا شبهة، و أنزلنا إليكم أيضا مثلا من الذين خلوا من قبلكم من أخبار هذا تعظيم وتفخيم لهذه الآيات، التي تلاها على عباده، ليعرفوا قدرها، ويقوموا بحققها فقال: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي: واضحات الدلالة، يعلم حقائق الأشياء وتفصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فليكن اشتغالكم بتدبرها وتعقلها، لا بالاعتراض عليها، ولا بمعارضتها، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون. 35
المعاني المعقولة من المحسوسة، فيعلمها العباد علما واضحا، والله بكل شيء عليم فعلمه محيط بجميع الأشياء، فلتعلموا أن ضربه الأمثال، ضرب من وأنه يزكي معه وينمو. ويضرب الله الأمثال للناس ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفا منه بهم، وإحسانا إليهم، وليتضح الحق من الباطل، فإن الأمثال تقرب وصفاء المعرفة، نور على نوره. ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك، قال: يهدي الله لنوره من يشاء ممن يعلم زكاه وطهارته، عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاج الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل يكاد زيتها من صفائه يضيء ولو لم تمسسه نار فإذا مسته النار، أضاء إضاءة بليغة نور على نور أي: نور النار، ونور الزيت. ووجه هذا المثل الذي النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض، كزيتون الشام، تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيته، ولهذا قال: أي: يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط، فلا تصيبها الشمس أول

تفسير السعدي

من صفاتها وبهائها كأنها كوكب دري أي: مضيء إضاءة الدر. يوقد ذلك المصباح، الذي في تلك الزجاجاة الدرية من شجرة مباركة زيتونة الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين، كمشكاة أي: كوة فيها مصباح لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك المصباح في زجاجاة الزجاجاة رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات، ولهذا: كل محل، يفقد نوره فتم الظلمة والحصر، مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو نور العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب الأرض الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه نور، وبه استنار الله نور السماوات

السير فيهما إلى الله وسهولته. ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء. 36 عند آخرين. ثم مدح تعالى عمارها بالعبادة فقال: يسبح له إخلاصا بالغدو أول النهار والواصل آخره خص هذين الوقتين لشرفهما ولتيسر وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين، ولهذا شرعت الصلوات الخمس والجمعة في المساجد، وجوبا عند أكثر العلماء، أو استحبابا العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، الأصوات بغير ذكر الله. ويذكر فيها اسمه يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتلهيل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم بناؤها، وكنسها، وتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع فاضلة، هي أحب البقاع إليه، وهي المساجد. أذن الله أي: أمر ووصى أن ترفع ويذكر فيها اسمه هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها، أي: يتعبد لله في بيوت عظيمة

يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه 37 المكاسب بأنواع التجارات محبوبا لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر ما يدعوها إلى ذلك ترغيبا وترهيبا فقال: وإيتاء الزكاة بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينه رفضوه. ولما كان ترك الدنيا شديدا على أكثر النفوس، وحب على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه. لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ذكر الله وإقام الصلاة مشغلة عنه، لا تلهيهم تجارة وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ولا بيع من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع أي: يسبح فيها الله، رجال، وأي: رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ذات لذات، ولا تجارة ومكاسب،

يرزق من يشاء بغير حساب بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عد ولا كيل، وهذا كناية عن كثرتة جدا. 38 ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ويزيدهم من فضله زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم، والله والمراد بأحسن ما عملوا: أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون المباحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن، كقوله تعالى: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا

ومثلها الله بالسراب الذي ببيعة، أي: لا شجر فيه ولا نبات، وهذا مثال لقلوبهم، لا خير فيها ولا بر، فتزكو فيها الأعمال وذلك للسبب المانع، وهو الكفر. 39 لم يخف عليه من عمله نكير ولا قطمير، ولن يعدم منه قليلا ولا كثيرا، والله سريع الحساب فلا يستبطى الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بد من إتيانه، الظمان للماء، حتى إذ قدم على أعماله يوم الجزاء، وجدها ضائعة، ولم يجدها شيئا، والحال إنه لم يذهب، لا له ولا عليه، بل وجد الله عنده فوفاه حسابه الذي لا يدري الأمور، أعمالا نافعة، فيغره صورتها، ويخلبه خيالها، ويحسبها هو أيضا أعمالا نافعة لهواه، وهو أيضا محتاج إليها بل مضطر إليها، كاحتياج حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فندم ندما شديدا، وازداد ما به من الظم، بسبب انقطاع رجائه، كذلك أعمال الكفار، بمنزلة السراب، ترى ويظنها الجاهل شجر فيه ولا نبت. يحسبه الظمان ماء شديد العطش، الذي يتوهم ما لا يتوهم غيره، بسبب ما معه من العطش، وهذا حسبان باطل، فيقصده ليزيل ظمأه، ضربهما الله لأعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها منها فقال: والذين كفروا بربهم وكذبوا رسله أعمالهم كسراب ببيعة أي: بقاع، لا هذان مثلان،

الكلام بما تكلم به، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب. 4 كما يأتي، وأولئك هم الفاسقون أي: الخارجون عن طاعة الله، الذين قد كثر شرهم، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وتسليط الناس على غير المحصن، فإنه يوجب التعزير. ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أي: لهم عقوبة أخرى، وهو أن شهادة القاذف غير مقبولة، ولو حد على القذف، حتى يتوب ولا يبالغ بذلك حتى يتلفه، لأن القصد التأديب لا الإتلاف، وفي هذا تقدير حد القذف، ولكن بشرط أن يكون المقذوف كما قال تعالى محصنا مؤمنا، وأما قذف السياق، ثم لم يأتوا على ما رموا به بأربعة شهداء أي: رجال عدول، يشهدون بذلك صريحا، فاجلدوهم ثمانين جلدة بسوط متوسط، يؤلم فيه، الأعراض بالرمي بالزنا فقال: والذين يرمون المحصنات أي: النساء الأحرار العفاف، وكذاك الرجال، لا فرق بين الأمرين، والمراد بالرمي بالزنا، بدليل أمر الزاني بوجوب جلده، وكذا رجمه إن كان محصنا، وأنه لا تجوز مقارنته، ولا مخالطته على وجه لا يسلم فيه العبد من الشر، بين تعالى تعظيم الإقدام على لما عظم تعالى

تفسير السعدي

جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أن كل مثال، لطائفة وفرقة. فالأول، للمتبعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم. 40
يجعل الله له نورا فما له من نور لأن نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاهم مولاها، ومنحها ربها. يحتمل أن هذين المثالين، لأعمال
وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره، ومن لم
ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين،
فاشتدت الظلمة جدا، بحيث أن الكائن في تلك الحال إذا أخرج يده لم يكدها يراها مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكت على قلوبهم الظلمات،
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم،
والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار كظلمات في بحر لجي بعيد قعره، طويل مداه يغشاه موج من فوقه موج من فوقه

الآية كقوله تعالى: تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا 41
الضمير في قوله: قد علم صلاته وتسبيحه يعود إلى الله، وأن الله تعالى قد علم عباداتهم، وإن لم تعلموا أيها العباد منها، إلا ما أطلعكم الله عليه. وهذه
فلم يخف عليه منها شيء، وسيجزيهم بذلك، فيكون على هذا، قد جمع بين علمه بأعمالها، وذلك بتعليمه، وبين علمه بأعمالهم المتضمن للجزاء. ويحتمل أن
والإنس والملائكة، وإما بإلهام منه تعالى، كسائر المخلوقات غير ذلك، وهذا الاحتمال أرجح، بدليل قوله: والله عليم بما يفعلون أي: علم جميع أفعالها،
هذه المخلوقات قد علم صلاته وتسبيحه أي: كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللاتقة به، وقد ألهمه الله تلك الصلاة والتسبيح، إما بواسطة الرسل، كالجن
ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض من حيوان وجماد والطير صافات أي: صافات أجنحتها، في جو السماء، تسبح ربها. كل من
نبه تعالى عباده على عظمته، وكمال سلطانه، وافتقار جميع المخلوقات له في ربوبيتها، وعبادتها فقال:

الشرعي والقدري في هذه الدار، وفي حكمه الجزائي، بدار القرار، بدليل قوله: وإلى الله المصير أي: مرجع الخلق ومآلهم، ليجازيهم بأعمالهم. 42
العبادة والتوحيد بين افتقارهم، من جهة الملك والتربية والتدبير فقال: ولله ملك السماوات والأرض خالقهما ورازقهما، والمتصرف فيهما، في حكمه
فلما بين عبوديتهم وافتقارهم إليه من جهة

بالأبصار أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة؟ 43
ويصرفه عن من يشاء بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، يكاد سنا برقه أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته يذهب
الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبث الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بردا يتلف ما يصيبه. فيصيب به من يشاء
سحابا متراكما، مثل الجبال. فترى الودق أي: الواابل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطة متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلئ بذلك
أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف يزجي أي: يسوق سحابا قطعاً متفرقة ثم يؤلف بين تلك القطع، فيجعله

الحسية. فالبصير ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكر وتدبر لما أريد بها ومنها، والمعرض الجاهل نظره إليها نظر غفلة، بمنزلة نظر البهائم. 44
ويديل الأيام بين عباده، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار أي: لذوي البصائر، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة
يقلب الله الليل والنهار من حر إلى برد، ومن برد إلى حر، من ليل إلى نهار، ومن نهار إلى ليل،

وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون 45
كل شيء قدير كما أنزل المطر على الأرض، وهو لقاح واحد، والأم واحدة، وهي الأرض، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف وفي الأرض قطع متجاورات
أن الأصل واحد يدل على نفوذ مشيئة الله، وعموم قدرته، ولهذا قال: يخلق الله ما يشاء أي: من المخلوقات، على ما يشاءه من الصفات، إن الله على
كالحية ونحوها، ومنهم من يمشي على رجلين كالادميين، وكثير من الطيور، ومنهم من يمشي على أربع كبهيمة الأنعام ونحوها. فاختلافها مع
الربوبات المائية، كالحشرات لا يوجد منها شيء، يتولد من غير ماء أبداً، فالمادة واحدة، ولكن الخلقة مختلفة من وجوه كثيرة، فمنهم من يمشي على بطنه
وجعلنا من الماء كل شيء حي فالحيوانات التي تتوالد، مادتها ماء النطفة، حين يلحق الذكر الأنثى. والحيوانات التي تتولد من الأرض، لا تتولد إلا من
ينبه عباده على ما يشاهدونه، أنه خلق جميع الدواب التي على وجه الأرض، من ماء أي: مادتها كلها الماء، كما قال تعالى:

وخصص بالهداية من يشاء، فهذا فضله وإحسانه، وما فضل الكريم بممنون وذاك عدله، وقطع الحجة للمحتج، والله أعلم حيث يجعل مواقع إحسانه. 46
إلى صراط مستقيم أي: طريق واضح مختصر، موصل إليه، وإلى دار كرامته، متضمن العلم بالحق وإيثاره والعمل به. عمم البيان التام لجميع الخلق،
بعد بيانه بيان ليهلك بعد ذلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله يهدي من يشاء ممن سبقت لهم سابقة الحسن، وقدم الصدق،
الغي، والهدى من الضلال، فلم يبق أدنى شبهة لمبطل يتعلق بها، ولا أدنى إشكال لمريد الصواب، لأنها تنزيل من كمل علمه، وكملت رحمته، وكمل بيانه، فليس
وأنزلنا إليهم آيات بينات، أي: واضحات الدلالة، على جميع المقاصد الشرعية، والآداب المحمودة، والمعارف الرشيدة، فاتضحت بذلك السبل، وتبين الرشده من
أي: لقد رحمنا عبادنا،

بكثير من العبادات، خصوصا: العبادات التي تشق على كثير من النفوس، كالزكوات، والنفقات الواجبة والمستحبة، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك. 47
المتولي معرض، لا التفات له، ولا نظر لما تولى عنه، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير ممن يدعي الإيمان والطاعة لله وهو ضعيف الإيمان، وتجدد لا يقوم

تفسير السعدي

بما قالوا، ويتولى فريق منهم عن الطاعة توليا عظيما، بدليل قوله: وهم معرضون فإن المتولي، قد يكون له نية عود ورجوع إلى ما تولى عنه، وهذا تعالى عن حالة الظالمين، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان، أو نفاق وريب وضعف علم، أنهم يقولون بألسنتهم، ويلتزمون الإيمان بالله والطاعة، ثم لا يقومون بخبر

أحكام الجاهلية، ويفضلون أحكام القوانين غير الشرعية على الأحكام الشرعية، لعلمهم أن الحق عليهم، وأن الشرع لا يحكم إلا بما يطابق الواقع 48 وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أي: إذا صار بينهم وبين أحد حكومة، ودعوا إلى حكم الله ورسوله إذا فريق منهم معرضون يريدون يحب ويكره، وفيما يسره ويحزنه، وأما الذي يتبع الشرع عند موافقة هواه، وينبذه عند مخالفته، ويقدم الهوى على الشرع، فليس بعبد على الحقيقة 49 ذلك لأجل أنه حكم شرعي، وإنما ذلك لأجل موافقة أهوائهم، فليسوا ممدوحين في هذه الحال، ولو أتوا إليه مدعنين، لأن العبد حقيقة، من يتبع الحق فيما وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه أي: إلى حكم الشرع مدعنين وليس

تقبل شهادته على الصحيح، فإن الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعا، لمن تاب وأناب، وإنما يجلد القاذف، إذا لم يأت بأربعة شهداء إذا لم يكن زوجا 5 وهو واجب عليه، أن يكذب نفسه ولو تيقن وقوعه، حيث لم يأت بأربعة شهداء، فإذا تاب القاذف وأصلح عمله وبذل إساءته إحسانا، زال عنه الفسق، وكذلك وقوله: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم فالتوبة في هذا الموضع، أن يكذب القاذف نفسه، ويقر أنه كاذب فيما قال،

في كل حال، وأن من ينقل له دل على مرض في قلبه، وريب في إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف العدل والحكمة. 50 هذه الآيات، دليل على أن الإيمان، ليس هو مجرد القول حتى يقتصر به العمل، ولهذا نفى الإيمان عن تولى عن الطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله ورسوله وصفهم بل أولئك هم الظالمون وأما حكم الله ورسوله، ففي غاية العدالة والقسط، وموافقة الحكمة. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وفي وقلقت قلوبهم من حكم الله ورسوله، واتهموه أنه لا يحكم بالحق، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله أي: يحكم عليهم حكما ظالما جائرا، وإنما هذا مرض أي: علة، أخرجت القلب عن صحته وأزالت حاسته، فصار بمنزلة المريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما يضره، أم ارتابوا أي: شكوا، قال الله في لومهم على الإعراض عن الحكم الشرعي: أفي قلوبهم

وأولئك هم المفلحون حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله. 51 بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، أن يقولوا سمعنا وأطعنا أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج. أي: إنما كان قول المؤمنين حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم

وهو التعزيز والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا 52 على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآية، فأولئك الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، هم الفائزون بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، عند الإطلاق يدخل فيها، فعل المأمور، وترك المنهي عنه، وعند اقترانها بالبر أو الطاعة كما في هذا الموضع تفسر بتوقي عذاب الله، بترك معاصيه، ويمثل أمرهما، ويخش الله أي: يخافه خوفا مقرونا بمعرفة، فيترك ما نهى عنه، ويكف نفسه عما تهوى، ولهذا قال: ويتقه بترك المحظور، لأن التقوى ولما ذكر فضل الطاعة في الحكم خصوصا، ذكر فضلها عموما، في جميع الأحوال، فقال: ومن يطع الله ورسوله فيصدق خبرهما

أنتم فكلوا ولما، وإنما ينتظر بكم ويخاف عليكم حلول بأس الله ونقمته، ولهذا توعدهم بقوله: إن الله خبير بما تعملون فيجازيكم عليها أتم الجزاء 53 منكم التثاقل والكسل من غير عذر، فلا وجه لعذرهم وقسمكم، إنما يحتاج إلى ذلك، من كان أمره احتملا، وحاله مشبهة، فهذا ربما يفيد العذر براءة، وأما رادا عليهم: قل لا تقسموا أي: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا، قد كنا نعرف قلوبهم مرض وضعف إيمان أنهم يقسمون بالله، لئن أمرتهم فيما يستقبل، أو لئن نصصت عليهم حين خرجت ليخرجن والمعنى الأول أولى. قال الله يخبر تعالى عن حالة المتخلفين عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهاد من المنافقين، ومن في

وقد فعل صلى الله عليه وسلم، بلغ البلاغ المبين، وإنما الذي يحاسبكم ويجازيكم هو الله تعالى، فالرسول ليس له من الأمر شيء، وقد قام بوظيفته. 54 لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال. وما على الرسول إلا البلاغ المبين أي: تبليغكم البين الذي لا يبقى لأحد شك ولا شبهة، من الطاعة. وقد بانث حالكم وظهرت، فبان ضلالكم وغيك واستحقاقكم العذاب. وإن تطيعوه تهتدوا إلى الصراط المستقيم، قولاً وعملاً، فلا سبيل قال: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن امتثلوا، كان حظكم وسعادتكم وإن تولوا فإنما عليه ما حمل من الرسالة، وقد أداها. وعليكم ما حملتم هذه حالهم في نفس الأمر، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام، فوظيفته أن يأمركم وينهاكم، ولهذا

فينظر كيف تعملون وقال تعالى: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض 55 طويته، لأنه لا داعي له لترك الدين إلا ذلك. ودلت هذه الآية، أن الله قد مكن من قبلنا، واستخلفهم في الأرض، كما قال موسى لقومه: ويستخلفكم في الأرض فلم يصلحوا لصالح، ولم يكن فيهم أهلية للخير، لأن الذي يترك الإيمان في حال عزه وقهره، وعدم وجود الأسباب المانعة منه، يدل على فساد نيته، وخبت

تفسير السعدي

والعمل الصالح. ومن كفر بعد ذلك التمكين والسلطنة التامة لكم، يا معشر المسلمين، فأولئك هم الفاسقون الذين خرجوا عن طاعة الله، وفسدوا، بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديهم في بعض الأحيان، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاريها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بحيث يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، ولا يخافون أحدا إلا الله، فقام صدر هذه الأمة، من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكتهم من البلاد الغوائل. فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، وهي لم تشهد الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها، والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، والأمن التام، إظهار دينه، وما هو عليه إلا بأذى كثير من الكفار، وكون جماعة المسلمين قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم، وقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم الذي كان الواحد منهم لا يتمكن من الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرافها ونعمته عليها، بأن يتمكنوا من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكن لهم دينهم هذا من أوعاده الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها،

فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأمانى الكاذبة. 56
الأمر العام، فقال: وأطيعوا الرسول وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من يطع الرسول فقد أطاع الله لعلكم حين تقومون بذلك ترحمون وغيرهم، ممن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهذا أكبر الطاعات وأجلها، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد، ثم عطف عليهم تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهرا وباطنا، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء يأمر

ثم اضطهرهم إلى عذاب غليظ. ولهذا قال هنا: ومأواهم النار ولبئس المصير أي: بنس المال، مآل الكافرين، مآل الشر والحسرة والعقوبة الأبدية. 57
لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فلا يغرك ما متعوا به في الحياة الدنيا، فإن الله، وإن أمهلهم فإنه لا يمهلهم نمتعهم قليلا كل شيء موضعه، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، وأعطى كل حكم شرعي حكمه اللائق به، ومنه هذه الأحكام التي بينها وبين مآخذها وحسنها. 58
ويتقوى ويعرف به رحمة شارعه وحكمته، ولهذا قال: والله عليم حكيم له العلم المحيط بالواجبات والمستحبات والممكنات، والحكمة التي وضعت قال: طوافون عليكم بعضكم على بعض أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوادثكم. كذلك يبين الله لكم الآيات بيانا مقرونا بحكمته، ليتأكد هذه الأحوال الثلاثة فقال: ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أي: ليسوا كغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائما، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت، ولهذا ثيابكم من الظهيرة أي: للقائلة، وسط النهار. ففي ثلاثة هذه الأحوال، يكون الممالك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يمكنون من الدخول إلا بإذن، وأما ما عدا النائم يستعمل للنوم في الليل ثوبا غير ثوبه المعتاد، وأما نوم النهار، فلما كان في الغالب قليلا، قد ينام فيه العبد بثيابه المعتادة، قيده بقوله: وحين تضعون الحلم منهم. قد ذكر الله حكمته وأنه ثلاث عورات للمستأذن عليهم، وقت نومهم بالليل بعد العشاء، وعند انتباههم قبل صلاة الفجر، فهذا في الغالب أن أمر المؤمنين أن يستأذنهم ممالكهم، والذين لم يبلغوا

بالإنزال فكل حكم شرعي رتب على البلوغ، حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف، هل يحصل البلوغ بالسن، أو الإنبات للعانة، والله أعلم. 59
الطفل لقوله: طوافون عليكم ومنها: أن الحكم المذكور المفصل، إنما هو لما دون البلوغ، فأما ما بعد البلوغ، فليس إلا الاستئذان. ومنها: أن البلوغ يحصل الهرة: إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات ومنها: جواز استخدام الإنسان من تحت يده، من الأطفال على وجه معتاد، لا يشق على جناح بعدهن ومنها: أن ريق الصبي طاهر، ولو كان بعد نجاسة، كالقيء، لقوله تعالى: طوافون عليكم مع قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الله لما بين الحكم المذكور علله بقوله: ثلاث عورات لكم ومنها: أن الصغير والعبد، مخاطبان، كما أن وليهما مخاطب لقوله: ليس عليكم ولا عليهم أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي، أن يقرن بالحكم، بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجردا عن الدليل والتعليل، لأن يأمر باستئذانهم، إلا عن أمر ما يجوز. ومنها: أن المملوك أيضا، لا يجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير. ومنها: نوم الليل، لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة. ومنها: أن الصغير الذي دون البلوغ، لا يجوز أن يمكن من رؤية العورة، ولا يجوز أن ترى عورته، لأن الله لم ذلك. ومنها: جواز كشف العورة لحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول والغائط، ونحو ذلك. ومنها: أن المسلمين كانوا معتادين للقيولة وسط النهار، كما اعتادوا بحفظ العورات، والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن المحل والمكان، الذي هو مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه، أنه منهي عن الاغتسال فيه والاستنجاء، ونحو الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم الآية، ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ومنها: الأمر الصغير، مخاطبان بتعليم عبيدهم ومن تحت ولايتهم من الأولاد، العلم والآداب الشرعية، لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم حتى تستأنسوا الآية. كذلك يبين الله لكم الآيات ويوضحها، ويفصل أحكامها والله عليم حكيم وفي هاتين الآيتين فوائد، منها: أن السيد وولي كما استأذن الذين من قبلهم أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم، هم الذين ذكرهم الله بقوله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم وهو إنزال المني يقظة أو ناما، فليستأذنوا

تفسير السعدي

أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين سماها شهادة، لأنها نائبة مناب الشهود، بأن يقول: أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميتها به. 6
يرمون أزواجهم أي: الحرائر لا المملوكات. ولم يكن لهم على رميهم بذلك شهداء إلا أنفسهم بأن لم يقيموا شهداء، على ما رموهم به فشهادة التي يدنسها ما يدنسها إلا إذا كان صادقا، ولأن له في ذلك حقا، وخوفا من إلحاق أولاد ليسوا منه به، ولغير ذلك من الحكم المفقودة في غيره فقال: والذين وإنما كانت شهادات الزوج على زوجته، دائرة عنه الحد، لأن الغالب، أن الزوج لا يقدم على رمي زوجته،

منه الفتنة، والله سميع لجميع الأصوات عليهم بالنيات والمقاصد، فليحذرن من كل قول وقصد فاسد، وليعلمن أن الله يجازي على ذلك. 60
يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج وأن يستعففن خير لهن والاستعفاف: طلب العفة، بفعل الأسباب المقتضية لذلك، من تزوج وترك لما يخشى من تجمل بثياب ظاهرة، وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها، ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن مجرد الزينة على الأنثى، ولو مع تسترها، ولو كانت لا تشتهي نفى الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: غير متبرجات بزينة أي: غير مظهرات للناس زينة، كالخمار ونحوه، الذي قال الله فيه للنساء: وليضربن بخمرهن على جيوبهن فهؤلاء، يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لآمن المحذور منها وعليها، ولما كان فيهن، وذلك لكونها عجوزا لا تشتهي، أو دميعة الخلقة لا تشتهي ولا تشتهي فليس عليهن جناح أي: حرج وإثم أن يضعن ثيابهن أي: الثياب الظاهرة، والقواعد من النساء أي: اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة اللاتي لا يرجون نكاحا أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يطمعن

السائل المعتاد. وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض. 61
ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان. وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه. وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء، للعرف والعادة، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك. وفي هذه الآيات دليل على قاعدة عامة كلية وهي: أن العرف والعادة الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وأدائها أجل الآداب، ولأن الجزء من جنس العمل، كذلك يبين الله لكم الآيات الدالات على أحكامه الشرعية وحكمها، لعلكم تعقلون عنه فتفهمونها، وتعقلونها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والآداب والنماء والزيادة، طيبة لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيبة نفس للمحبا، ومحبة وجلب مودة. لما بين لنا هذه الأحكام الجليلة قال: إذ تدخلون البيوت، تحية من عند الله أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، مباركة لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة فقال: تحية من عند الله مباركة طيبة أي: سلامكم بقولكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وتراحمهم، وتعاطفهم، فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق بين بيت وبيت، والاستئذان تقدم أن فيه تفصيلا في أحكامه، ثم مدح هذا السلام سواء كان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها الإنسان فسلموا على أنفسكم أي: فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين كأنهم شخص واحد، من تواددهم، وحده، وهذا نفى للحرج، لا نفى للفضيلة وإلا فالأفضل الاجتماع على الطعام. فإذا دخلتم بيوتا نكرة في سياق الشرط، يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، الحرج، نظرا للحكمة والمعنى. وقوله: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فكل ذلك جائز، أكل أهل البيت الواحد جميعا، أو أكل كل واحد منهم الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قدر في أحد من هؤلاء عدم المسامحة والشح في الأكل المذكور، لم يجز الأكل، ولم يرتفع المنفي عن الأكل من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين قد جرت العادة والعرف، بالمسامحة في فقط. والثاني: أن بيوت الممالك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لنفي الحرج عنه. أو صديقكم وهذا الحرج لوجهين: أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه ملكته مفتاحه بل يقال: ما ملكتموه أو ما ملكت أيما ناكم لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاحته خالاتكم وهؤلاء معروفون، أو ما ملكتم مفتاحه أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة، أو ولاية ونحو ذلك، وأما تفسيرها بالمملوك، فليس بوجه، فليس فيه أدنى توهم. أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت نفسه، فإن هذا من باب تحصیل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه أنت ومالك لأبيك والحديث الآخر: إن أطيّب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم وليس المراد من قوله: من بيوتكم بيت الإنسان أطلق الكلام في ذلك، ولم يقيد، كما قيد قوله: ولا على أنفسكم أي: حرج أن تأكلوا من بيوتكم أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الثابت: الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور يخبر تعالى عن منته على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين

أن يكون مقصرا في الاستئذان، ولهذا قال: واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم يغفر لهم الذنوب ويرحمهم، بأن جوز لهم الاستئذان مع العذر. 62
كان في قعوده وعدم ذهابه مصلحة برأيه، أو شجاعته، ونحو ذلك، لم يأذن له، ومع هذا إذا استأذن، وأذن له بشرطيه، أمر الله رسوله أن يستغفر له، لما عسى والثاني: أن يشاء الإذن فتقتضيه المصلحة، من دون مضرة بالآذن، قال: فإذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فإذا كان له عذر واستأذن، فإن ولكن هل يأذن لهم أم لا؟ ذكر لإذنه لهم شرطين: أحدهما: أن يكون لشأن من شئونهم، وشغل من أشغالهم، فأما من يستأذن من غير عذر، فلا يؤذن له.

تفسير السعدي

الإيمان، عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله بالله ورسوله حقاً، لا يذهب لأمر من الأمور، لا يرجع لأهله، ولا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب أن يكونوا فيه جميعاً، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته،

فكيف بمن لم يذهب إلى شأن من شئونه؟ وإنما ترك أمر الله من دون شغل له. أن تصيبيهم فتنة أي: شرك وشر أو يصيبيهم عذاب أليم 63 فالله يعلمهم، وسيجازيهم على ذلك أتم الجزاء، ولهذا توعدهم بقوله: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي: يذهبون إلى بعض شئونهن عن أمر الله ورسوله، فهو وإن خفي عليكم بذهابه على وجه خفي، وهو المراد بقوله: يتسللون منكم لوذا أي: يلوذون وقت تسللهم وانطلاقهم بشيء يحجبهم عن العيون، منكم لوذا لما مدح المؤمنين بالله ورسوله، الذين إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه، توعدهم من لم يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، كما يقول ذلك بعضهم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه صلى الله عليه وسلم عن غيره، أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله. قد يعلم الله الذين يتسللون إذا دعاكم لما يحبيكم وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضهم بعضاً، فلا تقولوا: يا محمد عند ندائكم، أو يا محمد بن عبد الله أحد إذا قال قولاً يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول، لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم وكما يحبب إليكم فإن كنتم إخواناً لم تنفكوا من بين يديه ولا من بين يمينه وأولئك هم المفلحون 24

منهم، ويستشهد عليهم أعضاءهم، فلا يعدمون منه فضلاً أو عدلاً. ولما قيد علمه بأعمالهم، ذكر العموم بعد الخصوص، فقال: والله بكل شيء عليم 64 عليكم الحفظة الكرام الكاتبون. ويوم يرجعون إليه في يوم القيامة فينبئهم بما عملوا يخبرهم بجميع أعمالهم، دقيقها وجليلها، إخباراً مطابقاً لما وقع وحكمه الشرعي. قد يعلم ما أنتم عليه أي: قد أحاط علمه بما أنتم عليه، من خير وشر، وعلم جميع أعمالكم، أحصاها علمه، وجرى بها قلمه، وكتبها ألا إن لله ما في السماوات والأرض ملكاً وعبداً، يتصرف فيهم بحكمه القدري،

الدليل، أنه يقام عليها الحد، بدليل قوله: ويدراً عنها العذاب أن تشهد إلى آخره، فلولا أن العذاب وهو الحد قد وجب بلعانه، لم يكن لعانها دارناً له. 7 ولو سمي الرجل الذي رماها به، فإنه يسقط حقه تبعاً لها. وهل يقام عليها الحد، بمجرد لعان الرجل ونكولها أم تحبس؟ فيه قولان للعلماء، الذي يدل عليه أي: يزيد في الخامسة مع الشهادة المذكورة، مؤكداً تلك الشهادات، بأن يدعو على نفسه، باللعنة إن كان كاذباً، فإذا تم لعانه، سقط عنه حد القذف، ظاهر الآيات، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين

ويدراً عنها، أي: يدفع عنها العذاب، إذ قابلت شهادات الزوج، بشهادات من جنسها. أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين 8 مختص بالزوج إذا رمى امرأته، لا بالعكس، وأن الشبه في الولد مع اللعان لا عبرة به، كما لا يعتبر مع الفراش، وإنما يعتبر الشبه حيث لا مرجح إلا هو. 9 عليه، وظاهر الآيات يدل على اشتراط هذه الألفاظ عند اللعان، منه ومنها، واشتراط الترتيب فيها، وأن لا ينقص منها شيء، ولا يبدل شيء بشيء، وأن اللعان وتزيد في الخامسة، مؤكدة لذلك، أن تدعو على نفسها بالغضب، فإذا تم اللعان بينهما، فرق بينهما إلى الأبد، وانتفى الولد الملاحق

سورة 25

الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدى، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته. 1 عبده للعالمين نذيراً ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة السعادة من أهل الشقاوة، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين، ليكون ذلك الإنزال للفرقان على فقال: تبارك أي: تعظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرد بالوحدانية من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه

عنده في غاية البعد والحقارة أعطى منها أوليائه ورسله ما اقتضته حكمته منها، واقتراح أعدائهم بأنهم هلا رزقوا منها رزقا كثيراً جداً ظلم وجراءة. 10 قالوا، ثم فسره بقوله: جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً مرتفعة مزخرفة، فقدرته ومشيتته لا تقصر عن ذلك ولكنه تعالى لما كانت الدنيا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك أي: خيراً مما

واحدة وهي نزول العذاب به، فلهاذا قال: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً أي: نارا عظيمة قد اشتد سعيرها، وتغيظت على أهلها واشتد زفيرها. 11 من ذلك ولهذا قال: بل كذبوا بالساعة والمكذب المتعنت الذي ليس له قصد في اتباع الحق، لا سبيل إلى هدايته ولا حيلة في مجادلته وإنما له حيلة التي قالوها معلومة الفساد أخبر تعالى أنها لم تصدر منهم لطلب الحق، ولا لاتباع البرهان وإنما صدرت منهم تعنتاً وظلماً وتكذيباً بالحق، فقالوا ما بقلوبهم ولما كانت تلك الأقوال

تفسير السعدي

تقلق منهم الأفئدة وتتصدع القلوب، ويكاد الواحد منهم يموت خوفا منها وذعرا قد غضبت عليهم لغضب خالقها وقد زاد لديها كفرهم وشرهم. 12
إذا رأته من مكان بعيد أي: قبل وصولهم ووصولها إليهم، سمعوا لها تغيظا عليهم وزفيرا

وعلموا أنهم ظالمون معتدون، قد عدل فيهم الخالق حيث أنزلهم بأعمالهم هذا المنزل، وليس ذلك الدعاء والاستغاثة بنافعة لهم ولا مغنية من عذاب الله 13
وتقرينهم بالسلاسل والأغلال، فإذا وصلوا لذلك المكان التحس وحسوا في أشر حبس دعوا هنالك ثورا دعوا على أنفسهم بالثبور والخزي والفضيحة
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين أي: وقت عذابهم وهم في وسطها، جمع في مكان بين ضيق المكان وتزاحم السكان
: لا تدعوا اليوم ثورا واحدا وادعوا ثورا كثيرا أي: لو زاد ما قلتم أضعاف أضعافه ما أفادكم إلا الهم والغم والحزن. 14

الله فمن قام بالتقوى فالله قد وعده إياها، كانت لهم جزاء على تقواهم ومصيرا موثلا يرجعون إليها، ويستقرون فيها ويخلدون دائما أبدا. 15
لهم مبينا لسفاهة رأيهم واختيارهم الضار على النافع: أذلك الذي وصفت لكم من العذاب خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون التي زادها تقوى

أي: قل

من قضيت على أقوام بالشقاء وأقوام بالسعادة أن تجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة، ونستغيث بك اللهم من حالة الأشقياء ونسألك المعافاة منها. 16
دار الشقاء أو عمال دار السعادة أولى بالفضل والعقل والفخر يا أولي الأبواب؟ لقد وضح الحق واستنار السبيل فلم يبق للمفرط عذر في تركه الدليل، فزجوك يا
إليها على ربك وعدا مسئولا يسأله إياها، عباده المتقون بلسان حالهم ولسان مقالهم، فأى الدارين المذكورتين خير وأولى بالإيثار؟ وأي: العاملين عمال
كلامه، والحظوة بقربه والسعادة برضاه والأمن من سخطه واستمرار هذا النعيم ودوامه وزيادته على ممر الأوقات وتعاقب الآتات كان دخولها والوصول
مزخرفة، وأصوات شجية تأخذ من حسناتها بالقلوب ومزاورة الإخوان، والتمتع بقاء الأحباب، وأعلى من ذلك كله التمتع بالنظر إلى وجه الرب الرحيم وسماع
يصرفونها ويفجرونها أنهارا من ماء غير آسن وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه وأنهارا من خمر لذة للشاربين وأنهارا من عسل مصفى وروائح طيبة، ومسكن
والحدائق المرجحة والفواكه التي تسر ناظرها وأكلها، من حسناتها وتنوعها وكثرة أصنافها والأنهار التي تجري في رياض الجنة وبساتينها، حيث شاءوا
فيها ما يشاءون أي: يطلبون وتتعلق بهم أمانيتهم ومشيتهم، من المطاعم والمشارب اللذيذة والملابس الفاخرة والنساء الجميلات والقصور العالياات والجنات
لهم

على وجه التقرير لمن بعدهم: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل هل أمرتموهم بعبادتكم وزينتم لهم ذلك أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟ 17
يوم القيامة وتبريهم منهم، وطلان سعيهم فقال: ويوم يحشرهم أي: المكذبين المشركين وما يعبدون من دون الله فيقول الله مخاطبا للمعبودين

يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم

الدنيا الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضي للهدى وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عدم المقتضي ووجد المانع فلا تشاء من شر وهلاك، إلا وجدته فيهم 18
وضيعوا دينهم وكانوا قوما بورا أي: بائرين لا خير فيهم ولا يصلحون لصالح لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى وهو التمتع في
ولكن تمتعتهم وآباءهم في لذات الدنيا وشهواتها ومطالبها النفسية، حتى نسوا الذكر اشتغالا في لذات الدنيا وإكبابا على شهواتها، فحافظوا على دنياهم
كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فلما نزهوا أنفسهم أن يدعوا لعبادة غير الله أو يكونوا أضلوهم ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا:
جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون وإذا حشر الناس
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم الآية. وقال تعالى: ويوم نحشرهم
قال الله يا عيسى ابن مريم أأننت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته
عبادة غيرك، فكيف نأمر أحدا بعبادتنا؟ هذا لا يكون أو، سبحانه عن أن نتخذ من دونك من أولياء وهذا كقول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: وإذا
كان ينبغي لنا أي: لا يليق بنا ولا يحسن منا أن نتخذ من دونك من أولياء نتولاهم ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك متبرئين من
قالوا سبحانه نزهوا الله عن شرك المشركين به وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ما

منهم الذي عرف الحق وصدف عنه فقال في حقه: ومن يظلم منكم بترك الحق ظلما وعنادا ندقه عذابا كبيرا لا يقادر قدره ولا يبلغ أمره. 19
عنكم بفعلكم أو بفداء أو غير ذلك، ولا نصرا لعجزكم وعدم ناصرهم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين كما رأيت أسوأ حكم، وأشر مصير. وأما المعاند
بعبادتهم ورضوا بفعلكم، وأنهم شفعاء لكم عند ربكم، كذبوكم في ذلك الزعم وصاروا من أكبر أعدائكم فحق عليكم العذاب، فما تستطيعون صرفا للعذاب
فلما تبرؤوا منهم قال الله توبخا وتقريعا للعابدين فقد كذبوكم بما تقولون إنهم أمروكم

وكثرة إحسانه كان ذلك مقتضيا لأن يكون وحده المحبوب المألوه المعظم المفرد بالإخلاص وحده لا شريك له ناسب أن يذكر بطلان عبادة ما سواه. 2
قال تعالى: سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقال تعالى: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ولما بين كماله وعظمته
صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه.
السفلي من حيواناته ونباتاته وجماداته، فقره تقديرا أي: أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث
ولا يتصرفون إلا بإذنه فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك ولهذا قال: وخلق كل شيء شمل العالم العلوي والعالم

تفسير السعدي

الوجوه، والمخلوقون مفتقرون إليه فقرا ذاتيا من جميع الوجوه؟ وكيف يكون له شريك في الملك ونواصي العباد كلهم بيديه، فلا يتحركون أو يسكنون لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وكيف يكون له ولد أو شريك وهو المالك وغيره مملوك، وهو القاهر وغيره مقهور وهو الغني بذاته من جميع الذي له ملك السماوات والأرض أي: له التصرف فيهما وحده، وجميع من فيهما ممالك وعبيد له مدعون لعظمته خاضعون لربوبيته، فقراء إلى رحمته الذي

وكان ربك بصيرا يعلم أحوالكم، ويصطفي من يعلمه يصلح لرسالته ويختصه بتفضيله ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 20 والابتلاء والاختبار. والقصد من تلك الفتنة أتصبرون فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبه فيثيبكم مولاكم أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة؟ إليهم واختبار للمطيعين من العاصين والرسول فتناهم بدعوة الخلق، والغنى فتنة للفقير والفقر فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار دار الفتن الطعام وما جعلناهم ملائكة، فلك فيهم أسوة، وأما الغنى والفقر فهو فتنة وحكمة من الله تعالى كما قال: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الرسول فتنه للمرسل الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فما جعلناهم جسدا لا يأكلون ثم قال تعالى جوابا لقول المكذبين: مال هذا

بالإعراض والتكذيب والمعارضة، فأى عتو أكبر من هذا العتو؟ ولذلك بطلت أعمالهم واضمحلت، وخسروا أشد الخسران، وحرّموا غاية الحرمان. 21 تلين للحق، ولا تصغى للناصحين فلذلك لم ينجع فيهم وعظ ولا تذكير ولا اتبعوا الحق حين جاءهم النذير، بل قابلوا أصدق الخلق وأنصحهم وآيات الله البينات ثبوتها على ذلك؟ وأي كبر أعظم من هذا؟ وعتوا عتوا كبيرا أي: قسوا وصلبوا عن الحق قساوة عظيمة، فقلوبهم أشد من الأحجار وأصلب من الحديد لا استكبروا في أنفسهم حيث اقترحوا هذا الاقتراح وتجروا هذه الجرأة، فمن أنتم يا فقراء ويا مساكين حتى تطلبوا رؤية الله وتزعموا أن الرسالة متوقف عليها أو تنزل رسلا مستقلين، أو نرى ربنا فيكلمنا ويقول: هذا رسولي فاتبعوه؟ وهذا معارضة للرسول بما ليس بمعارض بل بالتكبر والعلو والعتو. لقد ووعيده الذين ليس في قلوبهم خوف الوعيد ولا رجاء لقاء الخالق. لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أي: هلا نزلت الملائكة تشهد لك بالرسالة وتؤكد أي: قال المكذبون للرسول المكذبون بوعد الله

مفر لهم. ويقولون حجرا محجورا يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان 22 ويباشرون عقابهم، فهذا الذي اقترحوه وهذا الذي طلبوه إن استمروا على إجرامهم لا بد أن يروه ويلقوه، وحينئذ يتعذون من الملائكة ويفرون ولكن لا جوابا ينجيهم فيحلون بهم النقمة، وتزول عنهم بهم الرحمة، ثم يوم القيامة حين تسوقهم الملائكة إلى النار ثم يسلمونهم لخزنة جهنم الذين يتولون عذابهم الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ثم في القبر حيث يأتيهم منكر ونكير فيسألهم عن ربهم ونبئهم ودينهم فلا يجيبون عند الموت إذا نزلت عليهم الملائكة قال الله تعالى: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب التي اقترحوا نزولها لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك أنهم لا يرونها مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم إلا لعقوبتهم وحلول البأس بهم، فأول ذلك يوم يرون الملائكة

وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسول المتبع لهم فيه. 23 وقدمنا إلى ما عملوا من عمل أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرا لهم وتعبوا فيها، فجعلناه هباء منثورا أي باطلا مضمحلا قد خسروه وحرّموا أجره

من باب استعمال أفعال التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر منه شيء لأنه لا خير في مقيل أهل النار ومستقرهم كقوله: آله خير أما يشركون 24 هي القيلولة، هو المستقر النافع والراحة التامة لاشتغال ذلك على تمام النعيم الذي لا يشوبه كدر، بخلاف أصحاب النار فإن جهنم ساءت مستقرا ومقيلا وهذا أصحاب الجنة الذين آمنوا بالله وعملوا صالحا واتقوا ربهم خير مستقرا من أهل النار وأحسن مقيلا أي: مستقرهم في الجنة وراحتهم التي أي: في ذلك اليوم الهائل كثير البلبال

من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب. 25 ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها السبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه في يوم القيامة لاسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقوله: الملك يومئذ أي: يوم القيامة الحق للرحمن لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا وكان يوما على الكافرين عسيرا لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل. يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا بالعظام، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجوز ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: على كثرتهم وقوتهم ينزلون محيطين بالخلق مدعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصا الذي بارز ماله

تفسير السعدي

وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا، إما صفا واحدا محيطا بالخالق، وإما كل سماء يكونون صفا ثم السماء التي تليها صفا وهكذا. القصد أن الملائكة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ويوم تشقق السماء بالغمام وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات فتتفطر له السماوات وتشقق تفسير الآيتين 25 و26 يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة

من أنفسهم ووالديهم فما ظنك بما يعاملهم به، ولا يهلك على الله إلا هالك ولا يخرج من رحمته إلا من غلبت عليه الشقاوة وحقت عليه كلمة العذاب. 26 ليتم عليه نعمته، وليتغمده برحمته، وقد حضروا في موقف الذل والخضوع والاستكانة بين يديه ينتظرون ما يحكم فيهم وما يجري عليهم وهو أرحم بهم كل نقص، وغلبت الأسماء الدالة عليه الأسماء الدالة على الغضب وسبقت رحمته غضبه وغلبته، فلها سبق والغلبة، وخلق هذا الآدمي الضعيف وشرفه وكرمه في يوم القيامة لاسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء وعمت كل حي وملأت الكائنات وعمرت بها الدنيا والآخرة، وتم بها كل ناقص وزال بها في الدنيا، بل قد تساوت الملوك ورعاياهم والأحرار والعبيد والأشراف وغيرهم، ومما يرتاح له القلب، وتطمئن به النفس وينشرح له الصدر أن أضاف الملك ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقوله: الملك يومئذ أي: يوم القيامة الحق للرحمن لا يبقى لأحد من المخلوقين ملك ولا صورة ملك، كما كانوا وكان يوما على الكافرين عسيرا لصعوبته الشديدة وتعسر أموره عليه، بخلاف المؤمن فإنه يسير عليه خفيف الحمل. يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا بالعظام، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها، فيحكم فيه الملك الحق بالحكم الذي لا يجوز ولا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال: على كثرتهم وقوتهم ينزلون محيطين بالخلق مذعنين لأمر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصا الذي بارز ماله وتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفا صفا، إما صفا واحدا محيطا بالخالق، وإما كل سماء يكونون صفا ثم السماء التي تليها صفا وهكذا. القصد أن الملائكة والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ويوم تشقق السماء بالغمام وذلك الغمام الذي ينزل الله فيه، ينزل من فوق السماوات فتتفطر له السماوات وتشقق تفسير الآيتين 25 و26 يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدة

وتكذيبه للرسول على يديه تأسفا وتحسرا وحزنا وأسفا. يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا أي طريقا بالإيمان به وتصديقه واتباعه. 27 ويوم يعرض الظالم بشركه وكفره أي: حبيبا مصافيا عاديت أنصح الناس لي، وأبرهم بي وأرفقهم بي، وواليت أعدى عدو لي الذي لم تفدني ولايته إلا الشقاء والخسار والخزي والبوار. 28 يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا وهو الشيطان الإنسي أو الجني، خليلا

العبد لنفسه وقت الإمكان وليتدارك الممكن قبل أن لا يمكن، وليوال من ولايته فيها سعادته وليعاد من تنفعه عداوته وتضره صداقته. والله الموفق. 29 من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل الآية. فلينظر لجميع أتباعه حين قضي الأمر، وفرغ الله من حساب الخلق وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم ما هو عليه من الضلال بخدعه وتسويله. وكان الشيطان للإنسان خذولا يزين له الباطل ويقبح له الحق، ويعده الأمانى ثم يتخلى عنه ويتبرأ منه كما قال لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني حيث زين له

ليوم النشور، وقد جعل لهم دارين دار الشقاء والخزي والنكال لمن اتخذ معه آلهة أخرى، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم لمن اتخذ وحده معبودا. 3 آلهة وشركاء للخالق لسائر المخلوقات من غير مشاركة له في ذلك، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي يحيي ويميت ويبعث من في القبور ويجمعهم لأنه نكرة في سياق النفي. ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أي: بعثا بعد الموت، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها وفساد عقل من اتخذها في كمال العجز أنها لا تقدر على خلق شيء بل هم مخلوقون، بل بعضهم مما عملته أيديهم. ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا أي: لا قليلا ولا كثيرا، أي: من أعجب العجائب وأدل الدليل على سفههم ونقص عقولهم، بل أدل على ظلمهم وجراءتهم على ربهم أن اتخذوا آلهة بهذه الصفة،

اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي: قد أعرضوا عنه وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه 30 وقال الرسول مناديا لربه وشاكيا له إعرض قومه عما جاء به، ومتأسفا على ذلك منهم: يا رب إن قومي الذي أرسلتني لهدايتهم وتبليغهم، فيحصل لك المطلوب ومصالح دينك ودنياك. ونصيرا ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كل مكروه في أمر الدين والدنيا فاكثف به وتوكل عليه. 31 وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة، فلا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وكفى بربك هاديا يهديك من بعض فوائد ذلك أن يعلو الحق على الباطل وأن يتبين الحق ويتضح اتضاحا عظيما لأن معارضة الباطل للحق مما تزيده وضوحا وبيانا وكمال استدلال فقال: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي: من الذين لا يصلحون للخير ولا يزكون عليه يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل. قال الله مسلينا لرسوله ومخبرا أن هؤلاء الخلق لهم سلف صنعوا كصنيعهم

وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعل إنزال كتابه جاريا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية. 32 حدوث السبب يكون له موقع عظيم وتبويب كثير أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه. ورتلناه ترتيلا أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجا. كذلك أنزلناه متفرقا لنثبت به فؤادك لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتا وخصوصا عند ورود أسباب القلق فإن نزول القرآن عند لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي: كما أنزلت الكتب قبله، وأي محذور من نزوله على هذا الوجه؟ بل نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن، ولهذا قال:

هذا من جملة مقترحات الكفار الذي توحيه إليهم أنفسهم فقالوا:

يفهم منها، فإذا على قولهم لا يكون القرآن أحسن تفسيراً من غيره، وإنما التفسير الأحسن على زعمهم تفسيرهم الذي حرفوا له المعاني تحريفاً. 33 والمواظ على الموافقة لذلك. وفيه رد على المتكلمين من الجهمية ونحوهم ممن يرى أن كثيراً من نصوص القرآن محمولة على غير ظاهرها ولها معان غير ما يقتدي بربه في تدبيره حال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً وأحسن تفسيراً مبيناً للمعاني بيانياً كاملاً. وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم، وواظ أن أي: أنزلنا عليك قرآناً جامعاً للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه ولهذا قال: ولا يأتونك بمثل يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً

الطرف الآخر منه شيء فإن المؤمنين حسن مكانهم ومستقرهم، واهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم وفي الآخرة إلى الوصول إلى جنات النعيم. 34 وعقوبة. أولئك الذين بهذه الحالة شر مكاناً ممن آمن بالله وصدق رسوله، وأضل سبيلاً وهذا من باب استعمال أفضل التفضيل فيما ليس في كذبوا رسوله وسوء مآلهم، وأنهم يحشرون على وجوههم أشنع مرأى، وأفطع منظر تسحبهم ملائكة العذاب ويجرونهم إلى جهنم الجامعة لكل عذاب يخبر تعالى عن حال المشركين الذين

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 35 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 36 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 37 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 38 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقى معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 39 هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرنون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسولهم ليسوا خيراً من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريباً منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عياناً كقوم صالح في الحجر وكالقريّة تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

لا يمكنه، لا هو ولا سائر الخلق أن يأتوا بهذا القرآن الذي هو أجل الكلام وأعلاه وأنه لم يجتمع بأحد يعينه على ذلك فقد جاءوا بهذا القول ظلماً وزوراً. 4 وإقدام على الظلم والزور، الذي لا يمكن أن يدخل عقل أحد وهم أشد الناس معرفة بحالة الرسول صلى الله عليه وسلم وكمال صدقه وأمانته وبره التام وأنه أن قالوا في القرآن والرسول: إن هذا القرآن كذب كذبه محمد وإفك افتراه على الله وأعانه على ذلك قوم آخرون. فرد الله عليهم ذلك بأن هذا مكابرة منهم أي: وقال الكافرون بالله الذي أوجب لهم كفرهم

تفسير السعدي

فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقي معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا ارتياب. 40 هؤلاء أكفاركم خير من أولئك أم لكم براءة في الزبر ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان مع ما شاهدوا من الآيات أنهم كانوا لا يرجون بعثا ولا نشورا، التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمررون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا خيرا من رسول فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم. ومنهم من يرون آثارهم عيانا كقوم صالح في الحجر وكالقرية تفسير الآيات من 35 إلى 40 أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم

قد جمع من السفه والجهل والضلال والتناقض والظلم والعدوان ما لا يجمعه غيره، وحسبه جهلا وضلالا أن يقدح بهذا الرسول العظيم والهامم الكريم. 41 وهما مهم ومقدمهم في العقل والعلم واللب والرزانة، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والعفة والشجاعة والكرم وكل خلق فاضل، وأن المحتقر له والشأن له وهو متجاهل، قصده ترويح ما معه من الباطل بالقدح بالحق وبمن جاء به، وإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وجده رجل العالم الرسالة لغيره لكان أنسب. وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عنادا أن يبعث الله هذا الرجل، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم وقلوبهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول حاشاه في غاية الخسة والحقارة وأنه لو كانت الله المستكبرون في الأرض استهزؤوا بك واحتقروك وقالوا على وجه الاحتقار والاستصغار أهذا الذي بعث الله رسولا أي: غير مناسب ولا لائق أي: وإذا رأيك يا محمد هؤلاء المكذبون لك المعاندون لآيات

يرون العذاب يعلمون علما حقيقيا من هو أضل سبيلا ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الآيات. 42 وتواصوا بالصبر ولما كان هذا حكما منهم بأنهم المهتدون والرسول ضال وقد تقرر أنهم لا حيلة فيهم توعدهم بالعذاب وأخبر أنهم في ذلك الوقت حين في المواضع كلها، إلا في هذا الموضع فإنه صبر على أسباب الغضب وعلى الاستكثار من حطب جهنم. وأما المؤمنون فهم كما قال الله عنهم: وتواصوا بالحق ما هم عليه من الشرك فهذا تواصوا بالصبر عليه. وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم وهنا قالوا: لولا أن صبرنا عليها والصبر يحمد إن كاد هذا الرجل ليضلنا عن آلهتنا بأن يجعل الآلهة إلهًا واحدا لولا أن صبرنا عليها لأضلنا زعموا قبحهم الله أن الضلال هو التوحيد وأن الهدى والقصد من قدحهم فيه واستهزأهم به تصلبهم على باطلهم وغرورا لضعفاء العقول ولهذا قالوا:

يحكم لنفسه بالمنازل الرفيعة؟ أفأنت تكون عليه وكيفا أي: لست عليه بمسيطر مسلط بل إنما أنت منذر، وقد قمت بوظيفتك وحسابه على الله. 43 فوق ضلال من جعل إلهه معبوده هو ما هو به فعله فهذا قال: أرايت من اتخذ إلهه هواه ألا تعجب من حاله وتنظر ما هو فيه من الضلال؟ وهو

وهل

طريق هلاكها فتجتنبه وهي أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء، فتبين بهذا أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف وأن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه. 44 في ضلالهم بالأنعام السائمة التي لا تسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل هم أضل من الأنعام لأن الأنعام يهديها راعيها فتتهدي وتعرف ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع وشبههم

العباد الظل وذلك قبل طلوع الشمس ثم جعلنا الشمس عليه أي: على الظل دليلا فلولا وجود الشمس لما عرف الظل فإن الضد يعرف بضده. 45 أي: ألم تشاهد ببصرك وبصيرتك كمال قدرة ربك وسعة رحمته، أنه مد على

بسبب ذلك من أدل دليل على قدرة الله وعظمته وكمال رحمته وعنايته بعباده وأنه وحده المعبود المحمود المحبوب المعظم، ذو الجلال والإكرام. 46 فتوالي الظل والشمس على الخلق الذي يشاهدونه عيانا وما يترتب على ذلك من اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وتعاقب الفصول، وحصول المصالح الكثيرة ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا فكلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئا فشيئا، حتى يذهب بالكلية

الظلام لتعطلت عليهم معاشهم ومصالحهم، ولكنه جعل النهار نشورا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح. 47 فيه وتهدؤوا بالنوم وتسبت حركاتكم أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل لما سكن العباد ولا استمروا في تصرفهم فضرهم ذلك غاية الضر، ولو استمر أيضا أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يفساكم، حتى تستقروا

وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟ 48 النوبات والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وأنزلنا من السماء ماء طهورا يظهر من الحدث والخبث ويظهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف بها السحاب وتألّف وصار كسفا وألحقته وأدرته بإذن أمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة. تفسير الآيتين 48 و49 أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فتأر

وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره؟ 49 النوبات والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وأنزلنا من السماء ماء طهورا يظهر من الحدث والخبث ويظهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف

تفسير السعدي

بها السحاب وتألف وصار كسفا وألقحته وأدركته بإذن أمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة. تفسير الآيتين 48 و49 أي: هو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فتار

كل وجه بصفة من صفاته، وهي الكلام. ومنها: أن الرسول قد علمت حالته وهم أشد الناس علما بها، أنه لا يكتب ولا يجتمع بمن يكتب له وقد زعموا ذلك. 5. الكلام وأعظمه وأجله بأنه كذب وافتراء. ومنها: أن في ضمن ذلك أنهم قادرون أن يأتوا بمثله وأن يضاهي المخلوق الناقص من كل وجه للخالق الكامل من وهذا القول منهم فيه عدة عظام: منها: رميهم الرسول الذي هو أبر الناس وأصدقهم بالكذب والجرأة العظيمة. ومنها: إخبارهم عن هذا القرآن الذي هو أصدق أساطير الأولين اكتتبها أي: هذا قصص الأولين وأساطيرهم التي تتلقاها الأفواه وينقلها كل أحد استنسخها محمد فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا ومن جملة أقاويلهم فيه أن قالوا: هذا الذي جاء به محمد

ولما ذكر تعالى هذه الآيات العيانة المشاهدة وصرفها للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه مع ذلك أبي أكثر الخلق إلا كفورا، لفساد أخلاقهم وطبائعهم. 50 قاصرة عن ذلك، ولكن اقتضت حكمته ورحمته بك وبالعباد يا محمد أن أرسلك إلى جميعهم أحمرهم وأسودهم عربيهم وعجميهم إنهم وجنهم. 51 يخبر تعالى عن نفوذ مشيئته وأنه لو شاء لبعث في كل قرية نذيرا، أي: رسولا ينذرهم ويحذرهم فمشيئته غير وقمع الباطل إلا بذلته ولو رأيت منهم من التكذيب والجرأة ما رأيت فابذل جهدك واستفرغ وسعك، ولا تيأس من هدايتهم ولا تترك إبلاغهم لأهوائهم. 52 الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به بل ابذل جهدك في تبليغ ما أرسلت به. واجهدهم بالقرآن جهادا كبيرا أي: لا تبق من مجهودك في نصر الحق فلا تطع

للعباد، وجعل بينهما برزخا أي: حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها وحجرا محجورا أي: حاجزا حصينا. 53 أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان البحر العذب وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض والبحر الملح وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة والمادة كلها من ذلك الماء المهيمن، فهذا يدل على كمال اقتداره لقوله: وكان ربك قديرا ويدل على أن عبادته هي الحق وعبادة غيره باطلة. 54 أي: وهو الله وحده لا شريك له الذي خلق الآدمي من ماء مهين، ثم نشر منه ذرية كثيرة وجعلهم أنسابا وأصهارا متفرقين ومجتمعين، بالنعمة الظاهرة والباطنة، وليس يخرج عن ملكه وسلطانه وقبضته والله لم يقطع عنه إحسانه وبره وهو بجهله مستمر على هذه المعادة والمبارزة. 55 الذي هو الأوثان والأنداد أعداء لله، فالكافر عاونها وظاهرها على ربها وصار عدوا لربه مبارزا له في العداوة والحرب، هذا وهو الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه والعطاء والمنع مع أن الواجب عليهم أن يكونوا مقتدين بإرشادات ربهم ذابين عن دينه، ولكنهم عكسوا القضية. وكان الكافر على ربه ظهيرا فالباطل أي: يعبدون أصناما وأمواتا لا تضر ولا تنفع ويجعلونها أندادا للمالك النفع والضرر

والآجل، ونذيرا ينذر من عصى الله بالعقاب العاجل والآجل وذلك مستلزم لتبيين ما به البشارة وما تحصل به النذارة من الأوامر والنواهي. 56 رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم مسيطرا على الخلق ولا جعله ملكا ولا عنده خزائن الأشياء، وإنما أرسله مبشرا يبشر من أطاع الله بالثواب العاجل يخبر تعالى: أنه ما أرسل

ربه وسبيله فهذا وإن رغبتكم فيه فلست أجبركم عليه وليس أيضا أجرا لي عليكم وإنما هو راجع لمصلحتكم وسلوكم للسبيل الموصلة إلى ربكم 57 القرآن والهدى أجرا حتى يمنهم ذلك من اتباعك ويتكلفون من الغرامة، إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا أي: إلا من شاء أن ينفق نفقة في مرضاة وإنك يا محمد لا تسألهم على إبلاغهم

لا يموت وسبح بحمده أي: اعبدوه وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق. وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعلمها ويجازي عليها. 58 ثم أمره أن يتوكل عليه ويستعين به فقال: وتوكل على الحي الذي له الحياة الكاملة المطلقة الذي أخبركم بذلك وأبان لكم من عظمت ما تستعدون به من معرفته فعرفه العارفون وخضعوا لجلاله، واستكبر عن عبادته الكافرون واستنكفوا عن ذلك 59 على ظاهريهم وباطنيهم وعلاه فوق العرش ومباينته إياهم. فاسأل به خبيرا يعني بذلك نفسه الكريمة فهو الذي يعلم أوصافه وعظمته وجلاله، وقد السماوات والأرض باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصفات. فأثبت بهذه الآية خلقه للمخلوقات وإطلاعه بينهما في ستة أيام ثم استوى بعد ذلك على العرش الذي هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها الرحمن استوى على عرشه الذي وسع فأنت ليس عليك من هداهم شيء وليس عليك حفظ أعمالهم، وإنما ذلك كله بيد الله الذي خلق السماوات والأرض وما

وحيث ما سلف من سيئاتهم وحيث قبل حسناتهم وحيث أعاد الراجع إليه بعد شروده والمقبل عليه بعد إعراضه إلى حالة المطيعين المنيبين إليه. 6 فعلوا أسباب المغفرة وهي الرجوع عن معاصيه والتوبة منها. رحيمًا بهم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقد فعلوا مقتضاها، وحيث قبل توبتهم بعد المعاصي بل دعاهم إلى التوبة والإنابة إليه ووعدهم بالمغفرة والرحمة، إن هم تابوا ورجعوا فقال: إنه كان غفورا أي: وصفه المغفرة لأهل الجرائم والذنوب، إذا من علمه وأحكامه ما يدل دلالة قاطعة على أنه لا يكون إلا من عالم الغيب والشهادة، ومع إنكارهم للتوحيد والرسالة من لطف الله بهم، أنه لم يدهم وظلمهم الله، وهذا لا تقول به طائفة من بني آدم سوى الفلاسفة الدهرية. وأيضا فإن ذكر علمه تعالى العام ينههم: ويحضهم على تدبر القرآن، وأنهم لو تدبروا لرأوا فيه

تفسير السعدي

الله قال له ذلك، والله يعلم كل شيء ومع ذلك فهو يؤيده وينصره على أعدائه، ويمكنه من رقابهم وبلادهم فلا يمكن أحدا أن ينكر هذا القرآن، إلا بعد إنكار علم شيء، فيستحيل ويمتنع أن يقول مخلوق ويتقول عليه هذا القرآن، ويقول: هو من عند الله وما هو من عنده ويستحل دماء من خالفة وأموالهم، وبزعم أن السر كقوله: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ووجه إقامة الحجة عليهم أن الذي أنزله، هو المحيط علمه بكل عليهم ذلك بقوله: قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض أي: أنزله من أحاط علمه بما في السماوات وما في الأرض، من الغيب والشهادة والجهر فلذلك رد

على التكذيب بالرسول واستكبارهم عن طاعته، وزادهم دعوتهم إلى السجود للرحمن نفورا هربا من الحق إلى الباطل وزيادة كفر وشقاء. 60 الحسنی فأسماءه تعالى كثيرة لكثرة أوصافه وتعدد كماله، فكل واحد منها دل على صفة كمال. أنسجد لما تأمرنا أي: لمجرد أمرك إيانا. وهذا مبني منهم عن اتخاذ آلهة مع الله وهو يدعو معه إليها آخر يقول: يا رحمن ونحو ذلك كما قال تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء عنكم جميع النقم. قالوا جحدا وكفرا وما الرحمن بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول أن قالوا: ينهانا وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن أي: وحده الذي أنعم عليكم بسائر النعم ودفع

الخلق الباهر والتدبير المنتظم والجمال العظيم دال على عظمة خالقها في أوصافه كلها، وما فيها من المصالح للخلق والمنافع دليل على كثرة خيراته. 61 وجعل فيها سراجا فيه النور والحرارة وهو الشمس. وقمرنا منيرا فيه النور لا الحرارة وهذا من أدلة عظمتها، وكثرة إحسانه، فإن ما فيها من الشمس والقمر التي تنزل منزلة منزلة وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة فإنها رجوم للشياطين. جوده وكثرة خيراته الدينية والدنيوية ما هو مقتض لتكرار هذا الوصف الحسن فقال: تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وهي النجوم عمومها أو منازل وسعة سلطانه ونفوذ مشيئته وعموم علمه وقدرته وإحاطة ملكه في الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية وكمال حكمته. وفيها ما يدل على سعة رحمته وواسع تبارك ثلاث مرات لأن معناها كما تقدم أنها تدل على عظمة الباري وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها من الاستدلال على عظمتها كرر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله:

فزاد في تذكرها وشكرها، فوظائف الطاعات بمنزلة سقي الإيمان الذي يمدده فلولاً ذلك لذوى غرس الإيمان ويبس. فله أتم حمد وأكمل على ذلك. 62 والشكر لله في وقت آخر، ولأن أوراد العبادات تتكرر بتكرر الليل والنهار، فكما تكررت الأوقات أحدث للعبد همة غير همته التي كسلت في الوقت المتقدم لها النشاط والكسل والذكر والغفلة والقبض والبسط والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار يتوالى على العباد ويتكرران ليحدث لهم الذكر والنشاط يذكر الله ويشكره وله ورد من الليل أو النهار، فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر، وأيضا فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي: لمن أراد أن يتذكر بهما ويعتبر ويستدل بهما على كثير من المطالب الإلهية ويشكر الله على ذلك، ولمن أراد أن وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه أي: يذهب أحدهما فيخلفه الآخر، هكذا أبدا لا يجتمعان ولا يرتفعان،

من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال 63 وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطاب جهل بدليل إضافة الفعل وإسناده لهذا الوصف، قالوا سلاما أي: خاطبهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض هونا أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده. وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه الرحمن إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه العبودية لله نوعان: عبودية لرؤسيتهم فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم،

تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون 64 والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي: يكثر من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له كما قال تعالى:

أي: ادفعه عنا بالصعامة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب. إن عذابها كان غراما أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه. 65 والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشد الفرح بصرفها. 66 إنها ساءت مستقرا ومقاما وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه

في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم. 67 التذير وإهمال الحقوق الواجبة، ولم يقتروا فيدخلوا في باب البخل والشح وكان إنفاقهم بين ذلك بين الإسراف والتقتير قواما يبذلون والذين إذا أنفقوا النفقات الواجبة والمستحبة لم يسرفوا بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم

إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ومن يفعل ذلك أي: الشرك بالله أو قتل النفس التي حرم الله بغير حق أو الزنا فسوف يلقى أثاما 68 وهي نفس المسلم والكافر المعاهد، إلا بالحق كقتل النفس بالنفس وقتل الزاني المحصن والكافر الذي يحل قتله. ولا يزنون بل يحفظون فروجهم

تفسير السعدي

- والذين لا يدعون مع الله إلها آخر بل يعبدونه وحده مخلصين له الدين حنفاء مقبلين عليه معرضين عما سواه. ولا يقتلون النفس التي حرم الله من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض. 69
- والزاني في العذاب فإنه لا يتناول الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر. وأما خلود القاتل يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه أي: في العذاب مهانا فالوعيد بالخلود لمن فعلها
- لولا أنزل إليه ملك أي: هلا أنزل معه ملك يساعده ويعاونه، فيكون معه نذيرا وبزعمهم أنه غير كاف للرسالة ولا بطوقه وقدرته القيام بها. 7
- للبيع والشراء وهذا بزعمهم لا يليق بمن يكون رسولا، مع أن الله قال: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق تهكما منهم واستهزاء. يأكل الطعام وهذا من خصائص البشر فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، ويمشي في الأسواق الذين قدحوا بها في رسالته، وهو أنهم اعترضوا بأنه هلا كان ملكا أو مليكا، أو يساعده ملك فقالوا: مال هذا الرسول أي: ما لهذا الذي ادعى الرسالة؟ هذا من مقالة المكذبين للرسول
- أعلم. وكان الله غفورا لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة رحيمًا بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم. 70
- وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا والله فيتبدل شركهم إيمانًا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية. مما أمر به الشارع إذا قصد به وجه الله. فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، وندم على ما مضى له من فعلها وعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود، وآمن بالله إيمانًا صحيحًا يقتضي ترك المعاصي وفعل الطاعات وعمل عملا صالحا إلا من تاب عن هذه المعاصي وغيرها بأن أقلع عنها في الحال
- الأغراض الفاسدة، فالمقصود من هذا الحث على تكميل التوبة وإيقاعها على أفضل الوجوه وأجلها ليقدم على من تاب إليه فيوفيه أجره بحسب كمالاتها. 71
- متابا أي: فليعلم أن توبته في غاية الكمال لأنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذي هو عين سعادة العبد وفلاحه فليخلص فيها وليخلصها من شوائب ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله
- عنه. وفي قوله: وإذا مروا باللغو إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه. 72
- مروا كراما أي: نزهوا أنفسهم وأكرموا عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم داخلة في قول الزور تدخل في هذه الآية بالأولوية، وإذا مروا باللغو وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء ونحوهم والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه. وشهادة الزور جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والذين لا يشهدون الزور أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون
- والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذانًا سامعة وقلوبا واعية فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطا ويفرحون بها سرورا واغتباطا. 73
- فيها وعند سماعها كما قال تعالى: إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون يقابلونها بالقبول والافتقار إليها يخروا عليها صما وعميانا أي لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم والذين إذا ذكروا بآيات ربهم باستماعها والاهتداء بها، لم
- المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلا وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل. 74
- قال تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره خلفهم فيهدون ويهتدون. ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين كما من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم. واجعلنا للمتقين إماما أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والأكمل في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: هب لنا بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن صلاح استقرارنا حالهم وصفاتهم عرفنا من همهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تفر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا أي: قراننا من أصحاب وأقران وزوجات، وذرياتنا قرة أعين أي: تفر بهم أعيننا. وإذا
- كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلم لا يدخل في العبودية؟ 75
- وأنتعمت علينا بما أنتعمت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارجحنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك. ولما ضعفاء عاجزون من كل وجه. نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا

تفسير السعدي

المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإننا من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم. فاللهم لك الحمد وإليك أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هياتهم وبين لهم همهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشاققوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبدلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي هؤلاء الصفة وأتقى هؤلاء السادة ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جلتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل. ولله، منة الله على عباده الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصدقية. فله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، مروءتهم وإنسانيتهم وكما لهم ورفعته أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم في غيره من باب أولى والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك، الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات. والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده وحسن الأدب والحلم وسعة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولهذا قال هنا ويلقون فيها تحية وسلاما من ربهم ومن ملائكته الكرام أولئك يجزون الغرفة بما صبروا أي: المنازل الرفيعة والمساكن الأنيفة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى: تفسير الايتين 75 و76 لما كانت همهم ومطالبهم عالية كان الجزء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:

كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلم لا يدخل في العبودية؟ 76 وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارجحنا رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك. ولما ضعفاء عاجزون من كل وجه. نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نتق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإننا من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم. فاللهم لك الحمد وإليك أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هياتهم وبين لهم همهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشاققوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبدلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي هؤلاء الصفة وأتقى هؤلاء السادة ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جلتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل. ولله، منة الله على عباده الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصدقية. فله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات تنفيذ أحكامها، وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، مروءتهم وإنسانيتهم وكما لهم ورفعته أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها، وذلك يستلزم في غيره من باب أولى والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك، الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات. والحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده وحسن الأدب والحلم وسعة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولهذا قال هنا ويلقون فيها تحية وسلاما من ربهم ومن ملائكته الكرام أولئك يجزون الغرفة بما صبروا أي: المنازل الرفيعة والمساكن الأنيفة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى: تفسير الايتين 75 و76 لما كانت همهم ومطالبهم عالية كان الجزء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:

قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. 77 فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبا بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبا بكم ولا أحبكم فقال:

حملهم على القول ظلهم لا اشتباه منهم، إن تتبعون إلا رجلا مسحورا هذا وقد علموا كمال عقله وحسن حديثه، وسلامته من جميع المطاعن. 8 أو يلقي إليه كنز أي: مال مجموع من غير تعب، أو تكون له جنة يأكل منها فيستغني بذلك عن مشيه في الأسواق لطلب الرزق. وقال الظالمون أمر تعالى بالنظر إليها وتدبرها والنظر: هل توجب التوقف عن الجزم للرسول بالرسالة والصدق؟ ولهذا أخبر أنه قادر على أن يعطيك خيرا كثيرا في الدنيا 9 ليس في شيء منها هداية بل ولا في شيء منها أدنى شبهة تقدر في الرسالة، فبمجرد النظر إليها وتصورها يجزم العاقل ببطلانها ويكفيه عن ردها، ولهذا

عليه كنز، أو جعلت له جنة تغنيه عن المشي في الأسواق أو أنه كان مسحورا. فضلوا فلا يستطيعون سبيلا قالوا أقوالا متناقضة كلها جهل وضلال وسفه، انظر كيف ضربوا لك الأمثال وهي: أنه هلا كان ملكا وزالت عنه خصائص البشر؟ أو معه ملك لأنه غير قادر على ما قال، أو أنزل

سورة 26

قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. 1 فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبا بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال:

وقت نداء الله إياه، حين كلمه ونباه وأرسله فقال: أن انت القوم الظالمين الذين تكبروا في الأرض، وعلوا على أهلها وادعى كبيرهم الربوبية. 10 عظيمة، وعبر وفيها نبأه مع الظالمين والمؤمنين، وهو صاحب الشريعة الكبرى، وصاحب التوراة أفضل الكتب بعد القرآن فقال: واذكر حالة موسى الفاضلة، أعاد البارئ تعالى، قصة موسى وثناها في القرآن، ما لم يثن غيرها، لكونها مشتملة على حكم

فما لنا حينئذ من شافعين يشفعون لنا لينقذونا من عذابه 100

أي قريب مصاف ينفعنا بأدنى نفع كما جرت العادة بذلك في الدنيا فأيسوا من كل خير وأبلسوا بما كسبوا وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحا 101 ولا صديق حميم

الدنيا وإعادة إليها فنكون من المؤمنين لنسلم من العقاب ونستحق الثواب هيهات هيهات قد حيل بينهم وبين ما يشتهون وقد غلقت منهم الرهون 102 فلو أن لنا كرة أي رجعة إلى

إن في ذلك الذي ذكرنا لكم ووصفنا لآية لكم وما كان أكثرهم مؤمنين مع نزول الآيات 103

وإن ربك لهو العزيز الرحيم 104

تكذيب نوح، كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلهم، اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم، تكذيب، بجميع ما جاءوا به من الحق. 105 يذكر تعالى، تكذيب قوم نوح لرسولهم نوح، وما رد عليهم وردوا عليه، وعاقبة الجميع فقال: كذبت قوم نوح المرسلين جميعهم، وجعل

طريقة الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم : ألا تتقون الله، تعالى، فتتركون ما أنتم مقيمون عليه، من عبادة الأوثان، وتخلصون العبادة لله وحده. 106 من نسب من أرسل إليهم، لئلا يشتمزوا من الانقياد له، ولأنهم يعرفون حقيقته، فلا يحتاجون أن يبحثوا عنه، فقال لهم مخاطبا بألفاظ خطاب كما هي كذبوه إذ قال لهم أخوهم في النسب نوح وإنما ابتعث الله الرسل،

بهذا الرسول الكريم، وكونه أمينا يقتضي أنه لا يتقول على الله، ولا يزيد في حبه، ولا ينقص، وهذا يوجب لهم التصديق بخبره والطاعة لأمره. 107 إني لكم رسول أمين فكونه رسولا إليهم بالخصوص، يوجب لهم تلقي ما أرسل به إليهم، والإيمان به، وأن يشكروا الله تعالى، على أن خصهم

فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن هذا هو الذي يترتب على كونه رسولا إليهم، أمينا، فلذلك رتبته بالفاء الدالة على السبب، فذكر السبب الموجب. 108 فاتقوا الله وأطيعون

إلا على رب العالمين أرجو بذلك القرب منه، والثواب الجزيل، وأما أنتم فمفني، ومنتهى إرادتي منكم، النصح لكم، وسلوكم الصراط المستقيم. 109 ثم ذكر انتفاء المانع فقال: وما أسألكم عليه من أجر . فتتكلفون من المغرم الثقيل، إن أجري

قوم فرعون ألا يتقون أي: قل لهم، بلين قول، ولطف عبارة ألا تتقون الله الذي خلقكم ورزقكم، فتتركون ما أنتم عليه من الكفر. 11

مكثه في ذلك، كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وقال: رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا الآيات. 110 فاتقوا الله وأطيعون كرر ذلك عليه السلام، لتكريره دعوة قومه، وطول

فساده، رد دعوته عرفنا أنهم ضالون مخطئون، ولو لم نشاهد من آيات نوح ودعوته العظيمة، ما يفيد الجزم واليقين، بصدقه وصحة ما جاء به. 111 عن صحة دعوى خصمه، فقوم نوح، لما سمعنا عنهم، أنهم قالوا في ردهم دعوة نوح: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فبنوا على هذا الأصل، الذي كل أحد يعرف

ورضي أن يسجد لها، ويدعوها، وأبى الانقياد لدعوة الرسل الكمل. وبمجرد ما يتكلم أحد الخصمين في الكلام الباطل، يعرف فساد ما عنده بقطع النظر حق التأمل، لعلموا أن أتباعه، هم الأعلون، خيار الخلق، أهل العقول الرزينة، والأخلاق الفاضلة، وأن الأرذل، من سلب خاصية عقله، فاستحسن عبادة الأحجار،

بالحقائق، فإنهم لو كان قصدهم الحق، لقالوا إن كان عندهم إشكال وشك في دعوته بين لنا صحة ما جئت به بالطرق الموصلة إلى ذلك، ولو تأملوا يصلح للمعارضة: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي: كيف نتبعك ونحن لا نرى أتباعك إلا أسافل الناس، وأراذلهم، وسقطهم. بهذا يعرف تكبرهم عن الحق، وجهلهم

فقالوا ردا لدعوته، ومعارضة له بما ليس

فقال نوح عليه السلام: وما علمي بما كانوا يعملون 112

تفسير السعدي

- إلا على ربي لو تشعرون أي أعمالهم وحسابهم على الله إنما علي التبليغ وأنتم دعوهم عنكم إن كان ما جئتمكم به الحق فانقادوا له وكل له عمله 113
إن حسابهم
- الطرد والإهانة وإنما يستحقون الإكرام القولي والفعلية كما قال تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة 114
وما أنا بطارد المؤمنين كأنهم قبحهم الله طلبوا منه أن يطردهم عنه تكبرا وتجبرا ليؤمنوا فقال وما أنا بطارد المؤمنين فإنهم لا يستحقون
إن أنا إلا نذير مبين أي ما أنا إلا منذر ومبلغ عن الله ومجتهد في نصح العباد وليس لي من الأمر شيء إن الأمر إلا لله . 115
- بشر مقابلة لا جرم لما انتهى ظلمهم واشتد كفرهم دعا عليهم نبههم بدعوة أحاطت بهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الآيات. 116
من المرجومين أي لنقتلك شر قتلة بالرمي بالحجارة كما يقتل الكلب فتبا لهم ما أقبح هذه المقابلة يقابلون الناصح الأمين الذي هو أشفق عليهم من أنفسهم
فاستمر نوح عليه الصلاة والسلام على دعوتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا فلم يزدادوا إلا نفورا وقالوا لنن لم تنته يا نوح من دعوتك إيانا إلى الله وحده لتكونن
وهنا قال رب إن قومي كذبون 117
- فاتفتح بيني وبينهم فتحا أي أهلك الباغي منا وهو يعلم أنهم البغاة الظلمة ولهذا قال ونجني ومن معي من المؤمنين 118
فأنجيناه ومن معه في الفلك أي السفينة المشحون من الخلق والحيوانات. 119
- فقال موسى عليه السلام، معتذرا من ربه، ومبيننا لعذره، وسائلا له المعونة على هذا الحمل الثقيل: قال رب إنني أخاف أن يكذبون 12
ثم أغرقنا بعد أي بعد نوح ومن معه من المؤمنين الباقين أي جميع قومه. 120
- إن في ذلك أي نجاة نوح وأتباعه وإهلاك من كذبه لآية دالة على صدق رسلنا وصحة ما جاءوا به وبطلان ما عليه أعداؤهم المكذبون بهم . 121
وإن ربك لهو العزيز الذي قهر بعزه أعداءه فأغرقهم بالطوفان الرحيم بأوليائه حيث نجى نوحا ومن معه من أهل الإيمان. 122
- أي: كذبت القبيلة المسماة عادا، رسولهم هودا، وتكذيبهم له تكذيب لغيره، لاتفاق الدعوة. 123
- إذ قال لهم أخوهم في النسب هود بلطف وحسن خطاب: ألا تتقون الله، فتتركون الشرك وعبادة غيره. 124
- إني لكم رسول أمين أي: أرسلني الله إليكم، رحمة بكم، واعتناء بكم، وأنا أمين، تعرفون ذلك مني. 125
- الله تعالى، وهو التقوى، وأدوا حقي، بطاعتي فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فهذا موجب، لأن تتبعوني وتطيعوني وليس ثم مانع يمنعكم من الإيمان، 126
فاتقوا الله وأطيعون أي: أدوا حق
- أجرا، حتى تستثقلوا ذلك المغرم. إن أجري إلا على رب العالمين الذي رباهم بنعمه، وأدر عليهم فضله وكرمه، خصوصا ما ربي به أوليائه وأنبياءه. 127
فلست أسألكم على تبليغي إياكم، ونصحي لكم،
- أنبئون بكل ريع أي: مدخل بين الجبال آية أي: علامة تعيثنون أي: تفعلون ذلك عبثا لغير فائدة تعود بمصالح دينكم ودنياكم. 128
- وتتخذون مصانع أي: بركا ومجاري للحياة لعلكم تخلصون والحال أنه لا سبيل إلى الخلود لأحد. 129
- من أهلي هارون أخي فأرسل إلى هارون فأجاب الله طلبته ونبا أخاه هارون كما نبأه فأرسله معي ردا أي معاونا لي على أمري أن يصدقوني. 13
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني . فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا
- طاعة الله، ولكنهم فخروا، واستكبروا، وقالوا: من أشد منا قوة واستعملوا قوتهم في معاصي الله، وفي العبث والسفه، فلذلك نهاهم نبههم عن ذلك. 130
وإذا بطشتم بالخلق بطشتم جبارين قتلا وضربا، وأخذ أموال. وكان الله تعالى قد أعطاهم قوة عظيمة، وكان الواجب عليهم أن يستعينوا بقوتهم على
- فاتقوا الله واتركوا شرككم وبطركم وأطيعون حيث علمتم أني رسول الله إليكم، أمين ناصح. 131
- واتقوا الذي أمدكم أي: أعطاكم بما تعلمون أي: أمدكم بما لا يجهل ولا ينكر من الإنعام. 132
- أمدكم بأنعام من إبل وبقر وغنم وبنين أي: وكثرة نسل، كثر أموالكم، وكثر أولادكم، خصوصا الذكور، أفضل القسمين. 133
- هذا تذكيرهم بالنعم. 134
- عذاب يوم عظيم . أي: إني من شفقتي عليكم وبري بكم أخاف أن ينزل بكم عذاب يوم عظيم، إذا نزل لا يرد، إن استمريرتم على كفركم وبغيكم. 135
ثم ذكرهم حلول عذاب الله فقال: إني أخاف عليكم
- لها أفئدة أولي الألباب، وجودها وعدمها عندهم على حد سواء، لقوم انتهى ظلمهم، واشتد شقاؤهم، وانقطع الرجاء من هدايتهم، ولهذا قالوا: 136
من الواعظين أي: الجميع على حد سواء، وهذا غاية العتو، فإن قوما بلغت بهم الحال إلى أن صارت مواعظ الله، التي تذيب الجبال الصم الصلاب، وتتصدع
فقالوا معاندين للحق مكذبين لنبيهم: سواء علينا أوعظت أم لم تكن

تفسير السعدي

- الأحوال والنعم، ونحو ذلك، عادة الأولين، تارة يستغنون، وتارة يفتقرون، وهذه أحوال الدهر، لا أن هذه محن ومنح من الله تعالى، وابتلاء لعباده. 137
إن هذا إلا خلق الأولين . أي: هذه
- إنكار منهم للبعث، أو تنزل مع نبينهم وتهكم به، إننا على فرض أننا نبعث، فإننا كما أدركت علينا النعم في الدنيا، كذلك لا تزال مستمرة علينا إذا بعثنا. 138
وما نحن بمعذبين وهذا
- نبينا هود عليه السلام وصحة ما جاء به وبطلان ما عليه قومه من الشرك والجبروت وما كان أكثرهم مؤمنين مع وجود الآيات المقتضية للإيمان 139
بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية إن في ذلك لآية على صدق
فكذبوه أي: صار التكذيب سجية لهم وخلقاً، لا يردعهم عنه رادع، فأهلكناهم
- ولهم علي ذنب أي في قتل القبطي فأخاف أن يقتلوا 14
وإن ربك لهو العزيز الذي أهلك بقوته قوم هود على قوتهم وبطشهم الرحيم بنبيه هود حيث نجاه ومن معه من المؤمنين 140
- المعروفة في مدائن الحجر المرسلين كذبوا صالحاً عليه السلام، الذي جاء بالتوحيد، الذي دعت إليه المرسلون، فكان تكذيبهم له تكذيباً للجميع. 141
كذبت ثمود القبيلة
- إذ قال لهم أخوهم صالح في النسب، برفق ولين: ألا تتقون الله تعالى، وتدعون الشرك والمعاصي. 142
- أرسلني إليكم، لطفاً بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، أمين تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به. 143
إني لكم رسول من الله ربكم،
- أرسلني إليكم، لطفاً بكم ورحمة، فتلقوا رحمته بالقبول، وقابلوها بالإذعان، أمين تعرفون ذلك مني، وذلك يوجب عليكم أن تؤمنوا بي، وبما جئت به. 144
إني لكم رسول من الله ربكم،
- وما أسألكم عليه من أجر فتقولون: يمنعنا من اتباعك، أنك تريد أخذ أموالنا، إن أجري إلا على رب العالمين أي: لا أطلب الثواب إلا منه. 145
أتركون في ما هاهنا آمين 146
- في جنات وعيون 147
- في هذه الخيرات والنعم سدى تتنعمون وتتمتعون كما تتمتع الأنعام وتتركون سدى لا تؤمرون ولا تنهون وتستعينون بهذه النعم على معاصي الله 148
وزروع ونخل طلعها هضيم أي نضيد كثير أي تحسبون أنكم تتركون
- وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين أي بلغت بكم الفراهة والحدق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب 149
- مناذته له غاية المناظرة وتسفيه رأيه وتضليله وقومه فاذها بآياتنا الدالة على صدقكم وصحة ما جئنا به إنا معكم مستمعون أحفظكم وأكلؤكم. 15
قال كلا أي لا يتمكنون من قتلنا فإنا سنجعل لكم سلطاناً فلا يصلون إليكم بآياتنا أنتم ومن اتبعكم الغالبون ولهذا لم يتمكن فرعون من قتل موسى مع
فاتقوا الله وأطيعون 150
- ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين تجاوزوا الحد 151
- عن الاغترار بهم ولعلمهم الذين قال الله فيهم وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فلم يفد فيهم هذا النهي والوعظ شيئاً. 152
إليها إفساداً لا إصلاح فيه وهذا أضر ما يكون لأنه شر محض وكأن أناساً عندهم استعداد لمعارضة نبيهم موضعون في الدعوة لسبيل الغي فنهاهم صالح
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي والدعوة
فقالوا لصالح إنما أنت من المسحرين أي قد سحرت فأنت تهذي بما لا معنى له 153
- صحة ما جاء به وصدقه ولكنهم من قسوتهم سألوا آيات الاقتراح التي في الغالب لا يفلح من طلبها لكون طلبه مبنياً على التعنت لا على الاسترشاد 154
فأي فضيلة فقتنا بها حتى تدعونا إلى اتباعك؟ فأت بآية إن كنت من الصادقين هذا مع أن مجرد اعتبار حالته وحالة ما دعا إليه من أكبر الآيات البينات على
ما أنت إلا بشر مثلاً
- بأجمعكم لها شرب ولكم شرب يوم معلوم أي تشرب ماء البئر يوماً وأنتم تشربون لبنها ثم تصدر عنكم اليوم الآخر وتشربون أنتم ماء البئر 155
فقال صالح هذه ناقة تخرج من صخرة صماء ملساء ترونها وتشاهدونها
- ولا تمسوها بسوء بقر أو غيره فيأخذكم عذاب يوم عظيم فخرجت واستمرت عندهم بتلك الحال فلم يؤمنوا واستمروا على طغيانهم 156
ففقروها فأصبحوا نادمين 157

تفسير السعدي

وهي صيحة نزلت عليهم، فدمرتهم أجمعين، إن في ذلك لآية على صدق ما جاءت به رسلنا، وبطلان قول معارضيههم، وما كان أكثرهم مؤمنين 158 فأخذهم العذاب

وإن ربك لهو العزيز الرحيم . 159

فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أي أرسلنا إليك لتؤمن به وبنا وتنقاد لعبادته وتذعن لتوحيده. 16

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 160 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 161 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 162 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 163 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 164 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 165 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 166 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 167 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي: من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه قال إني لعملكم من القالين أي: المبغضين له الناهين عنه، المحذرين. 168 إليها أحد من العالمين، يختارون نكاح الذكران، المستقذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم لإسرافهم وعدوانهم فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له لنن قال لهم وقالوا كما قال من قبلهم، تشابهت قلوبهم في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وكانوا مع شركهم يأتون فاحشة لم يسبقهم

رب نجني وأهلي مما يعملون من فعله وعقوبته فاستجاب الله له. 169

أن أرسل معنا بني إسرائيل فكف عنهم عذابك وارف عنهم يدك ليعبدوا ربهم ويقيموا أمر دينهم. 17

فنجيناه وأهله أجمعين 170

إلا عجوزا في الغابرين أي الباقيين في العذاب وهي امرأته. 171

ثم دمروا الآخرين 172

وأمطرنا عليهم مطرا أي حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين أهلهم الله عن آخرهم. 173

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين 174

وإن ربك لهو العزيز الرحيم 175

أصحاب الأيكة المرسلين . أصحاب الأيكة: أي: البساتين الملتفة أشجارها وهم أصحاب مدين، فكذبوا نبينهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون. 176 كذب

إذ قال لهم شعيب ألا تتقون الله تعالى، فتتركون ما يسخطه ويغضبه، من الكفر والمعاصي. 177

إني لكم رسول أمين يترتب على ذلك، أن تتقوا الله وتطيعون. 178

أن تتقوا الله وتطيعون. 179

يعارض موسى ف قال ألم نربك فينا وليدا أي ألم ننعلم عليك ونقم بتربيتك منذ كنت وليدا في مهدك ولم تزل كذلك. ولبثت فينا من عمرك سنين 18 فلما جاء فرعون وقال له ما قال الله لهما لم يؤمن فرعون ولم يلبس

أن تتقوا الله وتطيعون. 180

فلذلك قال لهم: أوفوا الكيل أي: أتموه وأكملوه ولا تكونوا من المخسرين الذين ينقصون الناس أموالهم ويسلبونها ببخس المكيال والميزان. 181 وكانوا مع شركهم يبخسون المكايل والموازين،

وزنوا بالقسطاس المستقيم أي: بالميزان العادل، الذي لا يميل. 182

وزنوا بالقسطاس المستقيم أي: بالميزان العادل، الذي لا يميل. 183

انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم من غير مشارك له في ذلك، فأفردوه بالعبادة والتوحيد، وكما أنعم عليكم بالإيجاد والإمداد بالنعيم، فقابلوه بشكره. 184 واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين أي: الخليفة الأولين، فكما

قالوا له، مكذبين له، رادين لقوله: إنما أنت من المسحرين فأنت تهذي وتكلم كلام المسحور، الذي غايته أن لا يؤاخذ به. 185

لحسن مراجعته قومه، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، فإن قومه قد تيقنوا صدقه، وأن ما جاء به حق، ولكن إخبارهم عن ظن كذبه، كذب منهم. 186 ودعاهم، وجادلهم وجادلوه، إلا وقد أظهر الله على يديه من الآيات، ما به يتيقنون صدقه وأمانته، خصوصا شعيبا عليه السلام، الذي يسمى خطيب الأنبياء، يمن على من يشاء من عباده . وإن نظنك لمن الكاذبين وهذا جراءة منهم وظلم، وقول زور، قد انطوا على خلافه، فإنه ما من رسول من الرسل، واجه قومه التي لم يزلوا، يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم. وقد أجابت عنها الرسل بقولهم: إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله أنت إلا بشر مثلنا فليس فيك فضيلة، اختصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم، ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة، وما

هذا هو الحق من عندك فأمر علينا حجارة من السماء أو اثنتا بعذاب أليم أو أنهم طلبوا بعض آيات الاقتراح، التي لا يلزم تتميم مطلوب من سألها. 187 فأسقط علينا كسفا من السماء أي: قطع عذاب تستأصلنا. إن كنت من الصادقين كقول إخوانهم وإذ قالوا اللهم إن كان

الذي آتي بها وأنزلها بكم، وليس علي إلا تبليغكم ونصحكم وقد فعلت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم، الذي يجازيكم ويحاسبكم. 188 قال شعيب عليه السلام: ربي أعلم بما تعملون أي: نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا

ولدار الشقاء والعذاب نازلين. إنه كان عذاب يوم عظيم لا كرة لهم إلى الدنيا، فيستأنفوا العمل، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينظرون. 189 فأخذهم عذاب يوم الظلة أظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها مستلذين، لظلمة غير الظليل، فأحرقتهم بالعذاب، فظلوا تحتها خامدين، وليداهم مفارقين، فكذبوه أي: صار التكذيب لهم، وصفا والكفر لهم ديدنا، بحيث لا تفيدهم الآيات، وليس بهم حيلة إلا نزول العذاب.

موسى ففضى عليه الآية. وأنت من الكافرين أي: وأنت إذ ذاك طريقك طريقنا، وسبيلك سبيلنا، في الكفر، فأقر على نفسه بالكفر، من حيث لا يدري. 19 وفعلت فعلتك التي فعلت وهي قتل موسى للقبطي، حين استغاثه الذي من شيعته، على الذي من عدوه فوكزه

إليه، وبطلان رد قومه عليه، وما كان أكثرهم مؤمنين مع رؤيتهم الآيات، لأنهم لا زكاء فيهم، ولا خير لديهم وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . 190 إن في ذلك لآية دالة على صدق شعيب، وصحة ما دعا

من حين أوجد الله العالم إلى ما لا نهاية له. ومن عزته أن أهلك أعداءه حين كذبوا رسله، ومن رحمته، أن نجى أوليائه ومن اتبعهم من المؤمنين. 191 وإن ربك لهو العزيز الذي امتنع بقدرته، عن إدراك أحد، وقهر كل مخلوق. الرحيم الذي الرحمة وصفه ومن آثارها، جميع الخيرات في الدنيا والآخرة،

في غيره، وفي قوله: وإنه لتنزيل رب العالمين من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه، من كونه نزل من الله، لا من غيره، مقصودا فيه نفعمكم وهدايتكم. 192 ومن أعظم ما رباهم به، إنزال هذا الكتاب الكريم، الذي اشتمل على الخير الكثير، والبر الغزير، وفيه من الهداية، لمصالح الدارين، والأخلاق الفاضلة، ما ليس والسموات، المرابي جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه يربيههم أيضا، بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم،

تفسير السعدي

- الرسول الكريم، والنبي المصطفى العظيم وما جاء به من الكتاب، الذي فيه هداية لأولي الألباب فقال: وإنه لتنزيل رب العالمين فالذي أنزله، فاطر الأرض لما ذكر قصص الأنبياء مع أممهم، وكيف دعوهم، وما ردوا عليهم به وكيف أهلك الله أعداءهم، وصارت لهم العاقبة. ذكر هذا نزل به الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم الأمين الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص. 193
- على قلبك يا محمد لتكون من المنذرين تهدي به إلى طريق الرشاد، وتندر به عن طريق الغي. 194
- على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين. 195
- إليهم، وياشر دعوتهم أصلا اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، بلسان عربي وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث
- وإنه لفي زبر الأولين أي: قد بشرت به كتب الأولين وصدقته، وهو لما نزل، طبق ما أخبرت به، صدقها، بل جاء بالحق، وصدق المرسلين. 196
- قولهم حجة على غيرهم، كما عرف السحرة الذين مهروا في علم السحر، صدق معجزة موسى، وأنه ليس بسحر، فقول الجاهلين بعد هذا، لا يؤبه به. 197
- بني إسرائيل الذي قد انتهى إليهم العلم، وصاروا أعلم الناس، وهم أهل الصنف، فإن كل شيء يحصل به اشتباه، يرجع فيه إلى أهل الخبرة والدراية، فيكون أولم يكن لهم آية على صحته، وأنه من الله أن يعلمه علماء
- ولو نزلناه على بعض الأعجمين الذين لا يفقهون لسانهم، ولا يقدرّون على التعبير لهم كما ينبغي. 198
- وليبادروا إلى التصديق به، وتلقيه بالتسليم والقبول، ولكن تكذيبهم له من غير شبهة، إن هو إلا محض الكفر والعناد، وأمر قد توارثته الأمم المكذبة. 199
- نفعه ما يقول، ولا ندرى ما يدعو إليه، فليحمدوا ربهم، أن جاءهم على لسان أفصح الخلق، وأقدرهم على التعبير عن المقاصد، بالعبارات الواضحة، وأنصحهم، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين يقولون: ما
- فيه تهدي بذلك عباد الله المتقون، ويعرض عنه من كتب عليه الشقاء، فكان يحزن حزنا شديدا، على عدم إيمانهم، حرصا منه على الخير، ونصحا لهم. 2
- ودلالته على أشرف المعاني، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسبتها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر به الناس، ويهدي به الصراط المستقيم، المبين البين الواضح، الدال على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه، شك ولا شبهة فيما أخبر به، أو حكم به، لوضوحه، يشير الباري تعالى إشارة، تدل على التعظيم لآيات الكتاب
- فقال موسى: فعلتها إذا وأنا من الضالين أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي. 20
- أي: أدخلنا التكذيب، وأنظمناه في قلوب أهل الإجرام، كما يدخل السلك في الإبرة، فتشربته، وصار وصفا لها، وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم، 200
- كذلك سلكناه في قلوب المجرمين
- لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم على تكذيبهم. 201
- فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أي: يأتيهم على حين غفلة، وعدم إحساس منهم، ولا استشعار بنزوله، ليكون أبلغ في عقوبتهم والنكال بهم. 202
- إن ذلك: هل نحن منظرون أي: يطلبون أن ينظروا ويمهلوا، والحال إنه قد فات الوقت، وحل بهم العذاب الذي لا يرفع عنهم، ولا يفتر ساعة. 203
- فيقولوا
- فما الذي غرهم؟ هل فيهم قوة وطاقه، للصبر عليه؟ أم عندهم قوة يقدرّون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يعجزوننا، ويظنون أننا لا نقدر على ذلك؟. 204
- يقول تعالى: أفعذابنا الذي هو العذاب الأليم العظيم، الذي لا يستهان به، ولا يحتقر، يستعجلون
- أفرايت إن متعناهم سنين أي: أفرايت إذا لم نستعجل عليهم، بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين، يتمتعون في الدنيا 205
- ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب. 206
- وضوعف لهم العذاب عند طول المدة. القصد أن الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله وتأخير، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده. 207
- ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون من اللذات والشهوات، أي: أي شيء يغني عنهم، ويفيدهم، وقد مضت وبطلت واضمحلت، وأعقبت تبعاتها،
- يعذر بهم، ويبعث فيهم النذر بالآيات البينات، ويدعونهم إلى الهدى، وينهونهم عن الردى، ويذكرونهم بآيات الله، وينبهونهم على أيامه في نعمه ونقمه. 208
- يخبر تعالى عن كمال عدله، في إهلاك المكذبين، وأنه ما أوقع بقرية، هلاكا وعذابا، إلا بعد أن
- وهم غافلون عن النذر، كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . 209
- ذكرى لهم وإقامة حجة عليهم. وما كنا ظالمين فنهلك القرى، قبل أن ننذرهم، ونأخذهم
- أحد، فلم منعتم ما منحني الله، من الحكم والرسالة؟ بقي عليك يا فرعون إدلائك بقولك: ألم نربك فينا وليدا وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها. 21
- من كونه رسولا أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله كان على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه

تفسير السعدي

- سنين، ثم جنتكم. فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين . فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى، اعتراض جاهل أو متجاهل، فإنه جعل المانع ففررت منكم لما خفتكم حين تراجعتكم بقتلي، فهربت إلى مدين، ومكثت
- كمال القرآن وجلالته، نزهه عن كل صفة نقص، وحماه وقت نزوله، وبعد نزوله من شياطين الجن والإنس فقال: وما تنزلت به الشياطين 210 ولما بين تعالى
- وما ينبغي لهم أي: لا يليق بحالهم ولا يناسبهم وما يستطيعون ذلك. 211
- لحفظه، ونزل به جبريل، أقوى الملائكة، الذي لا يقدر شيطان أن يقربه، أو يحوم حول ساحته، وهذا كقوله: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . 212 إنهم عن السمع لمعزولون قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم
- عن الشيء، أمر بضده، فالنهي عن الشرك، أمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، محبة، وخوفا، ورجاء، وذلا وإنابة إليه في جميع الأوقات. 213 الله، من جميع المخلوقين، وأن ذلك موجب للعذاب الدائم، والعقاب السرمدي، لكونه شركا، و من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار والنهي ينهى تعالى رسوله أصلا وأمتة أسوة له في ذلك، عن دعاء غير
- وذكرهم ووعظهم، ولم يبق صلى الله عليه وسلم من مقدوره شيئا، من نصحهم، وهدايتهم، إلا فعله، فاهتدى من اهتدى، وأعرض من أعرض. 214 إلى قرابتك فيكون هذا خصوصا دالا على التأكيد، وزيادة الحق، فامتثل صلى الله عليه وسلم، هذا الأمر الإلهي، فدعا سائر بطون قريش، فعمم وخصص، هم أقرب الناس إليك، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس، كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان، ثم قيل له أحسن ولما أمره بما فيه كمال نفسه، أمره بتكميل غيره فقال: وأنذر عشيرتك الأقربين . الذين
- بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له. 215 وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفساد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف
- يكون كلا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم ، غليظ القلب، فظ القول، فظيعة؟ و إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، عليه وسلم، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والافتداء به، أن كما قال تعالى: فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فهذه أخلاقه صلى الله لمن اتبعك من المؤمنين بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل صلى الله عليه وسلم، ذلك واخفض جناحك
- احتراز وهم من يتوهم، أن قوله واخفض جناحك للمؤمنين، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين، فدفع هذا بهذا والله أعلم. 216 تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم، بخفض الجناح، ولين الجانب، بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع فإن عصوك في أمر من الأمور، فلا
- المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك. 217 للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: وتوكل على العزيز الرحيم والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به، الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه
- ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله، والنزول في منزل الإحسان فقال: الذي يراك حين تقوم 218
- خصها بالذكر، لفضلها وشرفها، ولأن من استحضر فيها قرب ربه، خشع وذل، وأكملها، وبتكملها، يكمل سائر عمله، ويستعين بها على جميع أموره. 219 وتقلبك في الساجدين أي: يراك في هذه العبادة العظيمة، التي هي الصلاة، وقت قيامك، وتقلبك راکعا وساجدا
- ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبته وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟ 22 المنة لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل . أي: تدلي علي بهذه
- العبد رؤية الله له في جميع أحواله، وسمعه لكل ما ينطق به، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه، من الهم، والعزم، والنيات، مما يعينه على منزلة الإحسان. 220 إنه هو السميع لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها، العليم الذي أحاط بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة. فاستحضر
- هل أنبئكم أي: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه ولا شبهة، على من تنزل الشياطين، أي: بصفة الأشخاص، الذين تنزل عليهم الشياطين. 221 هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن محمدا ينزل عليه شيطان. وقول من قال: إنه شاعر فقال:
- كل أفاك أي: كذاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، أئيم في فعله، كثير المعاصي، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم. 222 تنزل على

تفسير السعدي

- العظيم، الذي لا شك فيه ولا ريب، فهل يستوي يا أهل العقول هذا وأولئك؟ وهل يشبهان، إلا على مجنون، لا يميز، ولا يفرق بين الأشياء؟ 223
- الذي جمع بين بر القلب، وصدق اللهجة، ونزاهة الأفعال من المحرم. والوحي الذي ينزل عليه من عند الله، ينزل محروسا محفوظا، مشتملا على الصدق تنزل عليهم الشياطين، وهذه صفة وحدهم له. وأما محمد صلى الله عليه وسلم، فحاله مباينة لهذه الأحوال أعظم مباينة، لأنه الصادق الأمين، البار الراشد، أي: أكثر ما يلقون إليه كذب فيصدق واحدة، ويكذب معها مائة، فيختلط الحق بالباطل، ويضمحل الحق بسبب قلته، وعدم علمه. فهذه صفة الأشخاص الذين يلقون عليه السمع الذي يسترقونه من السماء، وأكثرهم كاذبون
- الثابت، فإنهم يتبعهم الغاوون عن طريق الهدى، المقلون على طريق الغي والردى، فهم في أنفسهم غاوون، وتجد أتباعهم كل غاو ضال فاسد. 224
- فلما نزهه عن نزول الشياطين عليه، برأه أيضا من الشعر فقال: والشعراء أي: هل أنبئكم أيضا عن حالة الشعراء، ووصفهم في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزلون، وأخرى يسخرون، ومرة يمرحون، وأونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال. 225
- ألم تر غوايتهم وشدة ضلالهم أنهم في كل واد من أودية الشعر، يهيمنون فتارة في مدح، وتارة في قبح، وتارة
- الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل، والهام الأفضل، أهدى الآبدن، ودهر الداهرين، الذي ليس بشاعر، ولا ساحر، ولا مجنون، ولا يليق به إلا كل كمال. 226
- إلا كان أول الفاعلين له، ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له. فهل تناسب حاله، حالة الشعراء، أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من جميع الوجوه؟ فصولات على الهدى، وجانب الردى، ولم تتناقض أفعاله ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، ولا أخبر بشيء إلا صدق، ولا أمر بشيء وتراه أجبن من كل جبان، هذا وصفهم. فانظر، هل يطابق حالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الراشد البار، الذي يتبعه كل راشد ومهتد، الذي قد استقام سمعته يمدح أو يذم، قلت: هذا صدق، وهو كذب، وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها، وتروك لم يتركها، وكرم لم يحم حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان، يفعلون أي: هذا وصف الشعراء، أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم، فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غراما، وقلبه فارغ من ذلك، وإذا وأنهم يقولون ما لا
- الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ينقلبون إلى موقف وحساب، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها، ولا حقا إلا استوفاه. والحمد لله رب العالمين. 227
- دين الله، وتبيين العلوم النافعة، والحث على الأخلاق الفاضلة فقال: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم المشركون من بعد ما ظلموهم. فصار شعرهم من أعمالهم الصالحة، وآثار إيمانهم، لاشتماله على مدح أهل الإيمان، والانتصار من أهل الشرك والكفر، والذب عن ولما وصف الشعراء بما وصفهم به، استثنى منهم من آمن بالله ورسوله، وعمل صالحا، وأكثر من ذكر الله، وانتصر من أعدائه
- قال فرعون وما رب العالمين وهذا إنكار منه لربه، ظلما وعلوا، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، 23
- بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسموات إن كنتم موقنين 24
- قال: رب السماوات والأرض وما بينهما أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره
- فقال فرعون متجرهما، ومعجبا لقومه: ألا تستمعون ما يقول هذا الرجل 25
- فقال موسى: ربكم ورب آبائكم الأولين تعجبتم أم لا استكبرتم، أم أذعنتم. 26
- الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيقي العقول فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين 27
- خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعيم عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأنهم، بأنفسهم، فقال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون حيث قال خلاف ما نحن
- لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء بعد الله وآياته تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم. 28
- حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأى شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأى شيء تعلمون؟ وإذا به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أركى الخلق عقلا وأكملهم علما، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، بينهما . من سائر المخلوقات إن كنتم تعقلون فقد أدبت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخطبكم فقال موسى عليه السلام، مجيبا لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: رب المشرق والمغرب وما
- من المسجونين زعم قبحه الله أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم. 29
- فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة قال متوعدا لموسى بسلطانه لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك
- فإن الهداية بيد الله، وقد أدبت ما عليك من التبليغ، وليس فوق هذا القرآن المبين آية، حتى ننزلها، ليؤمنوا بها، فإنه كاف شاف، لمن يريد الهداية. 3
- فلهذا قال تعالى عنه: لعلك باخع نفسك أي: مهلكها وشاق عليها، ألا يكونوا مؤمنين أي: فلا تفعل، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات،
- فقال له موسى: أولو جنتك بشيء مبين أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات. 30

قال فأت به إن كنت من الصادقين 31

فألقي عصاه فإذا هي ثعبان أي: ذكر الحيات، مبين ظاهر لكل أحد، لا خيال، ولا تشبيه. 32

ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها. 33

قال فرعون للملأ حوله معارضا للحق، ومن جاء به: إن هذا لساحر عليم 34

بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معادة من يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم، فماذا تأمرون أن نفعل به؟ 35
لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون من العجائب، بما لا يقدر عليه الناس، وخوفهم أن قصده
يريد أن يخرجكم من أرضكم موه عليهم

وابعث في المدائن حاشرين جامعين للناس. يأتوك أولئك الحاشرون بكل سحر عليم أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم، ومعدن السحر. 36
قالوا أرجه وأخاه أي: أخرهما

من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره. 37

يجمع السحرة، واجتهد في ذلك، وجد. فجمع السحرة لميقات يوم معلوم قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم. 38
العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة، بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن، من
العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر، قويضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق
وهذا من لطف الله أن يري

وقيل للناس هل أنتم مجتمعون أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعد. 39

بالغيب، كما قال تعالى: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الآية. 4
أي: أعناق المكذبين لها خاضعين ولكن لا حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع، الإيمان
ولهذا قال: إن نشأ نزل عليهم من السماء آية. أي: من آيات الاقتراح، فظلت أعناقهم

ونعظمهم، ونعرف فضيلة علم السحر، فلو وفقوا للحق، لقالوا: لعلنا نتبع المحق منهم، ولنعرف الصواب، فلذلك ما أفاد فيهم ذلك، إلا قيام الحجة عليهم. 40
لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين أي: قالوا للناس: اجتمعوا لتتظروا غلبة السحرة لموسى، وأنهم ماهرون في صناعتهم، فتتبعهم،

فلما جاء السحرة ووصلوا لفرعون قالوا له: أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين لموسى؟ 41

نعم لكم أجر وثواب وإنكم إذا لمن المقربين عندي، وعدهم الأجر والقربة منه، ليزداد نشاطهم، ويأتوا بكل مقدورهم في معارضة ما جاء به موسى. 42

قال

قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي: ألقوا كل ما في خواطركم إلقاؤه، ولم يقيده بشيء دون شيء، لجزمه ببطلان ما جاءوا به من معارضة الحق. 43
موسى وذكرهم وقال: ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري فتنازعوا وتخاصموا ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضا. ف
فلما اجتمعوا للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظمهم

وحصل له صورة ملك وجنود، فغرتهم تلك الأبهة، ولم تنفذ بصائرهم إلى حقيقة الأمر، أو أن هذا قسم منهم بعزة فرعون والمقسم عليه، أنهم غالبون. 44
فإذا هي حيات تسعى، وسحروا بذلك أعين الناس، وقالوا بعزة فرعون إنا نحن الغالبون فاستعانوا بعزة عبد ضعيف، عاجز من كل وجه، إلا أنه قد تجبر،
فألحقوا حباهم وعصيتهم

فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة، تيقنوا لعلمهم أن هذا ليس بسحر، وإنما هو آية من آيات الله، ومعجزة تنبئ بصدق موسى، وصحة ما جاء به. 45
عصاه فإذا هي تلقف تبتلع وتأخذ ما يأفكون فالتفت جميع ما ألقوا من الحبال والعصي، لأنها إفك، وكذب، وزور وذلك كله باطل لا يقوم للحق، ولا يقاومه.
فألقي موسى

فألقي السحرة ساجدين لربهم. 46

برب العالمين رب موسى وهارون وانقمع الباطل، في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه، ببطلانه، ووضح الحق، وظهر حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم. 47
قالوا آمنا

برب العالمين رب موسى وهارون وانقمع الباطل، في ذلك المجمع، وأقر رؤساؤه، ببطلانه، ووضح الحق، وظهر حتى رأى ذلك الناظرون بأبصارهم. 48
قالوا آمنا

فقال: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، كما يفعل بالمفسد في الأرض، ولأصلبكم أجمعين لتختزوا، وتذلوا. 49

تفسير السعدي

أهل هذه العقول، أن لا يؤمنوا بالحق الواضح، والآيات الباهرة، لأنهم لو قال لهم فرعون عن أي شيء كان، إنه على خلاف حقيقته، صدقوه. ثم تواعد السحرة رأوه قبل ذلك، وأنهم جاءوا من السحر، بما يحير الناظرين ويهيلهم، ومع ذلك، فراج عليهم هذا القول، الذي هم بأنفسهم، وقفوا على بطلانه، فلا يستنكر على إنه لكبيركم الذي علمكم السحر هذا، وهو الذي جمع السحرة، وملأه، الذين أشاروا عليه بجمعهم من مدائنهم، وقد علموا أنهم ما اجتمعوا بموسى، ولا وتماديا في غيه وعنادا، فقال للسحرة: أنتم له قبل أن أذن لكم . يتعجب ويعجب قومه من جراتهم عليه، وإقدامهم على الإيمان من غير إذن ومؤامرتهم. ولكن أبى فرعون، إلا عتوا وضللا

عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة، أنه يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره، وهذا لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ، وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم ما ينفعهم ويضرهم. إلا كانوا عنه معرضين بقلوبهم وأبدانهم، هذا إعراضهم

فقال السحرة حين وجدوا حلاوة الإيمان وذاقوا لذته : لا ضير أي: لا نبالي بما توعدتنا به إنا إلى ربنا منقلبون 50

فيكشفه الله، ثم ينجون، فلما ينس موسى من إيمانهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وأن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، 51 يأتيهم موسى بالآيات البينات، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعدوا موسى، وعاهدوه لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيحتمل أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به، لسلطانه، واقتداره إذ ذاك ويحتمل، أن الله منعه منهم، ثم لم يزل فرعون وقومه، مستمرين على كفرهم، إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الكفر والسحر، وغيرهما أن كنا أول المؤمنين بموسى، من هؤلاء الجنود، فتبتهم الله وصبرهم.

ويتمهلوا في ذهابهم. إنكم متبعون أي: سيتبعكم فرعون وجنوده. ووقع كما أخبر، فإنهم لما أصبحوا، وإذا بنو إسرائيل قد سروا كلهم مع موسى. 52 أوحى الله إلى موسى: أن أسر بعبادي أي: أخرج بني إسرائيل أول الليل، ليتماذوا

فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يجمعون الناس، ليوقع بني إسرائيل، 53

ويقول مشجعا لقومه: إن هؤلاء أي: بني إسرائيل لشردمة قليلون 54

وإنهم لنا لغائظون ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء العبيد، الذين أبقوا منا. 55

وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة، فخرج فرعون وجنوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعدار، الذين منعهم العجز. 56 وإنا لجميع حاذرون أي: الحذر على الجميع منهم،

تعالى: فأخرجناهم من جنات وعيون أي: بساتين مصر وجناتها الفائقة، وعبونها المتدفقة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاضرتهم وبواديهم. 57 قال الله

يعجب الناظرين، ويلهي المتأملين، تمتعوا به دهرا طويلا وقضوا بلذته وشهواته، عمرا مديدا، على الكفر والفساد، والتكبر على العباد والتهيه العظيم. 58 ومقام كريم

قبل عبيدهم، وسخروا في أعمالهم الشاقة، فسبحان من يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته. 59 كذلك وأورثناها أي: هذه البساتين والعيون، والزروع، والمقام الكريم، بني إسرائيل الذين جعلوهم من

سجية، لا تتغير ولا تتبدل، فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أي: سيقع بهم العذاب، ويحل بهم ما كذبوا به، فإنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب. 60 فقد كذبوا . أي: بالحق، وصار التكذيب لهم

فأتبعوهم مشرقين أي: اتبع قوم فرعون قوم موسى، وقت شروق الشمس، وساقوا خلفهم محثين، على غيظ وحنق قادرين. 60

فلما تراءى الجمعان أي رأى كل منهما صاحبه، قال أصحاب موسى شاكين لموسى وحزنين إنا لمدركون 61

قال موسى، مثبتا لهم، ومخبرا لهم بوعد ربه الصادق: كلا أي: ليس الأمر كما ذكرتم، أنكم مدركون، إن معي ربي سيهدين لما فيه نجاتي ونجاتكم. 62

فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق اثني عشر طريقا فكان كل فرق كالطود أي: الجبل العظيم فدخله موسى وقومه. 63

وأزلنا ثم في ذلك المكان الآخرين أي فرعون وقومه، قربانهم، وأدخلناهم في ذلك الطريق، الذي سلك منه موسى وقومه. 64

وأنجينا موسى ومن معه أجمعين استكملوا خارجين، لم يتخلف منهم أحد. 65

ثم أغرقنا الآخرين لم يتخلف منهم عن الغرق أحد. 66

على صدق ما جاء به موسى عليه السلام، وبطلان ما عليه فرعون وقومه، وما كان أكثرهم مؤمنين مع هذه الآيات المقتضية للإيمان، لفساد قلوبكم. 67 إن في ذلك لآية عظيمة،

وإن ربك لهو العزيز الرحيم بعزته أهلك الكافرين المكذبين، وبرحمته نجى موسى، ومن معه أجمعين. 68

بخصوصها، وإلا فله أنباء كثيرة، ولكن من أعجب أنبائه، وأفضلها، هذا النبأ المتضمن لرسالته، ودعوته قومه، وم حاجته إياهم، وإبطاله ما هم عليه. 69

تفسير السعدي

أي: وائل يا محمد على الناس، نبأ إبراهيم الخليل، وخبره الجليل، في هذه الحالة

على التفكير الذي ينفع صاحبه: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم من جميع أصناف النباتات، حسنة المنظر، كريمة في نفعها. 7
قال الله منها

ولذلك قيده بالظرف فقال: إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون 70

قالوا متبحجين بعبادتهم: نعبد أصناما نحتها ونعملها بأيدينا. فنظّل لها عاكفين أي مقيمين على عبادتها في كثير من أوقاتنا. 71

فقال لهم إبراهيم، مبينا لعدم استحقاقها للعبادة: هل يسمعونكم إذ تدعون فيستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كل مكروه؟ 72

وقال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون قالوا له: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي: هذا أمر متقرر من حالها، لا يقبل الإشكال والشك. 73
أو ينفعونكم أو يضرون فأقروا أن ذلك كله، غير موجود فيها، فلا تسمع دعاء، ولا تنفع، ولا تضر، ولهذا لما كسرها

يفعلون فتبعناهم على ذلك، وسلكنا سبيلهم، وحافظنا على عاداتهم، فقال لهم إبراهيم: أنتم وآباءكم، كلكم خصوم في الأمر، والكلام مع الجميع واحد. 74
فلجأوا إلى تقليد آبائهم الضالين، فقالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك

أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون 75

أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون 76

فإنهم عدو لي فليضروني بأدنى شيء من الضرر، وليكيدوني، فلا يقدرن. إلا رب العالمين 77

الذي خلقتني فهو يهدين هو المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية. 78

ثم خصص منها بعض الضروريات فقال: والذي هو يطعمني ويسقيني 79

على إحياء الله الموتى بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها وما كان أكثرهم مؤمنين كما قال تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . 8
إن في ذلك لآية

وإذا مرضت فهو يشفين 80

والذي يميّتي ثم يحيين 81

معارضتها، فدل على اشتراككم في الضلال، وترككم طريق الهدى والرشد. قال الله تعالى: وحاجه قومه قال أتأجوني في الله وقد هدان الآيات. 82
ولا تطعم ولا تسقي، ولا تميت، ولا تحيي، ولا تنفع عابديها، بكشف الكروب، ولا مغفرة الذنوب. فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرن أنتم وآباؤكم على
لي خطيئتي يوم الدين فهذا هو وحده المنفرد بذلك، فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، التي لا تخلق، ولا تهدي، ولا تمرض، ولا تشفي،
والذي أطعم أن يغفر

رب هب لي حكما أي: علما كثيرا، أعرف به الأحكام، والحلال والحرام، وأحكم به بين الأنام، وألحقني بالصالحين من إخوانه الأنبياء والمرسلين. 83
ثم دعا عليه السلام ربه فقال:

في جميع الملل، في كل الأوقات. قال تعالى: وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين . 84
الدهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوبا مقبولا معظما مثني عليه،
واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر

واجعلني من ورثة جنة النعيم أي: من أهل الجنة، التي يورثهم الله إياها، فأجاب الله دعاءه، فرفع منزلته في جنات النعيم. 85

ربي إنه كان بي حفيا قال تعالى: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم . 86
واغفر لأبي إنه كان من الضالين وهذا الدعاء، بسبب الوعد الذي قال لأبيه: سأستغفر لك

ولا تخزني يوم يبعثون أي: بالتوبيخ على بعض الذنوب، والعقوبة عليها والفضيحة، بل أسعدني في ذلك اليوم . 87

لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو به من العقاب ويستحق جزيل الثواب 88

اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبه تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله 89
به من العقاب ويستحق جزيل الثواب والقلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار على البدعة والذنوب ويلزم من سلامته مما ذكر
لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو

الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى كل حي، العزيز الذي أهلك الأشقياء بأنواع العقوبات، الرحيم بالسعداء، حيث أنجاهم من كل شر وبلاء. 9

تفسير السعدي

- وإن ربك لهو العزيز الذي قد قهر كل مخلوق، ودان له العالم العلوي والسفلي، الرحيم
- اليوم العظيم وما فيه من الثواب والعقاب فقال وأزلفت الجنة أي قربت للمتقين ربهم الذين امتثلوا أوامره واجتنبوا زواجره واتقوا سخطه وعقابه 90
- ثم ذكر من صفات ذلك
- برزت واستعدت بجميع ما فيها من العذاب للغاوين الذين أوضاعوا في معاصي الله وتجروا على محارمه وكذبوا رسله وردوا ما جاءوهم به من الحق 91
- وبرزت الجحيم أي
- وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون 92
- الله هل ينصرونكم أو ينتصرون بأنفسهم أي فلم يكن من ذلك من شيء وظهر كذبهم وخزيهم ولاحت خسارتهم وفضيحتهم وبان ندمهم وذل سعيهم 93
- من دون
- فكذبوا فيها أي ألقوا في النار هم أي ما كانوا يعبدون والغاوين العابدون لها 94
- أزا وتسلط عليهم بشرهم وعدم إيمانهم فصاروا من دعاة والساعين في مرضاته وهم ما بين داع لطاعته ومجيب لهم ومقلد لهم على شركهم 95
- وجنود إبليس أجمعون من الإنس والجن الذين أزههم إلى المعاصي
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 96
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 97
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- رب العالمين إلا في العبادة لا في الخلق بدليل قولهم رب العالمين إنهم مقررون أن الله رب العالمين كلهم الذين من جملتهم أصنامهم وأوثانهم 98
- العالمين في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وتدعوكم كما ندعوه فتبين لهم حينئذ ضلالهم وأقروا بعدل الله في عقوبتهم وأنها في محلها وهم لم يسووهم قالوا أي جنود إبليس الغاوون لأصنامهم وأوثانهم التي عبدوها تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب
- وما أضلنا عن طريق الهدى والرشد ودعانا إلى طريق الغي والفسق إلا المجرمون وهم الأئمة الذين يدعون إلى النار 99

سورة 27

- المعاندين صونا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم. 1
- العليا وأفعاله الكاملة، آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بآبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع ودعت للوصول إلى الإيقان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلية، على طبق ما كان ويكون. آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخلق ذميم، آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار، آيات دلت على الإيمان مبين أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق، آيات تدل على الأخبار ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال: تلك آيات القرآن وكتاب
- وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالاته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصا عند زيادة القرب منه والخطوة بتكليمه. 10
- له: يا موسى لا تخف وقال في الآية الأخرى: أقبل ولا تخف إنك من الأمنين إنني لا يخاف لدي المرسلون لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره فألقاها فلما رآها تهتز كأنها جان وهو ذكر الحيات سريع الحركة، ولي مدبرا ولم يعقب نذرا من الحياة التي رأى على مقتضى الطباع البشرية، فقال الله وألق عصاك
- حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعا وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها. 11
- بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجرم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، ثم تاب وأناب فبدل سيئاته إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء أي: فهذا الذي هو محل الخوف والوحشة
- آيات تذهب بها وتدعو فرعون وقومه، إنهم كانوا قوما فاسقين فسقوا بشركهم وعتوهم وعلوهم على عباد الله واستكبارهم في الأرض بغير الحق. 12
- يبهر الناظرين شعاعه. في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي: هاتان الآيتان انقلاب العصا حية تسعى وإخراج اليد من الجيب فتخرج بيضاء في جملة تسع

تفسير السعدي

وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء لا حرص ولا نقص، بل بياض

من أعجب العجائب الآيات المبصرات والأنوار الساطعات، تجعل من بين الخزعبات وأظهر السحرا هل هذا إلا من أعظم المكابرة وأوقح السفسطة. 13
مضيئة تدل على الحق ويبيصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس. قالوا هذا سحر مبين لم يفهم مجرد القول بأنه سحر بل قالوا: مبين ظاهر لكل أحد. وهذا
فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه ودعاهم إلى الله تعالى وأراهم الآيات. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة

وعلى الانقياد للرسول، فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أسوأ عاقبة دمرهم الله وغرقهم في البحر وأخزاهم وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده. 14
أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها ظلما منهم لحق ربهم ولأنفسهم، وعلاوا على الحق وعلى العباد
وجحدوا بها أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، واستيقنتها أنفسهم

خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكا عظيما وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه صلى الله عليه وسلم فقال: وورث سليمان داود. 15
شاكرا لله على نعمه الدينية والدنيوية وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها بل يرى أنها تستحق عليه شكرا كثيرا، فلما مدحهما مشتركين
من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحا عظيما فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون
الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من خواص الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم
لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فحمدا الله على جعلهما من المؤمنين أهل السعادة وأنهما كانا من خواصهم. ولا شك أن المؤمنين أربع درجات:
إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما الآية. وقالوا شاكرا لربهما منته الكبرى بتعليمهما: الحمد
يذكر في هذا القرآن وينوه بمنته على داود وسليمان ابنه بالعلم الواسع الكثير لدليل التنكير كما قال تعالى: وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث

غدوها شهر ورواحها شهر. إن هذا الذي أعطانا الله وفضلنا واختصنا به هو الفضل المبين الواضح الجلي فاعترف أكمل اعتراف بنعمة الله تعالى. 16
ولهذا دعا ربه فقال: وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فسخر الله له الشياطين يعملون له كل ما شاء من الأعمال التي يعجز عنها غيرهم، وسخر له الريح
لأحد غير سليمان عليه الصلاة والسلام. وأوتينا من كل شيء أي: أعطانا الله من النعم ومن أسباب الملك ومن السلطنة والقهر ما لم يؤته أحدا من الآدميين،
الناس علمنا منطق الطير فكان عليه الصلاة والسلام يفقه ما تقول وتتكلم به كما راجع الهدهد وراجعهم، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي وهذا لم يكن
تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه كما تقدم من قوله ففهمناها سليمان، وقال شكرا لله وتبجحا بإحسانه وتحديثا بنعمته: يا أيها
أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى علمه، فلعله

بأمره لا تقدر على عصيانه ولا تتمرد عنه، قال تعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك أي: أعط بغير حساب، فسار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره 17
يدبرون ويرد أولهم على آخرهم، وينظمون غاية التنظيم في سيرهم ونزولهم وحلهم وترحالهم قد استعد لذلك وأعد له عدته. وكل هذه الجنود مؤتمرة
جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون أي: جمع له جنوده الكثيرة الهائلة المتنوعة من بني آدم، ومن الجن والشياطين ومن الطيور فهم يوزعون
وحشر لسليمان

سليمان وجنوده وعظمة سلطانه، واعتذرت عنهم أنهم إن حطموكم فليس عن قصد منهم ولا شعور، فسمع سليمان عليه الصلاة والسلام قولها وفهمه. 18
وإما بأنها أخبرت من حولها من النمل ثم سرى الخبر من بعضهن لبعض حتى بلغ الجميع وأمرتهن بالحدز، والطريق في ذلك وهو دخول مساكنهن. وعرفت حالة
النملة وأسمنت النمل إما بنفسها ويكون الله قد أعطى النمل أسماعا خارقة للعادة، لأن التنبيه للنمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب.
حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة منبهة لرفقتها وبني جنسها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فنصحت هذه
الصالحين فإن الرحمة مجعولة للصالحين على اختلاف درجاتهم ومنازلهم. فهذا نموذج ذكره الله من حالة سليمان عند سماعه خطاب النملة ونداءها. 19
أي: ووفقني أن أعمل صالحا ترضاه لكونه موافقا لأمر مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات، وأدخلني برحمتك التي منها الجنة في جملة عبادك
وعلى والدي فإن النعمة على الوالدين نعمة على الولد. فسأل ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه، وأن أعمل صالحا ترضاه
الخلق والجبروت. والرسول منزّهون عن ذلك. وقال شاكرا لله الذي أوصله إلى هذه الحال: رب أوزعني أي: ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي
كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة
بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما
فتبسم ضاحكا من قولها إعجابا منه

للمؤمنين أي: تهديهم إلى سلوك الصراط المستقيم وتبين لهم ما ينبغي أن يسلكوه أو يتركوه، وتبشرهم بثواب الله المرتب على الهداية لهذا الطريق. 2
فهذا قال: هدى وبشرى

أم كان من الغائبين أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟ 20
سليمان عليه السلام للطير، وفقد الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير فقال ما لي لا أرى الهدهد
وإن خالفته لفظا ومعنى أو لفظا أو معنى ردها وجزم ببطلانها، لأن عنده أصلا معلوما مناقضا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته. والشاهد أن تفقد

تفسير السعدي

التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالا عليها، هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللييب الفطن يعرف أن التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد؟ وهذه ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضاً فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين له الماء فلما فقده قال ما قال أو فتش عن الهدهد أو: بحث عنه ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات. وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: وطلب الهدهد لينظر العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقد ثم ذكر نموذجاً آخر من مخاطبته للطير فقال: وتفقد الطير دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته. 21

تغيظ عليه وتوعده فقال: لأعذبه عذاباً شديداً دون القتل، أو لأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه فحينئذ

به أي: عندي العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه، وجنتك من سبب القبيلة المعروفة في اليمن بنبا يقين أي: خبر متيقن. 22

هيبة جنوده منه وشدة انتمارهم لأمره، حتى إن هذا الهدهد الذي خلفه العذر الواضح لم يقدر على التخلف زمناً كثيراً، فقال لسليمان: أحطت بما لم تحط فمكث غير بعيد ثم جاء وهذا يدل على ذلك. ولها عرش عظيم أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة وقوة السلطان وكثرة رجال الشورى. 23

فقال: إني وجدت امرأة تملكهم أي: تملك قبيلة سبأ وهي امرأة وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ثم فسر هذا النبأ

الشمس. وزين لهم الشيطان أعمالهم فرأوا ما عليه هو الحق، فهم لا يهتدون لأن الذي يرى أن الذي عليه حق لا مطمع في هدايته حتى تتغير عقيدته. 24

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي: هم مشركون يعبدون

بأنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم ويعلم ما تخفون وما تعلنون. 25

والأرض أي: يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء ثم قال: ألا أي: هلا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات

عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم وتعجب سليمان كيف خفي عليه. 26

والحب إلا له لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك. رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ووسع الأرض والسماوات، فهذا الملك الله لا إله إلا هو أي: لا تبغي العبادة والإنابة والذل

وقال مثبتاً لكمال عقله ورزاقته سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين 27

أذهب بكتابي هذا وسيأتي نصه فألقه إليهم ثم تول عنهم أي استأخر غير بعيد فانظر ماذا يرجعون إليك وما يتراجعون به 28

فذهب به فألقاه عليها فقالت لقومها إني ألقى إلي كتاب كريم أي جليل المقدار من أكبر ملوك الأرض 29

التام الواصل إلى القلب الداعي إلى العمل. ويقيّنهم بالآخرة يقتضي كمال سعيهم لها، وحذرهم من أسباب العذاب وموجبات العقاب وهذا أصل كل خير. 3

المصلي ويفعله. ويؤتون الزكاة المفروضة لمستحقّيها. وهم بالآخرة هم يوقنون أي: قد بلغ معهم الإيمان إلى أن وصل إلى درجة اليقين وهو العلم فيأتون بأفعالها الظاهرة، من أركانها وشروطها وواجباتها بل ومستحباتها، وأفعالها الباطنة وهو الخشوع الذي روحها ولها باستحضار قرب الله وتدبر ما يقول فهل يقبل من كل أحد ادعى أنه مؤمن ذلك؟ أم لا بد لذلك من دليل؟ وهو الحق فلذلك بين تعالى صفة المؤمنين فقال: الذين يقيمون الصلاة فرضها ونفلها ربما قيل: لعله يكثر مدعو الإيمان

ثم بينت مضمونه فقالت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم 30

لأمره والدخول تحت طاعته، ومجيئهم إليه ودعوتهم إلى الإسلام، وفيه استحباب ابتداء الكتب بالبسملة كاملة وتقديم الاسم في أول عنوان الكتاب. 31

تفسير السعدي

- وانقادوا لأوامري وأقبلوا إلي مسلمين. وهذا في غاية الوجازة مع البيان التام فإنه تضمن نهيهم عن العلو عليه، والبقاء على حالهم التي هم عليها والانقياد ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين أي: لا تكونوا فوق بل اخضعوا تحت سلطاني،
- ماذا نجيبه به؟ وهل ندخل تحت طاعته وننقاد؟ أم ماذا نفعل؟ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أي: ما كنت مستبدة بأمر دون رأيكم ومشورتكم. 32
- فمن حزمها وعقلها أن جمعت كبار دولتها ورجال مملكتها وقالت: يا أيها الملأ أفتوني في أمري . أي: أخبروني
- ولكنهم أيضا لم يستقروا عليه بل قالوا: والأمر إليك أي: الرأي ما رأيت لعلمهم بعقلها وحزمها ونصحها لهم فانظري نظر فكر وتدبر ماذا تأمرين . 33
- أولو قوة وأولو بأس شديد أي: إن رددت عليه قوله ولم تدخل في طاعته فإننا أقوياء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي الذي لو تم لكان فيه دمارهم، قالوا نحن
- الأدلين، أي: فهذا رأي غير سديد، وأيضا فلسست بمطبعة له قبل الاختبار وإرسال من يكشف عن أحواله ويتدبرها، وحينئذ نكون على بصيرة من أمرنا. 34
- القتال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها قتلا وأسرا ونهبوا لأموالها، وتخريبا لديارها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي: جعلوا الرؤساء السادة أشرف الناس من فقالت لهم مقنعة لهم عن رأيهم ومبينة سوء مغبة
- هل يستمر على رأيه وقوله؟ أم تخدعه الهدية وتتبدل فكرته وكيف أحواله وجنوده؟ فأرسلت له هدية مع رسل من عقلاء قومها وذوي الرأي: منهم 35
- فقال: وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون منه.
- تقع عندي موقعا ولا أفرح بها قد أغناني الله عنها وأكثر علي النعم، بل أنتم بهديتكم تفرحون لحبكم للعالم وقله ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله. 36
- فلما جاء سليمان أي: جاء الرسل بالهدية قال منكر عليهم ومتغيظا على عدم إجابتهم: أتمدنون بما لآتان الله خير مما آتاكم فليست
- لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون فرجع إليهم وأبلغهم ما قال سليمان وتجهزوا للمسير إلى سليمان، وعلم سليمان أنهم لا بد أن يسيروا إليه. 37
- ثم أوصى الرسول من غير كتاب لما رأى من عقله وأنه سينقل كلامه على وجهه فقال: ارجع إليهم أي: بهديتك فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم أي: لا طاقة
- فقال لمن حضره من الجن والإنس: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أي: لأجل أن نتصرف فيه قبل أن يسلموا فتكون أموالهم محترمة. 38
- تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى نحو ثلث يوم هذا نهاية المعتاد، وقد يكون دون ذلك أو أكثر. 39
- فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر شهران ذهابا وشهران إيابا، ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا التزم بالمجيء به على كبره وثقله، وبعده قبل أن قال عفريت من الجن والعفريت: هو القوي النشيط جدا: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام
- بإثباتها، زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون حائرين مترددين مؤثرين سخط الله على رضاء، قد انقلبت عليهم الحقائق فأروا الباطل حقا والحق باطلا. 4
- إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ويكذبون بها ويكذبون من جاء
- يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم غني عن أعماله كريم كثير الخير يعم به الشاكر والكافر، إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها وكفرها داع لزوالها. 40
- بل علم أن ذلك اختبار من ربه فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بين أن هذا الشكر لا ينتفع الله به وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه فقال: ومن شكر فإنما
- الأمر له و قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته كما هو دأب الملوك الجاهلين،
- المراد أم أن عنده علما من الكتاب يقدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد فلما رآه سليمان مستقرا عنده حمد الله تعالى على إقداره وملكه وتيسير
- دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى. أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك بأن يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالا وأنه دعا الله فحضر. فالله أعلم هل هذا
- ذلك أن قال الذي عنده علم من الكتاب قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: آصف بن برخيا كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا
- وهذا الملك العظيم الذي عند آحاد رعيته هذه القوة والقدرة وأبلغ من
- أي: غيروه بزيادة ونقص، ونحو ذلك ننظر مختبرين لعقلها أتهدي للصواب ويكون عندها ذكاء وفطنة تليق بملكها أم تكون من الذين لا يهتدون . 41
- ثم قال لمن عنده: نكروا لها عرشها
- وزيادة اقتداره من قبل هذه الحالة التي رأينا فيها قدرته على إحضار العرش من المسافة البعيدة فأذعنا له وجننا مسلمين له خاضعين لسلطانه 42
- والحزم من قبل هذه الملكة، وكنا مسلمين وهي الهداية النافعة الأصلية. ويحتمل أن هذا من قول ملكة سبأ: وأوتينا العلم عن ملك سليمان وسلطانه
- بلفظ محتمل للأميرين صادق على الحاليين، فقال سليمان متعجبا من هدايتها وعقلها وشاكر الله أن أعطاه أعظم منها: وأوتينا العلم من قبلها أي: الهداية والعقل
- هو كهذا العرش الذي أحضرناه لك؟ قالت كأنه هو وهذا من ذكائها وفطنتها لم تقل هو لوجود التغيير فيه والتذكير ولم تنف أنه هو، لأنها عرفت، فأتت
- فلما جاءت قادمة على سليمان عرض عليها عرشها وكان عهدا به قد خلفته في بلدها، و قيل لها أهكذا عرشك أي: أنه استقر عندنا أن لك عرشا عظيما فهل
- إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسا من قوارير تجري تحته الأنهار. 43
- على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلها لا يستغرب بقاؤها على الكفر، ثم
- الله أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب إنها كانت من قوم كافرين فاستمرت

قال الله تعالى: وصدها ما كانت تعبد من دون

المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفسير. والله أعلم. 44
جرى لها مع سليمان، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله وهو من الأمور التي يقف الحزم بها، على الدليل نبوته ورسالته ثابتة ورجعت عن كفرها و قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ وما استعدت للخوض قيل لها: إنه صرح ممرد أي: مملس من قوارير فلا حاجة منك لكشف الساقين. فحينئذ لما وصلت إلى سليمان وشاهدت ما شاهدت وعلمت بدخوله لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام وأن ملك سليمان وتنظيمه قد بناه على الحكمة ولم يكن في قلبها أدنى شك من حالة السوء بعد ما رأت ما رأت. فلما الماء الذي تحتها كأنه بذاته يجري ليس دونه شيء، وكشفت عن ساقها للخياضة وهذا أيضا من عقلها وأدبها، فإنها لم تمتنع من الدخول للمحل الذي أمرت ف قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة ماء لأن القوارير شفافة، يرى

في النسب صالحا وأنه أمرهم أن يعبدوا الله وحده ويتركوا الأنداد والأوثان، فإذا هم فريقان يختصمون منهم المؤمن ومنهم الكافر وهم معظمهم. 45
يخبر تعالى أنه أرسل إلى ثمود القبيلة المعروفة أخاهم

تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، لعلمكم ترحمون فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين. 46
قبل فعل الحسنات التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟. لولا تستغفرون الله بأن قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي: لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها

أصابكم إلا بذنوبكم، بل أنتم قوم تفتنون بالسراء والضراء والخير والشر لينظر هل تفلعون وتتوبون أم لا؟ فهذا دأبهم في تكذيب نبيهم وما قابله به. 47
الله أنهم لم يروا على وجه صالح خيرا وأنه هو ومن معه من المؤمنين صاروا سببا لمنع بعض مطالبهم الدنيوية، فقال لهم صالح: طائركم عند الله أي: ما قالوا لنبيهم صالح مكذابين ومعارضين: اطيرنا بك وبمن معك زعموا قبحهم

والطعن في دينه ودعوة قومهم إلى ذلك كما قال تعالى: فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون 48
الجامعة لمعظم قومه تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي: وصفهم الإفساد في الأرض، ولا لهم قصد ولا فعل بالإصلاح قد استعدوا لمعاداة صالح وكان في المدينة التي فيها صالح

أي نأتيه ليلا هو وأهله فلنقتلنهم ثم لنقولن لوليه إذا قام علينا وادعى علينا أننا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف إنا لصادقون فتواطئوا على ذلك 49
فلم يزالوا بهذه الحال الشنيعة حتى إنهم من عداوتهم تقاسموا فيما بينهم كل واحد أقسم للآخر لنبيته وأهله

وأعظمه، وهم في الآخرة هم الأخسرون حصر الخسار فيهم لكونهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة وخسروا الإيمان الذي دعته إليهم إليه الرسل. 5
أولئك الذين لهم سوء العذاب أي: أشده وأسوأه

على وجه الخفية حتى من قومهم خوفا من أوليائه ومكرنا مكرنا بنصر نبينا صالح عليه السلام وتيسير أمره وإهلاك قومه المكذبين وهم لا يشعرون 50
ومكروا مكرنا دبوا أمرهم على قتل صالح وأهله

مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال أنا دمرناهم وقومهم أجمعين أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم 51
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر

الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم والدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز 52
على سقوفها وأوحشت من ساكنيها وعظمت من نازليها بما ظلموا أي هذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله وبغيهم في الأرض إن في ذلك لآية لقوم يعلمون
فتلك بيوتهم خاوية قد تهدمت جدرانها

أي أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي ويعملون بطاعته وطاعة رسله 53
ولهذا قال وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطر وتستقبحها الشرائع وأنتم تبصرون ذلك وتعلمون قبحه فعاندتم وارتكبتم ذلك ظلما منكم وجرأة على الله. 54
أي: واذكر عبدا ورسولنا لوطا ونباها الفاضل حين قال لقومه داعيا إلى الله وناصحا: أتأتون الفاحشة أي: الفعلة

إلى الميل إليها وأنتم انقلب عليكم الأمر فاستحسنتم القبيح واستقبحتم الحسن بل أنتم قوم تجهلون متجاوزون لحدود الله متجرئون على محارمه. 55
إلى هذه الحال، صارت شهوتكم للرجال، وأدبارهم محل الغائط والنجو والخبث، وتركتم ما خلق الله لكم من النساء من المحال الطيبة التي جبلت النفوس
ثم فسر تلك الفاحشة فقال: أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي: كيف توصلتم

من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون ومفهوم هذا الكلام: وأنتم متلوثون بالخبث والقذارة المقتضي لنزول العقوبة بقريبتكم ونجاة من خرج منها 56
أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات، ولم يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم به حتى وصلوا إلى إخراجهم، والبلاء موكل بالمنطق فهم قالوا: أخرجوهم

تفسير السعدي

فكانه قيل: ما نقيمتم منهم وما ذنبهم الذي أوجب لهم الإخراج، فقالوا: إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن اللواط وأدبار الذكور. فقبحهم الله جعلوا والمناقضة والتوعد لنبيهم الناصح ورسولهم الأمين بالإجلاء عن وطنه والتشريد عن بلده. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتهم فما كان جواب قومه قبول ولا انزجار ولا تذكر وادكار، إنما كان جوابهم المعارضة

فخرج بأهله ليلا فنجوا وصبحهم العذاب، فقلب الله عليهم ديارهم وجعل أعلاها أسفلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك. 57 وأنهم جاءوا لاستنقاذه وإخراجه من بين أظهرهم وأنهم يريدون إهلاكهم وأن موعدهم الصبح، وأمروه أن يسري بأهله ليلا إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم لما جاءته الملائكة في صورة أضياف وسمع بهم قومه فجاءوا إليه يريدونهم بالشر وأغلق الباب دونهم واشتد الأمر عليه، ثم أخبرته الملائكة عن جلية الحال ولهذا قال تعالى: فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين وذلك

مطرا فساء مطر المنذرين أي: بنس المطر مطرهم وبنس العذاب عذابهم لأنهم أندروا وخوفوا فلم ينجروا ولم يرتدعوا فأحل الله بهم عقابه الشديد. 58 ولهذا قال هنا: وأمطرنا عليهم

ذرة من الخير فالله خير مما يشركون. ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل فقال: 59 كامل الأوصاف عظيم الألفاظ خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال وسلامتهم من الشر والأنداس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب. آله خير أما يشركون وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم الظالمين، وسلم أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكرهم وتنويعها بقدرهم أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكامل أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب

بأسرار الأمور وبواطنها، كظواهرها. وإذا كان من عند حكيم عليم علم أنه كله حكمة ومصالح للعباد، من الذي هو أعلم بمصالحهم منهم؟ 6 القرآن من لدن حكيم عليم أي: وإن هذا القرآن الذي ينزل عليك وتتلقفه وتتلقنه ينزل من عند حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها. عليم وإنك لتلقى

الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به؟ بل هم قوم يعدلون به غيره ويسوون به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق. 60 أي: حسن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها لولا منة الله عليكم بإنزال المطر. أله مع الله فعل هذه والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك. وأنزل لكم أي: لأجلكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق أي: بساتين ذات بهجة أي: أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة

فعل ذلك حتى يعدل به الله ويشرك به معه. بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون بالله تقليدا لرؤسائهم وإلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا. 61 المقصودة من كل منهما بل جعل بينهما حاجزا من الأرض، جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، أله مع الله ترسيها وتثبيتها لئلا تميد وتكون أوتادا لها لئلا تضطرب. وجعل بين البحرين البحر المالح والبحر العذب حاجزا يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة وجعل خلالها أنهارا أي: جعل في خلال الأرض أنهارا ينتفع بها العباد في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم. وجعل لها رواسي أي: جبالا وجه التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع خير؟ أم الله الذي جعل الأرض قرارا يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب. أي: هل الأصنام والأوثان الناقصة من كل

أي: قليل تذكركم وتديركم للأمور التي إذا تذكرتموها اذكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما أرعويتم ولا اهتديتم. 62 من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقدر على دفعه وإزالته، قليلا ما تذكرون ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئا عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر

أم هو وحده الذي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره وعبدتم سواه؟ تعالى الله عما يشركون تعاضم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره. 63 رحمته أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تولفه ثم تجمعها ثم تلقه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر. أله مع الله فعل ذلك؟ دليل ولا معلم يرى ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي أي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا

لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات. 64 صادقين وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟ أله مع الله يفعل ذلك ويقدر عليه؟ قل هاتوا برهانكم أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم إن كنتم أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟

تفسير السعدي

- شيء إلى ما هو أبلغ منه فقال: وما يشعرون أي: وما يدرون أيان يبعثون أي: متى البعث والنشور والقيام من القبور أي: فلذلك لم يستعدوا. 65
- كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ثم أخبر تعالى عن ضعف علم المكذبين بالآخرة منتقلا من الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام إلى آخر السورة. فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وكقوله: إن يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض كقوله تعالى: وعنده مفاتيح الغيب
- الشك، بل هم منها أي: من الآخرة عمون قد عميت عنها بصائرهم، ولم يكن في قلوبهم من وقوعها ولا احتمال بل أنكروها واستبعدوها. 66
- للعلم ضعفه ووهأوه، بل ليس عندهم علم قوي ولا ضعيف وإنما هم في شك منها أي: من الآخرة، والشك زال به العلم لأن العلم بجميع مراتبه لا يجمع بل ادرك علمهم في الآخرة أي: بل ضعف، وقل ولم يكن يقينا، ولا علما واصلا إلى القلب وهذا أقل وأدنى درجة
- وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا وأبأونا أننا لمخرجون أي: هذا بعيد غير ممكن قاسوا قدرة كامل القدرة بقدرهم الضعيفة. 67
- قلوبهم فأقدموا على معاصي الله وسهل عليهم تكذيب الحق والتصديق بالباطل واستحلوا الشهوات على القيام بالعبادات ففسدوا دنياهم وأخراهم. 68
- بضعف علمهم فيها ثم الإخبار بأنه شك ثم الإخبار بأنه عمى ثم الإخبار بإنكارهم لذلك واستبعادهم وقوعه. أي: وبسبب هذه الأحوال ترحل خوف الآخرة من وأخبارهم التي تقطع بها الأوقات وليس لها أصل ولا صدق فيها. فانتقل في الإخبار عن أحوال المكذبين بالإخبار أنهم لا يدرون متى وقت الآخرة ثم الإخبار لقد وعدنا هذا أي: البعث نحن وأبأونا من قبل أي: فلم يجئنا ولا رأينا منه شيئا. إن هذا إلا أساطير الأولين أي: قصصهم
- كيف كان عاقبة المجرمين فلا تجدون مجرما قد استمر على إجرامه، إلا وعاقبته شر عاقبة وقد أحل الله به من الشر والعقوبة ما يليق بحاله. 69
- ثم نبههم على صدق ما أخبرت به الرسل فقال: قل سيروا في الأرض فانظروا
- نارا من بعيد سأتیکم منها بخبر عن الطريق، أو أتیکم بشهاب قبس لعلکم تصطلون أي: تستدفئون، وهذا دليل على أنه تائه ومشتد برده هو وأهله. 7
- مدین عدة سنين وسار بأهله من مدين متوجها إلى مصر، فلما كان في أثناء الطريق ضل وكان في ليلة مظلمة باردة فقال لهم: إني آنست نارا أي: أبصرت آخر قصته، يعني: اذكر هذه الحالة الفاضلة الشريفة من أحوال موسى بن عمران، ابتداء الوحي إليه واصطفائه برسالته وتكليم الله إياه، وذلك أنه لما مكث في إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا إلى
- للخير، لم تأس ولم تحزن، ولا يضق صدرك ولا تقلق نفسك بمكرهم فإن مكرهم سيعود عاقبته عليهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين 70
- أي: لا تحزن يا محمد على هؤلاء المكذبين وعدم إيمانهم، فإنك لو علمت ما فيهم من الشر وأنهم لا يصلحون
- إن كنتم صادقين وهذا من سفاهة رأيهم وجهلهم فإن وقوعه ووقته قد أجله الله بأجله وقدره بقدر، فلا يدل عدم استعجاله على بعض مطلوبهم. 71
- ويقول المكذبون بالمعاد وبالحق الذي جاء به الرسول مستعجلين للعذاب: متى هذا الوعد
- تعالى محذرا لهم وقوع ما استعجلوه: قل عسى أن يكون ردف لكم أي: قرب منكم وأوشك أن يقع بكم بعض الذي تستعجلون من العذاب. 72
- ولكن مع هذا قال
- ينبه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر واشتغلوا بالنعم عن المنعم. 73
- وإن ربك ليعلم ما تكن أي: تنطوي عليه صدورهم وما يعلنون فليحذروا من عالم السرائر والظواهر وليراقبوه. 74
- مبين قد أحاط ذلك الكتاب بجميع ما كان ويكون إلى أن تقوم الساعة، فكل حادث يحدث جلي أو خفي إلا وهو مطابق لما كتب في اللوح المحفوظ. 75
- وما من غائبة في السماء والأرض أي: خفية وسر من أسرار العالم العلوي والسفلي إلا في كتاب
- كل خلاف وفصل كل مشكل كان أعظم نعم الله على العباد ولكن ما كل أحد يقابل النعمة بالشكر. ولهذا بين أن نفعه ونوره وهده مختص بالمؤمنين 76
- عند بني إسرائيل فقصه هذا القرآن قصا زال به الإشكال وبين به الصواب من المسائل المختلف فيها. وإذا كان بهذه المثابة من الجلالة والوضوح وإزالة وهذا خبر عن هيمنة القرآن على الكتب السابقة وتفصيله وتوضيحه، لما كان فيها قد وقع فيه اشتباه واختلاف
- له بالقبول المقبلين على تدبره المتفكرين في معانيه، فهؤلاء تحصل لهم به الهداية إلى الصراط المستقيم والرحمة المتضمنة للسعادة والفوز والفلاح. 77
- وإنه لهدى من الضلالة والغي والشبه ورحمة تنلج له صدورهم وتستقيم به أمورهم الدينية والدنيوية للمؤمنين به المصدقين له المتلقين
- الخالق فأدعوا له، العلم بجميع الأشياء العلم بأقوال المختلفين وعن ماذا صدرت وعن غاياتها ومقاصدها وسيجازي كلا بما علمه فيه. 78
- فيها اشتباه في الدنيا بين المختلفين لخفاء الدليل أو لبعض المقاصد فإنه سيبين فيها الحق المطابق للواقع حين يحكم الله فيها، وهو العزيز الذي قهر أي: إن الله تعالى سيفصل بين المختصين وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل
- وأیضا فهو حق في غاية البیان لا خفاء به ولا اشتباه، وإذا قمت بما حملت وتوكلت على الله في ذلك فلا يضرك ضلال من ضل وليس عليك هدام 79
- الحق المبين الواضح والذي على الحق يدعو إليه، ويقوم بنصرته أحق من غيره بالتوكل فإنه يسعى في أمر مجزوم به معلوم صدقه لا شك فيه ولا مرية.

تفسير السعدي

- أي: اعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين وجهاد الأعداء. إنك على بركته أن جعله الله موضعا لتكليم الله لموسى وندائه وإرساله. وسبحان الله رب العالمين عن أن يظن به نقص أو سوء بل هو الكامل في وصفه وفعله. 8
- فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها أي: ناداه الله تعالى وأخبره أن هذا محل مقدس مبارك، ومن إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء أي: حين تدعوهم وتناديهم، وخصوصا إذا ولوا مدبرين فإنه يكون أبلغ في عدم إسماعهم. 80
- الذين يؤمنون بآيات الله وينقادون لها بأعمالهم واستسلامهم كما قال تعالى: إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى بيعتهم الله ثم إليه يرجعون 81
- ضلاتهم كما قال تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون أي: هؤلاء الذين ينقادون لك، وما أنت بهادي العمي عن
- الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم 82
- المشهوره التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشرط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يأت دليل يدل على كقيمتها ولا من أي: نوع هي وإنما دلت أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم وبقيتهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون. وهذه الدابة هي الدابة لهم دابة خارجة من الأرض أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء. وهذه الدابة تكلمهم أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته. أخرجنا
- من كل أمة من الأمم فوجا وطائفة ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يجمع أولهم على آخرهم وآخرهم على أولهم ليعمهم السؤال والتوبيخ واللوم. 83
- يخبر تعالى عن حالة المكذبين في موقف القيامة وأن الله يجمعهم، ويحشر
- لم تحيطوا به علما؟ أم ماذا كنتم تعملون أي: يسألهم عن علمهم وعن عملهم فيجد عليهم تكذبا بالحق، وعملهم لغير الله أو على غير سنة رسولهم. 84
- قال لهم موبخا ومقرعا: أكذبت بآياتي ولم تحيطوا بها العلم أي: الواجب عليكم التوقف حتى ينكشف لكم الحق وأن لا تتكلموا إلا بعلم، فكيف كذبت بأمري حتى إذا جاءوا وحضروا
- القول عليهم بما ظلموا أي: حقت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم الذي استمروا عليه وتوجهت عليهم الحجة، فهم لا ينطقون لأنه لا حجة لهم. 85
- ووقع
- ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشر في معاشهم وتصرفاتهم. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته. 86
- أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة والنعمة الجسيمة وهو تسخير الله لهم الليل والنهار، هذا بظلمته ليسكنوا فيه ويستريحوا من التعب
- قال تعالى: إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ففي ذلك اليوم يتساوى الرؤساء والمرءوسون في الذل والخضوع لمالك الملك. 87
- هو مقدمة له. إلا من شاء الله ممن أكرمه الله وثبته وحفظه من الفزع. وكل من الخلق عند النفخ في الصور أتوه داخرين صاغرين ذليلين، كما القلوب فقال: ويوم ينفخ في الصور ففزع بسبب النفخ فيه من في السماوات ومن في الأرض أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفا مما يخوف تعالى عباد ما أمامهم من يوم القيامة وما فيه من المحن والكروب، ومزعجات
- ولهذا قال: وهي تمر مر السحاب من خفتها وشدة ذلك الخوف وذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون فيجازيكم بأعمالكم. 88
- جامدة لا تفقد شيئا منها وتظنها باقية على الحال المعهودة وهي قد بلغت منها الشدائد والأحوال كل مبلغ وقد تفتت ثم تضمحل وتكون هباء منبثا.
- ومن هوله أنك ترى الجبال تحسبها
- أو قلبية فله خير منها هذا أقل التفضيل وهم من فزع يومئذ آمنون أي: من الأمر الذي فزع الخلق لأجله آمنون وإن كانوا يفزعون معهم. 89
- ثم بين كيفية جزائه فقال: من جاء بالحسنة اسم جنس يشمل كل حسنة قولية أو فعلية
- ووحيه وتكليمه. ومن عزته أن تعتمد عليه ولا تستوحش من انفرادك وكثرة أعدائك وجبروتهم، فإن نواصيهم بيد الله وحركاتهم وسكونهم بتدبيره. 9
- قهر جميع الأشياء وأذعنت له كل المخلوقات، الحكيم في أمره وخلقه. ومن حكمته أن أرسل عبده موسى بن عمران الذي علم الله منه أنه أهل لرسالته الحكيم أي: أخبره الله أنه الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له كما في الآية الأخرى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري العزيز الذي يا موسى إنه أنا الله العزيز
- بالسينة اسم جنس يشمل كل سينة فكبت وجوههم في النار أي: ألقوا في النار على وجوههم ويقال لهم: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون 90
- ومن جاء
- بالبيت وحده. وأمرت أن أكون من المسلمين أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل صلى الله عليه وسلم فإنه أول هذه الأمة إسلاما وأعظمها استسلاما. 91
- المكرمة التي حرمها وأنعم على أهلها فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. وله كل شيء من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته أي: قل لهم يا محمد إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة أي: مكة

تفسير السعدي

أديته، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه نفعه يعود عليه وثمرته عائدة إليه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين وليس بيدي من الهداية شيء. 92
و أمرت أيضا أن أتلو عليكم القرآن لتهتدوا به وتقتدوا وتعلموا ألفاظه ومعانيه فهذا الذي علي وقد

وسلم. على يد جامعهم وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في 22 رمضان سنة 1343. 93
ميسر القرآن للمتذكرين ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين وممد مائدة خيراته ومبراته للمتفكرين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه
إلينا، فهو أكرم الأكرمين وخير الراحمين وموصل المنقطعين ومجيب السائلين. ميسر الأمور العسيرة وفاتح أبواب بركاته والمجزل في جميع الأوقات هباته،
يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه. تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانتة وتيسيره. ونسأله تعالى أن لا تزال أطافه ومعونته مستمرة علينا وواصله منه
بينه وما ربك بغافل عما تعملون بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا
آياته فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنبطون به في الظلمات. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم. سيريكهم
وقل الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من

سورة 28

وسلم. على يد جامعهم وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في 22 رمضان سنة 1343. 1
ميسر القرآن للمتذكرين ومسهل طرقه وأبوابه للمقبلين وممد مائدة خيراته ومبراته للمتفكرين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه
إلينا، فهو أكرم الأكرمين وخير الراحمين وموصل المنقطعين ومجيب السائلين. ميسر الأمور العسيرة وفاتح أبواب بركاته والمجزل في جميع الأوقات هباته،
يكون لكم حجة بوجه من الوجوه عليه. تم تفسير سورة النمل بفضل الله وإعانتة وتيسيره. ونسأله تعالى أن لا تزال أطافه ومعونته مستمرة علينا وواصله منه
بينه وما ربك بغافل عما تعملون بل قد علم ما أنتم عليه من الأعمال والأحوال وعلم مقدار جزاء تلك الأعمال وسيحكم بينكم حكما تحمدونه عليه ولا
آياته فتعرفونها معرفة تدلكم على الحق والباطل، فلا بد أن يريكم من آياته ما تستنبطون به في الظلمات. ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
عباده، فإن الذي ينبغي أن يقع منهم من الحمد والثناء على ربهم أعظم مما يقع من غيرهم لرفعة درجاتهم وكمال قربهم منه وكثرة خيراته عليهم. سيريكهم
وقل الحمد لله الذي له الحمد في الأولى والآخرة ومن جميع الخلق، خصوصا أهل الاختصاص والصفوة من

من المؤمنين فإن العبد إذا أصابته مصيبة فصبر وثبت، ازداد بذلك إيمانه، ودل ذلك، على أن استمرار الجزع مع العبد، دليل على ضعف إيمانه. 10
والخوف، ووعداها برده. إن كادت لتبدي به أي: بما في قلبها لولا أن ربطنا على قلبها فثبتناها، فصبرت، ولم تبد به. لتكون بذلك الصبر والثبات
ولما فقدت موسى أمه، حزنت حزنا شديدا، وأصبح فؤادها فارغا من القلق الذي أزعجها، على مقتضى الحالة البشرية، مع أن الله تعالى نهاها عن الحزن
لا قصد لها فيه. وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرت، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله. 11
وابحثي عنه من غير أن يحس بك أحد أو يشعروا بمقصودك فذهبت تقصه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أي: أبصرت على وجهه، كأنها مارة
وقالت أم موسى لأختها قصيه أي: اذهبي فقصي الأثر عن أخيك

تلك المقالة، المشتملة على الترغيب، في أهل هذا البيت، بتمام حفظه وكفالاته والنصح له، بادروا إلى إجابته، فأعلمتهم ودلتهم على أهل هذا البيت. 12
على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون وهذا جل غرضهم، فإنهم أحبوه حبا شديدا، وقد منعه الله من المراضع فخافوا أن يموت، فلما قالت لهم أخته
ومن لطف الله بموسى وأمه، أن منعه من قبول ثدي امرأة، فأخرجوه إلى السوق رحمة به، ولعل أحدا يطلبه، فجاءت أخته، وهو بتلك الحال فقالت هل أدلكم
الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أما، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا. 13
مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يستنكر ملازمته إياها وحنوها عليها. وتأمل هذا اللطف، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر،
يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى عليه الصلاة والسلام عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسه، وأمهم بذلك
ولكن أكثرهم لا يعلمون فإذا رأوا السبب متشوشا، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أن الله تعالى يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين
ذلك، ولتعلم أن وعد الله حق فأريناها بعض ما وعدناها به عيانا، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته،
إلى أمه كما وعدناها بذلك كي تقرر عينها ولا تحزن بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه أمانة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على
فرددناها

وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الله المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام. 14
أربعين سنة في الغالب، واستوى كملت فيه تلك الأمور آتيناها حكما وعلما أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.
ولما بلغ أشده من القوة والعقل واللب، وذلك نحو

تفسير السعدي

هذا من عمل الشيطان أي: من تزيينه ووسوسته، إنه عدو مذل مبين فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال. 15
من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، ففضى عليه أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى. فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و قال بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان. فوكزه موسى أي: وكز الذي هذا من شيعته أي: من بني إسرائيل وهذا من عدوه القبط. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من على حين غفلة من أهلها إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار. فوجد فيها رجلين يقتتلان أي: يتخاصمان ويتضاربان ودخل المدينة

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم خصوصا للمخبتين، المبادرين للإجابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام. 16
ثم استغفر ربه

من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر. 17
رب بما أنعمت علي بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، فلن أكون ظهيرا أي: معينا ومساعدًا للمجرمين أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد ف قال موسى

بالأمس على عدوه يستصرخه على قبطي آخر. قال له موسى موبخا له على حاله إنك لغوي مبين أي: بين الغواية، ظاهر الجراءة. 18
فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل. فبينما هو على تلك الحال فإذا الذي استنصره ف لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه أصبح في المدينة خائفا يترقب هل يشعر به آل
قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملاً فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك. 19
الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق. وما تريد أن تكون من المصلحين وإلا، فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن أن يببطش بالقبطي، قال له القبطي زاجرا له عن قتله: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض لأن من أعظم آثار موسى بالذي هو عدو لهما أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم فلما أن أراد أن يببطش

ومعرفة أوليائه وأعدائه، ومعرفة وقائعه وأيامه، ومعرفة ثواب الأعمال، وجزاء العمال، فهذا القرآن قد بينها غاية التبيين، وجلاها للعباد، ووضحها. 2
تلك الآيات المستحقة للتعظيم والتفخيم آيات الكتاب المبين لكل أمر يحتاج إليه العباد، من معرفة ربهم، ومعرفة حقوقه،
قبل أن يشعر، ف قال يا موسى إن الملائمة أتومرون أي: يتشاورون فيك ليقتلوك فاخرج عن المدينة إني لك من الناصحين فامتثل نصحه. 20
إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي ملئهم. فقال: وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم

القتل، ودعا الله، و قال رب نجني من القوم الظالمين فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فتوعدهم له ظلم منهم وجراءة. 21
فخرج منها خائفا يترقب أن يوقع به

قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي: وسط الطريق المختصر، الموصل إليها بسهولة ورفق، فهداه الله سواء السبيل، فوصل إلى مدين. 22
ولما توجه تلقاء مدين أي: قاصدا بوجهه مدين، وهو جنوبي فلسطين، حيث لا ملك لفرعون،

الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقين، وأبونا شيخ كبير أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقدر بها، ولا لنا رجال يزامون الرعاء. 23
قال لهما موسى ما خطبكما أي: ما شأنكما بهذه الحالة، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر ووجد من دونهم أي: دون تلك الأمة امرأتين تزودان غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقي لهما. ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة

منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا. وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى. 24
بعد التعب. فقال في تلك الحالة، مسترزقا ربه رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلي وتيسره لي. وهذا سؤال منها الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: ثم تولى إلى الظل مستريحا لذلك الظلال فرق لهما موسى عليه السلام ورحمهما فسقى لهما غير طالب

قلبه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي: ليذهب خوفك وروعك، فإن الله نجاك منهم، حيث وصلت إلى هذا المحل، الذي ليس لهم عليه سلطان. 25
أن يكافئك على إحسانك، فأجابها موسى. فلما جاءه وقص عليه القصص من ابتداء السبب الموجب لهربه، إلى أن وصل إليه قال مسكنا روعه، جابرا أخلاقه، ما أوجب لها الحياء منه، ف قالت له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا أي: لا ليمن عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده

تفسير السعدي

على أن موسى عليه السلام، لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخدام الذي لا يستحق منه عادة، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حسن خلقه ومكارم إلى موسى، فجاءته تمشي على استحياء وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء. ويدل فأرسل أبوهما إحداهما

عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى. 26 عملا، بإجارة أو غيرها. فإن الخلل لا يكون إلا بفقدتهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى أجير استؤجر، من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان أي: اجعله أجيرا عندك، يرفع الغنم ويسقيها، إن خير من استأجرت القوي الأمين أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير قالت إحداهما أي: إحدى ابنتيه يا أبت استأجره

في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح، ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه، أبلغ من غيره. 27 فأحتم عشر السنين، أو ما أريد أن أستأجرك لأكلفك أعمالا شاقة، وإنما استأجرك لعمل سهل يسير لا مشقة فيه ستجدي إن شاء الله من الصالحين فرغبه أي تصير أجيرا عندي ثماني حجج أي: ثماني سنين. فإن أتممت عشرا فمن عندك تبرع منك، لا شيء واجب عليك. وما أريد أن أشق عليك قال صاحب مدين لموسى إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني

أعلم، إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى فلا منافاة وعلى كل حال لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم 28 يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب، ليرضى أن يرفع موسى عنده ويكون خادما له، وهو أفضل منه وأعلى درجة، والله والسلام، قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهما عن الماء، وصد ماشيتهما، حتى فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟ ولو كان ذلك الرجل شعيبا، لذكره الله تعالى، ولسمته المرأتان، وأيضا فإن شعيبا عليه الصلاة فإن هذا، قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أن شعيبا عليه السلام، قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضا، ما نقول وكيل حافظ يراقبنا، ويعلم ما تعاقدا عليه. وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مدين، ليس بشعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك. أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي سواء قضيت الثماني الواجبة، أم تبرعت بالزائد عليها والله على ف قال موسى عليه السلام مجيبا له فيما طلبه منه: ذلك بيني وبينك أي: هذا الشرط، الذي

من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وكان قد أصابهم البرد، وتاهوا الطريق. 29 اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته، ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. سار بأهله قاصدا مصر، آنس أي: أبصر فلما قضى موسى الأجل يحتمل أنه قضى الأجل الواجب، أو الزائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه،

به إيمانا و يقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابا أن يفقهوه. 3 لقوم يؤمنون فإليهم يساق الخطاب، ويوجه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يقبلون به على تدبر ذلك، وتلقيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون فإنه أبداه، وأعادها في عدة مواضع، وبسطها في هذا الموضع فقال: نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق فإن نبأهما غريب، وخبرهما عجب. ومن جملة ما أبان، قصة موسى وفرعون،

الله رب العالمين فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألّفه، كما صرح به في الآية الأخرى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري 30 فلما أتاه نودي يا موسى إني أنا

وأتقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه، وتم يقينه، فهذه آية، أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون، ليكون على يقين تام، فيكون أجرا له، وأقوى وأصلب. 31 والأمن من المكروه، فقال: إنك من الأمنين فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى عليه السلام غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا، فقال: ولا تخف أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية أبلغ ما يكون في التأمين، وعدم الخوف. فإن قوله: أقبل يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، جان ذكر الحيات العظيم، ولى مدبرا ولم يعقب أي: يرجع، لاستيلاء الروع على قلبه، فقال الله له: يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين وهذا وأن ألق عصاك فألقاها فلما رآها تهتز تسعى سعيا شديدا، ولها سورة مهيلة كأنها

قاطعتان من الله، إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين فلا يكفهم مجرد الإنذار وأمر الرسول إياهم، بل لا بد من الآيات الباهرة، إن نفعت. 32 جناحك وهو عضدك إلى جنبك يزول عنك الرهب والخوف. فذاذك انقلاب العصا حية، وخروج اليد بيضاء من غير سوء برهانان من ربك أي: حجتان فقال: اسلك يدك أي: أدخلها في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فسلكها وأخرجها، كما ذكر الله تعالى. واضمم إليك جناحك من الرهب أي ضم

ثم أراه الآية الأخرى

ربه، وسائلا له المعونة على ما حملة، وذاكرا له الموانع التي فيه، ليزيل ربه ما يحذر منها. رب إني قتلت منهم نفسا أي: فأخاف أن يقتلون 33

ف قال موسى عليه السلام، معتذرا من

وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا أي: معاونا ومساعدًا يصدقني فإنه مع تضافر الأخبار يقوى الحق 34

بلده، بعد ما كان شريداً، فلم تنزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور. 35
كيد عدوكم وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولي العدد والعدد. أنتم ومن اتبعكم الغالبون وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى فلا يصلون إليكم وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به من باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكم السلطان، واندفع بها عنكم، أي: نعاونك به ونقويك. ثم أزال عنه محذور القتل، فقال: ونجعل لكم سلطاناً أي: تسلطاً، وتمكننا من الدعوة، بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهم لهما، فأجابته الله إلى سؤاله فقال: سنشد عضدك بأخيك

يوسف من قبل بالبينات فما زلت في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب 36
ولكن الشقاء غالب. وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقد كذبوا في ذلك، فإن الله أرسل يوسف عليه السلام قبل موسى، كما قال تعالى ولقد جاءكم الذي علمكم السحر هذا، وهو الذي غير الزكي الذي بلغ من المكر والخداع والكيد ما قصه الله علينا وقد علم ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض كما قال فرعون في تلك الحالة التي ظهر فيها الحق، واستعل على الباطل، واضمحل الباطل، وخضع له الرؤساء العارفون حقائق الأمور إنه لكبيركم جاءهم موسى بآياتنا بينات واضحات الدلالة على ما قال لهم، ليس فيها قصور ولا خفاء. قالوا على وجه الظلم والعلو والعناد ما هذا إلا سحر مفترى فذهب موسى برسالة ربه فلما

له عاقبة الدار، نحن أم أنتم إنه لا يفلح الظالمون فصار عاقبة الدار لموسى وأتباعه، والفلاح والفوز، وصار لأولئك، الخسار وسوء العاقبة والهلاك. 37
الدار أي: إذا لم تفد المقابلة معكم، وتبيين الآيات البينات، وأبيتم إلا التماذي في غيكم وللجاج على كفركم، فالله تعالى العالم بالمهتدي وغيره، ومن تكون وقال موسى حين زعموا أن الذي جاءهم به سحر وضلال، وأن ما هم عليه هو الهدى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة

دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. 38
الملا، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم. فسد ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا تزويج، ولكن العجب من هؤلاء أي: بناء لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال له هاهنا فأوقد لي ياهامان على الطين ليجعل له لنا من فخار. فاجعل لي صرحا علمت لكم من إله غيري وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه. فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتل أن ثم إله غيره، وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثم إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون، حيث لم يقل ما لكم من إله غيري بل تورع وقال: ما وقال فرعون متجرنا على ربه، ومموها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: يا أيها الملا ما علمت لكم من إله غيري أي: أنا

أن ما هم عليه أعلى منها وأفضل. وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فلذلك تجرأوا، وإلا فلو علموا، أو ظنوا أنهم يرجعون إلى الله، لما كان منهم ما كان. 39
هو وجنوده في الأرض بغير الحق استكبروا على عباد الله، وساموهم سوء العذاب، واستكبروا على رسل الله، وما جاءوهم به من الآيات، فكذبوها، وزعموا قال تعالى: واستكبر

فيغمره في بلاده، ويصير لهم الملك. إنه كان من المفسدين الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا، وهذا من إفساده في الأرض. 4
لا منعة لهم تمنعهم مما أرادهم فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم خوفاً من أن يكثرُوا، طائفة منهم وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم من أهل العلو فيها، لا من الأعلين فيها. وجعل أهلها شيعاً أي: طوائف متفرقة، يتصرف فيهم بشهوته، وينفذ فيهم ما أراد من قهره، وسطوته. يستضعف فأول هذه القصة إن فرعون علا في الأرض في ملكه وسلطانه وجنوده وجبروته، فصار

فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة، المتصلة بالعقوبة الأخروية. 40
فأخذناه وجنوده عندما استمر عنادهم وبغيهم

دار الخزي والشقاء. ويوم القيامة لا ينصرون من عذاب الله، فهم أضعف شيء، عن دفعه عن أنفسهم، وليس لهم من دون الله، من ولي ولا نصير. 41
وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار أي جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى

في الدنيا ومقدمتهم، ويوم القيامة هم من المقبوحين المبعدين، المستقرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم. 42
لعنة أي: وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة، يلعنون، ولهم عند الخلق الثناء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين وأتبعناهم في هذه الدنيا

تفسير السعدي

- فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم، ولهذا قال: وهدي ورحمة لعلهم يتذكرون 43 العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف. بصائر للناس أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى، فيه بصائر للناس، أي: أمور يبصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، وهو التوراة من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الذين كان خاتمهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك ولقد آتينا موسى الكتاب
- بجانب الغربي أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر وما كنت من الشاهدين على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق. 44 على رسوله ما قص من هذه الأخبار الغيبية، نبه العباد على أن هذا خبر إلهي محض، ليس للرسول، طريق إلى علمه إلا من جهة الوحي، ولهذا قال: وما كنت ولما قص الله
- في مدين، ولكننا كنا مرسلين أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر من آثار إرسالنا إليك، ووحي لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا. 45 ما علمناك وأوحينا إليك. وما كنت ثاويًا أي: مقيما في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي: تعلمهم وتتعلّم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر فاندرس العلم، ونسيت آياته، فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى أصلا، ولغيرهم تبعًا، كما قال تعالى أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا 46 ولا يدرك شكرها. وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلًا لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كنت بهذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر قدرها، لتندرك قوما ما أتاهم من نذير من قبلك أي: العرب، وقريش، فإن الرسالة عندهم لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبلة بأزمان متطاوله، لعلهم يتذكرون الأمر الثاني، وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: ولكن رحمة من ربك بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقن أنه ما كان وما صار، فأوليائك وأعدائك يعلمون عدم ذلك. فتعين يخلو من أحد أمرين. إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها، فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن المجاريات، التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى، وأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريههم من آياتنا
- من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطع مقالته. 47 ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
- وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق، واتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟ 48 الناس وقالوا إنا بكل كافرون فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا أي: القرآن والتوراة، تعاونوا في سحرهما، وإضلال زيادة الإيمان للمؤمنين ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وأيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه، فكيف يقيسونه وأي: شبهة أنه ليس من عند الله، حين نزل مفرقا؟ بل من كمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل به: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ فلما جاءهم الحق الذي لا شك فيه من عندنا وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك قالوا مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض
- واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدى وحقا قد علمته لغير هدى وحق. 49 من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتك بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعا الإذعان لهما ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلها، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف قال تعالى ملزما لهم بذلك: فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أي: من التوراة والقرآن أتبعه إن كنتم صادقين
- وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ونجعلهم الوارثين للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة. 50 ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوهم. ونجعلهم أئمة في الدين،
- أما يتبعون أهواءهم دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى. 50 وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب الغواية وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم بعمهون، وفي شقاؤهم وهلاكهم يترددون. وفي قوله: فإن لم يستجيبوا لك فاعلم لا يهدي القوم الظالمين أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟ ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فهذا قال: إن الله المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط

تفسير السعدي

فإن لم يستجيبوا لك فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا آياته وبراهينه إلا ظهوراً، وكل وقت من الأوقات، يظهر من آياته ما هو عبرة للعالمين، وهداية للعالمين، ونور وبصيرة للمتوسمين. والحمد لله وحده. 51 والملوك الكفرة المتعاضدة، ترميه بقوس واحدة، وتكيد له المكاييد، وتمكر لإطفائه وإخفائه، وإخماده من الأرض، وهو قد بهرها وعلاها، لا يزداد إلا نمواً، المبين لدينه وأمته، حتى بلغ دينه مبلغ الليل والنهار، وفتحت أمته معظم بلدان الأمصار، بالسيف والسنان، وقلوبهم بالعلم والإيمان. ولم تزل الأمم المعاندة، خبر الأولين والآخرين، والشرع الذي جاء به من رب العالمين، وما جبل عليه من الأخلاق الفاضلة، التي لا تناسب، ولا تصلح إلا لأعلى الخلق درجة، والنصر الله وسلامه، على من مجرد خبره ينبي أنه رسول الله، ومجرد أمره ونهيه ينه العقول النيرة، أنه من عند الله، كيف وقد تطابق على صحة ما جاء به، وصدقه ولا مجالسة أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان، لينذر به قوما جاهلين، وعن النذر والرسول غافلين. فصلوات به المرسلين، وأيد به الحق المبين، من غير حضور شيء من تلك الوقائع، ولا مشاهدة لموضع واحد من تلك المواضع، ولا تلاوة درس فيها شيئاً من هذه الأمور، في الخير هادياً مهدياً. ومنها: ما فيها من الدلالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث أخبر بذلك تفصيلاً مطابقاً، وتأصيلاً موافقاً، قصه قصاً، صدق من أعظم العقوبات أن يكون الإنسان إماماً في الشر، وذلك بحسب معارضته لآيات الله وبياناته، كما أن من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، أن يجعله إماماً من الآيات البينات، والمعجزات الظاهرة، من الحية، وانقلاب يده بيضاء من غير سوء، ومن عصمة الله لموسى وهارون، من فرعون، ومن الغرق. ومنها: أن شاء الله من الصالحين ومنها: جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد لقوله: والله على ما نقول وكيل ومنها: ما أجرى الله على يد موسى أن يكون قوياً أميناً. ومنها: أن من مكارم الأخلاق، أن يحسن خلقه لأجيريه، وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل، لقوله: وما أريد أن أشق عليك ستجدي إن أنه تجوز الإجارة بالمنفعة، ولو كانت المنفعة بضعا. ومنها أن خطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخير، لا يلام عليه. ومنها: أن خير أجير وعامل يعمل للإنسان، الذي لم يبتغ له، ولم يستشرف بقلبه على عوض. ومنها: مشروعية الإجارة، وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده، العرف. ومنها أن العبد إذا فعل العمل لله تعالى، ثم حصل له مكافأة عليه من غير قصد بالقصد الأول، أنه لا يلام على ذلك، كما قبل موسى مجازاة صاحب مدين عن معرفه لما أنزلت إلي من خير فقير ومنها أن الحياء خصوصاً من الكرام من الأخلاق الممدوحة. ومنها: المكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم السابقين. ومنها: العاجز. ومنها استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً لها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته، كما قال موسى: رب إنني أن يهديني سواء السبيل ومنها: أن الرحمة بالخلق، والإحسان على من يعرف ومن لا يعرف، من أخلاق: الأنبياء، وأن من الإحسان سقي الماشية الماء، وإعانة ويسأله أن يهديه الصواب من القولين، بعد أن يقصد بقلبه الحق ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله. كما خرج موسى تلقاء مدين فقال: عسى ربي هذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى. ومنها: أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى التكلم فيه، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، موسى، لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكنه يقتل، أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة، التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يد له غير ربه، ولكن ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى. ومنها: أنه عند تزامم المفسدين، إذا كان لا بد من ارتكاب إحداها أنه يرتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن ذلك نسيمة بل قد يكون واجباً كما أخبر ذلك الرجل لموسى، ناصحاً له ومحذراً. ومنها: أنه إذا خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة، وما تريد أن تكون من المصلحين على وجه التقرير له، لا الإنكار. ومنها: أن إخبار الرجل غيره بما قيل فيه، على وجه التحذير له من شر يقع فيه، لا يكون وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهيب أهل المعاصي، فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله قول القبطي إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض القبطي الكافر ذنباً، واستغفر الله منه. ومنها: أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض. ومنها: أن من قتل النفوس بغير حق، ما يزيد به إيمانه، كما رد الله موسى على أمه، لتعلم أن وعد الله حق. ومنها: أن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف، لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عد قتله أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، والدلالة على من يفعل ذلك. ومنها: أن الله من رحمته بعبد الضعيف الذي يريد إكرامه، أن يريه من آياته، ويشهده من بيناته، أخته لتقصه وتطلبه. ومنها: جواز خروج المرأة في حوائجها، وتكليمها للرجال، من غير محذور، كما جرى لأخت موسى وابنتي صاحب مدين. ومنها: جواز فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت قلقه وروعه، وانزعاجه، فإنه يضيع فكره، ويذهل عقله، فلا ينتفع بنفسه في تلك الحال. ومنها: أن العبد ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه على أموره، تثبتت الله إياه، وربط جأشه وقلبه عند المخاوف، وعند الأمور المذهلة، فإنه بذلك يتمكن من القول الصواب، والفعل الصواب، بخلاف من استمر تعالى. لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين أي: ليزداد إيمانها بذلك ويطمئن قلبها. ومنها: أن من أعظم نعم الله على عبده، وأعظم معونة للعبد المخاوف. ومنها: أن الإيمان يزيد وينقص. وأن من أعظم ما يزيد به الإيمان، ويتم به اليقين، الصبر عند المزعجات، والتثبيت من الله، عند المقلقات، كما قال تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً. ومنها: أن الخوف الطبيعي من الخلق، لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأُم موسى ولموسى من تلك سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهَم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه لطف الله بأم موسى، وتهوينه عليها المصيبة بالبشارة، بأن الله سيرد إليها ابنها، ويجعله من المرسلين. ومنها: أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله في الأرض، ومكلمهم بلادهم. ومنها: أن الأمة ما دامت ذليلة مهورة لا تأخذ حقها ولا تتكلم به، لا يقوم لها أمر دينها ولا دنياها ولا يكون لها إمامة فيه. ومنها: حقها، ولا الإيأس من ارتقانها إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكثهم وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة. ومنها: أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولى عليها الكسل عن طلب

تفسير السعدي

تكون عبرته، وإن الله تعالى إنما يسوق القصص، لأجلهم، وأما غيرهم، فلا يعبا الله بهم، وليس لهم منها نور وهدى. ومنها: أن الله تعالى إذا أراد أمرا هيا أسبابه، الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة فمنها أن آيات الله تعالى وعبره، وأيامه في الأمم السابقة، إنما يستفيد بها ويستنير المؤمنون، فعلى حسب إيمان العبد حين تتكرر عليهم آياته، وتنزل عليهم بيناته وقت الحاجة إليها. فصار نزوله متفرقا رحمة بهم، فلم اعترضوا على ما هو من مصالحهم؟ فصل في ذكر بعض ولقد وصلنا لهم القول أي: تابعناه وواصلناه، وأنزلناه شيئا فشيئا، رحمة بهم ولطفًا لعلمهم يتذكرون

الحق، الذين آتيناهم الكتاب من قبله وهم أهل التوراة، والإنجيل، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا هم به أي: بهذا القرآن ومن جاء به يؤمنون 52 يذكر تعالى عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأن أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنه

على ما من الله به علينا من الإيمان، فصدقنا بهذا القرآن، آمنا بالكتاب الأول والآخر، وغيرنا ينقض تكذيبه بهذا الكتاب، إيمانه بالكتاب الأول. 53 تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. وقوله: إنا كنا من قبله مسلمين فلذلك ثبتنا لأنهم أهل الصنف وأهل الكتب، وغيرهم لا يدل ردهم ومعارضتهم للحق على شبهة، فضلا عن الحجة، لأنهم ما بين جاهل فيه أو متجاهل معاند للحق. قال على الأخبار الصادقة، والأوامر والنواهي الموافقة، لغاية الحكمة. وهؤلاء الذين تفيد شهادتهم، وينفع قولهم، لأنهم لا يقولون ما يقولون إلا عن علم وبصيرة، وإذا يتلى عليهم استمعوا له وأذعنوا و قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا لموافقتهم ما جاءت به الرسل، ومطابقتهم لما ذكر في الكتب، واشتماله

أحد، حتى للمسيء إليهم بالقول والفعل، يقابلونه بالقول الحميد والفعل الجميل، لعلمهم بفضيلة هذا الخلق العظيم، وأنه لا يوفق له إلا ذو حظ عظيم. 54 عن الإيمان رياسة ولا شهوة. و من خصالهم الفاضلة، التي من آثار إيمانهم الصحيح، أنهم ويدعرون بالحسنة السيئة أي: دأبهم وطريقتهم الإحسان لكل أجرهم مرتين أجرا على الإيمان الأول، وأجرا على الإيمان الثاني، بما صبروا على الإيمان، وثبتوا على العمل، فلم تزعزعهم عن ذلك شبهة، ولا ثناءهم أولئك الذين آمنوا بالكتابين يؤتون

بمقتضى جهلكم، فإنكم وإن رضيتم لأنفسكم هذا المرتع اللئيم، فإننا ننزه أنفسنا عنه، ونصونها عن الخوض فيه، لا نبتغي الجاهلين من كل وجه. 55 شيء. ولزم من ذلك، أنهم يتبرءون مما عليه الجاهلون، من اللغو والباطل، والكلام الذي لا فائدة فيه. سلام عليكم أي لا تسمعون منا إلا الخير، ولا نخطبكم جاهل خاطبهم به، قالوا مقالة عباد الرحمن أولي الأبواب: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي: كل سيجازى بعمله الذي عمله وحده، ليس عليه من وزر غيره وإذا سمعوا اللغو من

من قومه، عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة للدين والنصح التام، ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله تعالى. 56 في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا. ولهذا، لو كان قادرا عليها، لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره ومنعه للرسول في قوله تعالى: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغب فيه، ويبدل جهده في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله. وأما إثبات الهداية أنك يا محمد وغيرك من باب أولى لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية للتوفيق، وخلق الإيمان يخبر تعالى

الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات والأطعمة والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون. وليتبعوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرخاء. 57 من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فليحمدوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، ممكنين في حرم يكثره المتابون ويقصده الزائرون، قد احترمه البعيد والقريب، فلا يهاج أهله، ولا ينتقصون بقليل ولا كثير. والحال أن كل ما حولهم ميبنا لهم حالة هم بها دون الناس وأن الله اختصهم بها، فقال: أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا أي: أولم نجعلهم متمكنين سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق. قال الله بالقتل والأسر ونهب الأموال، فإن الناس قد عادوك وخالفوك، فلو تابعتك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة. وهذا الكلام منهم، يدل على يخبر تعالى أن المكذبين من قريش وأهل مكة، يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا

عليهم، وإيحاشها من بعدهم. وكنا نحن الوارثين للعباد، نميتهم، ثم يرجع إلينا جميع ما متعناهم به من النعم، ثم نعيدهم إلينا، فنجازيهم بأعمالهم. 58 واشتغلت بها عن الإيمان بالرسول، فأهلكهم الله، وأزال عنهم النعمة، وأحل بهم النعمة. فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا لتوالي الهلاك والتلف بعد أمنهم خوفا، وبعد عزهم ذلا، وبعد غناهم فقرا، ولهذا توعدهم بما فعل بالأمم قبلهم، فقال: وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي: فخرت بها، وألقتها، وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من

وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون بالكفر والمعاصي، مستحقون للعقوبة. والحاصل: أن الله لا يعذب أحدا إلا بظلمه، وإقامة الحجة عليه. 59 الرسل في القرى البعيدة، والأطراف النائية، فإن ذلك مظنة الخفاء والجفاء، والمدن الأمهات مظنة الظهور والانتشار، وفي الغالب أنهم أقل جفاء من غيرهم. ينتجها، ولا تخفى عليه أخبارها. رسولا يتلو عليهم آياتنا الدالة على صحة ما جاء به، وصدق ما دعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، بخلاف بعث قال: وما كان ربك مهلك القرى أي: بكفرهم وظلمهم حتى يبعث في أمها أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يترددون، وكل ما حولها

تفسير السعدي

ومن حكمته ورحمته أن لا يعذب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم، بإرسال الرسل إليهم، ولهذا

ولا أعداؤه ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود. فأول ذلك، لما أوجد الله رسوله موسى، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه. 6
هم محل ذلك، فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمرا سهلا أسبابه، ونهج طريقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب التي لم يشعر بها لا أولياؤه
أي: من هذه الطائفة المستضعفة. ما كانوا يحذرون من إخراجهم من ديارهم، ولذلك كانوا يسعون في قمعهم، وكسر شوكتهم، وتقتيل أبنائهم، الذين
قد تعلقوا بها إرادة الله، وجرت بها مشيئته، وكذلك نريد أن نري فرعون وهامان وزيره وجنودهما التي بها صالوا وجالوا، وعلوا وبغوا منهم
ونمكن لهم في الأرض فهذه الأمور كلها،

ما أثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية 60
أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور أولى بالإيثار، وأي: الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه
والحرمان. وما عند الله من النعيم المقيم، والعيش السليم خير وأبقى أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدًا. أفلا تعقلون
بالمغصات، ممزوجا بالغصص. ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة
والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا
على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة،
هذا حض من الله لعباده

إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار. 61
لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك. ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل
فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع يدهى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك،
فهو لاقية من غير شك ولا ارتياب، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمراضاته وجانب سخطه، كمن متعناه متاع الحياة الدنيا
أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم،

المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبده، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية. 62
أين شركائي وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: الذين كنتم تزعمون فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟ ومن
رسله، فقال: ويوم يناديهم أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم، ليبين لهم عجزها وضلالهم، فيقول
هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة

الغواية، وحق عليه كلمة العذاب. تبرا أنا إليك من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ما كانوا إيانا يعبدون وإنما كانوا يعبدون الشياطين. 63
القول الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ربنا هؤلاء التابعون الذين أغويانا أغويانا كما غويانا أي: كلنا قد اشترك في
ولهذا قال الذين حق عليهم

به، منكرين له. لو أنهم كانوا يهتدون أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا. 64
فلم يستجيبوا لهم فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة. ورأوا العذاب الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين
فيهم من النفع فأمرؤا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده. فدعوه لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء.
وقيل لهم: ادعوا شركاءكم على ما أملتكم

ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين هل صدقتموهم، واتبعتموهم أم كذبتموهم وخالفتموهم؟ 65

والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذبا. 66
السؤال جوابا، ولم يهتدوا إلى الصواب. ومن المعلوم أنه لا ينجى في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان
فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون أي: لم يحيروا عن هذا

فعسى أن يكون من جمع هذه الخصال من المفلحين الناجحين بالمطلوب، الناجين من المهرب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور. 67
به العبد من عقاب الله تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن بالله فعبد، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحا متبعا فيه للرسل،
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو

الأمر والاختيار شيء، وأنه تعالى منزّه عن كل ما يشركون به، من الشريك، والظهير، والعوين، والولد، والصاحبة، ونحو ذلك، مما أشرك به المشركون. 68
لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده باختيار من يختاره ويختصه، من الأشخاص، والأوامر والأزمان والأماكن، وأن أحدا ليس له من
هذه الآيات، فيها عموم خلقه

تفسير السعدي

وما أعلنوه، وأنه وحده المعبود الم محمود في الدنيا والآخرة، على ماله من صفات الجلال والجمال، وعلى ما أسداه إلى خلقه من الإحسان والإفضال. 69 وأنه العالم بما أكتنه الصدور

البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأُم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها، فإنها خافت عليه، وفعلت ما أمرت به، ألقته في اليم، فساقه الله تعالى. 7 ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فيشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولا. وهذا من أعظم أن ترضعه، ويمكث عندها. فإذا خفت عليه بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، فألقيه في اليم أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه

جميع الشرائع، والأوامر والنواهي. وفي الآخرة يحكم بحكمه القدري والجزائي، ولهذا قال: وإليه ترجعون فيجازي كلا منكم بعمله، من خير وشر. 70 وأنه هو الحاكم في الدارين، في الدنيا، بالحكم القدري، الذي أثره جميع ما خلق وذرا، والحكم الديني، الذي أثره

من ذلك؟ فلو جعل عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بضياء أفلا تسمعون مواظ الله وآياته سماع فهم وقبول وانقياد. 71 في ضيائه، والليل ليهدا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده. فهل أحد يقدر على شيء من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتسروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم هذا امتنان

أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر. 72 الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى وفي النهار أفلا تبصرون لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائرهم، وتسلخوا الطريق المستقيم. وقال في الليل أفلا تسمعون ولو جعل عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله

أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر. 73 الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى وفي النهار أفلا تبصرون لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائرهم، وتسلخوا الطريق المستقيم. وقال في الليل أفلا تسمعون ولو جعل عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله

الذين كنتم تزعمون أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون 74 أن يعبدوا، وينفعون ويضررون، فإذا كان يوم القيامة، أراد الله أن يظهر جراتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم ف يناديهم فيقول أين شركائي أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون

عنهم ما كانوا يفترون من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها. 75 لهم قدرة، فعلموا حينئذ بطلان قولهم وفساده، وأن الحق لله تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، وضل هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذا إن كان فيهم أهلية وليروكم إن كان فإذا برزوا للمحاكمة فقلنا هاتوا برهانكم حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلنا؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبنا؟ واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين. أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا حضروا وإياهم، نزع من كل أمة من الأمم المكذبة شهيدا يشهد على ما جرى في الدنيا، من شركهم

تفرح إن الله لا يحب الفرحين أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها. 76 أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ إذ قال له قومه ناصحين له محذرين له عن الطغيان: لا من الكنوز أي: كنوز الأموال شيئا كثيرا، ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والعصبة، من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك. أي: حتى وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة، ولكن قارون هذا، بغى على قومه وطغى، بما أوتيته من الأموال العظيمة المطفية وآتيناه قارون وما فعل وفعل به ونصح ووعظ، فقال: إن قارون كان من قوم موسى أي: من بني إسرائيل، الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم، يخبر تعالى عن حالة

تبع الفساد في الأرض بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، إن الله لا يحب المفسدين بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة. 77 ضائعا، بل أنفق لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بهذه الأموال، ولا بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل الذات، ولا تنس نصيبك من الدنيا أي: لا تأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى

تفسير السعدي

وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ

فإنكارهم لا محل له، فلم يزل قارون مستمرا على عناده وبغيه، وعدم قبول نصيحة قومه، فرحا بطرا قد أعجبتة نفسه، وغره ما أوتيته من الأموال. 78 ما يعلمه منهم، فهم، وإن أثبتوا لأنفسهم حالة حسنة، وشهدوا لها بالنجاة، فليس قولهم مقبولا، وليس ذلك دافعا عنهم من العذاب شيئا، لأن ذنوبهم غير خفية، قارون، مع مضي عادتنا وستتنا بإهلاك من هو مثله وأعظم، إذ فعل ما يوجب الهلاك؟ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بل يعاقبهم الله، ويعذبهم على مبينا أن عطائه، ليس دليلا على حسن حالة المعطي: أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فما المانع من إهلاك هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحذقي، أو على علم من الله بحالي، يعلم أنني أهل لذلك، فلم تنصحوني على ما أعطاني لله تعالى؟ قال تعالى ف قال قارون رادا لنصيحتهم، كافرا بنعمة ربه: إنما أوتيته على علم عندي أي: إنما أدركت

همتهم، وإن همة جعلت هذا غاية مرادها ومنتهى مطلبها، لمن أدنى الهمم وأسفلها وأدناها، وليس لها أدنى صعود إلى المراتب العالية والمطالب الغالية. 79 رغباتهم، وأنه ليس وراء الدنيا، دار أخرى، فإنه قد أعطي منها ما به غاية التنعم بنعيم الدنيا، واقتدر بذلك على جميع مطالبه، فصار هذا الحظ العظيم، بحسب إرادة في سواها، يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون من الدنيا ومتاعها وزهرتها إنه لذو حظ عظيم وصدقوا إنه لذو حظ عظيم، لو كان الأمر منتهيا إلى قسمين، كل تكلم بحسب ما عنده من الهمة والرغبة. ف قال الذين يريدون الحياة الدنيا أي: الذين تعلقوا بإرادتهم فيها، وصارت منتهى رغبتهم، ليس لهم جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها وغضارتها وفخرها، فرمقته في تلك الحالة العيون، وملأت بزته القلوب، واختلبت زينته النفوس، فانقسم فيه الناظرون أي: بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه، قد كان له من الأموال ما كان، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة، فخرج ذات يوم في زينته

ولا تأتي دفعة واحدة. وقوله: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أي: فأردنا أن نعاقبهم على خطئهم ونكيدهم، جزاء على مكربهم وكيدهم. 80 ذلك الشعب القاهر العالي في الأرض، كما سيأتي بيانه. وهذا مقدمة للظهور، فإن الله تعالى من سنته الجارية، أن جعل الأمور تمشي على التدرج شيئا فشيئا، العالية والغيرة المتوقدة، ولهذا وصلت الحال بذلك الشعب المستضعف الذي بلغ بهم الذل والإهانة إلى ما قص الله علينا بعضه أن صار بعض أفرادهم، ينازع بهم، ومنع كثير من التعدييات قبل رسالته، بحيث إنه صار من كبار المملكة. وبالطبع، إنه لا بد أن يحصل منه مدافعة عن حقوق شعبه هذا، وهو هو ذو الهمة يكون زعيمهم، يتربى تحت أيديهم، وعلى نظرهم، وبكفالتهم. وعند التدبر والتأمل، تجد في طي ذلك من المصالح لبني إسرائيل، ودفع كثير من الأمور الفادحة العاقبة والمآل من هذا الالتقاط، أن يكون عدوا لهم وحزنا يحزنهم، بسبب أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن الذي خافوا منه من بني إسرائيل، قبيض الله أن فالتقطه آل فرعون فصار من لقطهم، وهم الذين باشروا وجدانه، ليكون لهم عدوا وحزنا أي: لتكون

وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها، أن تشغلهم عن ربهم، وأن تحول بينهم وبين ما خلقوا له، فهؤلاء الذين يؤثرون ثواب الله على الدنيا الفانية. 80 من يعلم ذلك يؤثر الأعلى على الأدنى، فما يلقي ذلك ويوفق له إلا الصابرون الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، إليه، والإقبال عليه. والآجل من الجنة وما فيها، مما تشتهي النفس وتلد الأعين خير من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر، ولكن ما كل حين نظر أولئك إلى ظاهرها: ويلكم متوجعين مما تمنوا لأنفسهم، راثين لحالهم، منكبين لمقالمهم: ثواب الله العاجل، من لذة العبادة ومحبتة، والإنابة وقال الذين أوتوا العلم الذين عرفوا حقائق الأشياء، ونظروا إلى باطن الدنيا،

فما كان له من فئة أي: جماعة، وعصبة، وخدم، وجنود ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين أي: جاءه العذاب، فما نصر ولا انتصر. 81 العذاب فحسنا به وبداره الأرض جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثائه، ومتاعه. فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازينت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته

له، وعبرة وموعظة لغيره، حتى إن الذين غبطوه، سمعت كيف ندموا، وتغير فكرهم الأول. ويكأنه لا يفلح الكافرون أي: لا في الدنيا ولا في الآخرة. 82 غالطون في قولنا: إنه لذو حظ عظيم و لولا أن من الله علينا فلم يعاقبنا على ما قلنا، فلولا فضله ومنته لخسف بنا فصار هلاك قارون عقوبة بهم: ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي: يضيق الرزق على من يشاء، فعلمنا حينئذ أن بسطة لقارون، ليس دليلا على خير فيه، وأنها مكانه بالأمس أي: الذين يريدون الحياة الدنيا، الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون يقولون متوجعين ومعتبرين، وخائفين من وقوع العذاب وأصبح الذين تمنوا

عن قريب. وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة، أن الذين يريدون العلو في الأرض، أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة، نصيب، ولا لهم منها نصيب 83 والعاقبة أي حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله تعالى، وغيرهم وإن حصل لها بعض الظهور والراحة فإنه لا يطول وقته، ويزول إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح. وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة. ولهذا قال: عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق ولا فسادا وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض والفساد، لزم من ذلك، أن تكون واندفع عنها كل مكدر ومنغص، نجعلها دارا وقرارا للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا أي: ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض على تعالى في الدار الآخرة، وأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: تلك الدار الآخرة التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم،

تفسير السعدي

لما ذكر تعالى، قارون وما أوتيته من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا رغب
الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون كقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون 84
لمن يشاء والله واسع عليم بحسب حال العامل وعمله، ونفعه ومحل ومكانه، ومن جاء بالسيئة وهي كل ما نهى الشارع عنه، نهى تحريم. فلا يجزى
الآية الأخرى فله عشر أمثالها هذا التضعيف للحسنة، لا بد منه، وقد يقتضرن بذلك من الأسباب ما تزيد به المضاعفة، كما قال تعالى: والله يضاعف
يشمل جميع ما أمر الله به ورسوله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله تعالى وحق عباده، فله خير منها أي: أعظم وأجل، وفي
من جاء بالحسنة شرط فيها أن يأتي بها العامل، لأنه قد يعملها، ولكن يقتضرن بها ما لا تقبل منه أو يبطلها، فهذا لم يجيء بالحسنة، والحسنة: اسم جنس
يخبر تعالى عن مضاعفة فضله، وتماث عدله فقال:

ولهذا قال: قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وقد علم أن رسوله هو المهتدي الهادي، وأن أعداءه هم الضالون المضلون. 85
به من الهدى، وتفضيل ما معهم من الباطل على الحق، فلم يبق للمجادلة محل، ولم يبق إلا المجازاة على الأعمال من العالم بالغيبة والشهادة، والحق والمبطل.
بإحسانهم، والمسيئون بمعصيتهم. وقد بينت لهم الهدى، وأوضحت لهم المنهج، فإن تبعوك، فذلك حظهم وسعادتهم، وإن أبوا إلا عصيانك والقبح بما جئت
جميع المكلفين، لا يليق بحكمته أن تكون الحياة هي الحياة الدنيا فقط، من غير أن يثاب العباد ويعاقبوا، بل لا بد أن يردك إلى معاد، يجازي فيه المحسنون
يقول تعالى إن الذي فرض عليك القرآن أي: أنزله، وفرض فيه الأحكام، وبين فيه الحلال والحرام، وأمرك بتبليغه للعالمين، والدعوة لأحكام
ظهيراً للكافرين أي: معينا لهم على ما هو من شعب كفرهم، ومن جملة مظاهرتهم، أن يقال في شيء منه، إنه خلاف الحكمة والمصلحة والمنفعة. 86
منه، علمت أن جميع ما أمر به ونهى عنه، فإنه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفه أصلح وأنفع. فلا تكون
الذي رحم به العالمين، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وزكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة
أن يلقي إليك الكتاب أي: لم تكن متحريرا لنزول هذا الكتاب عليك، ولا مستعدا له، ولا متصديا. إلا رحمة من ربك بك وبالعباد، فأرسلك بهذا الكتاب،
وما كنت ترجو

داع إلى الكون معهم، ومساعدتهم على أمرهم، ولهذا قال: ولا تكونون من المشركين لا في شركهم، ولا في فروعه وشعبه، التي هي جميع المعاصي. 87
وادع إلى ربك أي اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فافرضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل، فإن ذلك
ولا يصدرك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك بل أبلغها وأنفذها، ولا تبال بمكرهم ولا يخدعك عنها، ولا تتبع أهواءهم.

ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنبه. تم تفسير سورة القصص ولله الحمد والثناء والمجد دائما أبدا. 88
وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعين على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه،
وفساد نهايتها. له الحكم في الدنيا والآخرة وإليه لا إلى غيره ترجعون فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو،
يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا، سواء فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها،
ولا تدع مع الله إلها آخر بل أخلص لله عبادتك، فإنه لا إله إلا هو فلا أحد يستحق أن

وهم لا يشعرون ما جرى به القلم، ومضى به القدر، من وصوله إلى ما وصل إليه، وهذا من لطفه تعالى، فإنهم لو شعروا، لكان لهم وله، شأن آخر. 9
الشفيق حتى كبر ونباه الله وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي الله عنها وأرضاها. قال الله تعالى هذه المراجعات والمقاولات في شأن موسى:
ولدا لنا، ونكرمهم، ونجمله. فقدر الله تعالى، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلة الولد
به في حياتنا. عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا أي: لا يخلو، إما أن يكون بمنزلة الخدم، الذين يسعون في نفعنا وخدمتنا، أو نرقبه منزلة أعلى من ذلك، نجعله
امرأة فرعون الفاضلة الجليلة المؤمنة آسية بنت مزاحم وقالت هذا الولد قرة عين لي ولك لا تقتلوه أي: أبقه لنا، لتقر به أعيننا، ونستر
فلما التقطه آل فرعون، حنن الله عليه

سورة 29

ويحذر من سخطه وعقابه، وأن يقدم على ربه غير تائب، ولا مقلع عن خطئه وذنبه. تم تفسير سورة القصص ولله الحمد والثناء والمجد دائما أبدا. 1
وله الحكم في الدنيا والآخرة، وإليه مرجع الخلائق كلهم، ليجازيهم بأعمالهم، تعين على من له عقل، أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويعمل لما يقربه ويدنيه،
وفساد نهايتها. له الحكم في الدنيا والآخرة وإليه لا إلى غيره ترجعون فإذا كان ما سوى الله باطلا هالكا، والله هو الباقي، الذي لا إله إلا هو،
يؤله ويحب ويعبد، إلا الله الكامل الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه وإذا كان كل شيء هالكا مضمحلا، سواء فعبادة الهالك الباطل باطلة ببطلان غايتها،
ولا تدع مع الله إلها آخر بل أخلص لله عبادتك، فإنه لا إله إلا هو فلا أحد يستحق أن

المبين أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين حيث أخبركم بهذا الفريق، الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته. 10

تفسير السعدي

الذين قال الله فيهم: ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صاد عما هو سببه. ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير، ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، جعل فتنة الناس كعذاب الله أي: يجعلها صادة يمتحن من ادعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب، بين تعالى أن من الناس فريقا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: ومن الناس لما ذكر تعالى أنه لا بد أن

أي: لذلك قدر محنا وابتلاء، ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرد، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتلوا لثبتوا. 11
وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين

ممن دعا إلى باطله ليس عليهم إلا ذنبهم الذي ارتكبه، دون الذنب الذي فعله غيرهم، ولو كانوا متسببين فيه، قال: مخبرا عن هذا الوهم 12
أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولما كان قوله: وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء قد يتوهم منه أيضا، أن الكفار الداعين إلى كفرهم ونحوهم لا قليل ولا كثير. فهذا التحمل، ولو رضي به صاحبه، فإنه لا يفيد شيئا، فإن الحق لله، والله تعالى لم يمكن العبد من التصرف في حقه إلا بأمره وحكمه، وحكمه أو بعضه واتبعونا في ديننا، فإننا نضمن لكم الأمر ونحمل خطاياكم وهذا الأمر ليس بأيديهم، فلماذا قال: وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إلى دينهم، وفي ضمن ذلك، تحذير المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع في مكرهم، فقال: وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا فاتركوا دينكم يخبر تعالى عن افتراء الكفار ودعوتهم للمؤمنين

التابع له أجرها بالمباشرة، وللداعي أجره بالتسبب. وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون من الشر وتزيينه، وقولهم ونحمل خطاياكم 13
فالذنب الذي فعله التابع لكل من التابع، والمتبوع حصته منه، هذا لأنه فعله وباشره، والمتبوع لأنه تسبب في فعله ودعا إليه، كما أن الحسنة إذا فعلها وليحملن أثقالهم أي: أثقال ذنوبهم التي عملوها وأثقالا مع أثقالهم وهي الذنوب التي بسببهم ومن جرائمهم،
الأرض من الكافرين ديارا فأخذهم الطوفان أي: الماء الذي نزل من السماء بكثرة، ونزع من الأرض بشدة وهم ظالمون مستحقون للعذاب. 14
ولم يهتدوا، بل استمروا على كفرهم وطغيانهم، حتى دعا عليهم نبيهم نوح عليه الصلاة والسلام، مع شدة صبره وحلمه واحتماله، فقال: رب لا تذر على والأصنام، فلبث فيهم نبيا داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما وهو لا يني بدعوتهم، ولا يفتر في نصحتهم، يدعوهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، فلم يرشدوا في عقوبة الأمم المكذبة، وأن الله أرسل عبده ورسوله نوحا عليه الصلاة والسلام إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والنهي عن الأنداد يخبر تعالى عن حكمه وحكمته

آية للعالمين، يعتبرون بها رحمة ربهم، الذي قبض لهم أسبابها، ويسر لهم أمرها، وجعلها تحملهم وتحمل متاعهم من محل إلى محل ومن قطر إلى قطر. 15
بها، على أن من كذب الرسل، آخر أمره الهلاك، وأن المؤمنين سيجعل الله لهم من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا. وجعل الله أيضا السفينة، أي: جنسها فأنجيناه وأصحاب السفينة الذين ركبوا معه، أهله ومن آمن به. وجعلناها أي: السفينة، أو قصة نوح آية للعالمين يعتبرون
إلا بذلك، وكل خير يوجد في الدنيا والآخرة، فإنه من آثار عبادة الله وتقواه. إن كنتم تعلمون ذلك، فاعلموا الأمور وانظروا ما هو أولى بالإيثار. 16
الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله، وترك تقواه، لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيرا للناس، لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة وذلك بترك ما يغضبه من المعاصي، ذلكم أي: عبادة الله وتقواه خير لكم من ترك ذلك، وهذا من باب إطلاق أفعال التفضيل بما ليس في الطرف إلى قومه، يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله أي: وحدوه، وأخلصوا له العبادة، وامتلوا ما أمركم به، واتقوه أن يغضب عليكم، فيعذبكم، يذكر تعالى أنه أرسل خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام

على ما علمتم، وينبئكم بما أسرتهم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم عند القدوم عليه. 17
واشكروا له وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها. إليه ترجعون يجازيكم فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه وعبوده وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير، مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبودا تألهه وتسأله حوائجها، فقال حاثا لهم على من يستحق العبادة فابتغوا عند الله الرزق فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، إن الذين تدعون من دون الله في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته، لا يملكون لكم رزقا وبين لهم نقصها وعدم استحقاتها للعبودية، فقال: إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا تحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام،

على ما علمتم، وينبئكم بما أسرتهم وأعلنتم، فاحذروا القدوم عليه وأنتم على شرككم، وارغبوا فيما يقربكم إليه، ويثيبكم عند القدوم عليه. 18
واشكروا له وحده، لكون جميع ما وصل ويصل إلى الخلق من النعم فمنه، وجميع ما اندفع ويندفع من النقم عنهم فهو الدافع لها. إليه ترجعون يجازيكم فإنه هو الميسر له، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه وعبوده وحده لا شريك له، لكونه الكامل النافع الضار، المتفرد بالتدبير،

تفسير السعدي

مثقال مثقال ذرة من العبادة والتأله، والقلوب لا بد أن تطلب معبوداً تألهه وتسأله حوائجها، فقال حاثاً لهم على من يستحق العبادة فابتغوا عند الله الرزق فكأنه قيل: قد بان لنا أن هذه الأوثان مخلوقة ناقصة، لا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وأن من هذا وصفه، لا يستحق أدنى أدنى مثقال وتختلقون الكذب بالأمر بعبادتها والتمسك بذلك، إن الذين تدعون من دون الله في نقصه، وأنه ليس فيه ما يدعو إلى عبادته، لا يملكون لكم رزقاً وبين لهم نقصها وعدم استحقاتها للعبودية، فقال: إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفاً تحتونها وتخلقونها بأيديكم، وتخلقون لها أسماء الآلهة، فلما أمرهم بعبادة الله وتقواه، نهاهم عن عبادة الأصنام،

يروا كيف يبدي الله الخلق ثم يعيده يوم القيامة إن ذلك على الله يسير كما قال تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 19

أولم

تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكبر، يخرج خبيثها وطيبها. 2 إلى المعاصي أو تصدقه عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وربياً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنه الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال إنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن

الدارين. إن الله على كل شيء قدير فقدرته تعالى لا يعجزها شيء وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقدرته على الإعادة من باب أولى وأحرى. 20 أماتنا وإليه النشور ولهذا قال: ثم الله بعد الإعادة ينشئ النشأة الآخرة وهي النشأة التي لا تقبل موتاً ولا نوماً، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى كالميتين، ثم إنهم لم يزالوا على ذلك طول ليلهم، حتى انفلق الإصباح، فانتبهوا من رقدتهم، وبعثوا من موتتهم، قائلين: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما فانظر إليهم وقت موتتهم الصغرى النوم وقد هجم عليهم الليل بظلامه، فسكنت منهم الحركات، وانقطعت منهم الأصوات، وصاروا في فرشهم ومأواهم شيئاً فشيئاً، وتجدون النبات والأشجار، كيف تحدث وقتاً بعد وقت، وتجدون السحاب والرياح ونحوها، مستمرة في تجددتها، بل الخلق دائماً في بدء وإعادة، ريب وشك في الابتداء: سيروا في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف بدأ الخلق فإنكم ستجدون أمماً من الآدميين والحيوانات، لا تزال توجد قل لهم، إن حصل معهم

التي بها تجري عليكم أحكام عذابه ورحمته، فاكتسبوا في هذه الدار، ما هو من أسباب رحمته من الطاعات، وابتعدوا من أسباب عذابه، وهي المعاصي. 21 ويرحم من يشاء أي: هو المفرد بالحكم الجزائي، وهو إثابة الطائعين ورحمتهم، وتعذيب العاصين والتنكيل بهم. وإليه تقلبون أي: ترجعون إلى الدار، يعذب من يشاء

في جميع أقطار العالم. وما لكم من دون الله من ولي يتولاكم، فيحصل لكم مصالح دينكم ودنياكم، ولا نصير ينصركم، فيدفع عنكم المكاره. 22 مغفول عنكم، أو معجزون لله في الأرض ولا في السماء، فلا تفرنكم قدرتكم وما زينت لكم أنفسكم وخذعتكم، من النجاة من عذاب الله، فلستم بمعجزين الله وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء أي: يا هؤلاء المكذوبون، المتجرؤون على المعاصي، لا تحسبوا أنه

الإياس، وأولئك لهم عذاب أليم أي: مؤلم موجه. وكأن هذه الآيات معترضات بين كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، وردهم عليه، والله أعلم بذلك. 23 أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم جميع سبب يقربهم منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جنائياتهم أوحشتهم، فملكت قلوبهم، فأحدث لها أولئك ينسوا من رحمتي أي: فلذلك لم يعلموا سبباً واحداً يحصلون به الرحمة، وإلا لو طمعوا في رحمته، لعملوا لذلك أعمالاً، والإياس من رحمة الله من بقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك قدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي، لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك، ولهذا قال تعالى: يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءهم به، وكذبوا

صحة ما جاءت به الرسل، وبرهم ونصحهم، وبطلان قول من خالفهم وناقضهم، وأن المعارضين للرسل كأنهم تواصوا وحث بعضهم بعضاً على التكذيب. 24 قالوا اقتلوه أو حرقوه أشنع القتل، وهم أناس مقتدرون، لهم السلطان، فألقوه في النار فأنجاه الله منها. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيعلمون مجاوبة قوم إبراهيم إبراهيم حين دعاهم إلى ربه قبول دعوته، والاهتداء بنصحه، ورؤية نعمة الله عليهم بإرساله إليهم، وإنما كان مجاوبتهم له شر مجاوبة. أي: فما كان

سيئراً من عابديه وبلعنهم؟ و أن مأوى الجميع، العابدين والمعبودين النار وليس أحد ينصرهم من عذاب الله، ولا يدفع عنهم عقابه. 25 بعضكم بعضاً أي: يتبرأ كل من العابدين والمعبودين من الآخر وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين فكيف تتعلقون بمن يعلم أنه إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا أي: غاية ذلك، مودة في الدنيا ستنتقطع وتضمحل، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن

وقال لهم إبراهيم في جملة ما قاله من نصحه:

الله ليحجري بسببه عذابا عاما. ومما يدل على ذلك، أنه راجع الملائكة في إهلاك قوم لوط، وجادلهم، ودافع عنهم، وهم ليسوا قومه، والله أعلم بالحال. 26
الأمم المكذبة، ولكن لعل من أسرار ذلك، أن الخليل عليه السلام من أرحم الخلق وأفضلهم وأحلمهم وأجلهم، فلم يدع على قومه كما دعا غيره، ولم يكن
دماءهم، وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك
الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم، وهجرته من بين أظهرهم. فأما ما يذكر في الإسرائيليات، أن الله تعالى فتح على قومه باب البعوض، فشرب
وهي الشام، إنه هو العزيز أي: الذي له القوة، وهو يقدر على هدايتكم، ولكنه حكيم ما اقتضت حكمته ذلك، ولما اعتزلهم وفارقهم، وهم بحالهم، لم يذكر
كما سيأتي ذكره. وقال إبراهيم حين رأى أن دعوة قومه لا تفيدهم شيئا: إني مهاجر إلى ربي أي: هاجر أرض السوء، ومهاجر إلى الأرض المباركة،
أي: لم يزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو قومه، وهم مستمرون على عنادهم، إلا أنه آمن له بدعوته لوط، الذي نبأه الله، وأرسله إلى قومه

الآخرة لمن الصالحين بل هو ومحمد صلى الله عليهما وسلم أفضل الصالحين على الإطلاق، وأعلامهم منزلة، فجمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة. 27
وآتيناه أجره في الدنيا من الزوجة الجميلة فائقة الجمال، والرزق الواسع، والأولاد الذين بهم قرت عينه، ومعرفة الله ومحبتة، والإنابة إليه. وإنه في
أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلاح الصالحون.
النبوة والكتاب فلم يأت بعده نبي إلا من ذريته، ولا نزل كتاب إلا على ذريته، حتى ختموا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. وهذا من
وهبنا له إسحاق ويعقوب أي: بعد ما هاجر إلى الشام وجعلنا في ذريته

والثناء على الخليل، وقد أخبر أن لوطا اهتدى على يديه، ومن اهتدى على يديه أكمل ممن اهتدى من ذريته بالنسبة إلى فضيلة الهادي، والله أعلم. 28
تعالى: وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وإن كان عاما، فلا يناقض كون لوط نبيا رسولا وهو ليس من ذريته، لأن الآية جيء بها لسياق المدح
تقدم أن لوطا عليه السلام آمن لإبراهيم، وصار من المهتدين به، وقد ذكروا أنه ليس من ذرية إبراهيم، وإنما هو ابن أخي إبراهيم. فقلوه

في نفسها، وما تنول إليه من العقوبة البليغة، فلم يرعوا ولم يذكروا. فما كان جواب قومه إلا أن قالوا انتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين 29
وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبين لهم قبائحها
فأرسل الله لوطا إلى قومه،

تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يثبت قلوبنا على دينه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكبر، يخرج خبثها وطبيها. 3
إلى المعاصي أو تصدفة عن الواجبات، دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه. والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فنسأل الله
بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دل ذلك على صدق إيمانه وصحته. ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكاً وريباً، وعند اعتراض الشهوات تصرفه
يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل
الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن، التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات
في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم بالسراء والضراء، والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة
والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك، لم يتميز الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته
يخبر تعالى عن تمام حكمته وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال إنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان، أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن
منهم نبيهم، وعلم استحقاقهم العذاب، وجزع من شدة تكذيبهم له، فدعا عليهم و قال رب انصرني على القوم المفسدين فاستجاب الله دعاءه. 30

فأيس

لإهلاكهم، فمروا بإبراهيم قبل، وبشروه بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم سألهم إبراهيم أين يريدون؟ فأخبروه أنهم يريدون إهلاك قوم لوط. 31
فأرسل الله الملائكة

فجعل يراجعهم ويقول: إن فيها لوطا فقالوا له: لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين 32

السبيل الضيوف، فخاف عليهم من قومه، فقالوا له: لا تخف ولا تحزن وأخبروه أنهم رسل الله. إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين 33
ثم مضوا حتى أتوا لوطا، فسأله مجيئهم، وضاق بهم ذرعا، بحيث إنه لم يعرفهم، وظن أنهم من جملة أبناء

الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سمرا من الأسمار، وعبرة من العبر. 34
إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أي: عذابا من السماء بما كانوا يفسقون فأمره أن يسري بأهله ليلا، فلما أصبحوا، قلب

تركنا من ديار قوم لوط، آثارا بينة لقوم يعقلون العبر بقلوبهم، فينتفعون بها، كما قال تعالى: وإنكم لتمررون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون 35
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون أي:

بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له، ونهاهم عن الفساد في الأرض، ببخس المكاييل والموازين، والسعي بقطع الطرق. 36

أي و أرسلنا إلى مدين القبيلة المعروفة المشهورة شعيبا فأمرهم

فكذبوه فأخذهم عذاب الله فأصبحوا في دارهم جاثمين 37

جاءتهم رسلهم بالآيات البينات، المفيدة للبصيرة، فكذبوهم وجادلوهم. وزين لهم الشيطان أعمالهم حتى ظنوا أنها أفضل مما جاءتهم به الرسل. 38 أي: وكذلك ما فعلنا بعاد وثمود، وقد علمتم قصصهم، وتبين لكم بشيء تشاهدونه بأبصاركم من مساكنهم وآثارهم التي بانوا عنها، وقد عباد الله فأذلوهم، وعلى الحق فردوه فلم يقدروا على النجاء حين نزلت بهم العقوبة وما كانوا سابقين الله، ولا فائتين، بل سلموا واستسلموا. 39 وكذلك قارون، وفرعون، وهامان، حين بعث الله إليهم موسى بن عمران، بالآيات البينات، والبراهين الساطعات، فلم ينقادوا، واستكبروا في الأرض، على ما يحكمون أي: ساء حكمهم، فإنه حكم جائر، لتضمنه إنكار قدرة الله وحكمته، وأن لديهم قدرة يمتنعون بها من عقاب الله، وهم أضعف شيء وأعجزه. 40 أحسب الذين همهم فعل السيئات وارتكاب الجنايات، أن أعمالهم ستهمل، وأن الله سيغفل عنهم، أو يفوتونه، فلذلك أقدموا عليها، وسهل عليهم عملها؟ ساء أي:

فإنها مخلوقة لعبادة الله وحده، فهؤلاء وضعوها في غير موضعها، وأشغلوها بالشهوات والمعاصي، فضرروها غاية الضرر، من حيث ظنوا أنهم ينفعونها. 40 الله أي: ما ينبغي ولا يليق به تعالى أن يظلمهم لكمال عدله، وغناه التام عن جميع الخلق. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون منعوها حقها التي هي بصدده، خاوية ومنهم من أخذته الصيحة كقوم صالح، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، ومنهم من أغرقنا كفرعون وهامان وجنودهما. وما كان عذابا يحصبهم، كقوم عاد، حين أرسل الله عليهم الريح العقيم، و سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل فكلا من هؤلاء الأمم المكذبة أخذنا بذنبه على قدره، وبعقوبة مناسبة له، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا أي:

ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق، يتبين للعاقل بطلانها وعدمها. 41 الرحيم، الذي إذا تولاها عبده وتوكل عليه، كفاه منونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته، في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله. ولما بين نهاية ضعف آلهة المشركين، منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل. فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم، حالهم وحال من اتخذوهم، لم يتخذوهم، ولتبرأوا منهم، ولتولوا الرب القادر ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم، فإنهم اتكوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى وإن أوهن البيوت أضعفها وأوهاها لبيت العنكبوت فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفا، ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتقوي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثله العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحر والبرد والآفات، هذا مثل

الحكيم الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره. 42 أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان وقوله: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وهو العزيز أي: إنه تعالى يعلم وهو عالم الغيب والشهادة أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: إن هي إلا أسماء سميتوها إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء

من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى. ولهذا، أكثر ما يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها. 43 أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها. وأما من لم يعقلها، مع أهميتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس ليس من العالمين. والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجلية، فأهل العلم يعرفون وصل العلم إلى قلوبهم. وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها مصلحة لعموم الناس. و لكن ما يعقلها بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب إلا العالمون أي: أهل العلم الحقيقي، الذين أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي وتلك الأمثال نضربها للناس

على أنه وحده معبودهم ومحبوبهم وإلههم. إن في ذلك لآية للمؤمنين على كثير من المطالب الإيمانية، إذا تدبرها المؤمن رأى ذلك فيها عيانا. 44 خلقه بالحق، أي: لم يخلقها عبثا ولا سدى، ولا لغير فائدة، وإنما خلقها، ليقوم أمره وشرعه، ولتتم نعمته على عباده، وليروا من حكمته وقهره وتدبيره، ما يدلهم وارتفاعها وسعتها وحسنها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها، وكل ذلك أي: هو تعالى المنفرد بخلق السماوات، على علوها

أفضل من الذكر خارجها، ولأنها كما تقدم بنفسها من أكبر الذكر. والله يعلم ما تصنعون من خير وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه. 45 الله أكبر ويحتمل أنه لما أمر بالصلاة ومدحها، أخبر أن ذكره تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، كما هو قول جمهور المفسرين، لكن الأول أولى، لأن الصلاة والبدن. فإن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ولذكر

تفسير السعدي

تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. وثم في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، النفوس والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر. ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، العام، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة، وهي إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها المعنى وبعضه، وإذا كان هذا معنى تلاوة الكتاب، علم أن إقامة الدين كله، داخله في تلاوة الكتاب. فيكون قوله: وأقم الصلاة من باب عطف الخاص على العظيم، ومعنى تلاوته اتباعه، بامتثال ما يأمر به، واجتناب ما ينهى عنه، والاهتداء بهداه، وتصديق أخباره، وتدبر معانيه، وتلاوة ألفاظه، فصار تلاوة لفظه جزء يأمر تعالى بتلاوة وحيه وتنزيله، وهو هذا الكتاب

مستسلمون لأمره. ومن آمن به، واتخذة إلهًا، وآمن بجميع كتبه ورسله، وانقاد لله واتباع رسله، فهو السعيد، ومن انحرف عن هذا الطريق، فهو الشقي. 46
توجيهها إلى نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره، فثبوت بطلانها في حقه صلى الله عليه وسلم أظهر وأظهر. وقوله: ونحن له مسلمون أي: منقادون فإن مثلها وأعظم منها، دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل شبهة يقدر بها في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن مثلها أو أعظم منها، يمكن بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها، المصدق لما بين يديه من التوراة، فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن. وأيضًا، فإن كل طريق تثبت به نبوة أي: نبي كان، من خصائص الإسلام. فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني، دون الكتاب الفلاني وهو الحق الذي صدق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإنه إذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا. وأيضًا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب، على هذا الطريق، فيه إلزام لهم بالإقرار كما يفعل الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدر بجميع ما معهم، من حق وباطل، فهذا ظلم، وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب، أن يرد ما مع الخصم وعلى الإيمان برسولكم ورسولهم، وعلى أن الإله واحد، ولا تكن مناظرتكم إياهم على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، منها ضائع. وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد أي: ولتكن مجادلتكم لأهل الكتاب مبنية على الإيمان بما أنزل إليكم وأنزل إليهم، من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله، لأن المقصود عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصول لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد ببيان الحق وهداية الخلق، إلا كانت من غير بصيرة من المجالد، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا

أحد قصده متابعة الحق، وإلا، فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد. 47
به إيمانًا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقيح، والصدق والكذب. ومن هؤلاء الموجودين من يؤمن للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون. فالذين آتيناهم الكتاب فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى. يؤمنون به لأنهم تيقنوا صدقه، أي: وكذلك أنزلنا إليك يا محمد، هذا الكتاب الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق

غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريًا له أو على منواله، ولهذا قال: 48
السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابًا جليلا، تحديث به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا الحميد، ولهذا قال: وما كنت تتلو أي: تقرأ من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لو كنت بهذه الحال لارتاب المبطلون فقالوا: تعلمه من الكتب وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطأ، ولا يقرأ خطأ مكتوبا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه

إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه. 49
في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلما، ولهذا قال: وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنه لا يجحدها هذا القرآن آيات بينات لا خفيات، في صدور الذين أوتوا العلم وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم. فإذا كان آيات بينات أي: بل

فإن الله سميع للأصوات، عليم بالنيات، فمن كان صادقا في ذلك أناله ما يرجو، ومن كان كاذبا لم تنفعه دعواه، وهو العليم بمن يصلح لحبه ومن لا يصلح. 5
وكل آت إنما هو قريب، فتزود للقائه، وسر نحوه، مستصحبًا الرجاء، مؤملا الوصول إليه، ولكن، ما كل من يدعي يعطى بدعواه، ولا كل من تمنى يعطى ما تمناه، يعني: يا أيها المحب لربه، المشتاق لقربه ولقائه، المسارع في مرضاته، أبشر بقرب لقاء الحبيب، فإنه آت،

إلا بها، كان ذلك ليس بإيمان، وإنما ذلك شيء وافق أهواءهم، فأمنوا، لا لأنه حق، بل لتلك الآيات. فأني فائدة حصلت في إنزالها على التقدير الفرضي؟ 50

تفسير السعدي

كان اقتراح الآيات المعينات على ذلك ظلما وجورا، وتكبرا على الله وعلى الحق بل لو قدر أن تنزل تلك الآيات، ويكون في قلوبهم أنهم لا يؤمنون بالحق إن شاء أنزلها أو منعها وإنما أنا نذير مبين وليس لي مرتبة فوق هذه المرتبة. وإذا كان القصد بيان الحق من الباطل، فإذا حصل المقصود بأي طريق صلى الله عليه وسلم، فإن في ذلك تدبيرا مع الله، وأنه لو كان كذلك، وينبغي أن يكون كذلك، وليس لأحد من الأمر شيء. ولهذا قال: قل إنما الآيات عند الله به، واقترحوا عليه نزول آيات عينوها، كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات. فتعيين الآيات ليس عندهم، ولا عند الرسول أي: واعترض هؤلاء الظالمون المكذبون للرسول ولما جاء

لما يحصلون فيه من العلم الكثير، والخير الغزير، وتزكية القلوب والأرواح، وتطهير العقائد، وتكميل الأخلاق، والفتوحات الإلهية، والأسرار الربانية. 51
الله من لم يكفه القرآن، ولا شفى الله من لم يشفه الفرقان، ومن اهتدى به واكتفى، فإنه خير له فلذلك قال: إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وذلك إرشاداته وهدايته وأحكامه لكل حال وكل زمان بحيث لا تصلح الأمور إلا به فجميع ذلك يكفي من أراد تصديق الحق، وعمل على طلب الحق، فلا كفى لم يأمر به ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليت له منه بل هو مطابق للعدل والميزان، والحكمة المعقولة لذوي البصائر والعقول ثم مسابقة الكتب المتقدمة، وتصحيحه للصحيح، ونفي ما أدخل فيها من التحريف والتبديل، ثم هدايته لسواء السبيل، في أمره ونهيته، فما أمر بشيء فقال العقل ليت له أو ينطق بمباراته أو يستطيع مجاراته؟ ثم إخباره عن قصص الأولين، وأنباء السابقين والغيوب المتقدمة والمتأخرة، مع مطابقته للواقع. ثم هيمنته على وأعداؤه، فلم يخفه، ولم يثن ذلك عزمه، بل صرح به على رؤوس الأشهاد، ونادى به بين الحاضر والباد، بأن هذا كلام ربي، فهل أحد يقدر على معارضته، إياهم آية أخرى، ثم ظهوره، وبروزه جهرا علانية، يتلى عليهم، ويقال: هو من عند الله، قد أظهره الرسول، وهو في وقت قل فيه أنصاره، وكثر مخالفوه الآيات البينات، والدلالات الباهرات، شيء كثير، فإنه كما تقدم إتيان الرسول به بمجرد هو أمي، من أكبر الآيات على صدقه. ثم عجزهم عن معارضته، وتحديه ذكر تعالى طريقه، فقال: أولم يكفهم في علمهم بصدق ما جنت به أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا كلام مختصر جامع، فيه من ولما كان المقصود بيان الحق،

النعيم المقيم، وحيث حصل لهم في مقابلة الحق الصحيح كل باطل قبيح، وفي مقابلة النعيم كل عذاب أليم، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. 52
منه الوتين والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون حيث هم خسروا الإيمان بالله وملانكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وحيث فاتهم مع علمه بذلك، وقدرته على عقوبتي، لكان قدحا في علمه وقدرته وحكمته كما قال تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا وأنتم لم تسمعه ولم تروه لا تكفي دليلا، فإنه يعلم ما في السماوات والأرض ومن جملة معلوماته حالي وحالكم، ومقالي لكم فلو كنت متقولاً عليه، كنت كاذبا، أحل بي ما به تعتبرون، وإن كان إنما يؤيدني وينصرني ويسر لي الأمور، فلتكفكم هذه الشهادة الجليلة من الله، فإن وقع في قلوبكم أن شهادته قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا فأنا قد استشهدته، فإن

وقتل كبارهم، واستوعب جملة أشرارهم، ولم يبق فيهم بيت إلا أصابته تلك المصيبة، فأثامهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون. 53
فإنه سيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فوقع كما أخبر الله تعالى، لما قدموا لـ بدر بطرين مفاخرين، ظانين أنهم قادرون على مقصودهم، فأهانهم الله، لجاءهم العذاب بسبب تعجزهم لنا وتكذيبهم الحق، فلو آخذناهم بجهلهم، لكان كلامهم أسرع لبلانهم وعقوبتهم، ولكن مع ذلك فلا يستبطنون نزوله، وأنهم يقولون استعجالا للعذاب، وزيادة تكذيب متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ يقول تعالى: ولولا أجل مسمى مضروب لنزوله، ولم يأت بعد، يخبر تعالى عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به،

ليس لهم عنها معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيئاتهم وكفرهم، وذلك العذاب، هو العذاب الشديد. 54
لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي، فإن أمامهم العذاب الأخروي، الذي لا يخلص منهم أحد منه، سواء عوجل بعذاب الدنيا أو أمهل. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين هذا، وإن

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون فإن أعمالكم انقلبتم عليكم عذابا، وشملكم العذاب كما شملكم الكفر والذنوب. 55
يوم يغشاهم

تعذرت عليكم عبادة ربكم في أرض، فارتحلوا منها إلى أرض أخرى، حيث كانت العبادة لله وحده، فأماكن العبادة ومواضعها، واسعة، والمعبود واحد. 56
يقول تعالى: يا عبادي الذين آمنوا بي وصدقوا رسولي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فإذا والموت لا بد أن ينزل بكم ثم ترجعون إلى ربكم. 57

العالية، والمنازل الأنيقة الجامعة لما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون. ف نعم تلك المنازل، في جنات النعيم أجر العاملين لله. 58
فيجازي من أحسن عبادته وجمع بين الإيمان والعمل الصالح بإنزاله الغرف

أن يحقق ما عزموا عليه من الأعمال ويكملها، ونص على التوكل، وإن كان داخلا في الصبر، لأنه يحتاج إليه في كل فعل وترك مأمور به، ولا يتم إلا به. 59
الجهد والطاقة في ذلك، والمحاربة العظيمة للشيطان، الذي يدعوهم إلى الإخلال بشيء من ذلك، وتوكلهم، يقتضي شدة اعتمادهم على الله، وحسن ظنهم به، الذين صبروا على عبادة الله وعلى ربهم يتوكلون في ذلك. فصبرهم على عبادة الله، يقتضي بذل

تفسير السعدي

- تتناقل بطبعها عن الخير، وشيطانه ينهأ عنه، وعدوه الكافر يمنعه من إقامة دينه، كما ينبغي، وكل هذا معارضاة تحتاج إلى مجاهدات وسعي شديد. 6
- عن العالمين، لم يأمرهم بما أمرهم به لينتفع به، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا عليهم. وقد علم أن الأوامر والنواهي يحتاج المكلف فيها إلى جهاد، لأن نفسه ومن جاهد نفسه وشيطانه، وعدوه الكافر، فإنما يجاهد لنفسه لأن نفعه راجع إليه، وثمرته عائدة إليه، والله غني
- من عدم الرزق بسبب أنها خافية عليه. كما قال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين 60
- وقت بوقته. الله يرزقها وإياكم فكلكم عيال الله، القائم برزقكم، كما قام بخلقكم وتديركم، وهو السميع العليم فلا يخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من دابة في الأرض، ضعيفة القوى، ضعيفة العقل. لا تحمل رزقها ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل أي: الباري تبارك وتعالى، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم، فكم
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقة على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 61
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقة على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 62
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- العالم العلوي والسفلي، وقام بتدبيرهم ورزقهم، وبسط الرزق على من يشاء، وضيقة على من يشاء، حكمة منه، ولعلمه بما يصلح عباده وما ينبغي لهم. 63
- الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. وقل: الحمد لله الذي بين الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذرهم الموفقون. وقل: الحمد لله، الذي خلق بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه، وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم بعدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ليقولن الله وحده، ولا عترفوا بعجز الأوثان ومن عبوده مع الله على شيء من ذلك. فاعجب لإفكهم المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنتم لو سألتهم من خلق السماوات والأرض، ومن نزل من السماء ماء فأحيا هذا استدلال على المشركين
- رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين. 64
- والمناجك، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المأكول، والمشرب، والخسران. وأما الدار الآخرة، فإنها دار الحيوان أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلّة الباطلة، ثم تزول سريعا، وتنقضي جميعا، ولم يحصل منها محبة إلا على الندم والحسرة وما هذه الحياة الدنيا في الحقيقة إلا لهو ولعب تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التهديد في الدنيا والتشويق للآخرة، فقال:
- ولا أزال عنهم مشقة. فهلا أخلصوا لله الدعاء في حال الرخاء والشدة، والبسر والعسر، ليكونوا مؤمنين به حقا، مستحقين ثوابه، مندفعين عنهم عقابه. 65
- يتركون إذا أندادهم، ويخلصون الدعاء لله وحده لا شريك له، فلما زالت عنهم الشدة، ونجى من أخلصوا له الدعاء إلى البر، أشركوا به من لا نجاهم من شدة، ثم ألزم تعالى المشركين بإخلاصهم لله تعالى، في حالة الشدة، عند ركوب البحر وتلاطم أمواجه وخوفهم الهلاك،
- الدنيا، الذي هو كتمتع الأنعام، ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم. فسوف يعلمون حين ينتقلون من الدنيا إلى الآخرة، شدة الأسف وأليم العقوبة. 66
- ولكن شركهم هذا بعد نعمتنا عليهم، بالنجاة من البحر، ليكون عاقبته كفر ما آتيناهم، ومقابلة النعمة بالإساءة، وليكملوا تمتعهم في

تفسير السعدي

- فأين ذهبت عقولهم، وانسلخت أحلامهم حيث آثروا الضلال على الهدى، والباطل على الحق، والشقاء على السعادة، وحيث كانوا أظلم الخلق. 67
- الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف. أقبال الباطل يؤمنون وهو ما هم عليه من الشرك، والأقوال، والأفعال الباطلة. وبنعمة الله هم يكفرون ثم امتن عليهم بحرمه الآمن، وأنهم أهله في أمن وسعة ورزق، والناس من حولهم يتخطفون ويخافون، أفلا يعبدون
- هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم أليس في جهنم مثوى للكافرين يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه. 68
- ممن افترى على الله كذبا فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، أو كذب بالحق لما جاءه على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن ومن أظلم
- للكفار والمنافقين، والجهد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. تم تفسير سورة العنكبوت بحمد الله وعونه. 69
- وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، لمع المحسنين بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، لنهدينهم سبلنا أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون. وإن الله والذين جاهدوا فينا وهم الذين
- ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون وهي أعمال الخير، من واجبات ومستحبات، فهي أحسن ما يعمل العبد، لأنه يعمل المباحات أيضا، وغيرها. 7
- يعني أن الذين من الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، سيكفر الله عنهم سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات،
- إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون فأجازيكم بأعمالكم، فبروا والديكم وقدموا طاعتها، إلا على طاعة الله ورسوله، فإنها مقدمة على كل شيء. 8
- ويسيء إليهما في قوله وعمله. وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم وليس لأحد علم بصحة الشرك بالله، وهذا تعظيم لأمر الشرك، فلا تطعهما أي: وأمرنا الإنسان، ووصيناه بوالديه حسنا، أي: ببرهما والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يعقهما
- على حسب درجته ومرتبته عند الله، فالإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه، وأنه من أهل الرحمن، والصالحين من عباد الله تعالى. 9
- أي: من آمن بالله وعمل صالحا، فإن الله وعده أن يدخله الجنة في جملة عباده الصالحين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كل

سورة 30

- للكفار والمنافقين، والجهد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين. تم تفسير سورة العنكبوت بحمد الله وعونه. 1
- وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية، خارجة عن مدرك اجتهاده، لمع المحسنين بالعون والنصر والهداية. دل هذا، على أن أخرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، لنهدينهم سبلنا أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون. وإن الله والذين جاهدوا فينا وهم الذين
- لأن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون فهذا عقوبة لسوئهم وذنوبهم. ثم ذلك الاستهزاء والتكذيب يكون سببا لأعظم العقوبات وأعضل المثالات. 10
- ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأي أي: الحالة السيئة الشنيعة، وصار ذلك داعيا لهم
- يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات ثم يعيدهم ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير. 11
- أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أي: أساءوا وأبلسوا وأفلسوا وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم. 12
- عيانا، يومئذ يبلس المجرمون أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب، من كفر وشرك ومعاصي، فلما قدموا ويوم تقوم الساعة أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة
- المعبودون وقالوا: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا. 13
- ولم يكن لهم من شركائهم التي عبدوها مع الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين تبرا المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرا
- المعبودون وقالوا: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا. 14
- ولم يكن لهم من شركائهم التي عبدوها مع الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين تبرا المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرا
- والخدم والولدان والأصوات المطربات والسماع المشجي والمناظر العجيبة والروائح الطيبة والفرح والسرور واللذة والحبور مما لا يقدر أحد أن يصفه. 15
- الصالحة فهم في روضة فيها سائر أنواع النبات وأصناف المشتهيات، يحبرون أي: يسرون وينعمون بالماكل اللذيذة والأشربة والخور الحسان

تفسير السعدي

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات آمنوا بقلوبهم وصدقوا ذلك بالأعمال

واطلع العذاب الأليم على أفئدتهم وشوى الحميم وجوهمهم وقطع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟ 16
وجحدوا نعمه وقابلوها بالكفر وكذبوا بآياتنا التي جاءتهم بها رسلنا فأولئك في العذاب محضرون فيه، قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم وأما الذين كفروا

سبحان الله فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة. 17
التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها بل العبادة وإن لم تشتمل على قول في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقتدر بها من النوافل، لأن هذه الأوقات حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة. فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقديسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه

سبحان الله فإن الإخلاص فيها تنزيه لله بالفعل أن يكون له شريك في العبادة أو أن يستحق أحد من الخلق ما يستحقه من الإخلاص والإنابة. 18
التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل من غيرها فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها بل العبادة وإن لم تشتمل على قول في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقتدر بها من النوافل، لأن هذه الأوقات حين يمسون وحين يصبحون ووقت العشي ووقت الظهيرة. فهذه الأوقات الخمسة أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل هذا إخبار عن تنزهه عن السوء والنقص وتقديسه عن أن يماثله أحد من الخلق وأمر للعباد أن يسبحوه

وبرهان ساطع أن الذي أحيا الأرض بعد موتها فإنه يحيي الأموات، فلا فرق في نظر العقل بين الأمرين ولا موجب لاستبعاد أحدهما مع مشاهدة الآخر. 19
موتها فينزل عليها المطر وهي ميتة هامة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وكذلك تخرجون من قبوركم. فهذا دليل قاطع والسنبلة من الحبة والشجرة من النواة والفرخ من البيضة والمؤمن من الكافر، ونحو ذلك. ويخرج الميت من الحي بعكس المذكور ويحيي الأرض بعد يخرج الحي من الميت كما يخرج النبات من الأرض الميتة

على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. 2
الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون لاشتراكهم والفرس في الشرك يحبون ظهور الفرس على الروم. فظهر الفرس ما يكون بين الدول المتوازنة. وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال

آيات على أن الذي أنشأكم من هذا الأصل وبثكم في أقطار الأرض هو الرب المعبود الملك المحمود والرحيم الودود الذي سيعيدكم بالبعث بعد الموت. 20
أصل النسل آدم عليه السلام ثم إذا أنتم بشر تنتشرون أي: الذي خلقكم من أصل واحد ومادة واحدة وبثكم في أقطار الأرض وأرجائها ففي ذلك على انفرادة الإلهية وكمال عظمتة، ونفوذ مشيئته وقوة اقتداره وجميل صنعه وسعة رحمته وإحسانه فقال: ومن آياته أن خلقكم من تراب وذلك بخلق هذا شروع في تعداد آياته الدالة

مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يعملون أفكارهم ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيء إلى شيء. 21
الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة. فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب وعلمه المحيط، أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا تناسبكم وتناسبونهن وتشاكلنكم وتشاكلونهن لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة بما رتب على ومن آياته الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة

ونفوذ مشيئته. ومن عنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد والمطالب. 22
ومع ذلك لا تجد صوتين متفقين من كل وجه ولا لونين متشابهين من كل وجه إلا وتجد من الفرق بين ذلك ما به يحصل التمييز. وهذا دال على كمال قدرته، وأمرها بالتفكير واستخراج العبرة منها. وكذلك في اختلاف ألوانكم على كثرتكم وتباينكم مع أن الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة، فيها من التخصيصات والمزايا، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد ويوحد لأنه المنفرد بالخلق فيجب أن يفرد بالعبادة، فكل هذه أدلة عقلية نبه الله العقول إليها وسعة علمه، لأن الخالق لا بد أن يعلم ما خلقه ألا يعلم من خلق وعموم رحمته وفضله لما في ذلك من المنافع الجليلة، وأنه المريد الذي يختار ما يشاء لما خلق السماوات والأرض وما فيها، أن ذلك دال على عظمة سلطان الله وكمال اقتداره الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وكمال حكمته لما فيها من الإتقان والعالمون هم أهل العلم الذين يفهمون العبر ويتدبرون الآيات. والآيات في ذلك كثيرة: فمن آيات

به ويستجمعوا وانتشارهم في وقت، لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا يتم ذلك إلا بتعاقب الليل والنهار عليهم، والمنفرد بذلك هو المستحق للعبادة. 23
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وعلى تمام حكمته إذ حكمته اقتضت سكون الخلق في وقت ليستريحوا أي: سماع تدبر وتعقل للمعاني والآيات في ذلك. إن ذلك دليل على رحمة الله تعالى كما قال:

تفسير السعدي

- 24 وأنه يحيي الموتى كما أحيا الأرض بعد موتها. لقوم يعقلون أي: لهم عقول تعقل بها ما تسمعه وتراه وتحفظه، وتستدل به على ما جعل دليلا عليه. 24 قبل نزوله مقدماته من الرعد والبرق الذي يخاف ويطمع فيه. إن في ذلك لآيات دالة على عموم إحسانه وسعة علمه وكمال إتيانه، وعظيم حكمته أي: ومن آياته أن ينزل عليكم المطر الذي تحيا به البلاد والعباد ويريكهم
- 25 بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا، يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس 25 أي: ومن آياته العظيمة أن قامت السماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، فقدرته العظيمة التي
- 26 وله من في السماوات والأرض الكل خلقه ومماليكه المتصرف فيهم من غير منازع ولا معاون ولا معارض وكلهم قانتون لجلاله خاضعون لكامله. 26 الحكيم أي: له العزة الكاملة والحكمة الواسعة، فعزته أوجد بها المخلوقات وأظهر المأمورات، وحكمته أتقن بها ما صنعه وأحسن فيها ما شرعه. 27 المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها على وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولى وأحرى. وهو العزيز والعبادة منهم. فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه. ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولى، فيقولون: كل صفة كمال في المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة والمحبة والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين والذكر الجليل التي أهون أولى وأولى. ولما ذكر من الآيات العظيمة ما به يعتبر المعترفون ويتذكر المؤمنون ويتبصر المهتدون ذكر الأمر العظيم والمطلب الكبير فقال: وله للخلق بعد موتهم أهون عليه من ابتداء خلقهم وهذا بالنسبة إلى الأذهان والعقول، فإذا كان قادرا على الابتداء الذي تقررون به كانت قدرته على الإعادة وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أي: الإعادة
- 28 أموره، فإنه ليس معه من الحق شيء فما الذي أوجب له الإقدام على أمر باطل توضح له بطلانه وظهر برهانه؟ لقد أوجب لهم ذلك اتباع الهوى . 28 ما توضح، فأهل العقول والألباب هم الذين يساق إليهم الكلام ويوجه الخطاب. وإذا علم من هذا المثل أن من اتخذ من دون الله شريكا يعبده ويتوكل عليه في بأمثلتها لقوم يعقلون الحقائق ويعرفون، وأما من لا يعقل فلو فصلت له الآيات وبيئت له البينات لم يكن له عقل يبصر به ما تبين ولا لب يعقل به ومن أدل شيء على سفه من اتخذ شريكا مع الله وأن ما اتخذ باطل مضمحل ليس مساويا لله ولا له من العبادة شيء. كذلك نفصل الآيات بتوضيحها مثلكم، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شريكا من خلقه وتجعلونه بمنزلته، وعديلا له في العبادة وأنتم لا ترضون مساواة ممالئكم لكم؟ هذا من أعجب الأشياء شيء بحاله؟ ليس الأمر كذلك فإنه ليس أحد مما ملكت أيما نكم شريكا لكم فيما رزقكم الله تعالى. هذا، ولستم الذين خلقتهم وهم ورزقتهم وهم أيضا ممالك في رزقكم وترون أنكم وهم فيه على حد سواء. تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي: كالأحرار الشركاء في الحقيقة الذين يخاف من قسمه واختصاص كل أنفسكم لا يحتاج إلى حل وترحال وإعمال الجمال. هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم أي: هل أحد من عبيدكم وإيمانكم الأرقاء يشارككم هذا مثل ضربه الله تعالى لقبح الشرك وتهجينه مثلا من
- 29 الله لأنه ليس أحد معارض لله أو منازعا له في ملكه. وما لهم من ناصرين ينصرونهم حين تحقق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب. 29 بغير علم دلهم عليه ولا برهان قادهم إليه. فمن يهدي من أضل الله أي: لا تعجبوا من عدم هدايتهم فإن الله تعالى أضلهم بظلمهم ولا طريق لهداية من أضل بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم هويت أنفسهم الناقصة التي ظهر من نقصانها ما تعلق به هواها، أمرا يجزم العقل بفساده والفطر برده
- 3 على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم، ففرح بذلك مشركو مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس. 3 الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون لاشتراكهم والفرس في الشرك يحبون ظهور الفرس على الروم. فظهر الفرس ما يكون بين الدول المتوازنة. وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض، وكان يكون بينهما من الحروب والقتال
- 30 للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه. 30 المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله، ذلك الذي أمرنا به الدين القيم أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه لا تبديل لخلق الله أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة. ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ووضع في عقولهم حسننها واستباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سعي البدن ولهذا قال: حنيفا أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه. وهذا الأمر الذي أمرناك به كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وخص الله إقامة الوجه لأن هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: فأقم وجهك أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي
- 31 المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: ولا تكونوا من المشركين لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه. 31 لقوله تعالى: وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فهذا إعانتها على التقوى. ثم قال: ولذكر الله أكبر فهذا حثها على الإنابة. وخص من

تفسير السعدي

المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: واتقوه فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات. وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى. ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك منييين إليه واتقوه وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة

والسعة والضيق ذكر الإنابة الاضطرارية التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكرهه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة فقال: 32 الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟ ولما أمر تعالى بالإنابة إليه وكان المأمور بها هي الإنابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر والبسر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟ وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل كله يلغى ويبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟ فهل هذا إلا من أكبر واحد والرسول واحد والإله واحد. وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين من الباطل ومنايذة غيرهم ومحاربتهم. كل حزب بما لديهم من العلوم المخالفة لعلوم الرسل فرحون به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى. ولهذا قال: وكانوا شيعة أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها فرقوا دينهم مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ثم ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: من الذين

من مرضهم وآمنهم من خوفهم، إذا فريق منهم ينقضون تلك الإنابة التي صدرت منهم ويشركون به من لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى، 33 من هلاك ونحوه. دعوا ربهم منييين إليه ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله. ثم إذا أذاقهم منه رحمة شفاهم وإذا مس الناس ضر مرض أو خوف

به عليهم حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة وأزال عنهم المشقة، فهلا قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟. 34 كل هذا كفر بما آتاهم الله ومن

من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟ فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان. 35 حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟ أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنام، قد نهوا أشد النهي عن ذلك وحذروا به يشركون ويقول لهم: اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعيتكم الرسل إليه باطل. فهل ذلك السلطان موجود عندهم أم أنزلنا عليهم سلطانا أي: حجة ظاهرة فهو أي: ذلك السلطان، يتكلم بما كانوا

تسوؤهم وذلك بما قدمت أيديهم من المعاصي. إذا هم يقنطون ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة. 36 والشدة أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة من صحة وغنى ونصر ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر، لا فرح شكر وتبجح بنعمة الله. وإن تبصهم سينة أي: حال يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء

يؤمنون فهم الذين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة الله ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق. 37 من الله والرزق سعته وضيقه من تقديره ضائع ليس له محل. فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها ولهذا قال: إن في ذلك لآيات لقوم أولم يروا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر

فسوف نؤتيه أجرا عظيما. وقوله: وأولئك الذين عملوا هذه الأعمال وغيرها لوجه الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله الناجون من عقابه. 38 كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس مفهومها أن هذه المثبتات خير لنفعها المتعدي ولكن من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والنفع المتعدي الذي وافق محله المقرون به الإخلاص. فإن لم يرد به وجه الله لم يكن خيرا للمعطي وإن كان خيرا ونفعا للمعطي كما قال تعالى: لا خير في أي: إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل خير للذين يريدون بذلك العمل وجه الله أي: خير غزير وثواب كثير لأنه من أفضل الأعمال الصالحة وإن لم يكن له مال ولكن لا بد في الغالب أن يكون في حرفة أو صناعة ونحوها تسد حاجته، ولهذا جعل الله في الزكاة حصة للمسكين وابن السبيل. ذلك السبيل الغريب المنقطع به في غير بلده الذي في مظنة شدة الحاجة، لأنه لا مال معه ولا كسب قد دبر نفسه به في سفره، بخلاف الذي في بلده، فإنه عن زلته والمسامحة عن هفوته. وكذلك آت المسكين الذي أسكنه الفقر والحاجة ما تزيل به حاجته وتدفع به ضرورته من إطعامه وسقيه وكسوته. وابن أي: فأعط القريب منك على حسب قربه وحاجته حقه الذي أوجبه الشارع أو حض عليه من النفقة الواجبة والصدقة والهدية والبر والسلام والإكرام والعفو

تعالى في الذي يمدح: الذي يؤتي ماله يتزكى فليس مجرد إيتاء المال خيرا حتى يكون بهذه الصفة وهو: أن يكون على وجه يتزكى به المؤتي. 39 زكاة أن الصدقة مع اضطرار من يتعلق بالمنفق أو مع دين عليه لم يقضه ويقدم عليه الصدقة أن ذلك ليس بزكاة يؤجر عليه العبد ويرد تصرفه شرعا كما قال وجه الله فأولئك هم المضعفون أي: المضاعف لهم الأجر الذين تربو نفقاتهم عند الله ويربها الله لهم حتى تكون شيئا كثيرا. ودل قوله: وما آتيتم من لا يربو عند الله. وما آتيتم من زكاة أي: مال يطهركم من الأخلاق الرذيلة ويظهر أموالكم من البخل بها ويزيد في دفع حاجة المعطى. تريدون بذلك

تفسير السعدي

- منها، فهذا العمل لا يربو أجره عند الله لكونه معدوم الشرط الذي هو الإخلاص. ومثل ذلك العمل الذي يراد به الزيادة في الجاه والرياء عند الناس فهذا كله الناس أي: ما أعطيتهم من أموالكم الزائدة عن حوائجكم وقصدكم بذلك أن يربو أي: يزيد في أموالكم بأن تعطوها لمن تطمعون أن يعاوضكم عنها بأكثر ولما ذكر العمل الذي يقصد به وجهه من النفقات ذكر العمل الذي يقصد به مقصد دنيوي فقال: وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال
- الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقتتن بها القضاء والقدر. ويومئذ أي: يوم يغلب الروم الفرس ويقهرونهم يفرح المؤمنون 40 يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره ولهذا قال: لله الأمر من قبل ومن بعد فليس في بضع سنين تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا
- بمن انفرد بهذه الأمور من ليس له تصرف فيها بوجه من الوجوه؟ فسبحانه وتعالى وتقدس وتنزه وعلا عن شركهم، فلا يضره ذلك وإنما وبالهم عليهم. 40 المنفرد بخلقكم ورزقكم وإماتتكم وإحيائكم، وأنه ليس أحد من الشركاء التي يدعوهم المشركون من يشارك الله في شيء من هذه الأشياء. فكيف يشركون يخبر تعالى أنه وحده
- الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم. فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته وإلا فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة. 41 بعض الذي عملوا أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا لعلهم يرجعون عن أعمالهم التي أثرت لهم من وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها. هذه المذكورة ليذيقهم أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معاشهم ونقصها
- استأصلهم وذم ولعن من خلق الله يتبعهم وخزي متواصل، فاحذروا أن تفعلوا فعالهم يحذى بكم حذوهم فإن عدل الله وحكمته في كل زمان ومكان. 42 يدخل فيه السير بالأبدان والسير في القلوب للنظر والتأمل بعواقب المتقدمين. كان أكثرهم مشركين تجدون عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل، عذاب والأمر بالسير في الأرض
- العمل بل فرغ من الأعمال لم يبق إلا جزاء العمال. يومئذ يصدعون أي: يتفرقون عن ذلك اليوم ويصدرون أشتاتا متفاوتين ليروا أعمالهم. 43 والباطنة. وبأد زمانك وحياتك وشبابك، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وهو يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده ولا يرجأ العاملون أن يستأنفوا أي: أقبل بقلبك وتوجه بوجهك واسع ببدنك لإقامة الدين القيم المستقيم، فنفذ أوامره ونواهيه بجد واجتهاد وقم بوظائفه الظاهرة
- أو التي للعباد الواجبة والمستحبة، فلأنفسهم لا لغيرهم يمهدون أي: يهيئون ولأنفسهم يعمرمون آخرتهم ويستعدون للفوز بمنازلتها وغرفاتها. 44 من كفر منهم فعليه كفره ويعاقب هو بنفسه لا تزر وازرة وزر أخرى، ومن عمل صالحا من الحقوق التي لله
- والباطنة. وهذا بخلاف الكافرين فإن الله لما أبغضهم ومقتهم عاقبهم وعذبهم ولم يزدهم كما زاد من قبلهم فهذا قال: إنه لا يحب الكافرين 45 وكرمه غير المحدود ما لا تبلغه أعمالهم. وذلك لأنه أحبهم وإذا أحب الله عبدا صب عليه الإحسان صبا، وأجزل له العطايا الفاخرة وأنعم عليه بالنعم الظاهرة جزاؤهم ليس مقصورا على أعمالهم بل يجزيهم الله من فضله الممدود
- منها ويبقيها عليكم. وأما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي فهذه حال من بدل نعمة الله كفرا ونعمته محنة وهو معرض لها للزوال والانتقال منه إلى غيره. 46 في معاشكم ومصالحكم. ولعلكم تشكرون من سخر لكم الأسباب وسير لكم الأمور. فهذا المقصود من النعم أن تقابل بشكر الله تعالى ليزيدكم الله فتشتاقون إلى الإكثار من الأعمال الصالحة الفاتحة لخزائن الرحمة. ولتجري الفلك في البحر بأمره القدري ولتبتغوا من فضله بالتصرف وليذيقكم من رحمته فينزل عليكم من رحمته مطرا تحيا به البلاد والعباد، وتذوقون من رحمته ما تعرفون أن رحمته هي المنقذة للعباد والجالبة لأرزاقهم، وبعثه الموتى وأنه الإله المعبود والملك المحمود، أن يرسل الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب ثم جمعها فتبشر بذلك النفوس قبل نزوله. أي: ومن الأدلة الدالة على رحمته
- المتعينة ووعدها بهم به فلا بد من وقوعه. فأنتم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم إن بقيتم على تكذيبكم حلت بكم العقوبة ونصرناه عليكم. 47 غيهم، فانتقمنا من الذين أجرموا ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل. وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاءهم بالبينات والأدلة على ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن أي: ولقد أرسلنا من قبلك في الأمم السابقين رسلا إلى قومهم حين جحدوا توحيد الله وكذبوا بالحق فجاءتهم رسلكم
- أتت عليه. فإذا أصاب به بذلك المطر من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون يبشر بعضهم بعضا بنزوله وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه. 48 الواسع كسفا أي: سحابا ثخيناً قد طبق بعضه فوق بعض. فتري الودق يخرج من خلاله أي: السحاب نقطا صغارا متفرقة، لا تنزل جميعا فتفسد ما فتثير سحابا من الأرض، فيبسطة في السماء أي: يمدد ويوسعه كيف يشاء أي: على أي حالة أرادها من ذلك ثم يجعله أي: ذلك السحاب يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمايم نعمته أنه يرسل الرياح
- أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي: آيسين قانطين لتأخر وقت مجيئه، أي: فلما نزل في تلك الحال صار له موقع عظيم عندهم وفرح واستبشار. 49

وإن كانوا من قبل

ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء. الرحيم بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب. 5
كفارا ولكن بعض الشر أهون من بعض ويحزن يومئذ المشركون. وهو العزيز الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك
بنصر الله ينصر من يشاء أي: يفرحون بانتصارهم على الفرس وإن كان الجميع

لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فقدرته تعالى لا يتعاضى عليها شيء وإن تعاضى على قدر خلقه ودق عن أفهامهم وحارت فيه عقولهم. 50
فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم. إن ذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها
زرعهم ريحا مضره متلفة أو منقصة، فأروه مصفرا قد تداعى إلى التلف لظلوا من بعده يكفرون فينسون النعم الماضية ويبادرون إلى الكفر. 51
يخبر تعالى عن حالة الخلق وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها ونشر رحمة الله تعالى لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر وعلى
وبالأولى إذا ولوا مدبرين فإن الموانع قد توفرت فيهم عن الانقياد والسماع النافع كتوفر هذه الموانع المذكورة عن سماع الصوت الحسي. 52
وهؤلاء لا ينفع فيهم وعظ ولا زجر فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

الداعي القوي لقبول النصائح والمواعظ وهو استعدادهم للإيمان بكل آية من آيات الله واستعدادهم لتنفيذ ما يقدر عليهم من أوامر الله ونواهيه. 53
له. إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون فهؤلاء الذين ينفع فيهم إسماع الهدى المؤمنون بآياتنا بقلوبهم المتقادون لأوامرنا المسلمون لنا، لأن معهم
وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم لأنهم لا يقبلون الإبصار بسبب عماهم فليس منهم قابلية
وعتا. وليعلم العباد كمال قدرة الله التي لا تزال مستمرة يخلق بها الأشياء، ويدبر بها الأمور ولا يلحقها إعياء ولا ضعف ولا نقص بوجه من الوجوه. 54
ضعفه وأن قوته محفوفة بضعفين وأنه ليس له من نفسه إلا النقص، ولولا تقوية الله له لما وصل إلى قوة وقدرة ولو استمرت قوته في الزيادة لطغى وبغى
قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشبهة والهرم. يخلق ما يشاء بحسب حكمته. ومن حكمته أن يري العبد
إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئا فشيئا حتى بلغ سن الشباب واستوت
علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتداء خلق آدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيوانا في الأرحام
يخبر تعالى عن سعة

الحق الذي جاءتهم به المرسلون، وفي الآخرة أنكروا الأمر المحسوس وهو اللبث الطويل في الدنيا، فهذا خلقهم القبيح والعبد يبعث على ما مات عليه. 55
كان قولهم كذبا لا حقيقة له قال تعالى: كذلك كانوا يؤفكون أي: ما زالوا وهم في الدنيا يؤفكون عن الحقائق ويأتفكون الكذب، ففي الدنيا كذبوا
وأنه إذا قامت الساعة يقسم المجرمون بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة وذلك اعتذار منهم لعله ينفعهم العذر واستقصار لمدة الدنيا. ولما
يخبر تعالى عن يوم القيامة وسرعة مجيئه

أنكرتموه في الدنيا وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتا تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة، فلم يزل الجهل شعاركم وآثاره من التكذيب والخسار دثاركم. 56
عمرا يتذكر فيه المتذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال. فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون. فلذلك
للواقع مناسبا لأحوالهم. فلها قالوا الحق: لقد لبثتم في كتاب الله أي: في قضائه وقدره، الذي كتبه الله عليكم وفي حكمه إلى يوم البعث أي: عمرتم
والإيمان أي: من الله عليهم بهما وصارا وصفا لهم العلم بالحق والإيمان المستلزم إثبات الحق، وإذا كانوا عالمين بالحق مؤثرين له لزم أن يكون قولهم مطابقا
وقال الذين أوتوا العلم

وأ أنهم يردون ولا يعودون لما نهوا عنه لم يمكنوا فإنه فات وقت الإعذار فلا تقبل معذرتهم، ولا هم يستعتبون أي: يزال عتابهم والعتاب عنهم. 57
وزعموا أنهم ما قامت عليهم الحجة أو ما تمكنوا من الإيمان ظهر كذبهم بشهادة أهل العلم والإيمان، وشهادة جلودهم وأيديهم وأرجلهم، وإن طلبوا الإعذار
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم فإن كذبوا

ما جئت به ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون أي: قالوا للحق: إنه باطل. وهذا من كفرهم وجراءتهم وطبع الله على قلوبهم وجهلهم المفرط. 58
أسفهم وأنه لا يقبل منهم عذر ولا عتاب. ولكن أبى الظالمون الكافرون إلا معاندة الحق الواضح ولهذا قال: ولئن جئتهم بآية أي: أي آية تدل على صحة
بالمحسوسة. وفي الإخبار بما سيكون وجلاء حقيقته حتى كأنه وقع. ومنه في هذا الموضع ذكر الله تعالى ما يكون يوم القيامة وحالة المجرمين فيه وشدة
لناس في هذا القرآن من كل مثل تتضح به الحقائق وتعرف به الأمور وتنقطع به الحجة. وهذا عام في الأمثال التي يضربها الله في تقريب الأمور المعقولة
أي: ولقد ضربنا لأجل عنايتنا ورحمتنا ولطفنا وحسن تعليمنا

كذلك يطيع الله على قلوب الذين لا يعلمون فلا يدخلها خير ولا تدرك الأشياء على حقيقتها بل ترى الحق باطلا والباطل حقا. 59
الله بها من المسلمين والمشركين. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته. 6
على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله. وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم

تفسير السعدي

صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عینوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم وعد الله لا يخلف الله وعده فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه. فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. 60

بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدكم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على أن يستخفك الذين لا يوقنون أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير. ولا فاصبر على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً فلا يصدك ذلك. إن وعد الله حق أي: لا شك فيه وهذا مما قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثرت الرقي العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته وهذه الأمور لو هم الفاسقون. ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها وما حرموا من العقل العالي ففرغوا أن الأمر لله والحكم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك يعقولهم ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب. وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبا يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة. ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين لوجوده شيئاً، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها. وهم عن الآخرة هم غافلون قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم الدنيا فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة ربهم لكافرون فلذلك لم يستعدوا للقاءه ولم يصدقوا رسله التي أخبرت به وهذا الكفر عن غير دليل، بل الأدلة القاطعة قد دلت على البعث والجزاء. 8

عملاً. وأجل مسمى أي: مؤقت بقاءهما إلى أجل تنقضي به الدنيا وتجيء به القيامة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات. وإن كثيراً من الناس بقاء أن يتركهم سدى مهملين لا ينعون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون. ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي ليبلوكم أيكم أحسن من العدم سيعيدهم بعد ذلك وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أي: أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسول الله ولقائه في أنفسهم فإن في أنفسهم آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم متتابع. وهذا جزء معجل نموذج للجزاء الأخروي ومبتدأ له. وكل هذه الأمم المهلكة لم يظلمهم الله بذلك الإهلاك وإنما ظلموا أنفسهم وتسببوا في هلاكها. 9

على الحق وصحة ما جاءهم به، فإنهم حين ينظرون في آثار أولئك لم يجدوا إلا أمماً بائدة وخلقاً مهلكين ومنازل بعدهم موحشة وذم من الخلق عليهم من بناء قصور ومصانع ومن غرس أشجار ومن زرع وإجراء أنهار، فلم تغن عنهم قوتهم ولا نفعتهم آثارهم حين كذبوا رسلهم الذين جاءهم بالبينات الدالات نبههم على السير في الأرض والنظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وخالفوا أمرهم ممن هم أشد من هؤلاء قوة وأكثر آثاراً في الأرض

سورة 31

أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر، وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه. فالأول بمنزلة اللب والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان. 1

بال وتحذر منهم وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات على الأوامر والنواهي، والنفس تساعدكم على هذا وتطلب التشبه والموافقة وهذا مما يدل على يستخفك الذين لا يوقنون أي: قد ضعف إيمانهم وقل يقينهم فخفت لذلك أحلامهم وقل صبرهم، فإياك أن يستخفك هؤلاء فإنك إن لم تجعلهم منك على يعين على الصبر فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملاً هان عليه ما يلقاه من المكاره ويسر عليه كل عسير واستقل من عمله كل كثير. ولا فاصبر على ما أمرت به وعلى دعوتهم إلى الله، ولو رأيت منهم إعراضاً فلا يصدك ذلك. إن وعد الله حق أي: لا شك فيه وهذا مما رزق تعيش به، فأنزل من السماء ماء مباركا، فأنبتنا فيها من كل زوج كريم المنظر، نافع مبارك، فترعت فيه الدواب المنبثة، وسكن إليه كل حيوان. 10

أي: نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب، التي هي مسخرة لبني آدم، ولمصالحهم، ومنافعهم. ولما بثها في الأرض، علم تعالى أنه لا بد لها من أي: جبلاً عظيمة، ركزها في أرجائها وأنحائها، لئلا تميد بكم فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض، ولما استقرت بساكنيتها. وبث فيها من كل دابة وارتفاعها الهائل. بغير عمد ترونها أي: ليس لها عمد، ولو كان لها عمد لرئيت، وإنما استقرت واستمسكت، بقدرة الله تعالى. وألقى في الأرض رواسي يتلو تعالى على عباده، آثاراً من آثار قدرته، وبدائع من بدائع حكمته، ونعماً من آثار رحمته، فقال: خلق السماوات السبع على عظمها، وسعتها، وكتافتها،

تفسير السعدي

في ضلال مبين أي: جلي واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور. 11 يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد. ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قال: بل الظالمون ما ادعيتهم فيهم من استحقاق العبادة. ومن المعلوم أنهم لا يقدر أن يروه شيئا من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقرروا أنها خلق الله وحده، ولا ثم شيء دونه أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح من جماد، وحيوان، وسوق أرزاق الخلق إليهم خلق الله وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين. فأروني ماذا خلق الذين من هذا أي: خلق العالم العلوي والسفلي،

نبيأ، أو عبدا صالحا؟ والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لابنه، فذكر أصول الحكمة وقواعدها الكبار. 12 في جميل صنعه، من لوازم ذاته، وكل واحد من الوصفين، صفة كمال، واجتماع أحدهما إلى الآخر، زيادة كمال إلى كمال. واختلف المفسرون، هل كان لقمان الله، عاد وبال ذلك عليه. والله غني عنه حميد فيما يقدره ويقضيه، على من خالف أمره، فغناه تعالى، من لوازم ذاته، وكونه حميدا في صفات كماله، حميدا الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر والإحكام، فقد يكون الإنسان عالما، ولا يكون حكيما. وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح. ولما أعطاه يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار

ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا. 13 بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟ وهل أعظم من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثل ذرة من النعم له السبب في ذلك فقال: إن الشرك لظلم عظيم ووجه كونه عظيما، أنه لا أفضع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك وإن قال لقمان لابنه وهو يعظه أو قال له قولا به يعظه بالأمر، والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبين

لحضانة أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب، أن يؤكد على ولده، ويوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟ 14 المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد. ثم فصله في عامين وهو ملازم أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟ ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم، فقال: حملته أمه وهنا على وهن أي: مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي بهذه الوصية، وأخبرناه أن إلي المصير أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وذاك، وكلفك بهذه الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمؤنتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل. فوصيانه بوالديه وقلنا له: اشكر لي بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. ولوالديك بالإحسان إليهما بالقول اللين، القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ووصينا الإنسان أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيانه ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه

يرضي الله، ويقرب منه. ثم إلي مرجعكم الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره فأنبئكم بما كنتم تعملون فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية. 15 لربهم، المنيبون إليه. واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما بالمعروف، وأما اتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما. واتباع سبيل من أناب إلي وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لك به علم فعقهما بل قال: فلا تطعهما أي: بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه، ولهذا قال: وصاحبهما في الدنيا معروفا أي: صحبة إحسان إليهما في الإحسان إليهما، لأن حق الله، مقدم على حق كل أحد، ولا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق ولم يقل: وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس وإن جاهدك أي: اجتهد والداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ولا تظن أن هذا داخل

البواطن والأسرار، وخفايا القفار والبحار. والمقصود من هذا، الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قل أو كثر. 16 أي جهة من جهاتهما يأت بها الله لسعة علمه، وتمايم خبرته وكمال قدرته، ولهذا قال: إن الله لطيف خبير أي: لطف في علمه وخبرته، حتى اطلع على يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل التي هي أصغر الأشياء وأحقرها، فتكن في صخرة أي في وسطها أو في السماوات أو في الأرض في واصبر على ما أصابك إن ذلك الذي وعظ به لقمان ابنه من عزم الأمور أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم. 17 وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه. ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: واصبر على ما أصابك ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كافا لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه. والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا يا بني أقم الصلاة حثه عليها، وخصها لأنها أكبر العبادات البدنية،

في الأرض مرحا أي: بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا بالمنعم، معجبا بنفسك. إن الله لا يحب كل مختال في نفسه وهيئته وتعاضمه فخور بقوله. 18

تفسير السعدي

ولا تصعر خدك للناس أي: لا تمله وتعبس بوجهك الناس، تكبرا عليهم، وتعاضما. ولا تمش

الوصايا، أن يكون مخصوصا بالحكمة، مشهورا بها. ولهذا من منة الله عليه وعلى سائر عباد، أن قص عليهم من حكمته، ما يكون لهم به أسوة حسنة. 19
ونهاه عن ضد ذلك. وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وبالصبر اللذين يسهل بهما كل أمر، كما قال تعالى: فحقيق بمن أوصى بهذه
يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر، إلا أتى بها. ونهاه عن التكبر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البطر والأشر، والمرح، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات،
ما لم يأمر بمعصية، ومع ذلك فلا يعقهما، بل يحسن إليهما، وإن كان لا يطيعهما إذا جاهداه على الشرك. وأمره بمراقبة الله، وخوفه القدوم عليه، وأنه لا
عن الشرك، وبين له الموجب لتركه، وأمره ببر الوالدين، وبين له السبب الموجب لبرهما، وأمره بشكره وشكرهما، ثم احترز بأن محل برهما وامتنال أوامرهما،
كانت أمرا، وإلى تركها إن كانت نهيا. وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة، أنها العلم بالأحكام، وحكمها ومناسباتها، فأمره بأصل الدين، وهو التوحيد، ونهاه
قد علمت خسته وبلادته. وهذه الوصايا، التي وصى بها لقمان لابنه، تجمع أمهات الحكم، وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرن بها ما يدعو إلى فعلها، إن
مع الناس ومع الله، إن أنكر الأصوات أي أفضعها وأبشعها لصوت الحمير فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة، لما اختص بذلك الحمار، الذي
واقصد في مشيك أي: امش متواضعا مستكينا، لا مشي البطر والتكبر، ولا مشي التماوت. واغضض من صوتك أدبا

الناس محرومون الاهتداء به، معرضون عن الإيمان والعمل به، إلا من وفقه الله تعالى وعصمه، وهم المحسنون في عبادة ربهم والمحسنون إلى الخلق. 2
له من التوافق والتواطؤ، وجزم جزما لا يمتري فيه، أنه تنزيل من حكيم حميد. ولكن مع أنه حكيم يدعو إلى كل خلق كريم، وينهى عن كل خلق لئيم، أكثر
كالقصص، والأحكام ونحوها، قد اتفقت كلها وتواطأت، فليس فيها تناقض، ولا اختلاف. فكلما ازداد بها البصير تدبرا، وأعمل فيها العقل تفكرا، انهر عقله، وذهل
إحكامها: أنها جمعت بين الترغيب والترهيب، والوعظ البليغ، الذي تعتدل به النفوس الخيرة، وتحتكم، فتعمل بالحزم. ومن إحكامها: أنك تجد آياته المتكررة،
ولا نهت عن شيء، إلا وهو خالص المفسدة أو راجحها، وكثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء، مع ذكر حكمته فائدته، والنهي عن الشيء، مع ذكر مضرته. ومن
الأنبياء، ولم يأت علم محسوس ولا معقول صحيح، يناقض ما دلت عليه. ومن إحكامها: أنها ما أمرت بشيء، إلا وهو خالص المصلحة، أو راجحها،
ما فيها من الأخبار السابقة واللاحقة، والأمور الغيبية كلها، مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع، لم يخالفها كتاب من الكتب الإلهية، ولم يخبر بخلافها، نبي من
وأفصحها، وأبينها، الدالة على أجل المعاني وأحسنها. ومن إحكامها، أنها محفوظة من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، والتحريف. ومن إحكامها: أن جميع
يشير تعالى إشارة دالة على التعظيم إلى آيات الكتاب الحكيم أي: آياته محكمة، صدرت من حكيم خبير. من إحكامها، أنها جاءت بأجل الألفاظ

كتاب منير غير مبين للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدين وإنما جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين. 20
من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك شأنه، ويسمح له في الكلام ولا هدى يقتدي به بالمهتدين ولا
بها وجد الحق الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، فجعل يجادل في الله أي: يجادل عن الباطل ليدحض به الحق ويدفع به ما جاء به الرسول
الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته. و لكن مع توالي هذه النعم من الناس من لم يشكرها بل كفرها وكفر بمن أنعم
والتي تخفي علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم بمحبة المنعم والخضوع له وصرفها في
والمعادن ونحوها كما قال تعالى: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وأسبغ عليكم أي: عمكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها
أن الله سخر لكم ما في السماوات من الشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع العباد. وما في الأرض من الحيوانات والأشجار والزرع، والأنهار
يمنت تعالى على عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها وعدم الغفلة عنها فقال: ألم تروا أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم،

وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير، بقبول دعوته. 21
لهم ومشيههم على طريقته، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم، وضلال من اتبعهم. وليس دعوة الشيطان لآبائهم ولهم، محبة لهم ومودة،
كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير فاستجاب له آباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحيرة. فهل هذا موجب لاتباعهم
قالوا معارضين ذلك: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقلول أحد كائنا من كان. قال تعالى في الرد عليهم وعلى آبائهم: أولو
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله على أيدي رسله، فإنه الحق، وبينت لهم أدلته الظاهرة

الله عاقبة الأمور أي: رجوعها وموئلتها ومنتهاتها، فيحكم في عباده، ويجازيهم بما آلت إليه أعمالهم، ووصلت إليه عواقبهم، فليستعدوا لذلك الأمر. 22
الهلاك، وفاز بكل خير. ومن لم يسلم وجهه لله، أو لم يحسن لم يستمسك بالعروة الوثقى، وإذا لم يستمسك بالعروة الوثقى لم يكن ثم إلا الهلاك والبوار. وإلى
بجميع شرائع الدين، على وجه تقبل به وتكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم واستمسك بالعروة الوثقى أي: بالعروة التي من تمسك بها، توثق ونجا، وسلم من
بالقيام بحقوقه، وهو محسن إلى عباد الله، قائم بحقوقهم. والمعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين، وإلا فكلها متفقة على القيام
وسلم. أو: ومن يسلم وجهه إلى الله، بفعل جميع العبادات، وهو محسن فيها، بأن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه. أو ومن يسلم وجهه إلى الله،
إلى الله أي: يخضع له وينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه. وهو محسن في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول صلى الله عليه
ومن يسلم وجهه

كفرهم وعداوتهم، وسعيهم في إطفاء نور الله وأذى رسله. إن الله عليم بذات الصدور التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، وكان شهادة؟ 23

تفسير السعدي

عليك بالعداوة، وناذوك المحاربة، واستمروا على غيهم وكفرهم، ولا تتحرق عليهم، بسبب أنهم ما بودروا بالعذاب. فإن إلينا مرجعهم فنبئهم بما عملوا من والبلاغ، فإذا لم يهتد، فقد وجب أجرك على الله، ولم يبق للحزن موضع على عدم اهتدائه، لأنه لو كان فيه خير، لهداه الله. ولا تحزن أيضا، على كونهم تجرأوا ومن كفر فلا يحزنك كفره لأنك أديت ما عليك، من الدعوة

في الدنيا، ليزداد إثمهم، ويتوفر عذابهم، ثم نضطرهم أي: نلجئهم إلى عذاب غليظ أي: انتهى في عظمه وكبره، وفظاعته، وألمه، وشدة. 24 نمتعهم قليلا

وجه الحيرة والشك، لا على وجه البصيرة، ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه، ليدعو عباده إلى معرفته، ومحبته، وإخلاص الدين له. 25 لجزموا أن المنفرد بالخلق والتدبير، هو الذي يفرد بالعبادة والتوحيد. ولكن أكثرهم لا يعلمون فذلك أشركوا به غيره، ورضوا بتناقض ما ذهبوا إليه، على قل لهم ملزما لهم، ومحتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا: الحمد لله الذي بين النور، وأظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، فلو كانوا يعلمون، سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق من خلق السماوات والأرض لعلوا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك ولبادروا بقولهم الله الذي خلقهما وحده. فأي: ولئن

وجميع ما فعله وخلقه يحمد عليه، وجميع ما أمر به ونهى عنه يحمد عليه، وجميع ما حكم به في العباد وبين العباد، في الدنيا والآخرة، يحمد عليه. 26 إلا حميدا من جميع الوجوه، فهو حميد في ذاته، وهو حميد في صفاته، فكل صفة من صفاته، يستحق عليها أكمل حمد وأتمه، لكونها صفات عظمة وكمال، عامليها، والله غني عنهم، وعن أعمالهم، ومن غناه، أن أغناهم وأقتاهم في دنياهم وأخراهم. ثم أخبر تعالى عن سعة حمده، وأن حمده من لوازم ذاته، فلا يكون يحتاج إليه أحد من الخلق. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون وأن أعمال النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، لا تنفع الله شيئا وإنما تنفع الملك القدري، وأحكامه الأمرية، وأحكامه الجزائية، فكلهم عبيد ممالك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء، وأنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما فذكر عموم ملكه، وأن جميع ما في السماوات والأرض وهذا شامل لجميع العالم العلوي والسفلي أنه ملكه، يتصرف فيهم بأحكام

وابتدأ بالحكمة، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة، وكذلك الأمر والهي وجد بالحكمة، وكانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه وأمره. 27 ما في العالم العلوي والسفلي من القوة إلا منه، أعطاهما للخلق، فلا حول ولا قوة إلا به، وبعزته قهر الخلق كله، وتصرف فيهم، ودبرهم، وبحكمته خلق الخلق، ضربه الله لكلامه، ليدرك العباد شيئا منه، وإلا فالأمر أعظم وأجل. ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال: إن الله عزيز حكيم أي: له العزة جميعا، الذي في جميع الأوقات يحكم، ويتكلم، ويقول، ويفعل كيف أراد، وإذا أراد لا مانع له من شيء من أقواله وأفعاله، فإذا تصور العقل ذلك، عرف أن المثل الذي الذهن والعقل، من الأزمان المتأخرة، وتسلسل الفرض والتقدير، وساعد على ذلك من ساعد، بقلبه ولسانه، فالحق تعالى بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية. والله حقيقة أوليته تعالى وأخريته، وأنه كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة، مهما تسلسل الفرض والتقدير، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية، وأنه مهما فرضه فلا يتصور نفاذه، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي، على أنه لا نفاذ له ولا منتهى، وكل شيء ينتهي إلا الباري وصفاته وأن إلى ربك المنتهى وإذا تصور العقل فالأشجار، وإن تضاعفت على ما ذكر، أضعافا كثيرة، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة، فإنه يتصور نفاذها وانقضاؤها، لكونها مخلوقة. وأما كلام الله تعالى، أنت كما أثبت على نفسك وإلا، فالأمر أجل من ذلك وأعظم. وهذا التمثيل من باب تقريب المعنى، الذي لا يطابق الوصول إليه إلى الأفهام والأذهان، وإلا تستشير به قلوبهم، وتنشر له صدورهم، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه: لا نحصي ثناء عليك، تعالى أن معرفته لعباده، أفضل نعمة، أنعم بها عليهم، وأجل منقبة حصلوها، وهي لا تمكن على وجهها، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك كله، فنبههم تعالى تنبيهها ولفني ذلك المداد، ولم تنفذ كلمات الله تعالى، وهذا ليس بمبالغة لا حقيقة له، بل لما علم تبارك وتعالى، أن العقول تنقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته، وعلم أولو الأبواب والبصائر فقال: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام يكتب بها والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مداها يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام ثم أخبر عن سعة كلامه وعظمته قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنبه له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسيح في معرفته

على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله وقوة قدرته. ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات، وبصره لجميع المبصرات فقال: إن الله سميع بصير 28 العقول، إن خلق جميع الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لحظة واحدة كخلقه نفسا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والجزاء ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وهذا شيء يحير

وأن الله بما تعملون من خير وشر خبير لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على تلك الأعمال، بالثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين. 29 إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدىء الدار الآخرة. ونظام، لم يختل منذ خلقهما، ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون ويتنفعون. و كل منهما يجري إلى أجل مسمى تصرفه بإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، أي: إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر. وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير وهذا فيه أيضا، انفراده بالتصرف والتدبير، وسعة

الجحيم، ورحمة لهم، تحصل لهم به السعادة في الدنيا والآخرة، والخير الكثير، والثواب الجزيل، والفرح والسرور، ويندفع عنهم الضلال والشقاء. 3 فإنه هدى لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، ويحذرهم من طرق

تفسير السعدي

أن يقاس بها صفات أحد من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض. 30
إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لما بقي، فإذا كان باطلا، كانت عبادته أبطل وأبطل. وأن الله هو العلي بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت صفاته، في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، وورسله حق، ووعدده حق، ووعيدده حق، وعبادته هي الحق. وأن ما يدعون من دونه الباطل في ذاته وصفاته، فلولا ذلك الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بين بأن الله هو الحق

المنتفعون بالآيات، صبار على الضراء، شكور على السراء، صبار على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره، شكور لله، على نعمه الدينية والدنيوية. 31
أن سخر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري ولطفه وإحسانه، ليريك من آياته فيها الانتفاع والاعتبار إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور فهم أي: ألم تر من آثار قدرته ورحمته، وعنايته بعباده،

البحر وشدته، لكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك، كفور بنعم الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟ 32
مذنبون ظالمون لأنفسهم، وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من كآلظل فوقهم، أنهم يخلصون الداء لله والعبادة: فلما نجاهم إلى البر انقسموا فريقين: فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم ذكر تعالى حال الناس، عند ركوبهم البحر، وغشيان الأمواج

الفتانة، والشيطان الموسوس المسول، فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 33
أم قصرُوا فيه. وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته، التي يسعى إليها. ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقا، وقد وعدهم موعدا يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق، فهذا قال: فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزينة وزخارفها وما فيها من الفتن والمحن. ولا يغرنكم بالله الغرور الذي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين. إن وعد الله حق فلا تمتروا عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل، مما يقوي العبد ويسهل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه فلا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، وترك زواجه، ويستلقتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد،

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله. 34
خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبائيا، والسرائر، ومن حكمته التامة، ما يشاء. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من كسب دينها ودنياها، وما تدري نفس بأي أرض تموت بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه. ولما يعلم ما في الأرحام فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بفتة الآية. وينزل الغيث أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله. مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: إن الله عنده علم الساعة أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر

أخاه المسلم، وتسد حاجته، ويبين بها أن العبد يؤثر محبة الله على محبته للمال، فيخرجه محبوبه من المال، لما هو أحب إليه، وهو طلب مرضاة الله. 4
على الإخلاص، ومناجاة الله تعالى، والتعبد العام للقلب واللسان، والجوارح المعينة، على سائر الأعمال، والزكاة التي تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة، وتنفع بالعلم التام، وهو اليقين الموجب للعمل والخوف من عقاب الله، فيتركون معاصيه، ووصفهم بالعمل، وخص من العمل، عمليين فاضلين: الصلاة المشتعلة ثم وصف المحسنين

به رأسا، وأنه عوقب على ذلك، بأن تعوض عنه كل باطل من القول، فترك أعلى الأقوال، وأحسن الحديث، واستبدل به أسفل قول وأقبحه، فلذلك قال: 5
وسلموا من سخطه وعقابه، وذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها. ولما ذكر تعالى المهتدين بالقرآن، المقبلين عليه، ذكر من أعرض عنه، ولم يرفع الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، وهو أفضل أنواع التربية. وأولئك هم المفلحون الذين أدرکوا رضا ربهم، وثوابه الدنيوي والأخروي، والعمل على هدى أي: عظيم كما يفيد التنكير، وذلك الهدى حاصل لهم، وواصل إليهم من ربهم الذي لم يزل يربيههم بالنعم ويدفع عنهم النقم. وهذا ف أولئك هم المحسنون الجامعون بين العلم التام،

من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، ولا يعرف حقيقته. أولئك لهم عذاب مهين بما ضلوا وأضلوا، واستهزؤا بآيات الله وكذبوا الحق الواضح. 6
ويسخر بها، وبمن جاء بها، فإذا جمع بين مدح الباطل والترغيب فيه، والقبح في الحق، والاستهزاء به وبأهله، أضل من لا علم عنده وخدعه بما يوحيه إليه، هذا الحديث صده عن الحديث النافع، والعمل النافع، والحق المبين، والصراط المستقيم. ولا يتم له هذا، حتى يقدح في الهدى والحق، ويتخذ آيات الله هزوا الناس، يشترى لهُو الحديث، عن هدي الحديث ليضل الناس بغير علم أي: بعدما ضل بفعله، أضل غيره، لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال. وإضلاله في

تفسير السعدي

به الحق، ومن غيبة، ونميمة، وكذب، وشتيم، وسب، ومن غناء ومزامير شيطان، ومن الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين ولا دنيا. فهذا الصنف من هذا كل كلام محرم، وكل لغو، وباطل، وهذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، والفسوق، والعصيان، ومن أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا يشترى أي: يختار ويرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء. لهو الحديث أي: الأحاديث الملهية للقلوب، الصادة لها عن أجل مطلوب. فدخل في أي: ومن الناس من هو محروم مخدول

بشرته السوء والظلمة والغبرة. بعذاب أليم مؤلم لقلبه ولبدنه لا يقادر قدره ولا يدري بعظيم أمره، وهذه بشارة أهل الشر، فلا نعمت البشارة. 7
كأن لم يسمعها بل كأن في أذنيه وقرا أي: صمما لا تصل إليه الأصوات فهذا لا حيلة في هدايته. فبشره بشارة تؤثر في قلبه الحزن والغم وفي ولهذا قال وإذا تتلى عليه آياتنا ليؤمن بها وينقاد لها، ولي مستكبرا أي: أدبر إدبار مستكبر عنها، راد لها، ولم تدخل قلبه ولا أثرت فيه، بل أدبر عنها الصالحات جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، والظاهر بالإسلام، والعمل الصالح. لهم جنات النعيم بشارة لهم بما قدموه، وقرى لهم بما أسلفوه. 8
وأما بشارة أهل الخير فقال: إن الذين آمنوا وعملوا ولا يتبدل. وهو العزيز الحكيم كامل العزة، كامل الحكمة، من عزته وحكمته، وفق من وفق، وخذل من خذل، بحسب ما اقتضاه علمه فيهم وحكمته. 9
خالدين فيها أي: في جنات النعيم، نعيم القلب والروح، والبدن. وعد الله حقا لا يمكن أن يخلف، ولا يغير،

سورة 32

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك. تم تفسير سورة لقمان بفضل الله وعونه، والحمد لله. 1
خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، ما يشاء. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من كسب دينها ودنياها، وما تدري نفس بأي أرض تموت بل الله تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه. ولما ويعلم ما في الأرحام فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة الآية. وينزل الغيث أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله. مرسل، ولا ملك مقرب، فضلا عن غيرهما، فقال: إن الله عنده علم الساعة أي: يعلم متى مرساها، كما قال تعالى: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة، من الأمور التي طوى علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي قد تقرر أن الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر

علم أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة، ينزل الله عليها المطر، فتحي بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها. 10
مصدره وغايته، وإلا، فلو كان قصدهم بيان الحق، لبين لهم من الأدلة القاطعة على ذلك، ما يجعله مشاهدا للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر. ويكفيهم، أنهم معهم قدرة الخالق، بقدرهم. وكلامهم هذا، ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بقاء ربهم وجحد، ولهذا قال: بل هم بقاء ربهم كافرون فكلامهم علم الأرض أي: بلينا وتمزقنا، وتفرقنا في المواضع التي لا تعلم. أننا لفي خلق جديد أي: لمبعوثون بعثا جديدا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم أي: قال المكذبون بالبعث على وجه الاستبعاد: أنذا ضللنا في

أي: جعله الله وكيلا على قبض الأرواح، وله أعوان. ثم إلى ربكم ترجعون فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم. 11
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم
أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به، أي: لرأيت أمرا فظيحا، وحالا مزعجة، وأقواما خاسرين، وسؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال. 12
أذلاء، مقرين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: ربنا أبصرنا وسمعنا أي: بأن لنا الأمر، ورأيناه عيانا، فصار عين يقين. فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ذكر حالهم في مقامهم بين يديه فقال: ولو ترى إذ المجرمون الذين أصروا على الذنوب العظيمة، ناكسو رؤسهم عند ربهم خاشعين خاضعين لما ذكر تعالى رجوعهم إليه يوم القيامة،

وثبت ثبوتا لا تغير فيه. لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فهذا الوعد، لا بد منه، ولا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي. 13
الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشتيتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى، ولهذا قال: ولكن حق القول مني أي: وجب، وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلماذا قال: ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها أي: لهدينا والتخفيف، وأما عذاب جهنم أعاذنا الله منه فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. بما كنتم تعملون من الكفر والفسوق والمعاصي. 14
جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتم نسيتم، وذوقوا عذاب الخلد أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه. إنا نسيناكم أي: تركناكم بالعذاب، يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم

فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي:

متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم، وقابلوها بالانشرح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم. 15
سجدا أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته. وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل
وهم: الذين إذا ذكروا بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، ودعوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و خروا
وما أعد لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعد لهم من الثواب، فقال: إنما يؤمن بآياتنا أي إيماناً حقيقياً، من يوجد منه شواهد الإيمان،
لما ذكر تعالى الكافرين بآياته،

في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقاً، سواء وافق غنياً أو فقيراً، قريباً أو بعيداً، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم. 16
ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة
بين الوصفين، خوفاً أن ترد أعمالهم، وطمعاً في قبولها، خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في ثوابه. ومما رزقناهم من الرزق، قليلاً كان أو كثيراً ينفقون
الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى. ولهذا قال: يدعون ربهم أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهم. خوفاً وطمعاً أي: جامعين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع أي: ترتفع جنوبهم، وتنزع عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو أذل عندهم منه وأحب إليهم، وهو

خطر على قلب بشر فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: جزاء بما كانوا يعملون 17
الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالى على لسان رسوله: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا
جزأؤهم، فقال: فلا تعلم نفس يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ما أخفى لهم من قرة أعين من الخير

وأما

طاعة الله. أفيستوي هذان الشخصان؟ لا يستويون عقلاً وشرعاً، كما لا يستوي الليل والنهار، والضيء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة. 18
كان فاسقاً قد خرب قلبه، وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن
أفمن كان مؤمناً قد عمر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان. كمن
ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما فقال:

يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلاً، سوى الإيمان والعمل الصالح. 19
وسماع خطابه، نزل لهم أي: ضيافة، وقرى بما كانوا يعملون فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل العالية، التي لا
هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه،
وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فروض ونوافل فلهم جنات المأوى أي: الجنات التي

يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته. 2

الذي كنتم به تكذبون فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله: 20
فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب. وقيل لهم ذوقوا عذاب النار
فسقوا فمأواهم النار أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يفتر عنهم العقاب ساعة. كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها
وأما الذين

يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون 21
أن ثم عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار. ولما كانت الإذاعة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم
الأدنى في برزخهم. وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلائلها ظاهرة، فإنه قال: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أي: بعض جزء منه، فدل على
كما في قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون ثم يكمل لهم العذاب
نموذجاً من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفاً منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت،
أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين،

بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: إنا من المجرمين منتقمون 22
والدنيوية، وتهيأ عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن
أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعدياً، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية
فجعل الله هداية للناس كلهم، لأنه هداية للخلق، في أمر دينهم ودنياهم، إلى يوم القيامة، وذلك لكماله وعلوه وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم 23
الذي آتيناه موسى هدى لبني إسرائيل يهتدون به في أصول دينهم، وفروعه وشرائعه موافقة لذلك الزمان، في بني إسرائيل. وأما هذا القرآن الكريم،
فتطابق حقهما، وثبت برهانهما، فلا تكن في مرية من لقائه لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيناته، فلم يبق للشك والمرية، محل. وجعلناه أي: الكتاب

تفسير السعدي

وسلم، ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به، بغريب من الرسل، فقد أتى الله موسى الكتاب الذي هو التوراة المصدقة للقرآن، التي قد صدقها القرآن، لما ذكر تعالى، آياته التي ذكر بها عباده، وهو: القرآن، الذي أنزله على محمد صلى الله عليه

عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين. 24
أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات. وكانوا بآياتنا يوقنون قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم. والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية يهدون بأمرنا أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدى، والمؤمنون به منهم، على وجعلنا منهم أي: من بني إسرائيل أئمة

على بني إسرائيل، بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين، فهو الحق، وما عداه مما خالفه، باطل. 25
بنو إسرائيل، منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه خطأ، أو عمداً، والله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وهذا القرآن يقص وثم مسائل اختلف فيها

للحشر والتناد. أفلا يسمعون آيات الله، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك. 26
جاءتهم، وبطلان ما هم عليه، من الشرك والشر، وعلى أن من فعل مثل فعلهم، فعل بهم، كما فعل بأشباعه من قبل. وعلى أن الله تعالى مجازي العباد، وباعتهم الذين سلوكوا مسلكهم، يمشون في مساكنهم فيشاهدونها عياناً، كقوم هود، وصالح، وقوم لوط. إن في ذلك لآيات يستدل بها، على صدق الرسل، التي يعني: أولم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول، ويهدهم إلى الصواب. كم أهلكنا من قبلهم من القرون

ولكن غلب عليهم العمى، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك، بصر الرجال، وإنما نظروا إلى ذلك، نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفقوا للخير. 27
وهو طعام الآدميين. أفلا يبصرون تلك المنة، التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهدتدون بذلك البصر، وتلك البصيرة، إلى الصراط المستقيم، قبل موجودا فيها، فيفرغه فيها، من السحاب، أو من الأنهار. فنخرج به زرعاً أي: نباتاً، مختلف الأنواع تأكل منه أنعامهم وهو نبات البهائم وأنفسهم أولم يروا بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر، الذي لم يكن

جهلاً منهم ومعاندة. ويقولون متى هذا الفتح الذي يفتح بيننا وبينكم، بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم أيها الرسل صادقين في دعواكم. 28
أي: يستعجل المجرمون بالعذاب، الذي وعدوا به على التكذيب،

للمحنة محل ف لا ينفع الذين كفروا إيمانهم لأنه صار إيمان ضرورة، ولا هم ينظرون أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم. 29
به شيئاً، فلو كان إذا حصل، حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقيناً، لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح، انقضى الأمر، ولم يبق قل يوم الفتح الذي يحصل به عقابكم، لا تستفيدون

فيه، ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان. 3
منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه من رب العالمين وأنه الحق والحق مقبول على كل حال، وأنه لا ريب فيه بوجه من الوجوه، فليس يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك لعلمهم يهدتدون من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه. وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلها، مناقضة لتكذيبهم له: وإنها تقتضي قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك أي: في حالة ضرورة وفاقاة لإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم رادا على من قال: افتراه: بل هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. من ربك أنزله رحمة للعباد لتندر إنكار كلام الله، ورمي محمد صلى الله عليه وسلم، بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق. وكل واحد من هذه من الأمور العظام، قال الله وأنه لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم،

بك ريب المنون، ومتربصون بكم دوائر السوء، والعاقبة للتقوى. تم تفسير سورة السجدة بحول الله ومنه فله تعالى كمال الحمد والثناء والمجد. 30
خطابهم إلى حالة الجهل، واستعجال العذاب. وانتظر الأمر الذي يحل بهم، فإنه لا بد منه، ولكن له أجل، إذا جاء لا يتقدم ولا يتأخر. إنهم منتظرون فأعرض عنهم لما وصل

فتعلمون أن خالق الأرض والسموات، المستوي على العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم، وتوليكم، وله الشفاعة كلها، هو المستحق لجميع أنواع العبادة. 4
استواء يليق بجلاله. ما لكم من دونه من ولي يتولاكم، في أموركم، فينفعكم ولا يشفع لكم، إن توجه عليكم العقاب. أفلا تتذكرون ستة أيام أولها، يوم الأحد، وآخرها الجمعة، مع قدرته على خلقها بلحظة، ولكنه تعالى رفيق حكيم. ثم استوى على العرش الذي هو سقف المخلوقات، يخبر تعالى عن كمال قدرته بخلق السماوات والأرض وما بينهما في

وينزل الأرزاق. ثم يعرج إليه أي: الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون وهو يعرج إليه، ويصله في لحظة. 5

تفسير السعدي

تلك التدابير من عند الملك القدير من السماء إلى الأرض فيسعد بها ويشقي، ويغني ويفقر، ويعز، ويذل، ويكرم، ويهين، ويرفع أقواما، ويضع آخرين، يدبر الأمر القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة

عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته، أوجدها، وأودع فيها، من المنافع ما أودع، ولم يعسر عليه تدبيرها. 6

ذلك الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوى على العرش العظيم، وانفرد بالتدبير في المملكة،

وخلقه خلقا يليق به، ويوافقه، فهذا عام. ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: وبدأ خلق الإنسان من طين وذلك بخلق آدم عليه السلام، أبي البشر. 7

الذي أحسن كل شيء خلقه أي: كل مخلوق خلقه الله، فإن الله أحسن خلقه،

ثم جعل نسله أي: ذرية آدم ناشئة من ماء مهين وهو النطفة المستنزفة الضعيفة. 8

لكم السمع والأبصار أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئا فشيئا، حتى أعطاكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون الذي خلقكم وصوركم. 9

عضو منه، بالمحل الذي لا يليق به غيره، ونفخ فيه من روحه بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله، حيوانا، بعد أن كان جمادا. وجعل

ثم سواه بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته، ووضع كل

سورة 33

وأظهر ضده. فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعمهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب. 1

النصيحة للخلق. ولا يصدك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة لله ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأد إلى عبادته وحيه، وابذل أي: يا أيها الذي من الله عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك،

والأمر كما وصف الله: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته. 10

القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، اليهود، الذين حوالي المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة. وخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق. وما لأتاهم طوائف يذكر تعالى عباد المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود

قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وهنالك تبين نفاق المنافقين، وظهر ما كانوا يضمرون قال تعالى: 11

من إيمانهم، وشدة يقينهم، ما فاقوا فيه الأولين والآخرين. وعندما اشتد الكرب، وتفاقم الشدائد، صار إيمانهم عين اليقين، ولما رأى المؤمنون الأحزاب هنالك ابتلي المؤمنون بهذه الفتنة العظيمة وزلزلوا زلزالا شديدا بالخوف والقلق، والجوع، ليتبين إيمانهم، ويزيد إيقانهم، فظهر ولله الحمد

وهذه عادة المنافق عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانه، وينظر بعقله القاصر، إلى الحالة القاصرة ويصدق ظنه. 12

بعورة إن يريدون أي: ما قصدهم إلا فرارا ولكن جعلوا هذا الكلام، وسيلة وعذرا. لهم فهؤلاء قل إيمانهم، وليس له ثبوت عند اشتداد المحن. 13

إن بيوتنا عورة أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غيب عنها، فأذن لنا نرجع إليها، فنحرسها، وهم كذبة في ذلك. وما هي أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخلزوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: ويستأنذ فريق منهم النبي يقولون فهذه الطائفة تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة، شر الطوائف وأضرها، وطائفة أخرى دونهم، يا أهل يثرب لا مقام لكم أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة، فارجعوا إلى المدينة، باسم الوطن المنبئ عن التسمية فيه إشارة إلى أن الدين والأخوة الإيمانية، ليس له في قلوبهم قدر، وأن الذي حملهم على ذلك، مجرد الخور الطبيعي. وصاروا أيضا من المخذولين، فلا صبروا بأنفسهم، ولا تركوا الناس من شرهم، فقالت هذه الطائفة: يا أهل يثرب يريدون يا أهل المدينة فنادوهم وإذ قالت طائفة منهم من المنافقين، بعد ما جزعوا وقل صبرهم،

بها إلا يسيرا أي: ليس لهم منعة ولا تصلب على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم. 14

لا كان ذلك ثم سئل هؤلاء الفتنة أي: الانقلاب عن دينهم، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين لآتوها أي: لأعطوها مبادرين. وما تلبثوا ولو دخلت عليهم المدينة من أقطارها أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها، واستولوا عليها

والحال أنهم قد عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا سبأهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذا، بريهم؟ 15

ولتنعموا في الدنيا فإنكم لا تمتعون إلا قليلا متاعا، لا يسوى فراركم، وترككم أمر الله، وتفويتكم على أنفسكم، التمتع الأبدى، في النعيم السرمدى. 16

لم يعارضها القضاء والقدر، فإذا جاء القضاء والقدر، تلاشى كل سبب، وبطلت كل وسيلة، ظنها الإنسان تنجيه. وإذا حين فررتم لتسلموا من الموت والقتل،

تفسير السعدي

لا يفيدهم ذلك شيئا لن ينفعكم الفرار إن فررت من الموت أو القتل فلو كنتم في بيوتكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعكم. والأسباب تنفع، إذا قل لهم، لانما على فرارهم، ومخبرا أنهم

ينصرهم، فيدفع عنهم المضار. فليمتثلوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته، ولي ولا ناصر. 17 المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو. ولا يجدون لهم من دون الله وليا يتولاهم، فيجلب لهم النفع ولا نصيرا أي العبد شيئا إذا أراد الله بسوء، فقال: قل من ذا الذي يعصمكم أي: يمنعكم من الله إن أراد بكم سوءا أي: شرا، أو أراد بكم رحمة فإنه هو المعطي ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن

بأنفسهم إلا قليلا فهم أشد الناس حرصا على التخلف، لعدم الداعي لذلك، من الإيمان والصبر، ووجود المقتضى للجبن، من النفاق، وعدم الإيمان. 18 هلم إلينا أي: ارجعوا، كما تقدم من قولهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وهم مع تعويقهم وتخذيلاهم ولا يأتون البأس أي: القتال والجهاد ثم توعد تعالى المخذلين المعوقين، وتهدهم فقال: قد يعلم الله المعوقين منكم عن الخروج، لمن لم يخرجوا والقائلين لإخوانهم الذين خرجوا: الله، شح أنفسهم، ووقفهم لبذل ما أمروا به، من بذل لأبدانهم في القتال في سبيله، وإعلاء كلمته، وأموالهم، للنفقة في طرق الخير، وجاههم وعلمهم. 19 ورأيه. أولئك الذين بتلك الحالة لم يؤمنوا بسبب عدم إيمانهم، أحبط الله أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرا وأما المؤمنون، فقد وقاهم شحيا بما أمر به، شحيا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيا بجاهه، شحيا بعلمه، ونصيحته بكلام حديد، ودعاوى غير صحيحة. وحين تسمعهم، تظنهم أهل الشجاعة والإقدام، أشحة على الخير الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون وخوفا من إجبارهم على ما يكرهون، من القتال. فإذا ذهب الخوف وصاروا في حال الأمن والطمأنينة، سلقوكم بالسنة أي: خاطبوكم، وتكلموا معكم، بأموالهم وأنفسهم. فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت من شدة الجبن، الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، أشحة عليكم بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون

الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به. 2 في أهوائهم المضلة، حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على فإنه هو الهدى والرحمة، وارج بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر. فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم و لكن اتبع ما يوحي إليك من ربك

عن أنبائكم، ماذا حصل عليكم؟ فتبا لهم، وبعدا، فليسوا ممن يبالى بحضورهم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا فلا تبالوهم، ولا تأسوا عليهم. 20 مرة ثانية مثل هذه المرة، ود هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية، يستخبرون عن أخباركم، ويسألون يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم. وإن يأت الأحزاب مرة أخرى يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم أي: لو أتى الأحزاب يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي: يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحزبوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، لم يذهبوا حتى من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم. 21 السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسي بهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، في الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم. وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة. فالأسوة الحسنة، رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنفسه فيه؟ فتأسوا به في هذا الأمر وغيره. واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد لقد كان لكم في

وصدق الله ورسوله فإن رأينا، ما أخبرنا به وما زادهم ذلك الأمر إلا إيمانا في قلوبهم وتسليما في جوارحهم، وانقيادا لأمر الله. 22 تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب المؤمنين فقال: ولما رأى المؤمنون الأحزاب الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم، وانتهى الخوف، قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله في قوله: أم حسبتم أن لما ذكر حالة المنافقين عند الخوف، ذكر حال

على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال. 23 ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نجه ولما يكمله، وهو في رجاء تكمله، ساع في ذلك، مجد. وما بدلوا تبديلا كما بدل غيرهم، بل لم يزلوا فمنهم من قضى نجه أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديا لحقه، لم ينقصه شيئا. ومنهم من ينتظر تكميل المؤمنين به، فقال: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله أي: وفوا به، وأتموه، وأكملوه، فبذلوا مهجهم في مرضاته، وسبلوا أنفسهم في طاعته. ولما ذكر أن المنافقين، عاهدوا الله، لا يولون الأدبار، ونقضوا ذلك العهد، ذكر وفاء

تفسير السعدي

لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. رحيمًا بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه. 24 للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم، ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: إن الله كان غفورًا رحيمًا غفورًا حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه. إن شاء تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم. أو يتوب عليهم بأن يوفقهم ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند مع الله، واستواء ظاهريهم وباطنهم، قال الله تعالى: هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً الآية. أي: قدرنا ليحزي الله الصادقين بصدقهم أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم

عزيرًا لا يغالبه أحد إلا غلب، ولا يستنصره أحد إلا غلب، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته. 25 بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين. وكفى الله المؤمنين القتال بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، وكان الله قويا وفرحوا بعددهم وعددهم. فأرسل الله عليهم، ريحا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مفتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزيبهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا

فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا. فريقا تقتلون وهم الرجال المقاتلون وتأسرون فريقا من عداهم من النساء والصبيان. 26 من أهل الكتاب أي: اليهود من صياصيههم أي: أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورا بهم، مجعولين تحت حكم الإسلام. وقذف في قلوبهم الرعب وأنزل الذين ظاهروهم أي: عاونوهم

المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأقر أعينهم، بخذلان من انخذل من أعدائهم، وقتل من قتلوا، وأسر من أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرا. 27 في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم. فأتى الله لرسوله والمؤمنين، بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومالوا المشركين على قتاله. فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقتالهم، فحاصروهم رسول الله وكثرتهم، وقلة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك، تدجيل بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي هاجر إلى المدينة، وادعاهم، وهادنهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئا. فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على قدر لكم ما قدر. وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم، حين أهلها، لا تتمكنون من وطنها، فمكنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتهمهم، وأسرتهمهم. وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء، ومن قدرته، وأورثكم أي: غنمكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطنوها أي: أرضا كانت من قبل، من شرفها وعزتها عند

الدنيا وأسرحكن أي: أفرقكن سراحا جميلا من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشرح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي. 28 لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبن لفقدائها، فليس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال. فتعالين أمتعن شيئا مما عندي، من يرفع درجة زواجه، ويذهب عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخبرهن فقال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا أي: ليس يزلن في طلبهن متفقات، في مرادهن متعنتات، شق ذلك على الرسول، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهرا. فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة، وطلبن منه النفقة والكسوة، طلبن منه أمرا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم

القلب واضطرابه، وهمه وغمه ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سببا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يكن بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال: 29 للطيبات ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق والآخره. ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات والطيبات للطيبين والطيبون الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها. ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يكن زواجهن في الدنيا التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه. ومنها: إظهار رفعتهم، وعلو درجاتهن، وبيان علو همهن، أن كان الله ورسوله والدار على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها. ومنها: سلامة زواجهن، رضي الله عنهن، عن الإثم، والتعرض لسخط الله ورسوله. فحسم الله بهذا التخيير عنهن، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا برسوله، وبغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زواجه الدنيوية. ومنها: سلامته صلى الله عليه وسلم، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن. وفي هذا التخيير فوائد عديدة: منها: الاعتناء وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئا، مع عدم الإحسان، فخيرهن رسول الله صلى الدنيا وضيقتها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما رتب الأجر على وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لكن الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة

الضعيف، الذي فوض أمره لسيده، قد قام بأمور لا تقوم بها أمة من الناس، وقد سهل الله عليه ما كان يصعب على فحول الرجال وبالله المستعان. 3

تفسير السعدي

لا تسأل عن كل أمر يتيسر، وصعب يسهل، وخطوب تهون، وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركات تنزل، ونقم تدفع، وشروء ترفع. وهناك ترى العبد به من كل أحد، خصوصا خواص عبيده، الذين لم يزل يرببهم ببره، ويدر عليهم بركاته الظاهرة والباطنة، خصوصا وقد أمره بإلقاء أموره إليه، ووعدته، فهناك للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي حال كان. وكفى بالله وكيفا توكل إليه الأمور، فيقوم بها، وبما هو أصلح

أجرهن، ومضاعفة وزرهن وإثمهن، لو جرى منهن، ليزداد حذرهن، وشكرهن الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين. 30
لما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة

نؤتها أجرها مرتين أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما وهي الجنة، ففقتن لله ورسوله، وعملن صالحا، فعلم بذلك أجرهن. 31
ومن يقنت منكن أي: تطيع لله ورسوله وتعمل صالحا قليلا أو كثيرا،

وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به. 32
يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فليعرف أن ذلك مرض. فليجتهد في إضعاف هذا المرض في قلبه مرض مع أمره بحفظ الفرج وثنائه على الحافظين لفروجهم، والحافظات، ونهيه عن قربان الزنا، أنه ينبغي للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه فيما رحمة من الله لنت لهم وقال لموسى وهارون: اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولنا لعله يتذكر أو يخشى ودل قوله: فيطمع الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلاما لنا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: فلا تخضعن بالقول ولم يقل: فلا تلتن بالقول وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي في القول، فربما توهم أنهم مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله: وقلن قولنا معروفا أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بلين خاضع. وتأمل كيف قال: واللين فيه، في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال، أن لا تلتين لهم القول. ولما نهاهن عن الخضوع ما يصبر عليه، فأدنى سبب يوجد، يدعو إلى الحرام، يجيب دعوته، ولا يتعاصى عليه، فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد. فإن الخضوع بالقول، حرم الله، فإن ذلك لا تكاد تميله ولا تحركه الأسباب، لصحة قلبه، وسلامته من المرض. بخلاف مريض القلب، الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على الذي في قلبه مرض أي: مرض شهوة الزنا، فإنه مستعد، ينظر أدنى محرك يحركه، لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما أرشدن إلى قطع وسائل المحرم، فقال: فلا تخضعن بالقول أي: في مخاطبة الرجال، أو بحيث يسمعون فتلتن في ذلك، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع لهن كلهن لستن كأحد من النساء إن اتقيتن الله، فإنكن بذلك، تفقن النساء، ولا يلحقكن أحد من النساء، فكلمن اتقوى بجميع وسائلها ومقاصدها. فهذا يقول تعالى: يا نساء النبي خطاب

محض مصلحتكم، لم يرد الله أن يجعل عليكم بذلك حرجا ولا مشقة، بل لتتزكى نفوسكم، ولتتطهر أخلاقكم، وتحسن أعمالكم، ويعظم بذلك أجركم. 33
يا أهل البيت ويظهركم تطهيرا حتى تكونوا طاهرين مطهرين. أي: فاحمدوا ربكم، واشكروا على هذه الأوامر والنواهي، التي أخبركم بمصلحتها، وأنها كل أمر، أمرا به أمر إيجاب أو استحباب. إنما يريد الله بأمركن بما أمركن به، ونهيكن بما نهاكن عنه، ليذهب عنكم الرجس أي: الأذى، والشر، والخبث، وفي الصلاة، الإخلاص للمعبود، وفي الزكاة، الإحسان إلى العبيد. ثم أمرهن بالطاعة عموما، فقال: وأطعن الله ورسوله يدخل في طاعة الله ورسوله، عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن بالطاعة، خصوصا الصلاة والزكاة، اللتان يحتاجهما، ويضطر إليهما كل أحد، وهما أكبر العبادات، وأجل الطاعات، أو متطبيقات، كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين، فكل هذا دفع للشر وأسبابه. ولما أمرهن بالتقوى عموما، وبجزئيات من التقوى، نص وقرن في بيوتكن أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكن، ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى أي: لا تكثرن الخروج متجملات

لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق، ما لا يدريه، وبيره من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقا له إلى أعلى الدرجات، وأرفع المنازل. 34
حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال. ومن معاني اللطيف الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر، بطرق خفية به وتأويله. إن الله كان لطيفا خبيرا يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر. فلطفه وخبيرته، يقتضي الله، القرآن. والحكمة، أسرار. وسنة رسوله. وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، وذكر معناه، بتدبره والتفكير فيه، واستخراج أحكامه وحكمه، وذكر العمل ولما أمرهن بالعمل، الذي هو فعل وترك، أمرهن بالعلم، وبين لهن طريقه، فقال: واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة والمراد بآيات

يذهبن السيئات. وأجرا عظيما لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم. 35
وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان. فجازاهم على عملهم بالمغفرة لذنوبهم، لأن الحسنات بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، أي: في أكثر الأوقات، خصوصا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات والذاكرات أعد الله لهم أي: لهؤلاء الموصوفين والمتصدقات والصائمين والصائمات شمل ذلك، الفرض والنفل. والحافظين فروجهم عن الزنا ومقدماته، والحافظات والذاكرين الله كثيرا والمصابرات والخاشعين في جميع أحوالهم، خصوصا في عباداتهم، خصوصا في صلواتهم، والخاشعات والمتصدقين فرضا ونفلا

تفسير السعدي

عقائد القلب وأعماله. والقانتين أي: المطيعين لله ولرسوله والقانتات والصادقين في مقالهم وفعالهم والصادقات والصابرين على الشدائد الحكم مشتركا، فقال: إن المسلمين والمسلمات وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائلين بها. والمؤمنين والمؤمنات وهذا في الأمور الباطنة، من صلى الله عليه وسلم، وعقابهن لو قدر عدم الامتثال وأنه ليس مثلن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن. ولما كان حكمهن والرجال واحدا، جعل لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول

فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر الله ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال. 36 ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا أي: بينا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابا بينه وبين أمر الله ورسوله. وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا من الأمور، وحتمًا به وألزمًا به أن يكون لهم الخيرة من أمرهم أي: لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله،

زوجها وطهره منها، ولا يقضي وطره، حتى تنقضي عدتها، لأنها قبل انقضاء عدتها، هي في عصمتها، أو في حقه الذي له وطر إليها، ولو من بعض الوجوه. 37 وتقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات. ومنها: أن المرأة، إذا كانت ذات زوج، لا يجوز نكاحها، ولا السعي فيه وفي أسبابه، حتى يقضي حيث تولى الله تزويجها، من رسوله صلى الله عليه وسلم، من دون خطبة ولا شهود، ولهذا كانت تفتخر بذلك على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحسن من الفرقة. ومنها: أنه يتعين أن يقدم العبد خشية الله، على خشية الناس، وأنها أحق منها وأولى. ومنها: فضيلة زينب رضي الله عنها أم المؤمنين، فتقدم مصلحة المستشار على هوى نفسه وغرضه. ومنها: أن من الرأي: الحسن لمن استشار في فراق زوجته أن يؤمر بإمساكها مهما أمكن صلاح الحال، فهو إليه، ولا يريد تعظيم نفسه. ومنها: أن المستشار مؤتمن، يجب عليه إذا استشير في أمر من الأمور أن يشير بما يعلمه أصلح للمستشير ولو كان له حظ نفس، عليه وسلم، قد بلغ البلاغ المبين، فلم يدع شيئا مما أوحى إليه، إلا وبلغه، حتى هذا الأمر، الذي فيه عتابه. وهذا يدل، على أنه رسول الله، ولا يقول إلا ما أوحى من غير أن يسعى في فرقة بينهما، أو يتسبب بأي سبب كان، لأن الله أخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم، أخفى ذلك في نفسه. ومنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم، المحبة التي في قلب العبد، لغير زوجته ومملوكته، ومحارمه، إذا لم يقترب بها محذور، لا يأثم عليها العبد، ولو اقترن بذلك أمنيته، أن لو طلقها زوجها، لتزوجها المعتق. ومنها: جواز تزوج زوجة الدعي، كما صرح به. ومنها: أن التعليم الفعلي، أبلغ من القول، فإذ اقترن بالقول، فإن ذلك، نور على نور. ومنها: أن الإيمان. وهذه شهادة من الله له أنه مسلم مؤمن، ظاهرا وباطنا، وإلا، فلا وجه لتخصيصه بالنعمة، لولا أن المراد بها، النعمة الخاصة. ومنها: أن المعتق في نعمة زيد بن حارثة، وذلك من وجهين: أحدهما: أن الله سماه في القرآن، ولم يسم من الصحابة باسمه غيره. والثاني: أن الله أخبر أنه أنعم عليه، أي: بنعمة الإسلام إذا قضا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا أي: لا بد من فعله، ولا عائق له ولا مانع. وفي هذه الآيات المشتملات على هذه القصة، فوائد، منها: الثناء على لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم عاما في جميع الأحوال، وكان من الأحوال، ما لا يجوز ذلك، وهي قبل انقضاء وطره منها، قيد ذلك بقوله: وهي: لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديانهم حيث رأوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك. ولما كان قوله: لكي أحق أن تخشاه وأن لا تباليهم شيئا، فلما قضى زيد منها وطرا أي: طابت نفسه، ورغب عنها، وفارقها. زوجها. وإنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة، به. وتخفي في نفسك ما الله مبدية والذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها صلى الله عليه وسلم. وتخشى الناس في عدم إبداء ما في نفسك والله عليك زوجك أي: لا تفارقها، واصبر على ما جاءك منها، واتق الله تعالى في أمورك عامة، وفي أمر زوجك خاصة، فإن التقوى، تحت على الصبر، وتأمّر أنعم الله عليه أي: بالإسلام وأنعمت عليه بالعتق حين جاءك مشاورا في فراقها: فقلت له ناصحا له ومخبرا بمصلحته مع وقوعها في قلبك: أمسك زيد، لتزوجها، فقدّر الله أن يكون بينها وبين زيد، ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في فراقها. قال الله: وإذ تقول للذي لآبائهم فقليل له: زيد بن حارثة. وكانت تحتها، زينب بنت جحش، ابنة عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد وقع في قلب الرسول، لو طلقها وإذا أراد الله أمرا، جعل له سببا، وكان زيد بن حارثة يدعى زيد بن محمد قد تنبأه النبي صلى الله عليه وسلم، فصار يدعى إليه حتى نزل ادعواهم لا جناح على من تبناهم، في نكاحهن. وكان هذا من الأمور المعتادة، التي لا تكاد تزول إلا بحادث كبير، فأراد أن يكون هذا الشرع قولا من رسوله، وفعلا، وكان سبب نزول هذه الآيات، أن الله تعالى أراد أن يشرع شرعا عاما للمؤمنين، أن الأديان ليسوا في حكم الأبناء حقيقة، من جميع الوجوه وأن أزواجهم، له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال: سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا أي: لا بد من وقوعه. 38 صلى الله عليه وسلم، في كثرة أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: ما كان على النبي من حرج أي: إثم وذنب. فيما فرض الله له أي: قدر هذا دفع لظعن من طعن في الرسول

كل محذور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه. وكفى بالله حسيبا محاسبا عباده، مراقبا أعمالهم. وعلم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين. 39 في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها، أتم القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك الله فيتلون على العباد آيات الله، وحججه وبراهينه، ويدعونهم إلى الله ويخشونه وحده لا شريك له ولا يخشون أحدا إلا الله. فإذا كان هذا، سنة ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعادتهم، وأنهم الذين يبلغون رسالات

تفسير السعدي

وليست من هدايته، لأنه لا يهدي إلا إلى السبيل المستقيمة، والطرق الصادقة. وإن كان ذلك واقعا بمشيئته، فمشيئته عامة، لكل ما وجد من خير وشر. 4
الحق أي: اليقين والصدق، فلذلك أمركم باتباعه، على قوله وشرعه، فقوله، حق، وشرعه حق، والأقوال والأفعال الباطلة، لا تنسب إليه بوجه من الوجوه،
كهذا. ذلك القول، الذي تقولون في الدعي: إنه ابن فلان، الذي ادعاه، أو والده فلان قولكم بأفواهكم أي: قول لا حقيقة له ولا معنى له. والله يقول
الأدعياء الذين تدعونهم، أو يدعون إليكم، أبناءكم، فإن أبناءكم في الحقيقة، من ولدتموهم، وكانوا منكم، وأما هؤلاء الأدعياء من غيركم، فلا جعل الله هذا
يبطله ويزيله، فقدم بين يدي ذلك بيان قبحه، وأنه باطل وكذب، وكل باطل وكذب، لا يوجد في شرع الله، ولا يتصف به عباد الله. يقول تعالى: فإله لم يجعل
أبناءكم والأدعياء، الولد الذي كان الرجل يدعيه، وهو ليس له، أو يدعى إليه، بسبب تنبيه إياه، كما كان الأمر بالجاهلية، وأول الإسلام. فأراد الله تعالى أن
كما قال تعالى: الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وما جعل أدعياءكم
الله أمهاتكم أمك من ولدك، وصارت أعظم النساء عليكم، حرمة وتحريما، وزوجتك أحل النساء لك، فكيف تشبه أحد المتناقضين بالآخر؟ هذا أمر لا يجوز،
فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية. وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن بأن يقول أحدكم لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو كأمي فما جعلهن
المذكورة، لوقوعها، وشدة الحاجة إلى بيانها، فقال: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه هذا لا يوجد، فإياكم أن تقولوا عن أحد: إن له قلبين في جوفه،
وزور، يترتب عليه منكرات من الشرع. وهذه قاعدة عامة في التكلم في كل شيء، والإخبار بوقوع وجود، ما لم يجعله الله تعالى. ولكن خص هذه الأشياء
عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما لا حقيقة له من الأقوال، ولم يجعله الله تعالى كما قالوا، فإن ذلك القول منكم كذب
يعاتب تعالى عباده عن التكلم بما ادعوههم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم وليس

كانه أب لهم. وكان الله بكل شيء عليما أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومن يصلح لفضله، ومن لا يصلح. 40
أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره ونصحه
صلى الله عليه وسلم، أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور، فقال: ولكن رسول الله وخاتم النبيين
هذا الباب. ولما كان هذا النفي عاما في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول
أي: لم يكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أبأ أحد من رجالكم أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من

على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح. 41
قرية إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أورد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات،
يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه
وسبحوه بكرة وأصيلا أي: أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها. 42

وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تقي السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم فهذه رحمته ونعمته عليهم في الدنيا. 43
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم
والإكثار من ذكر الله، الذي لطف بهم ورحمهم، وجعل حملة عرشه، أفضل الملائكة، ومن حوله، يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا فيقولون:
ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها،
أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وتناثه، وصلاة ملائكته ودعائهم،

وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا ما أعطاهم إياه، ولهذا قال: تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما 44
وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم، وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية

والظلم، وفي الآخرة، بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل. وهذه الجملة تفصيلها، ما جاء به صلى الله عليه وسلم، من الكتاب والسنة، المشتمل على ذلك. 45
التقوى، وأنواع الثواب. والمنذر هم، هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على الجهل
الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى، وفي الآخرة بالنعيم المقيم. وذلك كله يستلزم، ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال
وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك. فالمبشر هم: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي، لهم البشرى في الحياة
بشهادة وجننا بك على هؤلاء شهيدا فهو صلى الله عليه وسلم شاهد عدل مقبول. الثاني، والثالث: كونه مبشرا ونذيرا وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر،
أي: شاهدا على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف إذا جننا من كل أمة
التي وصف الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، هي المقصود من رسالته، وزيدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه شاهدا
هذه الأشياء،

به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة. 46
به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضلالا إلى الصراط المستقيم. فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا
منيرا وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة، لا نور، يهتدى به في ظلماتها، ولا علم، يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله

تفسير السعدي

نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره. الخامس: كونه سراجاً وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية، والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى ويسوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، داعياً إلى الله أي: أرسله الله، يدعو الخلق إلى ربهم،

وهذا من جملة حكم الشرع، كما أن من حكمه، أن يذكر في مقام الترهيب، العقوبات المترتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عما حرم الله. 47 ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه. وهذا مما ينشط العاملين، أن يذكر لهم، من ثواب الله على أعمالهم، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، الجليل، الذي لا يقادر قدره، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكرب، وكثرة الأرزاق الدارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا كبيرا ذكر في هذه الجملة، المبشر، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة. وذكر المبشر به، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم وقوله: وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا

أذيتهم له، ولأهله. وتوكل على الله في إتمام أمرك، وخذلان عدوك، وكفى بالله وكيلاً توكل إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده. 48 في كل أمر يصد عن سبيل الله، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعهم ودع أذاهم فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من الموافقة في الإيمان، وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهراً وباطناً، نهى الله رسوله عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: ولا تطع الكافرين والمنافقين أي: ولما كان ثم طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى الله، من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون، الذين أظهروا

بالوفاة، تعتد مطلقاً، لقوله: ثم طلقتموهن الآية وعلى أن من عدا غير المدخول بها، من المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة. 49 بالآخر، شيء كثير. وعلى أن العدة حق للزوج، لقوله: فما لكم عليهن من عدة دل مفهومه، أنه لو طلقها بعد المسيس، كان له عليها عدة وعلى أن المفارقة زوجته قبل الدخول أو بعده، أن يكون الفراق جميلاً، يحمد فيه كل منهما الآخر. ولا يكون غير جميل، فإن في ذلك، من الشر المرتب عليه، من قدح كل منهما المقتر قدره، ولكن هذا، إذا لم يفرض لها مهر، فإن كان لها مهر مفروض، فإنه إذا طلق قبل الدخول، تنصف المهر، وكفى عن المتعة، وعلى أنه ينبغي لمن فارق الخلفاء الراشدين، وهو الصحيح. فمن دخل عليها، وطنها، أم لا، إذا خلا بها، وجب عليها العدة. وعلى أن المطلقة قبل المسيس، تمتع على الموسع قدره، وعلى وعلى أن عليها العدة، بعد الدخول. وهل المراد بالدخول والمسيس، الوطء كما هو مجمع عليه؟ أو وكذلك الخلوة، ولو لم يحصل معها وطء، كما أفتى بذلك الأخرى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وعلى أن المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها، يجوز لها التزوج، حيث لا مانع، الطلاق، لأن الله أخبر به عن المؤمنين، على وجه لم يلمهم عليه، ولم يؤنبهم، مع تصدير الآية بخطاب المؤمنين. وعلى جوازه قبل المسيس، كما قال في الآية تام، لا يقع قبل النكاح، فالتحريم الناقص، لظهار، أو إيلاء ونحوه، من باب أولى وأحرى، أن لا يقع قبل النكاح، كما هو أصح قولي العلماء. ويدل على جواز يقع، لقوله: إذا نكحت المؤمنات ثم طلقتموهن فجعل الطلاق بعد النكاح، فدل على أنه قبل ذلك، لا محل له. وإذا كان الطلاق الذي هو فرقة تامة، وتحريم ولا مشامة، ولا مطالبة، ولا غير ذلك. ويستدل بهذه الآية، على أن الطلاق، لا يكون إلا بعد النكاح. فلو طلقها قبل أن ينكحها، أو علق طلاقها على نكاحها، لم عليهن، وأمرهم بتمتعين بهذه الحالة، بشيء من متاع الدنيا، الذي يكون فيه جبر لخواطرن، لأجل فراقهن، وأن يفارقوهن فراقاً جميلاً، من غير مخاصمة، يخبر تعالى المؤمنين، أنهم إذا نكحوا المؤمنات، ثم طلقوهن من قبل أن يمسهن، فليس عليهن في ذلك، عدة يعتدها أزواجهن

غفر لكم ورحمكم، حيث لم يعاقبكم بما سلف، وسمح لكم بما أخطأتم به، ورحمكم حيث بين لكم أحكامه التي تصلح دينكم وديناكم، فله الحمد تعالى. 5 في الباطن، غير أبيه، فليس عليكم في ذلك حرج، إذا كان خطأ، ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم من الكلام، بما لا يجوز. وكان الله غفورا رحيمًا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به بأن سبق على لسان أحدكم، دعوته إلى من تنباه، فهذا غير مؤاخذ به، أو علم أبوه ظاهراً، فدعوتوه إليه وهو اقتصر على ما يعلم منهم، وهو أخوة الدين والموالة، فلا تظنوا أن حالة عدم علمكم بأبائهم، عذر في دعوتهم إلى من تنباههم، لأن المحذور لا يزول بذلك. بالأخوة الإيمانية الصادقة، والموالة على ذلك، فترك الدعوة إلى من تنباههم حتم، لا يجوز فعلها. وأما دعاؤهم لأبائهم، فإن علموا، دعوا إليهم، وإن لم يعلموا، أي: أعدل، وأقوم، وأهدى. فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فإخوانكم في الدين ومواليكم أي: إخوانكم في دين الله، ومواليكم في ذلك، فادعوهم ثم صرح لهم بترك الحالة الأولى، المتضمنة للقول الباطل فقال: ادعوهم أي: الأدعياء لأبائهم الذين ولدوهم هو أقسط عند الله

رحيماً أي: لم يزل متصفاً بالمغفرة والرحمة، وينزل على عباده من مغفرته ورحمته، وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه. 50 لم نبه لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، لكيلا يكون عليك حرج وهذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم. وكان الله غفورا لكون الله جعله خطاباً للرسول وحده بقوله: يا أيها النبي إنا أحللنا لك إلى آخر الآية. وقوله: خالصة لك من دون المؤمنين وأبחנו لك يا أيها النبي ما ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل، من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبيننا فرائضه. فما في هذه الآية، مما يخالف ذلك، فإنه خاص لك، الموهبة وأما المؤمنون، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة، بمجرد هبتها نفسها لهم. قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم أي: قد علمنا إن وهبت نفسها للنبي بمجرد هبتها نفسها. إن أراد النبي أن يستنكحها أي: هذا تحت الإرادة والرغبة، خالصة لك من دون المؤمنين يعني: إباحة للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة. و أحللنا لك وامرأة مؤمنة

تفسير السعدي

عداهن من الفروع مطلقا، والأصول مطلقا، وفروع الأب والأم، وإن نزلوا، وفروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح. وقوله اللاتي هاجرن معك قيد لحل هؤلاء حصر المحلات. يؤخذ من مفهومه، أن ما عداهن من الأقارب، غير محلل، كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما مشترك. وكذلك من المشترك، قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعيد، وهذا لك ما ملكت يمينك أي: الإماء التي ملكت مما أفاء الله عليك من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج منهم، ومن لا زوج لهن، وهذا أيضا مهورهن، من الزوجات، وهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين، فإن المؤمنين كذلك يباح لهم ما أتوهن أجورهن، من الأزواج. وكذلك أحللنا رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، ويختص: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن أي: أعطيتهن يقول تعالى، ممتنا على

كثير الحلم. ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموالكم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر. 51 الواجبة والمستحبة، وعند المزامحة في الحقوق، فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله، لتطمئن قلوب زوجاتك. وكان الله عليما حليما أي: واسع العلم، ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن لعلهن أنك لم تترك واجبا، ولم تفرط في حق لازم. والله يعلم ما في قلوبكم أي: ما يعرض لها عند أداء الحقوق أعلم ثم بين الحكمة في ذلك فقال: ذلك أي: التوسعة عليك، وكون الأمر راجعا إليك وببيدك، وكون ما جاء منك إليهن تبرعا منك أدنى أن تقر أعينهن كله وقال كثير من المفسرين: إن هذا خاص بالواهبات، له أن يرجي من يشاء، ويؤوي من يشاء، أي: إن شاء قبل من وهبت نفسها له، وإن شاء لم يقبلها، والله من تشاء أي: تضمنها وتبيت عندها. ومع ذلك لا يتعين هذا الأمر من ابتغيت أي: أن تؤويها فلا جناح عليك والمعنى أن الخيرة بيدك في ذلك أملك، فلا تلمني فيما لا أملك. فقال هنا: ترجي من تشاء منهن أي: تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك، ولا تبيت عندها وتؤوي إليك الوجوب، وأنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، ومع ذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في القسم بينهن في كل شيء، ويقول اللهم هذا قسمي فيما وهذا أيضا من توسعة الله على رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه

في الإضرار للزوجات. وكان الله على كل شيء رقيبا أي: مراقبا للأمر، وعالما بما إليه تؤول، وقائما بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام. 52 حسنهن أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك إلا ما ملكت يمينك أي: السراي، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات، بعضهن، فتأخذ بدلها. فحصل بهذا، أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة. ولو أعجبك والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن فقال: لا يحل لك النساء من بعد زوجاتك الموجودات ولا أن تبدل بهن من أزواج أي: ولا تطلق وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكورا، لزوجات رسوله، رضي الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله،

زوجاته بعده، لأحد من أمته. إن ذلكم كان عند الله عظيما وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه، ولله الحمد والشكر. 53 التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته بعده محل بهذا المقام. وأيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح رسول الله أي: أدية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه صلى الله عليه وسلم، له مقام البعد عنها، بكل طريق. ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: وما كان لكم يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء أن تؤذوا الشر، فإنه أسلم له، وأظهر لقلبه. فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، فيه التفصيل، الذي ذكره الله، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى أو نحوها، فإنهن يسألن من وراء حجاب أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه. فصار النظر إليهن ممنوعا بكل حال، وكلامهن فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتج إليه، كأن يسألن متاعا، أو غيره من أواني البيت شيء. والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كأنما ما كان. فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، من الحق فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في لكم: اخرجوا كما هو جاري العادة، أن الناس وخصوصا أهل الكرم منهم يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، و لكن الله لا يستحيي أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، كان يؤذي النبي أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه فيستحيي منكم أن يقول ولهذا قال: ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث أي: قبل الطعام وبعده. ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: إن ذلك ومتأين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضا لا تكونوا ناظرين إناه أي: منتظرين يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في دخول بيوته فقال: يا أيها الذين

ثم قال تعالى: إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما يعلم ما في قلوبكم، وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه. 54

إن الله كان على كل شيء شهيدا يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك، أتم الجزاء وأوفاه. 55 رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه وفي غيره، لزوم تقوى الله، وأن لا يكون في محذور شرعي فقال: واتقوا الله أي: استعملوا تقواه في جميع الأحوال

تفسير السعدي

فيكون ذلك مخرجاً لنساء الكفار، ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة. ولا ما ملكت أيماهن ما دام العبد في ملكها جميعه. ولما بذكر العم والخال، مقدمة، على ما يفهم من هذه الآية. وقوله ولا نساكن أي: لا جناح عليهن ألا يحتجن عن نساكنهن، أي: اللاتي من جنسهن في الدين، هن عماته ولا خالاته، من أبناء الإخوة والأخوات، مع رفعتهن عليهم، فعدم احتجابهن عن عمهن وخالهن، من باب أولى، ولأن منطوق الآية الأخرى، المصرحة أن يستثنى منه هؤلاء المذكورون، من المحارم، وأنه لا جناح عليهن في عدم الاحتجاب عنهم. ولم يذكر فيها الأعمام، والأخوال، لأنهن إذا لم يحتجن عنن لما ذكر أنهن لا يسألن متاعاً إلا من وراء حجاب، وكان اللفظ عاماً لكل أحد احتيج

كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة 56 الصلاة والسلام، ما علم به أصحابه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيماً له صلى الله عليه وسلم، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم وأفضل هينات الصلاة عليه له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و إن الله تعالى وملائكته يصلون عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملائكة الأعلى، لمحبتة تعالى وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو

لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله صلى الله عليه وسلم. وله من التعظيم، الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره. 57 الرسول، وأذاه، والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً جزاء له على أذاه، أن يؤذي بالعباد الآليم، فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه صلى الله عليه وسلم من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى. لعنهم الله في الدنيا أي: أبعدهم وطردهم، ومن لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام عليه، نهى عن أذيته، وتوعد عليها فقال: إن الذين يؤذون الله ورسوله وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، لما أمر تعالى بتعظيم رسوله

سب آحاد المؤمنين، موجبا للتعزير، بحسب حالته وعلو مرتبته، فتعزير من سب الصحابة أبلغ، وتعزير من سب العلماء، وأهل الدين، أعظم من غيرهم. 58 للأذى فقد احتملوا على ظهورهم بهتاناً حيث آذوهم بغير سب وإثماً مبيناً حيث تعدوا عليهم، وانتكحوا حرمة أمر الله باحترامها. ولهذا كان وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثماً عظيماً، ولهذا قال فيها: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي: بغير جناية منهم موجبة فيهن. وكان الله غفوراً رحيماً حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن. 59 غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، وظن أنهن إماء، فتهاون بهن من يريد الشر. فاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين وصدورهن. ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين دل على وجود أذية، إن لم يحتجن، وذلك، لأنهن إذا لم يحتجن، ربما ظن أنهن آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا أن يدين عليهن من جلابيهن وهن اللاتي يكن فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها، وجوههن نبيه، أن يأمر النساء عموماً، ويبدأ بزواجه وبناته، لأنهن أكد من غيرهن، ولأن الأمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم كما قال تعالى: يا أيها الذين هذه الآية، التي تسمى آية الحجاب، فأمر الله

أن تتبرعوا لهم تبرعاً، وتعطوهم معروفاً منكم، كان ذلك الحكم المذكور في الكتاب مسطوراً أي: قد سطر، وكتب، وقدره الله، فلا بد من نفوذه. 6 الأرحام، في جميع الولايات، كولاية النكاح، والمال، وغير ذلك. إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً أي: ليس لهم حق مفروض، وإنما هو بإرادتكم، إن شئتم من المؤمنين والمهاجرين أي: سواء كان الأقارب مؤمنين مهاجرين وغير مهاجرين، فإن ذوي الأرحام مقدمون في ذلك، وهذه الآية حجة على ولاية ذوي بذلك، وجعله للأقارب، لطفاً منه وحكمة، فإن الأمر لو استمر على العادة السابقة، لحصل من الفساد والشر، والتحليل لحرمان الأقارب من الميراث، شيء كثير. بعضهم بعضاً، ويبر بعضهم بعضاً، فهم أولى من الحلف والنصرة. والأدعياء الذين كانوا من قبل، يترئون بهذه الأسباب، دون ذوي الأرحام، فقطع تعالى، التوارث ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً وأولو الأرحام أي: الأقارب، قربوا أو بعدوا بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي: في حكمه، فيرث فإن النسب الإيماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف. وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما الله صرح بذلك: من رجالكم فقطع نسبه، وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية، أن المؤمنين كلهم، أولاد للرسول، فلا مزية لأحد عن أحد وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة، في الخلوة والمحرمية، وكان هذا مقدمة، لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة، الذي كان قبل يدعى: زيد بن محمد حتى أنزل الله ما كان محمد أباً أحد للمؤمنين، كما في قراءة بعض الصحابة، يربيه كما يربي الوالد أولاده. فترتب على هذه الأبوة، أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه. وهو صلى الله عليه وسلم، أب وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول، أن يقدم مراد الرسول، وأن لا يعارض قول الرسول، بقول أحد، كأننا من فرسول الله، أعظم الخلق منة عليهم، من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه. فلذلك، ما للإنسان، وأولى ما له نفسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، المؤمنين، خبرا يعرفون به حالة الرسول صلى الله عليه وسلم ومرتبته، فيعاملونه بمقتضى تلك الحالة فقال: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أقرب

- إلا قليلا، بأن تقتلهم أو تنفيهم. وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه، ويكونون 60 ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع، ولهذا قال: ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا أي: لا يجاورونك في المدينة وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء. لتغرينك بهم أي: نأمر بك بعقوبتهم وقتالهم، الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحى به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسبب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، أي: مرض شك أو شهوة والمرجعون في المدينة أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحذون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين. ولم يذكر المعمول وأما من جهة أهل الشر فقد توعدهم بقوله: لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا أي: مبعدين، أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا. 61
- ال أذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة. ولن تجد لسنة الله تبديلا أي تغييرا، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها 62 سنة الله في الذين خلوا من قبل أن من تهادى في العصيان، وتجراً على
- فهذه سأخبركم بها، وأصف لكم مستحقها. فوصف مستحق العذاب، ووصف العذاب، لأن الوصف المذكور، منطبق على هؤلاء المكذبين بالساعة. 63
- مجيء الساعة، قريبا وبعدا، ليس تحته نتيجة ولا فائدة، وإنما النتيجة والخسار والريح والشقا والسعادة، هل يستحق العبد العذاب، أو يستحق الثواب؟ لهم: إنما علمها عند الله أي: لا يعلمها إلا الله، فليس لي، ولا لغيري بها علم، ومع هذا، فلا تستبطئوها. وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ومجرد أي: يستخبرك الناس عن الساعة، استعجالا لها، وبعضهم، تكذيبا لوقوعها، وتعجيزا للذي أخبر بها. قل
- الله، فأبعدهم في الدنيا والآخرة من رحمته، وكفى بذلك عقابا، وأعد لهم سعيرا أي: نارا موقدة، تسعر في أجسامهم، ويبلغ العذاب إلى أفندتهم. 64
- إن الله لعن الكافرين أي: الذين صار الكفر دأبهم وطريقتهم الكفر بالله وبرسله، وبما جاءوا به من عند يجدون وليا فيعطيهما ما طلبوه ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب، بل قد تخلى عنهم الولي النصير، وأحاط بهم عذاب السعير، وبلغ منهم مبلغا عظيما، 65 ويخلدون في ذلك العذاب الشديد، فلا يخرجون منه، ولا يفتر عنهم ساعة ولا
- وأطعنا الرسولا فسلمنا من هذا العذاب، واستحققنا، كالمطيعين، جزيل الثواب. ولكن أمنية فات وقتها، فلم تقدمهم إلا حسرة وندما، وهما، وغما، وألما. 66
- يوم تقلب وجوههم في النار فيذوقون حرها، ويشتد عليهم أمرها، ويتحسرون على ما أسلفوا. يقولون يا ليتنا أطعنا الله ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني الآية. 67
- وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا وقلدناهم على ضلالهم، فأضلونا السبيلا كقوله تعالى
- فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم. 68
- ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتموا ممن أضلهم، فقالوا: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
- على حجر، ففر الحجر بثوبه، فأهوى موسى عليه السلام في طلبه، فمر به على مجالس بني إسرائيل، فرأوه أحسن خلق الله، فزال عنه ما رموه به. 69
- حيائه وتستره عنهم: إنه ما يمنعه من ذلك إلا أنه آدر أي: كبير الخصيتين، واشتد ذلك عندهم، فأراد الله أن يبرئه منهم، فاغتسل يوما، ووضع ثوبه من الفضائل عن أذيته والتعرض له بما يكره، فاحذروا أيها المؤمنون، أن تتشبهوا بهم في ذلك، والأذية المشار إليها هي قول بني إسرائيل لموسى لما رأوا شدة أنه عليه الصلاة والسلام، ليس محل التهمة والأذية، فإنه كان وجيها عند الله، مقربا لديه، من خواص المرسلين، ومن عباده المخلصين، فلم يزرهم ما له، له من الإكرام والاحترام، وأن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى بن عمران، كليم الرحمن، فبرأه الله مما قالوا من الأذية، أي: أظهر الله لهم براءته. والحال يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم، محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الكريم، الرؤوف الرحيم، فيقابلوه بضد ما يجب
- والجهاد في سبيله، وأن هذا سبيل، قد مشى الأنبياء المتقدمون، حتى ختموا بسيدهم وأفضلهم، محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر الناس بالاعتداء بهم. 7
- تعالى أنه أخذ من النبيين عموما، ومن أولي العزم وهم، هؤلاء الخمسة المذكورون خصوصا، ميثاقهم الغليظ وعهدهم الثقيل المؤكد، على القيام بدين الله
- يخبر
- طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه. ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح. 70
- له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب
- ذنوبكم التي هي السبب في هلاككم، فالتقوى تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما 71
- يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم ترتب آثارها عليها. ويغفر لكم أيضا استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال أيضا بحفظها عما

تفسير السعدي

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: يصلح لكم أعمالكم أي: يكون ذلك سببا لصلاحها، وطريقا لقبولها، لأن بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام: منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرا لا باطنا، ومشركون، تركوها ظاهرا وباطنا، ومؤمنون، قائمون بها ظاهرا وباطنا. 72

زهذا في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس بحسب قيامهم وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤديها فعليك العقاب. فأبين أن يحملنها وأشفقن منها أي: خوفا أن لا يقمن بما حملن، لا عصيانا لربهن، ولا السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وأنت إن قمت بها وأديتها على يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال وسعة رحمته، وعموم جوده، مع أن المحكوم عليهم، كثير منهم، لم يستحق المغفرة والرحمة، لنفاقه وشركه. تم تفسير سورة الأحزاب. بحمد الله وعونه. 73

ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما . فله الحمد تعالى، حيث ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين، الدالين على تمام مغفرة الله، فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هل وفوا فيه، وصدقوا؟ فيثيبهم جنات النعيم؟ أم كفروا، فيعذبهم العذاب الأليم؟ قال تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 8

وسيسأل الله الأنبياء وأتباعهم، عن هذا العهد الغليظ والأمر كما وصف الله: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون أي: الظنون السيئة، أن الله لا ينصر دينه، ولا يتم كلمته. 9

القلوب الحناجر، حتى بلغ الظن من كثير من الناس كل مبلغ، لما رأوا من الأسباب المستحكمة، والشدائد الشديدة، فلم يزل الحصار على المدينة، مدة طويلة، اليهود، الذين حوالي المدينة، فجاءوا بجنود عظيمة وأمم كثيرة. وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المدينة، فحصروا المدينة، واشتد الأمر، وبلغت أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاهدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق. وما لأتاهم طوائف يذكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود

سورة 34

ما يوجب لهم كمال الحمد، والثناء عليه. وهو الحكيم في ملكه وتدبيره، الحكيم في أمره ونهيه. الخبير المطلع على سرائر الأمور وخفاياها 1

الجنة، كالفنس، متوصلا في جميع الأوقات، هذا إذا أضفت ذلك إلى أنه يظهر لأهل الجنة في الجنة كل وقت من عظمة ربهم، وجلاله، وجماله، وسعة كماله، أحب إلى أهلها من كل نعيم، وألذ عليهم من كل لذة، ولهذا إذا رأوا الله تعالى، وسمعوا كلامه عند خطابه لهم، أذهلهم ذلك عن كل نعيم، ويكون الذكر لهم في بقلوبهم. فما ظنك بحمدهم لربهم في هذه الحال، مع أن في الجنة تضمحل العوارض والقواطع، التي تقطع عن معرفة الله ومحبته والثناء عليه، ويكون ذلك وسعة عطايه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية، ولا إرادة، إلا وقد أعطي فوق ما تمنى وأراد، بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيتهم، ولم يخطر والثناء، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم الله، وإدراك خيره، وكثرة بركاته، ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم. وأما ظهور حمده في دار النعيم ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على على أن له ما في السماوات وما في الأرض ملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بحمده. وله الحمد في الآخرة لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، لكونها صفات كمال، وأفعاله، يحمد عليها، لأنها دائرة بين الفضل الذي يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه ويعترف بحكمته فيه. وحمد نفسه هنا، الحمد: الثناء بالصفات الحميدة. والأفعال الحسنة، فله تعالى الحمد، لأن جميع صفاته، يحمد عليها، كل من سمعه، من الإنس، والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت بحمد ربها. ومنها: أنه لعله ليحصل له أجر تسبيحها، لأنه سبب ذلك، وتسبح تبعاً له. 10

داود، فإن الله تعالى، قد أعطاه من حسن الصوت، ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتحميد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب، طرب تتجارب بتسبيح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميده، كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى. ومنها: أن ذلك كما قال كثير من العلماء، أنه طرب لصوت من النعمة عليه، أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضا له ولغيره على التسبيح إذا رأوا هذه الجمادات والحيوانات، ومن نعمه عليه، ما خصه به من أمره تعالى الجمادات، كالجبال والحيوانات، من الطيور، أن تؤوب معه، وترجع التسبيح بحمد ربها، مجاوبة له، وفي هذا أي: ولقد مننا على عبدنا ورسولنا، داود عليه الصلاة والسلام، وآتيناه فضلا من العلم النافع، والعمل الصالح، والنعم الدينية والدنيوية، أمره بشكره، وأن يعملوا صالحا، ويراقبوا الله تعالى فيه، بإصلاحه وحفظه من المفسدات، فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء. 11

ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض. قال تعالى: وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولما ذكر ما امتن به عليه وعلى آله، ومن فضله عليه، أن الآن له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقا، أيضا، الشياطين والجن، لا يقدر أن يستعصوا عن أمره، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وأعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه. 12

تفسير السعدي

إلى آخر النهار وأسلنا له عين القطر أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها. وسخر الله له معه، وتقطع المسافة البعيدة جدا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم، مسيرة شهرين. غدوها شهر أي: أول النهار إلى الزوال ورواحها شهر من الزوال، لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه الصلاة والسلام، وأن الله سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما نعمة، ودفع عنهم من النقم. والشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية. 13 هذه المصالح عائد لكلهم. شكرا لله على ما أعطاهم، ومقابلة لما أولاهم. وقليل من عبادي الشكور فأكثرهم، لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من لا تزول عن أماكنها، من عظمها. فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: اعملوا آل داود وهم داود، وأولاده، وأهله، لأن المنة على الجميع، وكثير من لسليمان وجفان كالجواب أي: كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام، لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره، و يعملون له قدورا راسيات كل بناء يعقد، وتحكم به الأبنية، فهذا فيه ذكر الأبنية الفخمة، وتماثيل أي: صور الحيوانات والجمادات، من إتقان صنعتهم، وقدرتهم على ذلك وعملهم من محاريب وهو

الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه. 14 سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون عليه السلام، وانتكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه. فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يري العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكتوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم

يتيهون عنه ليالي وأياما آمينين أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين. وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف. 15 الزاد والمزاد. ولهذا قال: وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير أي: سيرا مقدرا يعرفونه، ويحكمون عليه، بحيث لا هيباً لهم من الأسباب ما به يتيسر وصولهم إليها، بغاية السهولة، من الأمن، وعدم الخوف، وتواصل القرى بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة، بحمل ومنها: أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة، الظاهر أنها: قرى صنعاء قاله غير واحد من السلف، وقيل: إنها الشام لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها. ومنها: أن الله تعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم، ولهذا قال: بلدة طيبة ورب غفور والسرور، فأمرهم الله بشكر نعمة التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أوقاتهم منهما. ومنها: أن الله جعل بلدهم، بلدة طيبة، هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتغل لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة الآتية بقوله جنتان عن يمين وشمال وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع محلهم الذي يسكنون فيه آية والآية هنا: ما أدر الله عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا الله ويشكروه. ثم فسر ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: لقد كان لسبأ في مسكنهم أي: في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها مأرب ومن نعم الله ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، سبأ قبيلة معروفة

ذواتي أكل أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا خمط وأثل وشيء من سدر قليل وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم. 16 جنتاهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنتان ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: وبدلناهم بجنتيهم جنتين بكفرهم بالله وبنعمته، فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطفئهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم. أي: السيل المتوعر، الذي خرب سددهم، وأتلف عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا، أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسرا. وظلموا أنفسهم فأعرضوا

بما ذكر، ولهذا قال: ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي: وهل نجازي جزاء العقوبة بدليل السياق إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟ 17 فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة

بما ذكر، ولهذا قال: ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي: وهل نجازي جزاء العقوبة بدليل السياق إلا من كفر بالله وبطر النعمة؟ 18 فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة

كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى، حافظ للنعمة، دافع للنقمة، وأن رسل الله، صادقون فيما أخبروا به، وأن الجزاء حق، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا. 19 أولاه، ويصرفها في طاعته. فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرى منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة، جزاء لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم، فعل به لكل صبار شكور صبار على المكاره والشدائد، يتحملها لوجه الله، ولا يتسخطها بل يصبر عليها. شكور لنعمة الله تعالى يقر بها، ويعترف، ويثني على من للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: تفرقوا أيدي سبأ فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبارة فيهم إلا من قال الله: إن في ذلك لآيات فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا

تفسير السعدي

- لها، فقال: وهو الرحيم الغفور أي: الذي الرحمة والمغفرة وصفه، ولم تنزل آثارهما تنزل على عباده كل وقت بحسب ما قاموا به من مقتضياتهما. 2
- من الأملاك والأرزاق والأقدار وما يعرج فيها من الملائكة والأرواح وغير ذلك. ولما ذكر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته يعلم ما يلج في الأرض أي: من مطر، وبذر، وحيوان وما يخرج منها من أنواع النباتات، وأصناف الحيوانات وما ينزل من السماء
- عند قوله: إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ثم ابتداء فقال: ولقد صدق عليهم أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه. 20
- عليه إبليس ظنه، ودعاهم وأغواهم، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ممن لم يكفر بنعمة الله، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس. ويحتمل أن قصة سبأ، انتهت منهم المخلصين وهذا ظن من إبليس، لا يقين، لأنه لا يعلم الغيب، ولم يأت خبر من الله، أنه سيفيهم أجمعين، إلا من استثنى، فهؤلاء وأمثالهم، ممن صدق ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه، حيث قال لربه: فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك
- ويظهر الخبيث من الطيب. وربك على كل شيء حفيظ يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها، كاملة موفرة. 21
- والاختبار، وإلقاء الشبه الشيطانية، ممن إيمانه غير ثابت، يتزلزل بأدنى شبهة، ويزول بأقل داع يدعو إلى ضده، فالله تعالى جعله امتحانا، يمتحن به عباده، لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي: ليقوم سوق الامتحان، ويعلم به الصادق من الكاذب، ويعرف من كان إيمانه صحيحا، يثبت عند الامتحان وما كان له أي: لإبليس عليهم من سلطان أي: تسلط وقهر، وقسر على ما يريده منهم، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت تسليطه وتسويله لبني آدم.
- ثم قال تعالى:
- المرتبة فقال: وما له أي: لله تعالى الواحد القهار منهم أي: من هؤلاء المعبودين من ظهير أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير. 22
- ومع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعاهم يكون نافعا، لأنهم بسبب حاجة الملك إليهم يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم فيها أي: في السماوات والأرض، من شرك أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك. بقي أن يقال: وجه، فإنهم ليس لهم أدنى ملك ف لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: وما لهم عبادتها: ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل أي: قل يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزما لهم بعجزها، ومبيننا لهم بطلان
- إلا الحق. فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة من هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير، عن شرك المشركين، وإفكهم، وكذبهم. 23
- الذي من عظمته وجلاله أن الملائكة الكرام، والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق، عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول عبدوا مع الله تلك الآلهة، التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدقوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، إما إجمالا، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق. فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي، سمعته الملائكة، فصعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما علوه، أن حكمه تعالى، يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين. وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود بذنوبهم. وهو العلي بذاته، فوق جميع مخلوقاته وقهرهم لهم، وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار الكبير في ذاته وصفاته. ومن أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمان، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم من ضره أقرب من نفعه، طاعة لأعدى عدو له وهو الشيطان. وقوله: حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير يحتمل أن المشرك استكبر عن الانقياد للرسل، بزعمه أنهم بشر، ورضي أن يعبد ويدعو الشجر، والحجر، استكبر عن الإخلاص للملك الرحمن الديان، ورضي بعبادة على عابديه وأنه يوم القيامة، يكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، ومأواهم النار وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين والعجب، ضلالا في العقل، باطلة في الشرع. بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده، فإنه يريد منها النفع، فبين الله بطلانه وعدمه، وبين في آيات أخر، ضرره كان من يدعو غير الله، لا مالكا للنفع والضرر، ولا شريكا للمالك، ولا عوناً وظهيرا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك، كان هذا الدعاء، وهذه العبادة، بطلانها، تبيننا حاسما لمواد الشرك، قاطعا لأصوله، لأن المشرك إنما يدعو ويعبد غير الله، لما يرجو منه من النفع، فهذا الرجاء، هو الذي أوجب له الشرك، فإذا ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فهذه أنواع التعلقات، التي يتعلق بها المشركون بأنفسهم، وأوثانهم، من البشر، والشجر، وغيرهم، قطعها الله وبين فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها بقوله:

لله وحده، تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال، والشقي من السعيد؟ ولم يحتج إلى أن يعين لك ذلك، لأن وصف الحال، أوضح من لسان المقال. 24

يستقلون بها دون الله، فهو يدعو من هذا وصفه، ويتقرب إليه مهما أمكنه، ويعادي من أخلص الدين لله، ويحاربه، ويكذب رسل الله، الذين جاءوا بالإخلاص ما استجاب لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرأون منهم، ويتلاعنون بينهم، ليس لهم قسط من الملك، ولا شركة فيه، ولا إعانة فيه، ولا لهم شفاعاة

تفسير السعدي

لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك لأنفسها، ولا لمن عبدها، نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، بل هي جمادات، لا تعقل، ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته وكل جمال، وكل حمد وثناء ومجد، يدعو إلى التقرب لمن هذا شأنه، وإخلاص العمل له، وينهى عن عبادة من سواه، وبين من يتقرب إلى أوثان، وأصنام، وقبور، لهيئته، متذللون لعظمته، وكل الشفعاء تخافه، لا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذنه العلي الكبير، في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، الذي له كل كمال، وكل جلال، المسدي جميع النعم، الذي رزقهم وأوصل إليهم كل نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، والملك كله، وكل أحد من الملائكة فما دونهم، خاضعون حتى إنه يصير التعيين بعد ذلك، لا فائدة فيه، فإنك إذا وازنت بين من يدعو إلى عبادة الخالق، لسائر المخلوقات المتصرف فيها، بجميع أنواع التصرفات، ما عليه خصمه. أي: قد شرحنا من الأدلة الواضحة عندنا وعندكم، ما به يعلم علما يقينا لا شك فيه، من المحق منا، ومن المبطل، ومن المهتدي ومن الضال؟ على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان لنفعكم ورزقكم، فلم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا، ولا يفيدكم نفعا؟ وقوله: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم، الذي يرزقكم من السماوات والأرض، وينزل لكم المطر، وينبت لكم النبات، ويفجر لكم الأنهار، ويطلع لكم من ثمار الأشجار، وجعل لكم الحيوانات جميعها، من يرزقكم من السماوات والأرض فإنهم لا بد أن يقرؤا أنه الله، ولئن لم يقرؤا ف قل الله فإنك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبين أن الله وحده يأمر تعالى، نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن حجة شركه:

على الظواهر، ويتبع فيها الحق، ويجتنب الباطل، وأما الأعمال فلها دار أخرى، يحكم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين، أعدل العادلين. 25
عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق وسلوك طريق الإنصاف، ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعا لكم من اتباع الحق، فإن أحكام الدنيا تجري قل لهم لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما نعملون أي: كل منا ومنكم، له عمله أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا أي: يحكم بيننا حكما، يتبين به الصادق من الكاذب، والمستحق للثواب، من المستحق للعقاب، وهو خير الفاتحين. 26
ولهذا قال:

الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقا للشقاء والهلاك، لكفى بذلك برهانا على كمال حكمته، فكيف وجميع ما أمر به ونهى عنه، مشتمل على الحكمة؟ 27
وأحسن ما شرعه، ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلا أنه أمر بتوحيده، وإخلاص الدين له، وأحب ذلك، وجعله طريقا للنجاة، ونهى عن الشرك به، واتخاذ بل هو الله الذي لا يستحق التأله والتعبد، إلا هو العزيز الذي قهر كل شيء فكل ما سواه، فهو مقهور مسخر مدبر. الحكيم الذي أنقذ ما خلقه، المشركون أروني الذين ألحقتم بزعمكم الباطل بالله شركاء وهذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه، ولهذا قال: كلا أي: ليس لله شريك، ولا ند، ولا ضد. يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وكذلك خواص خلقه من الأنبياء والمرسلين، لا يعلمون له شريكا، فبأيهما أنه ليس في الوجود له شريك. ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم الآية وما منابك: أروني الذين ألحقتم به شركاء أي: أين هم؟ وأين السبيل إلى معرفتهم؟ وهل هم في الأرض، أم في السماء؟ فإن عالم الغيب والشهادة قد أخبرنا قل لهم يا أيها الرسول، ومن ناب

بل إما جهال، أو معاندون لم يعملوا بعلمهم، فكأنهم لا علم لهم. ومن عدم علمهم، جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول، مجبا لرد دعوته. 28
الأمر شيء، وكل ما اقترح عليك أهل التكذيب والعناد، فليس من وظيفتك، إنما ذلك بيد الله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي: ليس لهم علم صحيح، صلى الله عليه وسلم، إلا ليبشر جميع الناس بثواب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك، وينذرهم عقاب الله، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له، فليس لك من يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله

في خبره، الذي لا ينطق عن الهوى، بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، ولا ناصر منه؟ أليس رد خبره بحجة عدم بيانه وقت وقوعه من أسفه السفه؟ 29
يمكن صدقه وكذبه، والعدو قد يبدو له غيرهم، وقد تنحل عزمته، وهم قد يكون بهم منعة يدافعون بها عن أنفسهم، فكيف بمن كذب أصدق الخلق، المعصوم فلو قال بعضهم: إن كنت صادقا، فأخبرنا بأية ساعة يصل إلينا، وأين مكانه الآن؟ فهل يعد هذا القائل عاقلا، أم يحكم بسفهة وجنونه؟ هذا، والمخبر في أحوال الدنيا، لو جاء قوما، يعلمون صدقه ونصحه، ولهم عدو ينتهز الفرصة منهم ويعد لهم فقال لهم: تركت عدوكم قد سار، يريد اجتياحكم واستئصالكم. إن كنتم صادقين وهذا ظلم منهم. فأى ملازمة بين صدقه، وبين الإخبار بوقت وقوعه؟ وهل هذا إلا رد للحق، وسفه في العقل؟ أليس النذير في أمر فمما اقترحوه، استعجالهم العذاب، الذي أنذرهم به فقال: ويقولون متى هذا الوعد

جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من الأموات، وما يبقى من أجسادهم، قادر على بعثهم من باب أولى، وليس بعثهم بأعجب من هذا العلم المحيط. 3
في كتاب مبين أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه، وتضمنه الكتاب المبين، الذي هو اللوح المحفوظ، فالذي لا يخفى عن علمه مثقال الذرة فما دونه، في ذرة في السماوات ولا في الأرض أي: جميع الأشياء بذواتها وأجزائها، حتى أصغر ما يكون من الأجزاء، وهو المثاقيل منها. ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا العام فقال: عالم الغيب أي: الأمور الغائبة عن أبصارنا، وعن علمنا، فكيف بالشهادة؟ ثم أكد علمه فقال: لا يعزب أي: لا يغيب عن علمه مثقال رسوله أن يرد قولهم ويطلبه، ويقسم على البعث، وأنه سيأتيهم، واستدل على ذلك بدليل من أقر به، لزمه أن يصدق بالبعث ضرورة، وهو علمه تعالى الواسع وقال الذين كفروا أي بالله وبرسوله، وبما جاءوا به، فقالوا بسبب كفرهم: لا تأتينا الساعة أي: ما هي، إلا هذه الحياة الدنيا، نموت ونحيا. فأمر الله

تفسير السعدي

الناس، طائفة لم تقدر ربها حق قدره، ولم تعظمه حق عظمتها، بل كفروا به، وأنكروا قدرته على إعادة الأموات، وقيام الساعة، وعارضوا بذلك رسله فقال:

لما بين تعالى، عظمتها، بما وصف به نفسه، وكان هذا موجبا لتعظيمه وتقديسه، والإيمان به، ذكر أن من أصناف

قل لهم مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه : لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته. 30

لكننا مؤمنين ولكنكم حلتم بيننا وبين الإيمان، وزينتم لنا الكفران، فتبعناكم على ذلك، ومقصودهم بذلك أن يكون العذاب على الرؤساء دونهم. 31

وهولا جسيما، ورأيت كيف يتراجع، ويرجع بعضهم إلى بعض القول، ف يقول الذين استضعفوا وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة: لولا أنتم عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنت لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم، واجتمع الرؤساء والأتباع في الكفر والضلال، لرأيت أمرا عظيما لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب، لا بد من وقوعه

جاءكم أي: بقوتنا وقهرنا لكم. بل كنتم مجرمين أي: مختارين للإجرام، لستم مقهورين عليه، وإن كنا قد زينا لكم، فما كان لنا عليكم من سلطان. 32

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا مستفهمين لهم ومخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ

ثم في النار يسجرون الآيات. هل يجزون في هذا العذاب والنكال، وتلك الأغلال الثقيل إلا ما كانوا يعملون من الكفر والفسوق والعصيان. 33

الأغلال في أعناق الذين كفروا يغلون كما يغل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا الآيات. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير وجعلنا أنفسهم. وفي بعض مواقف القيامة، وعند دخولهم النار، يظهرون ذلك الندم جهرا. ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا كل منهم غاية الندم، وتمنى أن لو كان على الحق، وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب، سرا في أنفسهم، لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على قال: وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أي: زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم على بعض لينجو من العذاب، وعلم أنه ظالم مستحق له، فندم أنه الباطل، فما زال مكرهم بنا، وكيدكم إيانا، حتى أغويتمونا وفتنتمونا. فلم تغد تلك المراجعة بينهم شيئا إلا تبري بعضهم من بعض، والندامة العظيمة، ولهذا إينا من إضلالكم، ما دبرتموه من المكر، في الليل والنهار، إذ تحسنون لنا الكفر، وتدعوننا إليه، وتقولون: إنه الحق، وتقذحون في الحق وتهجنونه، وتزعمون وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أي: بل الذي دهانا منكم، ووصل

الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى، كفر به مترفوها، وأبطرتهم نعمتهم وفخروا بها. 34

يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسول، أنها كحال هؤلاء

الحق وما نحن بمعذبين أي: أولا، لسننا بمبعوثين، فإن بعثنا، فالذي أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة ولا يعذبنا. 35

وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا أي: ممن اتبع

فأجابهم الله تعالى، بأن بسط الرزق وتضييقه، ليس دليلا على ما زعمتم، فإن الرزق تحت مشيئة الله، إن شاء بسطه لعبده، وإن شاء ضيقه. 36

جدا، ساكنين فيها مطمئنين، آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من اللذات، وأنواع المشتبهات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها. 37

تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لا يعلمها إلا الله، وهم في الغرفات آمنون أي: في المنازل العالية المرتفعات إلى الله زلفى وتدني إليه، وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان، فأولئك لهم الجزاء عند الله وليست الأموال والأولاد بالتقرب

وأما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا ولرسلنا والتكذيب ف أولئك في العذاب محضرون 38

الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو خير الرازقين فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها. 39

من شيء نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، فهو تعالى يخلفه فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص ثم أعاد تعالى أنه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ليرتب عليه قوله: وما أنفقتم

أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، بسبب إيمانهم وعملهم، يندفع بها كل شر وعقاب. ورزق كريم بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب، وأمنية. 4

ثم ذكر المقصود من البعث فقال: ليحزي الذين آمنوا بقلوبهم، صدقوا الله، وصدقوا رسله تصديقا جازما، وعملوا الصالحات تصديقا لإيمانهم.

والمعبودين من دونه، من الملائكة. ثم يقول الله للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدتهم أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فتبرأوا من عبادتهم. 40

ويوم يحشرهم جميعا أي: العابدين لغير الله

مبين وأن اعبودني هذا صراط مستقيم أكثرهم بهم مؤمنون أي: مصدقون للجن، منقادون لهم، لأن الإيمان هو: التصديق الموجب للانقياد. 41

بذلك. وطاعتهم هي عبادتهم، لأن العبادة الطاعة، كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو كيف نصلح لأن نتخذ من دونك أولياء وشركاء؟ ولكن هؤلاء المشركون كانوا يعبدون الجن أي: الشياطين، يأمرهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا، فيطيعونهم

تفسير السعدي

أي: تنزيها لك وتقديسا، أن يكون لك شريك، أو ند أنت ولينا من دونهم فنحن مفتقرون إلى ولايتك، مضطرون إليها، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟ أم قالوا سبحانه

نوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون فالיום عاينتموها، ودخلتموها، جزاء لتكذيبكم، وعقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب، من عدم الهرب من أسبابها. 42 لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا تقطعت بينكم الأسباب، وانقطع بعضكم من بعض. ونقول للذين ظلموا بالكفر والمعاصي بعد ما ندخلهم النار فلما تبرأوا منهم، قال تعالى مخاطبا لهم: فالיום

الرجل، الذي جاء به. وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين أي: سحر ظاهر بين لكل أحد، تكذيبا بالحق، وترويجا على السفهاء. 43 إلى يوم القيامة. ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى أي: كذب افتراه هذا حق رد، فإذا هذا ماله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين الله، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا برهانا، ولا شبهة. فأى شبهة إذا والانقياد، والتسليم، أنهم يقابلونها بضد ما ينبغي، ويكذبون من جاءهم بها ويقولون: ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم أي: هذا قصده، الظاهرات، وبراهينه القاطعات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومنة وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق، يخبر تعالى عن حالة المشركين، عندما تتلى عليهم آيات الله البينات، وحججه

عمدة لهم وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير حتى يكون عندهم من أقواله وأحواله، ما يدفعون به، ما جنتهم به، فليس عندهم علم، ولا إثارة من علم. 44 حجة، ذكر أنهم وإن أراد أحد أن يحتج لهم، فإنهم لا مستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلا، فقال: وما آتيناهم من كتب يدرسونها حتى تكون ولما بين ما ردوا به الحق، وأنها أقوال دون مرتبة الشبهة، فضلا أن تكون

بالأرض، وإرسال الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم. 45 أي: إنكاري عليهم، وعقوبتي إياهم. قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا أي: ما بلغ هؤلاء المخاطبون معشار ما آتيناهم فكذبوا أي: الأمم الذين من قبلهم رسلي فكيف كان نكير ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين قبلهم فقال:

الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقاً، ونبيه صدقاً، خصوصا مخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره. 46 هيبة وإجلالا وتعظيما. فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعريدهتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟ فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول وإيماننا، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحت على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلائهم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمتنا، الله عليه وسلم، ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحرركاته أجل الحركات، وهو أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صلى بذلك. فإذا قمتم لله، مثني وفرادي، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ مثني وفرادي أي: تهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادي، كل واحد يخاطب نفسه عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك، وهي: أن تقوموا لله أي قل يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: إنما أعظكم بواحدة أي: بخصلة واحدة، أشير على كل شيء شهيد أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها. 47 الأمر فقال: قل ما سألتكم من أجر أي: على اتباعكم للحق فهو لكم أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر على التقدير أنه لكم، إن أجري إلا على الله وهو آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله صلى الله عليه وسلم عن هذا وثم مانع للنفوس

الباطل وانقمع، وذلك بسبب بيان علام الغيوب الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوسوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج. 48 به أقوال المكذبين، ما كان عبرة للمعتبرين، وآية للمتأملين. فإنك كما ترى، كيف اضمحلت أقوال المكذبين، وتبين كذبهم وعنادهم، وظهر الحق وسطع، وبطل صحة الحق، وبطلان الباطل، أخبر تعالى أن هذه سنته وعادته أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق لأنه بين من الحق في هذا الموضع، ورد ولما بين البراهين الدالة على

أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه، وما يبدي الباطل وما يعيد أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدي ولا يعيد. 49 فيعلم بها عبادته، ويبينها لهم، ولهذا قال: قل جاء الحق

تفسير السعدي

- كفرا بها، وتعجيزا لمن جاء بها، وتعجيزا لمن أنزلها، كما عجزوه في الإعادة بعد الموت. أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي: مؤلم لأبدانهم وقلوبهم. 5
- والذين سعوا في آياتنا معاجزين أي: سعوا فيها
- بما يوحى إلي ربي فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري. إن ربي سميع للأقوال والأصوات كلها قريب ممن دعاه وسأله وعبد. 50
- في المجادلة فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره. وإن اهتديت فليس ذلك من نفسي، وحولي، وقوتي، وإنما هدايتي لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن ربيهم له بالضلال، ليس بضائر الحق شيئا، ولا دافع ما جاء به. وأنه إن ضل وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل ولما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له، يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق، ووضحه لهم، وبين
- يحق عليهم العذاب. فليس لهم منه مهرب ولا فوت وأخذوا من مكان قريب أي: ليس بعيدا عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار. 51
- المكذبين، إذ فزعوا حين رأوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل، وما كذبوا به، لرأيت أمرا هائلا، ومنظرا مفضعا، وحالة منكرة، وشدة شديدة، وذلك حين يقول تعالى ولو ترى أيها الرسول، ومن قام مقامك، حال هؤلاء
- حيل بينهم وبينه، وصار من الأمور المحالة في هذه الحالة، فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان، لكان إيمانهم مقبولا، ولكنهم كفروا به من قبل ويقذفون 52
- وقالوا في تلك الحال: آمنا بالله وصدقنا ما به كذبنا و لكن أنى لهم التناوش أي: تناول الإيمان من مكان بعيد قد
- إصابة الغرض، فذلك الباطل، من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه، وإنما يكون له صولة، وقت غفلة الحق عنه، فإذا برز الحق، وقاوم الباطل، قمعه. 53
- أي: يرمون بالغيب من مكان بعيد بقذفهم الباطل، ليدحضوا به الحق، ولكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي، من مكان بعيد إلى
- وقلق القلب فلذلك، لم يؤمنوا، ولم يعتبوا حين استعتبوا. تم تفسير سورة سبأ ولله الحمد والمنة، والفضل، ومنه العون، وعليه التوكل، وبه الثقة. 54
- وراء ظهورهم، كما فعل بأشباعهم من الأمم السابقين، حين جاءهم الهلاك، حيل بينهم وبين ما يشتهون، إنهم كانوا في شك مريب أي: محدث الريبة وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الشهوات واللذات، والأولاد، والأموال، والخدم، والجنود، قد انفردوا بأعمالهم، وجاءوا فرادى، كما خلقوا، وتركوا ما خولوا،
- وأوامره ونواهيه، كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول، احتج الله بهم على المكذبين المعاندين، كما في هذه الآية وغيرها. 6
- والأموال، والأعراض. وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علما وتصديقا بأخبار ما جاء به الرسول، وأعظم معرفة بحكم إلى عموم الخلق، ونحو ذلك. وتنتهى عن كل صفة قبيحة، تدنس النفس، وتحبط الأجر، وتوجب الإثم والوزر، من الشرك، والزنا، والربا، والظلم في الدماء إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس، وتنمي الأجر، وتفيد العامل وغيره، كالصدق والإخلاص وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان من الآيات العظيمة الدالة عليها في الآفاق وفي أنفسهم ومن جهة موافقتها، لما دلت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه. ويرون في الأوامر والنواهي، أنها تهدي جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا، ومن جهة ما يشاهدون من العلم إلى درجة اليقين. ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه يهدي إلى صراط العزيز الحميد وذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة: من وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما اشتمل عليه من الأخبار، هو الحق، أي: الحق منحصر فيه، وما خالفه وناقضه، فإنه باطل، لأنهم وصلوا لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد، وهم أهل العلم،
- فرجة يتفرجون عليه، وأعجوبة يسخرون منه، وأنه كيف يقول إنكم مبعوثون بعدما مزقكم البلى، وتفرقت أوصالكم، واضمحلتم أعضاؤكم؟! 7
- ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد يعنون بذلك الرجل، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار بزعمهم أي: وقال الذين كفروا على وجه التكذيب والاستهزاء والاستبعاد، وذكر وجه الاستبعاد. أي: قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل
- الله على البعث وتكذيبهم لرسوله الذي جاء به، واستهزأهم به، وجزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق، فرأوا الحق باطلا، والباطل والضلال حقا وهدى. 8
- تلك المقالة، في العذاب والضلال البعيد أي: في الشقاء العظيم، والضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب، وأي شقاء وضلال، أبلغ من إنكارهم لقدرة لبادرتهم لإجابته، ولبيتم دعوته، ولكن ما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ولهذا قال تعالى: بل الذين لا يؤمنون بالآخرة ومنهم الذين قالوا
- غير الزاكية أن تصغوا لما قال، ولا أن تحتفلوا بدعوته، فإن المجنون، لا ينبغي للعاقل أن يلفت إليه نظره، أو يبلغ قوله منه كل مبلغ. ولولا عنادكم وظلمكم، الله وأعقلهم، ومن علمهم، أنهم أبدوا وأعادوا في معاداتهم، وبذلوا أنفسهم وأموالهم، في صد الناس عنه، فلو كان كاذبا مجنونا لم ينبغ لكم يا أهل العقول كذبا فتجراً عليه وقال ما قال، أم به جنة ؟ فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون، وكل هذا منهم، على وجه العناد والظلم، ولقد علموا، أنه أصدق خلق فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل أفترى على الله
- إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبا من ربه، ليس له هم إلا الاشتغال بمراضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة. 9
- لاية لكل عبد منيب فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأن المنيب مقبل إلى ربه، قد توجهت إراداته وهماته لربه، ورجع فإن أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقيكم أشد العقوبة. إن في ذلك أي: خلق السماوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به. قال الله: إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي: من العذاب، لأن الأرض والسماء تحت تدبيرنا،

تفسير السعدي

من المخلوقات، أعظم من إعادة الناس بعد موتهم من قبورهم، فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى بين أيديهم وما خلفهم، من السماء والأرض فأروا من قدرة الله فيهما، ما يهر العقول، ومن عظمتها ما يذهل العلماء الفحول، وأن خلقهما وعظمتها وما فيهما ثم نبههم على الدليل العقلي، الدال على عدم استبعاد البعث، الذي استبعدوه، وأنهم لو نظروا إلى ما

سورة 35

ولذة النغمات. إن الله على كل شيء قدير فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك، زيادة مخلوقاته بعضها على بعض. 1
يزيد في الخلق ما يشاء أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، جعلهم أولي أجنحة تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به. مثنى وثلاث ورباع أي: منهم من له جناحان وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته.
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولما كانت الملائكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية. وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلا، ولم يستثن منهم أحدا، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه. ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه جاعل الملائكة رسلا في تدبير أوامره القدريّة، ووسائل بينه يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملنا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم السيئات لهم عذاب شديد يهانون فيه غاية الإهانة. ومكر أولئك هو يبور أي: يهلك ويضمحل، ولا يفيدهم شيئا، لأنه مكر بالباطل، لأجل الباطل. 10
السيئات فإنها بالعكس، يريد صاحبها الرفعة بها، ويمكر ويكيد ويعود ذلك عليه، ولا يزداد إلا إهانة ونزولا، ولهذا قال: والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون فهي التي ترفع كلمه الطيب، فإذا لم يكن له عمل صالح، لم يرفع له قول إلى الله تعالى، فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى، ويرفع الله صاحبها ويعزه. وأما الجوارح يرفعه الله تعالى إليه أيضا، كالكرم الطيب. وقيل: والعمل الصالح يرفع الكرم الطيب، فيكون رفع الكرم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة، وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين المأل الأعلى والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال أي: يا من يريد العزة، اطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله، ولا تنال إلا بطاعته، وقد ذكرها بقوله: إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة وتسييح فالذي كان هذا نعتة يسيرا عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم. 11
علمه بجميع أجزاء العالم، العلوي والسفلي، دقيقها وجليلها، الذي في القلوب، والأجنة التي في البطون، وزيادة الأعمار ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب تلك الأطوار. فالذي أوجده ونقله، طبقا بعد طبق، وحالا بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتها، وأن الذي أحياها سيحيي الموتى، وتنقل الآدمي في هذه ثلاثة أوقات: حيا على الأرض، ثم بعد الموت، ثم في الآخرة. إن ذلك على الله يسير أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، وإحاطة كتابه فيها، والوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر. والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك الذي كان معمرا عمرا طويلا إلا بعلمه تعالى، أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الله وقدره، وعلمه، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وكذلك أطوار الآدمي، كلها بعلمه وقضائه. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره أي: عمر طورا بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجا، ذكرنا يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما بعدها. ثم جعلكم أزواجا أي: لم يزل ينقلكم، إلى محل، فتحمل السائرين وأثقالهم وتجاراتهم، فيحصل بذلك من فضل الله وإحسانه شيء كثير، ولهذا قال: ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون 12
المصالح أيضا والمنافع في البحر، أن سخره الله تعالى يحمل الفلك من السفن والمراكب، فتراها تبحر وتشفق، فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر، ومن محل وهو السمك المتيسر صيده في البحر، وتستخرجون حلية تلبسونها من لؤلؤ ومرجان وغيرهما، مما يوجد في البحر، فهذه مصالح عظيمة للعباد. ومن الحيوانات ولأنه ساكن لا يجري، فملوحته تمنعه من التغير، ولتكون حيواناته أحسن وألذ، ولهذا قال: ومن كل من البحر الملح والعذب تأكلون لحما طريا فراتا، سائغا شرابها، لينتفع بها الشاربون والغارسون والزارعون، وأن يكون البحر ملحا أجاجا، لنلا يفسد الهواء المحيط بالأرض بروائح ما يموت في البحر من هذا إخبار عن قدرته وحكمته ورحمته، أنه جعل البحرين لمصالح العالم الأرضي كله، وأنه لم يسو بينهما، لأن المصلحة تقتضي أن تكون الأنهار عذبة كثيرا، حتى ولا القطمير الذي هو أحقر الأشياء، وهذا من تنصيص النفي وعمومه، فكيف يدعون، وهم غير مالكين لشيء من ملك السماوات والأرض؟ 13
هو الرب المألوه المعبود، الذي له الملك كله. والذين تدعون من دونه من الأوثان والأصنام ما يملكون من قطمير أي: لا يملكون شيئا، لا قليلا ولا من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، قال: ذلکم الله ربکم له الملك أي: الذي انفرد بخلق هذه المذكورات وتسخيرها، الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتشرت النجوم. فلما بين تعالى ما بين وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت للحق الناس الضرر. وقوله: كل يجري لأجل مسمى أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور، والحركة والسكون، وانتشار العباد في طلب فضله، وما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف

تفسير السعدي

أتى أحدهما ذهب الآخر، ويزيد أحدهما وينقص الآخر، ويتساويان، فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم وحيواناتهم وأشجارهم وزروعهم. وكذلك ومن ذلك أيضا، إيلاجه تعالى الليل بالنهار والنهار بالليل، يدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، كلما

الساطعة، الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود، الذي لا يستحق شيئا من العبادة سواه، وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل، لا تفيد عابده شيئا. 14 أي: لا أحد يبنك، أصدق من الله العليم الخبير، فاجزم بأن هذا الأمر، الذي نبأ به كأنه رأي عين، فلا تشك فيه ولا تمتد. فتضمنت هذه الآيات، الأدلة والبراهين أكثرهم بعبادة من عبده، ولهذا قال: ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي: يتبرأون منكم، ويقولون: سبحانك أنت ولينا من دونهم ولا يبنك مثل خبير لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة مشغولين بطاعة ربهم. ولو سمعوا على وجه الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لأنهم لا يملكون شيئا، ولا يرضى ومع هذا إن تدعوهم لا يسمعونكم

لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه الغني في حمده. 15 كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله الحميد أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها. والله هو الغني الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه، ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفه عين، وأن لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلو لا تعليمه، لم يتعلموا، ولو لا توفيقه، لم يصلحوا. فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقههم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم. فقراء إليه، في تعليمهم ما فلو لا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد. فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير. فقراء والباطنة، فلو لا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء. فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكرب والشدائد. في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعدادهم إياهم بها، لما استعدوا لأي عمل كان. فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه: فقراء في إيجادهم، فلو لا إيجاده إياهم، لم يوجدوا. فقراء والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتهم بعد موتكم خلقا جديدا، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر. 16 ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك. ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس

وما ذلك على الله بعزيز أي: بممتنع، ولا معجز له. 17

من عمله شيء. وإلى الله المصير فيجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. 18 ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيتهم يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلى بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتتهى عن الفحشاء والمنكر. ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه أي: ومن زكى نفسه بالتنقي من أهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب بالغيث وأقاموا الصلاة أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة ويتنفعون بها، أهل الخشية لله بالغيث، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيث، يساعد الحميم حميمه، والصديق صديقه، بل يوم القيامة، يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد، ولو على والديه وأقاربه. إنما تنذر الذين يخشون ربهم والذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فإنه لا يحمل عن قريب، فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا، بعده في قوله: ولا تزر وازرة وزر أخرى أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد. وإن تدع مثقلة أي: نفس مثقلة بالخطايا ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله، وفيما أودعه في فطر عباده. وما يستوي الأعمى فاقد البصر والبصير 19

الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى، إلا هو. وهو العزيز الذي قهر الأشياء كلها الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها. 2 ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك من رحمته عنهم فلا مرسل له من بعده فهذا يوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع ثم ذكر انفراد تعالى بالتدبير والعطاء والمنع فقال:

تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيثار. 20 ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى. فلا يستوي المؤمن والكافر، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات فكما أنه من

تفسير السعدي

تعالى، فإذا علمت المراتب، وميزت الأشياء، وبان الذي ينبغي أن يتنافس في تحصيله من ضده، فليختر الحازم لنفسه، ما هو أولى به وأحقها بالإيتار. 21
ولا المهتدي والضال، ولا العالم والجاهل، ولا أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولا أحياء القلوب وأمواتها، فبين هذه الأشياء من التفاوت والفرق ما لا يعلمه إلا الله
المتقرر عندكم، الذي لا يقبل الشك، أن هذه المذكورات لا تتساوى، فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى وأولى. فلا يستوي المؤمن والكافر،
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات فكما أنه من

القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا. 22
إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق وما أنت بمسمع من في القبور أي: أموات

القلوب، أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئا، كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئا، ولكن وظيفتك النذارة، وإبلاغ ما أرسلت به، قبل منك أم لا. 23
إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق وما أنت بمسمع من في القبور أي: أموات

من أمة من الأمم الماضية والقرون الخالية إلا خلا فيها نذير يقيم عليهم حجة الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة 24
الذكر الحكيم، حق وصدق. بشيرا لمن أطاعك، بثواب الله العاجل والآجل، ونذيرا لمن عصاك، بعقاب الله العاجل والآجل، ولست بدع من الرسل. فما
الله رحمة للعالمين. وكذلك ما بعثناك به من الدين القويم، والصراط المستقيم، حق لا باطل، وكذلك ما أرسلناك به، من هذا القرآن العظيم، وما اشتمل عليه من
أي: مجرد إرسالنا إياك بالحق، لأن الله تعالى بعثك على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، واندرا من العلم، وضرورة عظيمة إلى بعثك، فبعثك
إنا أرسلناك بالحق

أي: المضيء في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئا عن اشتباه، أو قصور بما جاءتهم به الرسل، بل بسبب ظلمهم وعنادهم. 25
رسلهم بالبينات الدالات على الحق، وعلى صدقهم فيما أخبروهم به، وبالزبر أي: الكتب المكتوبة، المجموع فيها كثير من الأحكام، والكتاب المنير
أي: وإن يكذبك أيها الرسول، هؤلاء المشركون، فلست أول رسول كذب، فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم

كان نكير عليهم؟ كان أشد النكير وأعظم التنكيل، فإياكم وتكذيب هذا الرسول الكريم، فيصيبكم كما أصاب أولئك، من العذاب الأليم والخزي الوخيم. 26
ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العقوبات فكيف

مشتبكة، بل جبلا واحدا، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي: طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمرة، وفيها غرايب سود، أي: شديدة السواد جدا. 27
الثمرات المختلفة، والنباتات المتنوعة، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض واحدة. ومن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبلا
واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته. فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من
يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها واحد، ومادتها

رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه إن الله عزيز كامل العزة، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. غفور لذنوب التائبين. 28
الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى:
ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها. ولهذا قال: إنما يخشى الله من عباده العلماء فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله،
سعة علم الله تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى،
ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم. وذلك أيضا، دليل على
واحد ومادة واحدة. فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته
ومن ذلك: الناس والدواب، والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل

والفوز بجزيل ثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم، وأنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة والنيات الفاسدة شيئا. 29
في جميع الأوقات. يرجون بذلك تجارة لن تبور أي: لن تكسد وتفسد، بل تجارة، هي أجل التجارات وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم،
المسلمين، وميزان الإيمان، وعلامة صدق الإسلام، والنفقة على الأقارب والمساكين واليتامى وغيرهم، من الزكاة والكفارات والنذور والصدقات. سرا وعلانية
عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتتبعها واستخراجها. ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هي عماد الدين، ونور
إن الذين يتلون كتاب الله أي: يتبعونه في أوامره فيمتثلونها، وفي نواهيه فيتركونها، وفي أخباره، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون

ذلك، أن كان ذلك دليلا على ألوهيته وعبوديته، ولهذا قال: لا إله إلا هو فأني تؤفكون أي: تصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق. 3
أصول النعم، وهي الخلق والرزق، فقال: هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ولما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق ويرزق إلا الله، نتج من
جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح انقيادا، فإن ذكر نعمته تعالى داع لشكره، ثم نبههم على
يأمر تعالى،

قلتها وكثرتها، وحسنها وعدمه، ويزيدهم من فضله زيادة عن أجورهم. إنه غفور شكور غفر لهم السيئات، وقبل منهم القليل من الحسنات. 30
وذكر أنهم حصل لهم ما رجووه فقال: ليوفيههم أجورهم أي: أجور أعمالهم، على حسب

تفسير السعدي

رسول، حتى ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فجاء بهذا الشرع، الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة، ويتكفل بما هو الخير في كل وقت. 31
بصير فيعطي كل أمة وكل شخص، ما هو اللائق بحاله. ومن ذلك، أن الشرائع السابقة لا تليق إلا بوقتها وزمانها، ولهذا، ما زال الله يرسل الرسل رسولا بعد السابقة، وهو كافر بالقرآن أبدا، لأن كفره به، ينقض إيمانه بها، لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن، ولأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن. إن الله بعباده لخبير لما بين يديه من الكتب والرسل، لأنها أخبرت به، فلما وجد وظهر، ظهر به صدقها. فهي بشرت به وأخبرت به وهو صدقها، ولهذا لا يمكن أحدا أن يؤمن بالكتب كان هو الحق، لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية والغيبية وغيرها، مطابق لما في الواقع، فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره وما دل عليه. مصدقا إلى رسوله هو الحق من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه، فلا يمكن في قلوبكم حرج منه، ولا تتبرموا منه، ولا تستهينوا به، فإذا يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه

لمن اصطفى تعالى من عباده، هو الفضل الكبير، الذي جميع النعم بالنسبة إليه، كالعدم، فأجل النعم على الإطلاق، وأكبر الفضل، ورائة هذا الكتاب. 32
إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه. ذلك هو الفضل الكبير أي: ورائة الكتاب الجليل، لأن المراد بوراة الكتاب، ورائة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه، واستخراج معانيه. وقوله بإذن الله راجع إلى السابق إلى الخيرات، لنلا يفتر بعمله، بل ما سبق مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من ورائته، حتى الظالم لنفسه، فإن ما معه من أصل الإيمان، وعلوم الإيمان، وأعمال الإيمان، من ورائة الكتاب، سارع فيها واجتهد، فسبق غيره، وهو المؤدي للفرائض، المكتر من النوافل، التارك للمحرم والمكروه. فكلهم اصطفاه الله تعالى، لوراة هذا الكتاب، وإن تفاوتت الأمة. فمنهم ظالم لنفسه بالمعاصي، التي هي دون الكفر. ومنهم مقتصد مقتصر على ما يجب عليه، تارك للمحرم. ومنهم سابق بالخيرات أي: الله تعالى، واصطفى لهم دين الإسلام، وأورثهم الكتاب المهيم على سائر الكتب، ولهذا قال: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه ولهذا، لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا، وأحسنهم أفكارا، وأرقهم قلوبا، وأزكاهم أنفسا، اصطفاهم

في الحلية في الجنة سواء. و يحلون فيها لؤلؤا ينظم في ثيابهم وأجسادهم. ولباسهم فيها حرير من سندس، ومن إستبرق أخضر. 33
وصفها ووصف أهلها. يحلون فيها من أساور من ذهب وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء والقصور العالية، والمنازل المزخرفة، في أبد لا يزول، وعيش لا ينفد. والعدن الإقامة فجئات عدن أي: جنات إقامة، أضافها للإقامة، لأن الإقامة والخلود ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: جنات عدن يدخلونها أي: جنات مشتملات على الأشجار، والظل، والظليل، والحدائق الحسنة، والأنهار المتدفقة، وضاعفها، وأعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا ولا أمانينا، فبمغفرته نجوا من كل مكروه ومرهوب، وبشكره وفضله حصل لهم كل مرغوب محبوب. 34
ولا في دوام لبتهم، فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا، وهو في تزايد أبد الآباد. إن ربنا لغفور حيث غفر لنا الزلات شكور حيث قبل منا الحسنات لله الذي أذهب عنا الحزن وهذا يشمل كل حزن، فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص في جمالهم، ولا في طعامهم وشرابهم، ولا في لذاتهم ولا في أجسادهم، و لما تم نعيمهم، وكملت لذتهم قالوا الحمد

لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه. 35
كاملة، ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسه نصب ولا لغوب، ولا هم ولا حزن. ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب أي: لا تعب في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة لكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها، وزوال كدوراتها، وذلك الإحلال من فضله علينا وكرمه، لا بأعمالنا، فلولا فضله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. لا يمسن الذي أحلنا أي: أنزلنا نزول حلول واستقرار، لا نزول معبر واعتبار. دار المقامة أي: الدار التي تدوم فيها الإقامة، والدار التي يرغب في المقام فيها، فيموتوا فيستريحوا، ولا يخفف عنهم من عذابها فشددة العذاب وعظمه، مستمر عليهم في جميع الآتات واللحظات. كذلك نجزي كل كفور 36
كفروا أي: جحدوا ما جاءتهم به رسالهم من الآيات، وأنكروا لقاء ربهم. لهم نار جهنم يعذبون فيها أشد العذاب، وأبلغ العقاب. لا يقضى عليهم بالموت لما ذكر تعالى حال أهل الجنة ونعيمهم، ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: والذين

فيها خالدين مخلدين، وفي العذاب مهانين، ولهذا قال: فذوقوا فما للظالمين من نصير ينصرهم فيخرجهم منها، أو يخفف عنهم من عذابها. 37
الجزاء على الأعمال، سألتهم الرجعة؟ هيهات هيهات، فات وقت الإمكان، وغضب عليكم الرحيم الرحمن، واشتد عليكم عذاب النار، ونسيكم أهل الجنة، فامكتوا إنذار، ولم تغد فيكم موعظة، وأخرنا عنكم العقوبة، حتى إذا انقضت آجالكم، وتمت أعماركم، ورحلتم عن دار الإمكان، بأشر الحالات، ووصلتم إلى هذه الدار دار لكم أسباب الراحة، ومددنا لكم في العمر، وتابعنا عليكم الآيات، وأوصلنا إليكم النذر، وابتليناكم بالسراء والضراء، لتنبهوا إلينا وترجعوا إلينا، فلم ينجع فيكم لهم: أولم نعمركم ما أي: دهرها وعمرها يتذكر فيه من تذكر أي: يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل، متعانكم في الدنيا، وأدرنا عليكم الأرزاق، وقبضنا ويستغيثون ويقولون: ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فاعترفوا بذنبهم، وعرفوا أن الله عدل فيهم، ولكن سألوا الرجعة في غير وقتها، فيقال وهم يصطرخون فيها أي: يصرخون ويتصايحون

أبصار الخلق وعن علمهم، وأنه عالم بالسرائر، وما تنطوي عليه الصدور من الخير والشر والزكاء وغيره، فيعطي كلا ما يستحقه، وينزل كل أحد منزلته. 38
لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين، وذكر أعمال الفريقين، أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى، وإطلاعه على غيب السماوات والأرض، التي غابت عن

تفسير السعدي

أي: يخسرون أنفسهم وأهليهم وأعمالهم ومنازلهم في الجنة، فالكاfer لا يزال في زيادة من الشقاء والخسران، والخزي عند الله وعند خلقه والحرمان. 39 ولا يحمل عنه أحد، ولا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له وبغضه إياه، وأي: عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟! ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا بعضهم يخلف بعضا في الأرض، ويرسل لكل أمة من الأمم النذر، فينظر كيف يعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به رسله، فإن كفره عليه، وعليه إثمه وعقوبته، يخبر تعالى عن كمال حكمته ورحمته بعباده، أنه قدر بقضائه السابق، أن يجعل

أيها الرسول، فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين، فقد كذبت رسل من قبلك فأهلك المكذبون، ونجى الله الرسل وأتباعهم. وإلى الله ترجع الأمور 4 وإن يكذبوك يا

أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، ففسر زوالها، وتعرس انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل. 40 ليس لهم فيه حجة، فإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأما مني ماها الشيطان، وزين لهم سوء حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفتنة؟ أجاب تعالى بقوله: بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا أي: ذلك الذي مشوا عليه، بإخلاص الدين لله تعالى، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والتقلي قد دلا على بطلان الشرك، فما الذي بشركهم، فإننا نجزم بكذبهم، لأن الله قال: وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. فهم في شركهم على بينة من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟ ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودل على بطلانها. ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف، فهذا قال: أم آتيناها كتابا يتكلم بما كانوا في السماوات في خلقها وتدبيرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة. فإذا لم يخلقوا شيئا، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم خلقوا من الأرض هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا أم خلقوا حيوانا، أو خلقوا جمادا؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء، هو الله تعالى، أم لشركائكم شركة الوجه. قل يا أيها الرسول لهم: رأيتم أي: أخبروني عن شركائكم الذين تدعون من دون الله هل هم مستحقون للدعاء والعبادة، ف أروني ماذا يقول تعالى معجزا لآلهة المشركين، ومبيننا نقصها، وبطلان شركهم من جميع

وعدم معالجتة للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعته، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه إنه كان حليما غفورا 41 والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما. ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض

لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان، بل ما زادهم ذلك إلا نفورا وزيادة ضلال وبغي وعناد. 42 لئن جاءهم نذير ليكون أهدى من إحدى الأمم أي: أهدى من اليهود والنصارى أهل الكتب، فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود. فلما جاءهم نذير أي وأقسم هؤلاء، الذين كذبوك يا رسول الله، قسما اجتهدوا فيه بالإيمان الغليظة.

التي لا تبدل ولا تغير، أن كل من سار في الظلم والعناد والاستكبار على العباد، أن يحل به نقمته، وتسلب عنه نعمته، فليترقب هؤلاء، ما فعل بأولئك. 43 وتبين قصدهم السيئ، فعاد مكربهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم. فلم يبق لهم إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، الذي هو سنة الله في الأولين، إلا بأهله فمكربهم إنما يعود عليهم، وقد أبان الله لعباده في هذه المقالات وتلك الإقسامات، أنهم كذبة في ذلك مزورون، فاستبان خزيهم، وظهرت فضيحتهم، على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون. ولا يحق المكر السيئ الذي مقصوده مقصود سيئ، ومآله وما يرمي إليه سيئ باطل وإلا لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق، وعلى الحق، وبهجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون وليس إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق،

شيئا، ونفذت فيهم قدرة الله ومشيئته. وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته إنه كان عليما قديرا 44 أكثر منهم أموالا وأولادا وأشد قوة، وعمرؤا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء، فلما جاءهم العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب والأبدان، للاعتبار، لا لمجرد النظر والغفلة، وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل، وكانوا أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر. ثم تفسير سورة فاطر، والحمد لله رب العالمين 45 من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ولكن يمهلهم تعالى ولا يمهلهم و يؤخرهم إلى ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا

ولا يقطعكم عن ذلك قاطع، فلا تغرنكم الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتم له، ولا يغرنكم بالله الغرور 5 لا شك فيه، ولا مربة، ولا تردد، قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقا، فتهينوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، يقول تعالى: يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء على الأعمال، حق أي:

تفسير السعدي

لا ترونه، وهو دائما لكم بالمرصاد. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير هذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد. 6
الذي هو الشيطان الذي هو عدوكم في الحقيقة فاتخذوه عدوا أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم الغرور

بمقتضى ذلك الإيمان، بجوارحهم، الأعمال الصالحات لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم الشر والمكروه وأجر كبير يحصل به المطلوب. 7
الكتب لهم عذاب شديد في نار جهنم، شديد في ذاته ووصفه، وأنهم خالدون فيها أبدا. والذين آمنوا بقلوبهم، بما دعا الله إلى الإيمان به وعملوا
ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان وعدمها إلى قسمين، وذكر جزاء كل منهما، فقال: الذين كفروا أي: جحدوا ما جاءت به الرسل، ودلت عليه
عن الحق حشرات فليس عليك إلا البلاغ، وليس عليك من هداهم شيء، والله هو الذي يجازيهم بأعمالهم. إن الله عليم بما يصنعون 8
بيد الله تعالى، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم أي: على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم، وصددهم الشيطان
فهل يستوي هذا وهذا؟ فالأول: عمل السيئ، ورأى الحق باطلا، والباطل حقا، ورأى الحق حسنا أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم،
تعالى: أفمن زين له عمله السيئ، القبيح، زين له الشيطان، وحسنه في عينه. فراه حسنا أي: كمن هداه الله إلى الصراط المستقيم والدين القويم،
يقول

مطرا، كما ساقه إلى الأرض الميتة، فينزله عليهم فتحيا الأجساد والأرواح من القبور، ويأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم، ويفصل بحكمه العدل. 9
وارتزقت الحيوانات، ورتعت في تلك الخيرات، كذلك الذي أحيا الأرض بعد موتها، ينشر الله الأموات من قبورهم، بعدما مزقهم البلى، فيسوق إليهم
كمال اقتداره، وسعة جوده، وأنه أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأنزله الله عليها فأحيينا به الأرض بعد موتها فحييت البلاد والعباد،
يخبر تعالى عن

سورة 36

أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم بحسب ما علمه منهم، من خير وشر. تم تفسير سورة فاطر، والحمد لله رب العالمين 1
من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة أي: لاستوعبت العقوبة، حتى الحيوانات غير المكلفة. ولكن يمهلهم تعالى ولا يمهلهم و يؤخرهم إلى
ثم ذكر تعالى كمال حلمه، وشدة إمهاله وإنظاره أرباب الجرائم والذنوب، فقال: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟! 10
الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك، وهذا الذي وفق لهذين الأمرين فبشره بمغفرة لذنوبه، وأجر كريم لأعماله الصالحة، ونيته الحسنة. 11
أي: من قصده اتباع الحق وما ذكر به، وخشي الرحمن بالغيب أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم
والقسم الثاني: الذين قبلوا النذارة، وقد ذكرهم بقوله: إنما تنذر أي: إنما تنفع نذارتك، ويتعظ بنصحك من اتبع الذكر
من الأعمال والنيات وغيرها أحصيناه في إمام مبين أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ. 12
إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه، وأنه أسفل الخليفة، وأشدهم جرما، وأعظمهم إثما. وكل شيء
من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وهذا الموضع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية
مسجدا، أو محلا من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له، وكذلك عمل الشر. ولهذا: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر
المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيرا، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل
وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيه عن
أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم، وآثارهم وهي آثار الخير وآثار الشر، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم،
إنا نحن نحیی الموتى أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال، ونكتب ما قدموا من الخير والشر، وهو

جعلها الله مثلا للمخاطبين. إذ جاءها المرسلون من الله تعالى يأمرونهم بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له، وينهونهم عن الشرك والمعاصي. 13
أن زيادته بذكر الأقوال التي لا دليل عليها، ولا حجة عليها ولا يحصل منها من الفائدة إلا تشويش الذهن واعتياد الأمور المشكوك فيها. والشاهد أن هذه القرية
له قرار، ما تعرف به أن طريق العلم الصحيح، الوقوف مع الحقائق، وترك التعرض لما لا فائدة فيه، وبذلك تزكو النفس، ويزيد العلم، من حيث يظن الجاهل
لعينها الله، فالتعرض لذلك وما أشبهه من باب التكلف والتكلم بلا علم، ولهذا إذا تكلم أحد في مثل هذا تجد عنده من الخبط والخلط والاختلاف الذي لا يستقر
إن وفقوا للخير، وذلك المثل: أصحاب القرية، وما جرى منهم من التكذيب لرسل الله، وما جرى عليهم من عقوبته ونكاله. وتعيين تلك القرية، لو كان فيه فائدة،
أي: واضرب لهؤلاء المكذبين برسالتك، الرادين لدعوتك، مثلا يعتبرون به، ويكون لهم موعظة

فعززنا بثالث أي: قويناهما بثالث، فصاروا ثلاثة رسل، اعتناء من الله بهم، وإقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم، فقالوا لهم: إنا إليكم مرسلون 14

إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما

على من يشاء من عباده وما أنزل الرحمن من شيء أي: أنكروا عموم الرسالة، ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم، فقالوا: إن أنتم إلا تكذبون 15
رد دعوة الرسل: ف قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي: فما الذي فضلكم علينا وخصكم من دوننا؟ قالت الرسل لأممهم: إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن
فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من

فكانت هؤلاء الرسل الثلاثة: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فلو كنا كاذبين، لأظهر الله خزينا، ولبادرنا بالعقوبة. 16

فليس إلينا، وإنما وظيفتنا التي هي البلاغ المبين قمنا بها، وبينناها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتكم، فليس لنا من الأمر شيء. 17
وما علينا إلا البلاغ المبين أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب،

أعظم مما يصنع به عدوه. ثم توعدهم فقالوا: لئن لم تنتهوا لنرجمنكم أي: نقتلنكم رجما بالحجارة أشنع القتلات وليمسنكم منا عذاب أليم 18
يكرمهم بها، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة، قد قدم بحالة شر، زادت على الشر الذي هم عليه، واستشأموها بها، ولكن الخذلان وعدم التوفيق، يصنع بصاحبه
بكم أي: لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر، وهذا من أعجب العجائب، أن يجعل من قدم عليهم بأجل نعمة ينعم الله بها على العباد، وأجل كرامة
فقال أصحاب القرية لرسولهم: إنا تطيرنا

صالحكم وحظكم، قلتم لنا ما قلتم. بل أنتم قوم مسرفون متجاوزون للحد، متجرهمون في قولكم، فلم يزدكم دعاؤهم إلا نفورا واستكبارا. 19
طائركم معكم وهو ما معهم من الشرك والشر، المقتضي لوقوع المكروه والنقمة، وارتقاء المحبوب والنعمة. أئن ذكرت أي: بسبب أنا ذكرناكم ما فيه
فكانت لهم رسولهم:

على غاية الحكمة. ومن حكمة هذا القرآن، أنه يجمع بين ذكر الحكم وحكمته، فينبه العقول على المناسبات والأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها. 2
كل شيء موضعه، وضع الأمر والنهي في الموضع اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهاما اللائق بهما، فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة
هذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم، الذي وصفه الحكمة، وهي وضع

إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم فقال لهم: يا قوم اتبعوا المرسلين فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة. 20
وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت

الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: وهم مهتدون لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا يبنون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه. 21
يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه. بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجره، ولكنه ليس على
ثم ذكر تأييدا لما شهد به ودعا إليه، فقال: اتبعوا من لا يسألكم أجرا أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس

العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، 22
لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين
قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لأمميين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال: وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أي: وما المانع
فكان

الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا، ولا هم ينتقذون من الضر الذي أراده الله بي. 23
أأخذ من دونه آلهة إن يردن

وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم، 24
إذا أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها لفي ضلال مبين فجمع في هذا الكلام، بين نصحتهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بتعين عبادة الله
إني

إني آمنتم بربكم فاسمعون فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به. 25

مخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي 26
ف قيل له في الحال: ادخل الجنة فقال

غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، وجعلني من المكرمين بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم. 27
أي: بأي شيء

لإتلافهم، وما كنا منزليين لعدم الحاجة إلى ذلك، وعظمة اقتدار الله تعالى، وشدة ضعف بني آدم، وأنهم أدنى شيء يصيبهم من عذاب الله يكفيهم 28
قال الله في عقوبة قومه: وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أي: ما احتجنا أن نتكلف في عقوبتهم، فنزل جندا من السماء

لتلك الصيحة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك العتو والاستكبار، ومقابلة أشرف الخلق بذلك الكلام القبيح، وتجبرهم عليهم. 29

تفسير السعدي

أي: كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة أي: صوتا واحدا، تكلم به بعض ملائكة الله، فإذا هم خامدون قد تقطعت قلوبهم في أجوافهم، وانزعجوا إن كانت

صلى الله عليه وسلم، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. 3
رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم، لكفى به دليلا وشاهدا على رسالة محمد عرف أنك من خيار المرسلين، بما فيك من الصفات الكاملة، والأخلاق الفاضلة. ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو فلست ببدع من الرسل، وأيضا فجئت بما جاء به الرسل من الأصول الدينية، وأيضا فمن تأمل أحوال المرسلين وأوصافهم، وعرف الفرق بينهم وبين غيرهم، إنك لمن المرسلين هذا المقسم عليه، وهو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنك من جملة المرسلين،

به يستهزئون أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال 30
قال الله متوجعا للعباد: يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا

الله تعالى وأوقع بها عقابها، وأن جميعهم قد باد وهلك، فلم يرجع إلى الدنيا، ولن يرجع إليها، وسيعيد الله الجميع خلقا جديدا، ويبعثهم بعد موتهم. 31
يقول تعالى: ألم ير هؤلاء ويعتبروا بمن قبلهم من القرون المكذبة، التي أهلكها

ويحضرون بين يديه تعالى، ليحكم بينهم بحكمه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 32
أنزل الله عليها المطر، فأحيها بعد موتها، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون من جميع أصناف الزروع، ومن جميع أصناف النبات، التي تأكله أنعامهم. 33
أي: وآية لهم على البعث والنشور، والقيام بين يدي الله تعالى للجزاء على الأعمال، هذه الأرض الميتة

جنت أي: بساتين، فيها أشجار كثيرة، وخصوصا النخيل والأعناب، اللذان هما أشرف الأشجار، وفجرنا فيها أي: في الأرض من العيون 34
وجعلنا فيها أي: في تلك الأرض الميتة

فيها لذيذ الثمار، وأظهر ذلك الجنى من تلك الغصون، وفجر الأرض اليابسة الميتة بالعيون، بقادر على أن يحيي الموتى؟ بل، إنه على كل شيء قدير. 35
لهم هذه النعم، وأسبغ عليهم من جوده وإحسانه، ما به تصلح أمور دينهم ودنياهم، أليس الذي أحيا الأرض بعد موتها، فأنبث فيها الزروع والأشجار، وأودع فلم تعمله أيديهم بطبخ ولا غيره، بل أوجد الله هذه الثمار، غير محتاجة لطبخ ولا شيء، تؤخذ من أشجارها، فتؤكل في الحال. أفلا يشكرون من ساق وفاكهة، وأما ولذة، و الحال أن تلك الثمار ما عملته أيديهم وليس لهم فيه صنع، ولا عمل، إن هو إلا صنعة أحكم الحاكمين، وخير الرازقين، وأيضا جعلنا في الأرض تلك الأشجار، والنخيل والأعناب، لياكلوا من ثمره قوتا

أن يكون له شريك، أو ظهير، أو عوين، أو وزير، أو صاحبة، أو ولد، أو سمي، أو شبيهه، أو مثيل في صفات كماله ونعوت جلاله، أو يعجزه شيء يريد. 36
بين خلقهم وخلقهم، وأوصافهم الظاهرة والباطنة. ومما لا يعلمون من المخلوقات التي قد خلقت وغابت عن علمنا، والتي لم تخلق بعد، فسبحانه وتعالى الذي خلق الأزواج كلها أي: الأصناف كلها، مما تنبت الأرض فنوع فيها من الأصناف ما يعسر تعداده. ومن أنفسهم فنوعهم إلى ذكر وأنثى، وفاوت سبحانه

محله فإذا هم مظلومون وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس، فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحتهم، 37
على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. الليل نسلخ منه النهار أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها أي: وآية لهم

العزیز الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. العليم الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم. 38
لها أي: دائما تجري لمستقر لها قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، ولبس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. ذلك تقدير والشمس تجري لمستقر

القديم أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه. 39
والقمر قدرناه منازل ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، حتى يصغر جدا، فيعود كالعرجون

من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه، وأشرنا إشارة لطيفة لسلوك طريقه. 4
دينه الذي جاء به، فتأمل جلاله هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام والآخرة، والأخلاق الفاضلة، المزية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف مستقيم معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا ثم أخبر بأعظم أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، الدالة على رسالته، وهو أنه على صراط

يترددون على الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصا وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضع. 40

تفسير السعدي

أن توجد الشمس في الليل، ولا الليل سابق النهار فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، وكل من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون أي: تقديرًا لا يتعداه، وكل له سلطان ووقت، إذا وجد عدم الآخر، ولهذا قال: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن وكل من الشمس والقمر، والليل والنهار، قدره الله

على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعمة، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه أنا حملنا ذريتهم قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آبائهم. 41 أي: ودليل لهم وبرهان،

الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن. 42 أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال. فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك وآية لهم أنا حملناهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى، لهم من مثله ما يركبون الإبل، التي هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضًا، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريرًا للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: وخلقنا هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم، لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإيهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما يباهه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده. وثم احتمال أحسن من عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكال المواضع علي في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن لهم أي: للموجودين من بعدهم من مثله أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه ما يركبون به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن، لأن النعمة وخلقنا

ذلك، فقال: وإن نشأ نفرقهم فلا صريخ لهم أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، ولا هم ينقذون مما هم فيه 43 أي: المملوء ركبانا وأمتعة. فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق، ولهذا نههم على نعمته عليهم حيث أنجاهم مع قدرته على مما كانت الآلة العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال: وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والنارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير

إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين حيث لم نفرقهم، لطفًا بهم، وتمتيعًا لهم إلى حين، لعلمهم يرجعون، أو يستدركون ما فرط منهم. 44

خلفكم أي: من أحوال البرزخ والقيامة، وما في الدنيا من العقوبات لعلكم ترحمون أعرضوا عن ذلك، فلم يرفعوا به رأسًا، ولو جاءتهم كل آية. 45 وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما

أبين من آية من آيات الله، ولا أعظم بيانًا. وإن من جملة تربية الله لعباده، أن أوصل إليهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم، في دينهم ودنياهم. 46 وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وفي إضافة الآيات إلى ربهم، دليل على كمالها ووضوحها، لأنه ما

تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارًا منهم، لا جبرًا لهم ولا قهراً. 47 بذلك. وهذا مما يدل على جهلهم العظيم، أو تجاهلهم الوخيم، فإن المشيئة، ليست حجة لعاص أبدًا، فإنه وإن كان ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فإنه كفروا للذين آمنوا معارضين للحق، محتجين بالمشيئة: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم أيها المؤمنون إلا في ضلال مبين حيث تأمرونا وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: من الرزق الذي من به الله عليكم، ولو شاء لسلبكم إياه، قال الذين

ويقولون على وجه التكذيب والاستعجال: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قال الله تعالى: لا يستبعدوا ذلك، فإنه عن قريب 48

وهم يخصمون أي: وهم لا هون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة. 49 ما ينظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة الصور تأخذهم أي: تصيبهم

بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: العزيز الرحيم. 5 وهذا الصراط المستقيم تنزيل العزيز الرحيم فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقًا لعباده، موصلًا لهم إليه، فحماه

وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون فلا يستطيعون توصية أي: لا قليلة ولا كثيرة ولا إلى أهلهم يرجعون 50

والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأني والتأخر، وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم. 51 النفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث والنشور، فإذا نفخ في الصور، خرجوا من الأجداث

الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: الملك يومئذ الحق للرحمن وخشعت الأصوات للرحمن ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا. 52

تفسير السعدي

- رأي عين. ولا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على قبيال النفخ في الصور، فيجابون، فيقال لهم: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون أي: هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم ويقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا أي: من رقدتنا في القبور، لأنه ورد في بعض الأحاديث، أن لأهل القبور رقدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتتحيا الأجساد، فإذا هم جميع لدينا محضرون الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم. 53
- إن كانت البعثة من القبور إلا صيحة واحدة
- ولا يزداد في سيناتها، ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. 54
- فاليوم لا تظلم نفس شيئا لا ينقص من حسناتها،
- الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم في شغل فاكهون أي: في شغل مفكه للنفس، ملذ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذذه العيون، ويتمناه المتمنون. 55
- لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازي إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل
- الأخلاق. في ظلال على الأرائك أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. متكنون عليها، اتكأ على كمال الراحة والطمأنينة واللذة. 56
- ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات، كما قال: هم وأزواجهم من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن
- لهم فيها فاكهة كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ولهم ما يدعون أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه. 57
- لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. فنرجو ربنا أن لا يحرمننا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. 58
- فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلو أن الله تعالى قدر أن بقوله: قولا وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، ولهم أيضا سلام حاصل لهم من رب رحيم ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكد
- يوم القيامة امتازوا اليوم أيها المجرمون أي: تميزوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، ليوبخهم ويقرعهم على رءوس الأشهاد قبل أن يدخلهم النار. 59
- لما ذكر تعالى جزاء المتقين، ذكر جزاء المجرمين و أنهم يقال لهم
- بعدهما أنذرتهم، انقسموا قسمين: قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال الله فيهم لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون 6
- لحق بهم من كل أمي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصا، وعلى غيرهم عموما. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن أنذر أبائهم فهم غافلون وهم العرب الأميون، الذين لم يزلوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى فلما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: لتنذر قوما ما
- والمعاصي، لأنها كلها طاعة للشيطان وعبادة له، إنه لكم عدو مبين فحذرتكم منه غاية التحذير، وأنذرتكم عن طاعته، وأخبرتكم بما يدعوكم إليه. 60
- وأوصيكم، على السنة رسي، وأقول لكم: يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أي: لا تطيعوه؟ وهذا التوبيخ، يدخل فيه التوبيخ عن جميع أنواع الكفر ألم أعهد إليكم أي: أمركم
- الشيطان صراط مستقيم فعلوم الصراط المستقيم وأعماله ترجع إلى هذين الأمرين، أي: فلم تحفظوا عهدي، ولم تعملوا بوصيتي، فواليتم عدوكم. 61
- و أمرتكم أن اعبدوني بامثال أوامري وترك زواجري، هذا أي: عبادتي وطاعتي، ومعصية
- أي: فلا كان لكم عقل يأمركم بموالاة ربكم ووليكم الحق، ويزجركم عن اتخاذ أعداء لكم ولينا، فلو كان لكم عقل صحيح لما فعلتم ذلك. 62
- أضل منكم جبلا كثيرا أي: خلقا كثيرا. أفلم تكونوا تعقلون
- القول بالعذاب ف هذه جهنم التي كنتم توعدون وتكذبون بها، فانظروا إليها عيانا، فهناك تنزعج منهم القلوب، وتزوغ الأبصار، ويحصل الفرع الأكبر. 63
- فإذا أطعتم الشيطان، وعاديتم الرحمن، وكذبتم بلفائه، ووردتم القيامة دار الجزاء، وحق عليكم
- اليوم بما كنتم تكفرون أي: ادخلوها على وجه تصلاكم، ويحيط بكم حرها، ويبلغ منكم كل مبلغ، بسبب كفركم بآيات الله، وتكذيبكم لرسل الله. 64
- ثم يكمل ذلك، بأن يؤمر بهم إلى النار، ويقال لهم: اصلوها
- عملوه من الكفر والتكذيب. وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون أي: تشهد عليهم أعضاؤهم بما عملوه، وينطقها الذي أنطق كل شيء. 65
- قال الله تعالى في بيان وصفهم الفظيع في دار الشقاء: اليوم نختم على أفواههم بأن نجعلهم خرسا فلا يتكلمون، فلا يقدر على إنكار ما
- كما طمسنا على نطقهم. فاستبقوا الصراط أي: فبادروا إليه، لأنه الطريق إلى الوصول إلى الجنة، فأني يبصرون وقد طمسنا أبصارهم. 66
- ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم،

تفسير السعدي

- يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر. المقصود: أنهم لا يعبرونه، فلا تحصل لهم النجاة. 67
- لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم أن هؤلاء الكفار، حقت عليهم كلمة العذاب، ولم يكن بد من عقابهم. وفي ذلك الموطن، ما ثم إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي: لأذهبنا حركتهم فما استطاعوا مضيا إلى الأمام ولا يرجعون إلى ورائهم ليبعدوا عن النار. والمعنى:
- حالة الضعف، ضعف العقل، وضعف القوة. أفلا يعقلون أن الآدمي ناقص من كل وجه، فيتداركوا قوتهم وعقولهم، فيستعملونها في طاعة ربهم. 68
- يقول تعالى: ومن نعمه من بني آدم ننكسه في الخلق أي: يعود إلى الحالة التي ابتدأ
- لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل على أنه مبين لجميع الحق، بأدلتها التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله. 69
- المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتغال، وهو يذكر العقول، ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح. وقرآن مبين أي: مبين أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المحال أن يكون شاعرا، لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاؤون، يتبعهم الغاؤون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم الله عليه وسلم، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن يكون شاعرا، أي: هذا من جنس ينزه تعالى نبيه محمدا صلى
- القضاء والمشيئة، أنهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم. 7
- أي: نفذ فيهم
- للأرض الطيبة الزاكية. ويحق القول على الكافرين لأنهم قامت عليهم به حجة الله، وانقطع احتجاجهم، فلم يبق لهم أدنى عذر وشبهة يدلون بها. 70
- لينذر من كان حيا أي: حي القلب واعي، فهو الذي يزكو على هذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 71
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذلها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 72
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذلها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ذلك من المنافع المشاهدة منها، أفلا يشكرون الله تعالى الذي أنعم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة ولا يتمتعون بها تمتعا خاليا من العبرة والفكرة. 73
- أنقالهم ومحاملهم وأمتعته من محل إلى محل، ومن أكلهم منها، وفيها دفع، ومن أوبارها وأشعارها وأصوافها أاثا ومتاعا إلى حين، وفيها زينة وجمال، وغير العباد بالنظر إلى ما سخر لهم من الأنعام وذلها، وجعلهم مالكين لها، مطاوعة لهم في كل أمر يريدونه منها، وأنه جعل لهم فيها منافع كثيرة من حملهم وحمل
- يأمر تعالى
- ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير؟ 74
- فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرته من عبده أم لا؟ فنفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما. وهم لهم جند محضون أي: محضون هم وهم في العذاب، غاية العجز لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والقدرة
- هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالى، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في
- ومتبرئ بعضهم من بعض، أفلا تبرأوا في الدنيا من عبادة هؤلاء، وأخلصوا العبادة للذي بيده الملك والنفع والضر، والعطاء والمنع، وهو الولي النصير؟ 75
- فإذا استطاع، يبقى: هل يريد نصرته من عبده أم لا؟ فنفي الاستطاعة، ينفي الأمرين كليهما. وهم لهم جند محضون أي: محضون هم وهم في العذاب، غاية العجز لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون، فإذا كانوا لا يستطيعون نصرهم، فكيف ينصرونهم؟ والنصر له شرطان: الاستطاعة والقدرة
- هذا بيان لبطلان آلهة المشركين، التي اتخذوها مع الله تعالى، ورجوا نصرها وشفعها، فإنها في
- أو فيما جاء به. أي: فلا تشغل قلبك بالحزن عليهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فجازيهم على حسب علمنا بهم، وإلا فقولهم لا يضرك شيئا. 76
- أي: فلا يحزنك يا أيها الرسول، قول المكذبين، والمراد بالقول: ما دل عليه السياق، كل قول يقدحون فيه في الرسول،
- كان ابتداء خلقه من نطفة، فلينظر التفاوت بين هاتين الحالتين، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى. 77

تفسير السعدي

اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه من نطفة ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب، فإذا هو خصيم مبين بعد أن فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: أولم ير الإنسان المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيد هذه الآيات الكريكات،

وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلق بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل. 78 هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت. هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق. فسر هذا المثل بقوله: قال ذلك الإنسان من يحيي العظام وهي رميم أي: وضرب لنا مثلا لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق،

الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم. 79 بكل خلق عليم هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علما يقينا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، وهو فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة

قد وصلت إلى أذنانهم ورفعت رءوسهم إلى فوق، فهم مقمحوحون أي: رافعو رءوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم، فلا يستطيعون أن يخفضوها. 80 إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا وهي جمع غل و الغل ما يغل به العنق، فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل، وهذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة وذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم، فقال:

فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادها وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك. 80 ثم ذكر دليلا ثالثا الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون

تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه. 81 أي: أن يعيدهم بأعيانهم. بلى قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. وهو الخلاق العليم وهذا دليل خامس، فإنه ثم ذكر دليلا رابعا فقال: أوليس الذي خلق السماوات والأرض على سعتهم وعظمتهم بقادر على أن يخلق مثلهم

آثار خلقه، ولهذا قال: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون أي: في الحال من غير تمانع. 82 فإعادته للأموات، فرد من أفراد

يس، فله تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله، وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجد كما تستدعيه عظمته وكبريائه، وصلى الله على محمد وآله وسلم. 83 ترجعون من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور. ثم تفسير سورة يتصرف فيهم بأقداره الحكيمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: وإليه كل شيء وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، فسبحان الذي بيده ملكوت

سدا ومن خلفهم سدا أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، فهم لا يبصرون قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تغد فيهم النذارة. 9 وجعلنا من بين أيديهم

سورة 37

الكرام، في حال عبادتها وتدبيرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته، فقال: والصفات صفا أي: صفوفها في خدمة ربهم، وهم الملائكة. 1 هذا قسم منه تعالى بالملائكة

إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء. 10 إلا من خطف الخطفة أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة فأتبعه شهاب ثاقب تارة يدركه قبل أن يوصلها ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا، ولكن قال:

ولدا يكون من الصالحين وذلك عند ما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرا، دعا الله أن يهب له غلاما صالحا، ينفع الله به في حياته، وبعد مماته. 100 رب هب لي

فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عن جنى. 101 وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشره بإسحاق فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب

فاستجاب الله له وقال: فبشرناه بغلام حليم

ستجدني إن شاء الله من الصابرين أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى. 102 ترى فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه، قال إسماعيل صابرا محتسبا، مرضيا لربه، وبارا بوالده: يا أبت افعل ما تؤمر أي: امض لما أمرك الله

فقال له إبراهيم عليه السلام: إني أرى في المنام أني أذبحك أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي فانظر ماذا فلما بلغ الغلام معه السعي أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته،

طاعة ربه، ورضا والده، وتله للجبين أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه، لنلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه. 103 فلما أسلما أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالا لأمر ربه، وخوفا من عقابه، والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في

على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم. 104 ونادينا في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: أن يا إبراهيم قد صدقت أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطنت نفسك

على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم. 105 ونادينا في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: أن يا إبراهيم قد صدقت أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطنت نفسك

قدم حب الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه، فلماذا قال: إن هذا لهو البلاء المبين 106 القلب متعلقة بالمحسوب، فلما تعلقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفى وده ويختبر خلته، فأمره أن يذبح من زاحم حبه حب ربه، فلما السلام لما وهبه الله لإبراهيم، أحبه حبا شديدا، وهو خليل الرحمن، والخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقتضي أن تكون جميع أجزاء إن هذا الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام لهو البلاء المبين أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبته لربه وخلته، فإن إسماعيل عليه ذبحه إبراهيم، فكان عظيما من جهة أنه كان فداء لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة. 107 وفديناه بذبح عظيم أي: صار بدله ذبح من الغنم عظيم،

إبراهيم أي: وأبقينا عليه ثناء صادقا في الآخرين، كما كان في الأولين، فكل وقت بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه فيه محبوب معظم مثني عليه. 108 وتركتنا عليه في الآخرين سلام على

سلام على إبراهيم أي: تحيته عليه كقوله: قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى 109

من إنشائهم بعد موتهم، ولهذا قال: إنا خلقناهم من طين لازب أي: قوي شديد كقوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون 111 والأرض أكبر من خلق الناس. فيلزمهم إذا الإقرار بالبعث، بل لو رجعوا إلى أنفسهم وفكروا فيها، لعلموا أن ابتداء خلقهم من طين لازب، أصعب عند الفكر بعد موتهم. أهم أشد خلقا أي: إيجادهم بعد موتهم، أشد خلقا وأشق؟ أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ فلا بد أن يقرؤا أن خلق السماوات ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال: فاستفتهم أي: أسأل منكري خلقهم

إنا كذلك نجزي المحسنين في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن. 110

أمر الله بالإيمان به، الذين بلغ بهم الإيمان إلى درجة اليقين، كما قال تعالى: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين 111 إنه من عبادنا المؤمنين بما

هذه البشارة الثانية بإسحاق، الذي من ورثه يعقوب، فبشر بوجوده وبقائه، ووجود ذريته، وكونه نبيا من الصالحين، فهي بشارات متعددة. 112 وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين

إسحاق اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأن من تمام البركة، أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر الله تعالى أن منهم محسنا وظالما، والله أعلم. 113 لنفسه مبين أي: منهم الصالح والطالح، والعدل والظالم الذي تبين ظلمه، بكفره وشركه، ولعل هذا من باب دفع الإيهام، فإنه لما قال: وباركنا عليه وعلى فنشر الله من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمة العرب من ذرية إسماعيل، وأمة بني إسرائيل، وأمة الروم من ذرية إسحاق. ومن ذريتهما محسن وظالم وباركنا عليه وعلى إسحاق أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما سلوكه. 114 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما سلوكه. 115 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

تفسير السعدي

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 116 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 117 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

والمواعظ وتفصيل كل شيء، وأن الله هداهما الصراط المستقيم، بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه. 118 ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام يذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه، موسى، وهارون ابني عمران، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله تعالى،

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 119 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

و أعجب من إنكارهم وأبلغ منه، أنهم يسخرون ممن جاء بالخبر عن البعث، فلم يكفهم مجرد الإنكار، حتى زادوا السخرية بالقول الحق. 120 وأياها الإنسان، من تكذيب من كذب بالبعث، بعد أن أريتهم من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة، وهو حقيقة محل عجب واستغراب، لأنه مما لا يقبل الإنكار، بل عجبت يا أيها الرسول

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 120 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 121 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

أي: أبقى عليهما ثناء حسناً، وتحية في الآخرين، ومن باب أولى وأحرى في الأولين إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين 122 وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 123 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 124 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 125 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

من هذا شأنه، إلى عبادة صنم، لا يضرب، ولا ينفع، ولا يخلق، ولا يرزق، بل لا يأكل ولا يتكلم؟ وهل هذا إلا من أعظم الضلال والسفه والغبي؟ 126 يقال له بعل وتركهم عبادة الله، الذي خلق الخلق، وأحسن خلقهم، ورباهم فأحسن تربيتهم، وأدر عليهم النعم الظاهرة والباطنة، وأنكم كيف تركتم عبادة تعالى عبده ورسوله، إلياس عليه الصلاة والسلام، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وأنه أمر قومه بالتقوى، وعبادة الله وحده، ونهاهم عن عبادتهم، صنما لهم يمدح

فيما دعاهم إليه، فلم ينقادوا له، قال الله متوعدا لهم: فإنهم لمحضرون أي يوم القيامة في العذاب، ولم يذكر لهم عقوبة دنيوية. 127 فكذبوه

إلا عباد الله المخلصين أي: الذين أخلصهم الله، ومن عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنما لهم من الله جزيل الثواب. 128

تفسير السعدي

وتركنا عليه أي: على إلياس في الآخرين ثناء حسنا. 129

الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب. 13

و من العجب أيضا أنهم إذا ذكروا ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه لا يذكرون ذلك، فإن كان جهلا، فهو من أدل

سلام على إل ياسين أي: تحية من الله، ومن عباده عليه. 130

سلام على إل ياسين أي: تحية من الله، ومن عباده عليه. 131

إنه من عبادنا المؤمنين فأثنى الله عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. 132

وهذا ثناء منه تعالى على عبده ورسوله، لوط بالنبوة والرسالة، ودعوته إلى الله قومه، ونهيهم عن الشرك، وفعل الفاحشة. 133

فلما لم ينتهوا، نجاه الله وأهله أجمعين، فسروا ليلا فنجوا. 134

إلا عجوزا في الغابرين أي: الباقيين المعذبين، وهي زوجة لوط لم تكن على دينه. 135

ثم دمرنا الآخرين بأن قلبنا عليهم ديارهم فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود حتى همدوا وخمدوا. 136

وإنكم لتمرون عليهم أي: على ديار قوم لوط مصبحين وبالليل 137

أي: في هذه الأوقات، يكثر ترددكم إليها ومروركم بها، فلم تقبل الشك والمرية أفلا تعقلون الآيات والعبر، وتنزجرون عما يوجب الهلاك؟ 138

أثنى على إخوانه المرسلين، بالنبوة والرسالة، والدعوة إلى الله، وذكر تعالى عنه، أنه عاقبه عقوبة دنيوية، أنجاه منها بسبب إيمانه وأعماله الصالحة، 139

وهذا ثناء منه تعالى، على عبده ورسوله، يونس بن متى، كما

ومن العجب أيضا أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لهل فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون. 14

الركبان، وكأنهم لم يجدوا لأحد مزية في ذلك، فاقترعوا على أن من قرع وغلب، ألقى في البحر عدلا من أهل السفينة، وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه. 140

له ما هو سبب صلاحه. فلما أبق لجأ إلى الفلك المشحون بالركاب والأمتعة، فلما ركب مع غيره، والفلك شاحن، ثقلت السفينة، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض

ذنبه الذي ارتكبه، لعدم فائدتها بذكره، وإنما فائدتها بما ذكرنا عنه أنه أذن، وعاقبه الله مع كونه من الرسل الكرام، وأنه نجاه بعد ذلك، وأزال عنه الملام، وقيض

إذ أبق أي: من ربه مغاضبا له، ظانا أنه لا يقدر عليه، ويحبسه في بطن الحوت، ولم يذكر الله ما غاضب عليه، ولا

فلما اقترعوا أصابت القرعة يونس فكان من المدحضين أي: المغلوبين. 141

فألقي في البحر فالتقمه الحوت وهو وقت التقامه مليم أي: فاعل ما يلام عليه، وهو مغاضبته لربه. 142

أي: في وقته السابق بكثرة عبادته لربه، وتسبيحه، وتحميده، وفي بطن الحوت حيث قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين 143

فلولا أنه كان من المسبحين

بطنه إلى يوم يبعثون أي: لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد. 144

للبث في

كانت عارية من الأشجار والظلال. وهو سقيم أي: قد سقم ومرض، بسبب حبسه في بطن الحوت، حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيضة. 145

فنبذناه بالعراء بأن قذفه الحوت من بطنه بالعراء، وهي الأرض الخالية العارية من كل أحد، بل ربما

وأنبئتنا عليه شجرة من يقطين تظله بظلها الظليل، لأنها بادرة باردة الظلال، ولا يسقط عليها ذباب، وهذا من لطفه به، وبره. 146

عليه منة عظمى، وهو أنه أرسله إلى مائة ألف من الناس أو يزيدون عنها، والمعنى أنهم إن ما زادوا لم ينقصوا، فدعاهم إلى الله تعالى. 147

ثم لطف به لطفًا آخر، وامتن

أسبابه، قال تعالى: فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين 148

فآمنوا فصاروا في موازينه، لأنه الداعي لهم. فمتعناهم إلى حين بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انعقدت

يرضونهم لأنفسهم، كما قال في الآية الأخرى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ومن جهة جعلهم الملائكة بنات الله، وحكمهم بذلك. 149

ألربك البنات ولهم البنون أي: هذه قسمة ضيزى، وقول جائز، من جهة جعلهم الولد لله تعالى، ومن جهة جعلهم أردأ القسمين وأخسهما له وهو البنات التي لا

عليه وسلم: فاستفتهم أي: أسأل المشركين بالله غيره، الذين عبدوا الملائكة، وزعموا أنها بنات الله، فجمعوا بين الشرك بالله، ووصفه بما لا يليق بجلاله،

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله

ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم: إن هذا إلا سحر مبين فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها. 15

تفسير السعدي

- الملائكة إناثا وهم شاهدون خلقهم؟ أي: ليس الأمر كذلك، فإنهم ما شهدوا خلقهم، فدل على أنهم قالوا هذا القول، بلا علم، بل افتراء على الله، 150
قال تعالى في بيان كذبهم: أم خلقنا
ألا إنهم من إفكهم أي: كذبهم الواضح ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون 151
ألا إنهم من إفكهم أي: كذبهم الواضح ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون 152
أصطفى أي: اختار البنات على البنين 153
ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الجائر. 154
أفلا تذكرون وتميزون هذا القول الباطل الجائر، فإنكم لو تذكرتم لم تقولوا هذا القول. 155
أم لكم سلطان مبين أي: حجة ظاهرة على قولكم، من كتاب أو رسول. 156
غير واقع، ولهذا قال: فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين فإن من يقول قولاً لا يقيم عليه حجة شرعية، فإنه كاذب متعمد، أو قائل على الله بلا علم. 157
وكل هذا
سروات الجن، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله، ليجازيهم عباداً أذلاء، فلو كان بينهم وبينه نسب، لم يكونوا كذلك. 158
أي: جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسباً، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم
سبحان الله الملك العظيم، الكامل الحليم، عما يصفه به المشركون من كل وصف أوجب كفرهم وشركهم. 159
قدرة رب الأرض والسموات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعاداً وإنكاراً: أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون 16
ومن العجب أيضاً، قياسهم
إلا عباد الله المخلصين فإنه لم ينزه نفسه عما وصفوه به، لأنهم لم يصفوه إلا بما يليق بجلاله، وبذلك كانوا مخلصين. 160
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 161
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 162
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
من هذا، بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين. 163
أي: إنكم أيها المشركون ومن عبدتموه مع الله، لا تقدرون أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم، فينفذ فيه القضاء الإلهي، والمقصود
وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به لا يتعداه ولا يتجاوز، وليس لهم من الأمر شيء. 164
هذا فيه بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون،
وإنا لنحن الصافون في طاعة الله وخدمته. 165
وإنا لنحن المسيحون لله عما لا يليق به. فكيف مع هذا يصلحون أن يكونوا شركاء لله؟ تعالى الله. 166
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 167
يخبر
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 168
يخبر
تعالى أن هؤلاء المشركين، يظهرون التمني، ويقولون: لو جاءنا من الذكر والكتب، ما جاء الأولين، لأخلصنا لله العبادة، بل لكننا المخلصين على الحقيقة. 169
يخبر
أوابأونا الأولون 17
جاءهم أفضل الكتب فكفروا به، فعلم أنهم متمردون على الحق فسوف يعلمون العذاب حين يقع بهم، ولا يحسبوا أيضاً أنهم في الدنيا غالبون. 170
وهم كذبة في ذلك، فقد
قد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف لها لعباده المرسلين وجنده المفلحين. 171
يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور. 172

تفسير السعدي

- أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا،
يتمكنون فيه من إقامة دينهم، وهذه بشارة عظيمة لمن اتصف بأنه من جند الله، بأن كانت أحواله مستقيمة، وقاتل من أمر بقتالهم، أنه غالب منصور. 173
أنهم الغالبون لغيرهم، المنصورون من ربهم، نصرا عزيزا،
ثم أمر رسوله بالإعراض عن عاندوا، ولم يقبلوا الحق، وأنه ما بقي إلا انتظار ما يحل بهم من العذاب، 174
وأبصرهم فسوف يبصرون من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. 175
وأبصرهم فسوف يبصرون من يحل به النكال، فإنه سيحل بهم. 176
فإذا نزل بساحتهم أي: نزل عليهم، وقريبا منهم فساء صباح المنذرين لأنه صباح الشر والعقوبة، والاستئصال. 177
ثم كرر الأمر بالتولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب. 178
ثم كرر الأمر بالتولي عنهم، وتهديدهم بوقوع العذاب. 179
على ترهيبهم فقال: قل نعم ستبعثون، أنتم وآبائكم الأولون وأنتم داخرون ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله. 18
ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل
التي وصفوه بها، نزه نفسه عنها. سبحان ربك أي: تنزه وتعالى رب العزة أي: الذي عز فقهر كل شيء، واعتز عن كل سوء يصفونه به. 180
ولما ذكر في هذه السورة، كثيرا من أقوالهم الشنيعة،
وسلام على المرسلين لسلامتهم من الذنوب والآفات، وسلامة ما وصفوا به فاطر الأرض والسموات. 181
شوال سنة 1343هـ على يد جامعهم: عبد الرحمن بن ناصر السعدي وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. 182
سالمون مسلم عليهم، ومن اتبعهم في ذلك له السلامة في الدنيا والآخرة. وأعداؤه لهم الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة تم تفسير سورة الصافات في 6
بها النقم، ودبرهم تعالى في حركاتهم وسكونهم، وفي جميع أحوالهم، كلها لله تعالى، فهو المقدس عن النقص، المحمود بكل كمال، المحبوب المعظم، ورسله
رب العالمين الألف واللام، للاستغراق، فجميع أنواع الحمد، من الصفات الكاملة العظيمة، والأفعال التي ربي بها العالمين، وأدر عليهم فيها النعم، وصرف عنهم
والحمد لله
ينظرون كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا، وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور. 19
فإنما هي زجرة واحدة ينفخ إسرافيل فيها في الصور فإذا هم مبعوثون من قبورهم
فالزاجرات زجرا وهم الملائكة، يزعرون السحاب وغيره بأمر الله. 2
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فقد أقرأوا بما كانوا في الدنيا به يستهزئون. 20
فيقال لهم: هذا يوم الفصل بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق. 21
فيقال: احشروا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي وأزواجهم الذين من جنس عملهم، كل يضم إلى من يجانسه في العمل. 22
أي إذا أحضروا يوم القيامة، وعاینوا ما به يكذبون، ورأوا ما به يستسخرون، يؤمر بهم إلى النار، التي بها كانوا يكذبون،
يعبدون من دون الله من الأصنام والأنداد التي زعموها. فاجمعوهم جميعا فاهدوهم إلى صراط الجحيم أي: سوفوهم سوقا عنيفا إلى جهنم. 23
وما كانوا
البوار، يقال: وقفوهم قبل أن تصلوهم إلى جهنم إنهم مسئولون عما كانوا يفترونه في الدنيا، ليظهر على رؤوس الأشهاد كذبهم وفضيحتهم. 24
وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار، ويعرفون أنهم من أهل دار
وتشفع لكم عند الله، فكأنهم لا يجيبون هذا السؤال، لأنهم قد علاهم الذل والصغار، واستسلموا لعذاب النار، وخشعوا وخضعوا وأبلسوا، فلم ينطقوا. 25
جرى عليكم اليوم؟ وما الذي طرقتكم لا ينصر بعضكم بعضا، ولا يغيث بعضكم بعضا، بعدما كنتم تزعمون في الدنيا، أن آلهتكم ستدفع عنكم العذاب، وتغيثكم
فيقال لهم: ما لكم لا تناصرون أي: ما الذي
بل هم اليوم مستسلمون 26
جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسنلوا، فلم يجيبوا، وأقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم. 27
لما
فقال الأتباع للمتبعين الرؤساء: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكانا مؤمنين. 28

تفسير السعدي

قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين أي: ما زلتُم مشركين، كما نحن مشركون، فأَي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟ 29

فالتاليات ذكرا وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى. 3

و الحال أنه ما كان لنا عليكم من سلطان أي: قهر لكم على اختيار الكفر بل كنتم قوما طاغين متجاوزين للحد 30

فحق علينا نحن وإياكم إنا لذائقون العذاب، أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب. 31

ف لذلك أغويناكم إنا كنا غاوين أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم. 32

قال تعالى: فإنهم يومئذ أي: يوم القيامة في العذاب مشتركون وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم. 33

كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائهم، ولهذا قال: إنا كذلك نفعل بالمجرمين 34

بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال: إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه يستكبرون عنها وعلى من جاء بها. 35

ثم ذكر أن إجرامهم، قد

حكموا عليه بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعرا مجنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء، ولا وصفه وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، وأعظمهم رأيا. 36

نزل نعبدها نحن وآبأؤنا ل قول شاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. فلم يكفهم قبحهم الله الإعراض عنه، ولا مجرد تكذيبه، حتى

ويقولون معارضة لها أننا لتاركوا آلهتنا التي لم

لكان ذلك قادحا في صدقهم. وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم. 37

ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أمهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم، فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به،

فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم،

ناقضا لقولهم: بل جاء محمد بالحق أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق. وصدق المرسلين أي: ومجيئه صدق المرسلين

ولهذا قال تعالى،

أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: إنكم لذائقوا العذاب الأليم أي: المؤلم الموجه. 38

ولما كان قولهم السابق: إنا لذائقون قولنا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره،

الأليم إلا ما كنتم تعملون فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟ ولما كان هذا الخطاب لفظه عاما، والمراد به المشركون، استثنى تعالى المؤمنين فقال: 39

وما تجزون في إذاقة العذاب

طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: إن إلهكم لواحد ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة. 4

فلما كانوا متألّهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه

يقول تعالى: إلا عباد الله المخلصين فإنهم غير ذائقي العذاب الأليم، لأنهم أخلصوا لله الأعمال، فأخلصهم، واختصهم برحمته، وجاد عليهم بلطفه. 40

أولئك لهم رزق معلوم أي: غير مجهول، وإنما هو رزق عظيم جليل، لا يجهل أمره، ولا يبلغ كنهه. 41

يدخلون عليهم من كل باب، ويهنئونهم ببلوغ أهنأ الثواب، وأكرمهم أكرم الأكرمين، وجاد عليهم بأنواع الكرامات، من نعيم القلوب والأرواح والأبدان. 42

للذتها في لونها وطعمها. وهم مكرمون لا مهانون محتقرون، بل معظمون مجلون موقرون. قد أكرم بعضهم بعضا، وأكرمتهم الملائكة الكرام، وصاروا

فسره بقوله: فواكه من جميع أنواع الفواكه التي تتفكه بها النفس،

نعتها، وذلك لما جمعت، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات. 43

في جنات النعيم أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور

وجوهم، تدل على تقابل قلوبهم، وتآدب بعضهم مع بعض فلم يستديره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل. 44

عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح. متقابلين فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضا، أنهم على سرر وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة الجميلة، فهم متكئون

معين أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر. 45

يطاف عليهم بكأس من

الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها بيضاء من أحسن الألوان، وفي طعمها لذة للشاربين يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده. 46

وتلك

ونزف مال صاحبها، وليس فيها صداد ولا كدر، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم، وعموم النعيم وتفصيله داخلة في قوله: جنات النعيم 47

وأنها سالمة من غول العقل وذها به، ونزفه،

يطمح إلى غيره، وشدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتهاء أسبابه. عين أي: حسان الأعين جميلاتهما، ملاح الحدق. 48
قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وكل هذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضا، محبة لا
إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضا، يدل على
الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب
لتعلم فتشتاق النفوس إليها، ذكر أزواجهم فقال: وعندهم قاصرات الطرف عين أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات
لكن فصل هذه الأشياء

كانهن أي: الحور بيض مكنون أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين. 49
وكثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكره. 5
وما بينهما ورب المشارق أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته،
رب السماوات والأرض

ومطارتحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: إني كان لي قرين 50
لما ذكر تعالى نعيمهم، وتما سرورهم، بالمآكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، ذكر تذاكرهم فيما بينهم،

إني كان لي قرين في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. 51

و يقول لي أنك لمن المصدقين 52

وهو ما زال مكذبا منكرا للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به الرسل، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب. 53
وعظاما، أننا نبعث ونعادي، ثم نحاسب ونجازي بأعمالنا؟ أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنا مصدقا،
أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون أي: مجازون بأعمالنا؟ أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابا
ذلك رأي عين؟ والظاهر من حال أهل الجنة، وسرور بعضهم ببعض، وموافقة بعضهم بعضا، أنهم أجابوه لما قال، وذهبوا تبعه له، للاطلاع على قرينه. 54
ف هل أنتم مطلعون لننظر إليه، فنزداد غبطة وسرورا بما نحن فيه، ويكون

فاطلع فرأى قرينه في سواء الجحيم أي: في وسط العذاب وغمراته، والعذاب قد أحاط به. 55

ف قال له لانما على حاله، وشاكرا لله على نعمته أن نجاه من كيد: تالله إن كدت لتتردين أي: تهلكني بسبب ما أدخلت علي من الشبه بزعمك. 56

ولولا نعمة ربي على أن ثبتني على الإسلام لكنت من المحضرين في العذاب معك. 57

من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب 58
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة
من العذاب استفهام بمعنى الإثبات والتقرير أي: يقول لقرينه المعذب: أفتزعم أننا لسنا نموت سوى الموتة الأولى، ولا بعث بعدها ولا عذاب 59
أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين أي: يقوله المؤمن، مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها والسلامة
إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى. 6
أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده
ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلم لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير
على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلماذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى
وخص الله المشارق بالذكر، لدلائلها

أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟ 60
فقال: إن هذا هو الفوز العظيم الذي حصل لهم به كل خير، وكل ما تهوى النفوس وتشتتهي، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه، فهل فوز يطلب فوقه؟
الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه. فلما ذكر تعالى نعيم الجنة، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة، مدحه، وشوق العاملين، وحثهم على العمل
أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف
وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم
وقوله: فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون

كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته، وهو غير مشغول بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياها إلى دار البوار؟ 61

تفسير السعدي

- لمثل هذا فليعمل العاملون فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة
- العذاب الذي يكون في الجحيم من جميع أصناف العذاب؟ فأَيُّ الطعامين أولى؟ الذي وصف في الجنة أم طعام أهل النار؟ وهو شجرة الزقوم 62
- أذلك خير نزلاً أي: ذلك النعيم الذي وصفناه لأهل الجنة خير، أم
- إننا جعلناها فتنة أي عذاباً ونكالا للظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي. 63
- ومعدنها أشد المعادن وأسوؤها، وشر المغرس، يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها. 64
- إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي: وسطه فهذا مخرجها،
- وأنها ك رءوس الشياطين فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل 65
- ولهذا قال: فإنهم لا يكون منها فمالتون منها البطون فهذا طعام أهل النار، فبنس الطعام طعامهم. 66
- قال تعالى: وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وكما قال تعالى: وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم 67
- ثم ذكر شرابهم فقال: ثم إن لهم عليها أي: على أثر هذا الطعام لشوبا من حميم أي: ماء حاراً، قد انتهى، كما
- ثم إن مرجعهم أي: مآلهم ومقرهم ومأواهم لآلئ الجحيم ليزوقوا من عذابه الشديد، وحره العظيم، ما ليس عليه مزيد من الشقاء. 68
- وكأنه قيل: ما الذي أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: إنهم ألقوا أي: وجدوا آباءهم ضالين 69
- إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى. 7
- أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده
- ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرماً مظلماً لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير
- على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فلماذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى
- وخص الله المشارق بالذكر، لدلائلها
- إليه الرسل، ولا إلى ما حذرتهم عنه الكتب، ولا إلى أقوال الناصحين، بل عارضوهم بأن قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون 70
- فهم على آثارهم يهرعون أي: يسرعون في الضلال، فلم يلتفتوا إلى ما دعته
- ولقد ضل قبلهم أي: قبل هؤلاء المخاطبين أكثر الأولين وقليل منهم آمن واهتدى. 71
- ولقد أرسلنا فيهم منذرين يندرونهم عن غيهم وضلالهم. 72
- فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كانت عاقبتهم الهلاك، والخزي، والفضيحة، فليحذر هؤلاء أن يستمروا على ضلالهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم. 73
- الله المخلصين أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة. ثم ذكر أنموذجاً من عواقب الأمم المكذبين فقال: 74
- ولما كان المنذرون ليسوا كلهم ضالين، بل منهم من آمن وأخلص الدين لله، استثناه الله من الهلاك فقال: إلا عباد
- الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله، تلك المدة الطويلة فلم يزددهم دعاؤه، إلا فراراً، أنه نادى ربه فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً الآية. 75
- يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 76
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 77
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على
- وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 78
- وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسناً مستمراً إلى
- القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه
- وقال: رب انصرني على

تفسير السعدي

وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 79 وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلى القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وقال: رب انصربي على

إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى. 8 أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل. والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداها: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستشير على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها، فهذا قال: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى وخص الله المشارق بالذكر، لدلالاتها

وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم. 80 وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام، وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلى القوم المفسدين فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: فلنعم المجيبون لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وقال: رب انصربي على

قوله: إنه من عبادنا المؤمنين أن الإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه. 81 ودل

قوله: إنه من عبادنا المؤمنين أن الإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه، لأن الله مدح به خواص خلقه. 82 ودل

أي: وإن من شيعة نوح عليه السلام، ومن هو على طريقته في النبوة والرسالة، ودعوة الخلق إلى الله، وإجابة الدعاء، إبراهيم الخليل عليه السلام. 83 وإن من شيعته لإبراهيم

شر، وحصل له كل خير، ومن سلامته أنه سليم من غش الخلق وحسدهم، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، ولهذا نصح الخلق في الله، وبدأ بأبيه وقومه. 84 إذ جاء ربه بقلب سليم من الشرك والشبه، والشهوات المائعة من تصور الحق، والعمل به، وإذا كان قلب العبد سليما، سلم من كل

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون هذا استفهام بمعنى الإنكار، وإلزام لهم بالحجة. 85

ليست بالآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم. 86 أنفكا آلهة دون الله تريدون أي: أتعبدون من دونه آلهة كذبا،

وشركاء. فأراد عليه السلام، أن يكسر أصنامهم، ويتمكن من ذلك، فانتهاز الفرصة في حين غفلة منهم، لما ذهبوا إلى عيد من أعيادهم، فخرج معهم. 87 وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادا

ثلاث كذبات: قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله عن زوجته إنها أختي والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم. 88 فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم في الحديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا

ثلاث كذبات: قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله عن زوجته إنها أختي والقصد أنه تخلف عنهم، ليتم له الكيد بآلهتهم. 89 فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم في الحديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا

ولهم عذاب واصب أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم. 9

ف لهذا تولوا عنه مدبرين فلما وجد الفرصة. 90

فراغ إلى آلهتهم أي: أسرع إليها على وجه الخفية والمراوغة، فقال متهمكما بها ألا تأكلون 91

ما لكم لا تنطقون أي: فكيف يليق أن تعبد، وهي أنقص من الحيوانات، التي تأكل أو تكلم؟ فهذه جماد لا تأكل ولا تكلم. 92

فراغ عليهم ضربا باليمين أي: جعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذا، إلا كبيرا لهم، لعلهم إليه يرجعون. 93

فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم الآية. 94

يقول: تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فوبخوه ولاموه، فقال: بل فعله كبيرهم هذا فسنلوهم إن كانوا ينطقون فرجعوا إلى أنفسهم يسرعون ويهرعون، أي: يريدون أن يوقعوا به، بعدما بحثوا وقالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين وقيل لهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم

فأقبلوا إليه يزفون أي:

ما تحتون أي: تحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟ الذي خلقكم وما تعملون 95
قال هنا: أتعبدون

ما تحتون أي: تحتونه بأيديكم وتصنعونه؟ فكيف تعبدونهم، وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟ الذي خلقكم وما تعملون 96
قال هنا: أتعبدون

قالوا ابنوا له بنيانا أي: عاليا مرتفعا، وأوقدوا فيها النار فألقوه في الجحيم جزاء على ما فعل، من تكسير آلهتهم. 97

فأرادوا به كيدا ليقتلوه أشنع قتلة فجعلناهم الأسفلين رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردا وسلاما. 98

إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي، وقال في الآية الأخرى: وأعزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا 99
فيه هذا الفعل، وأقام عليهم الحجة، وأعذر منهم، قال إني ذاهب إلى ربي أي: مهاجر إليه، قاصد إلى الأرض المباركة أرض الشام. سيهدين يدني
و لما فعلوا

سورة 38

القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تلقيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه. 1
وفروعه. وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان
كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم
هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من جاء به، فقال: ص والقرآن ذي الذكر أي: ذي القدر العظيم والشرف، المذكر للعباد
الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب 10
إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم التحزب والتجند، والتعاون على نصر
أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. فليترقوا في الأسباب الموصلة لهم
الباطل وخذلان الحق؟ وهو الواقع فإن هذا المقصود لا يتم لهم، بل سعيهم خائب، وجندهم مهزوم، ولهذا قال: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب 11
إلى السماء، فيقطعوا الرحمة عن رسول الله، فكيف يتكلمون، وهم أعجز خلق الله وأضعفهم بما تكلموا به؟! أم قصدهم التحزب والتجند، والتعاون على نصر
أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما بحيث يكونون قادرين على ما يريدون. فليترقوا في الأسباب الموصلة لهم
من قبلهم، الذين كانوا أعظم قوة منهم وتحزبا على الباطل، قوم نوح وعاد قوم هود وفرعون ذو الأوتاد أي: الجنود العظيمة، والقوة الهائلة. 12
يحذرهم تعالى أن يفعل بهم ما فعل بالأمم

أي: الأشجار والبساتين الملتفة، وهم قوم شعيب، أولئك الأحزاب الذين اجتمعوا بقوتهم وعددهم وعددهم على رد الحق، فلم تغن عنهم شيئا. 13
وثمود قوم صالح، وقوم لوط وأصحاب الأيكة

إن كل من هؤلاء إلا كذب الرسل فحق عليهم عقاب الله، وهؤلاء، ما الذي يطهرهم ويزكيهم، أن لا يصيبهم ما أصاب أولئك. 14

فلينتظروا صيحة واحدة ما لها من فواق أي: من رجوع ورد، تهلكهم وتستأصلهم إن أقاموا على ما هم عليه. 15

وما قسم لنا من العذاب عاجلا قبل يوم الحساب ولجوا في هذا القول، وزعموا أنك يا محمد، إن كنت صادقا، فعلامة صدقك أن تأتينا بالعذاب 16
أي: قال هؤلاء المكذبون، من جهلهم ومعادنتهم الحق، مستعجلين للعذاب: ربنا عجل لنا قطنا أي: قسطنا

جميع الأمور بالإنابة إليه، بالحب والتأله، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، رجاء إليه عندما يقع منه بعض الخلل، بالإقلاع والتوبة النصوح. 17
أعظم العابدين، نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ذا الأيد أي: القوة العظيمة على عبادة الله تعالى، في بدنه وقلبه. إنه أواب أي: رجاء إلى الله في
الصبر بالعبادة لله وحده، ويتذكر حال العابدين، كما قال في الآية الأخرى: فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن
الحق شيئا، ولا يضررك في شيء، وإنما يضررون أنفسهم. واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب لما أمر الله رسوله بالصبر على قومه، أمره أن يستعين على
اصبر على ما يقولون كما صبر من قبلك من الرسل، فإن قولهم لا يضر

ومن شدة إنابته لربه وعبادته، أن سخر الله الجبال معه، تسبح معه بحمد ربها بالعشي والإشراق أول النهار وآخره. 18

معه مجموعة كل من الجبال والطير، لله تعالى أواب امتثالا لقوله تعالى: يا جبال أوبي معه والطير فهذهمنة الله عليه بالعبادة. 19

و سخر الطير محشورة

تفسير السعدي

- أنزله، وصار معهم عزة وشقاق عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به. 2
فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن
التي بها قوى الله ملكه، ثم ذكر منته عليه بالعلم فقال: وآتيناه الحكمة أي: النبوة والعلم العظيم، وفصل الخطاب أي: الخصومات بين الناس. 20
ثم ذكر منته عليه بالملك العظيم فقال: وشددنا ملكه أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العدد والعدد
صلى الله عليه وسلم: وهل أذاك نبأ الخصم فإنه نبأ عجيب إذ تسوروا على داود المحراب أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان. 21
تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله فتنة لداود، وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، وقبض له هذه القضية، فقال لنبیه محمد
لما ذكر تعالى أنه أتى نبیه داود الفصل في الخطاب بين الناس، وكان معروفاً بذلك مقصوداً، ذكر
قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك، فسيقضان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمزن نبی الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما. 22
بعضنا على بعض بالظلم فاحكم بيننا بالحق أي: بالعدل، ولا تمل مع أحداً ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط والمقصود من هذا، أن الخصمين
ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن خصمان فلا تخف بغى
واحدة فطمع فيها فقال أكفليها أي: دعها لي، وخلصها في كفالتي. وعزني في الخطاب أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد. 23
عدم البغي، وأن بغية الصادر منه أعظم من غيره. له تسع وتسعون نجعة أي: زوجة، وذلك خير كثير، يوجب عليه القناعة بما آتاه الله. ولي نجعة
فقال أحدهما: إن هذا أخي نص على الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة، لاقتضاها
أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه فاستغفر ربه لما صدر منه، وخر راکعاً أي: ساجداً وأتاب لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة. 24
من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. وقليل ما هم كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وظن داود حين حكم بينهما أنما فتناه
الكثير منهم، فقال: وإن كثيراً من الخطاء ليبغي بعضهم على بعض لأن الظلم من صفة النفوس. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإن ما معهم
فلا وجه للاعتراض بقول القائل: لم حكم داود، قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر؟ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وهذه عادة الخطاء والقرناء
فقال داود لما سمع كلامه ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر،
إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها. 25
فقال: وإن له عندنا لزلفى أي: منزلة عالية، وقرية منا، وحسن مأب أي: مرجع. وهذا الذنب الذي صدر من داود عليه السلام، لم يذكره الله لعدم الحاجة
فغفرنا له ذلك الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات،
عن سبيل الله خصوصاً المتعمدين منهم، لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فلو ذكروه ووقع خوفه في قلوبهم، لم يميلوا مع الهوى الفاتن. 26
الهوى فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر فيضلك الهوى عن سبيل الله ويخرجك عن الصراط المستقيم، إن الذين يضلون
القضايا الدينية والدينية، فاحكم بين الناس بالحق أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، ولا تتبع
يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض تنفذ فيها
وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السماوات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر. 27
كفروا من النار فإنها التي تأخذ الحق منهم، وتبلغ منهم كل مبلغ. وإنما خلق الله السماوات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته
والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً من غير فائدة ولا مصلحة. ذلك ظن الذين كفروا بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله. فويل للذين
يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السماوات
في حكمه، ولهذا قال: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار هذا غير لائق بحكمتنا وحكمنا. 28
ولا يظن الجاهل بحكمة الله أن يسوي الله بينهما
أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب. 29
تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود. وليتذكر أولو الألباب أي:
فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركتته وخيره، وهذا يدل على الحث على
وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله. ليدبروا آياته أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته،
كتاب أنزلناه إليك مبارك فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون،
حين مناص أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فليحذر هؤلاء أن يدوموا على عزتهم وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم. 3
فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسول، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن ولات

تفسير السعدي

- إنه أواب أي: رجع إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء. 30
- عليهما السلام فقال: ووهبنا لداود سليمان أي: أنعمنا به عليه، وأقررنا به عينه. نعم العبد سليمان عليه السلام، فإنه اتصف بما يوجب المدح، وهو لما أثنى تعالى على داود، وذكر ما جرى له ومنه، أثنى على ابنه سليمان
- لها منظر رائع، وجمال معجب، خصوصا للمحتاج إليها كالمملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب، فألهته عن صلاة المساء وذكره. 31
- لما عرضت عليه الخيل الجياد سبق الصافنات أي: التي من صفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان أحببت معنى أثرت أي: أثرت حب الخير، الذي هو المال عموما، وفي هذا الموضع المراد الخيل عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب 32
- فقال ندما على ما مضى منه، وتقربا إلى الله بما ألهاه عن ذكره، وتقديما لحب الله على حب غيره: إني أحببت حب الخير وضمن
- ردوها علي فردوها فطفق فيها مسحاً بالسوق والأعناق أي: جعل يعقرها بسيفه، في سوقها وأعناقها. 33
- جسدا أي: شيطانا قضى الله وقدر أن يجلس على كرسي ملكه، ويتصرف في الملك في مدة فتنة سليمان، ثم أناب سليمان إلى الله تعالى وتاب. 34
- ولقد فتنا سليمان أي: ابتليناه واختبرناه بذهاب ملكه وانفصاله عنه بسبب خلل اقتضته الطبيعة البشرية، وألقينا على كرسيه
- لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويفغصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 35
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل
- لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويفغصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 36
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل
- لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويفغصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 37
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل
- لأحد من بعده، وهو تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويفغصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاة وأوثقه. 38
- ف قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكا لم يحصل
- خرج عليك في ذلك ولا حساب، لعلمه تعالى بكمال عدله، وحسن أحكامه، ولا تحسبن هذا لسليمان في الدنيا دون الآخرة، بل له في الآخرة خير عظيم. 39
- وقلنا له: هذا عطاؤنا فقرر به عينا فامتن على من شئت، أو أمسك من شئت بغير حساب أي: لا
- اتباعه، فهذا مما يوجب الشكر عليهم، وتمام الانقياد له. ولكنهم عكسوا القضية، فتعجبوا تعجب إنكار وقالوا من كفرهم وظلمهم: هذا ساحر كذاب 4
- المكذبون في أمر ليس محل عجب، أن جاءهم منذر منهم، ليتمكنوا من التلقي عنه، وليعرفوه حق المعرفة، ولأنه من قومهم، فلا تأخذهم النخوة القومية عن وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي: عجب هؤلاء
- إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الحال أكمل. 40
- عليها الآدميون. ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عليه السلام. ومنها: أن سليمان عليه السلام، كان ملكا نبيا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد
- سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر
- من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فليسليمان عليه السلام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيرا من ذلك، بأن
- محبة الله تعالى على محبة كل شيء. ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشغوم مذموم، فليفارقه وليقبل على ما هو أنفع له. ومنها: القاعدة المشهورة
- إنه أواب ومنها: كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب. ومنها: تقديم سليمان
- له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما، كان نورا على نور. ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله نعم العبد
- الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين. ومنها: أن سليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه
- لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه. ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون
- ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين
- تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزیز على الكريم الغفار. ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق
- أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله
- وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقصة لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال
- الناس. ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفرات الذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده. ومنها: إكرام الله لعبده داود
- للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في
- فلم يشمنز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف. ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة العلاقات الدنيوية المالية، موجبة

تفسير السعدي

أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشتمن، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود وبخهما. ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه أنت ظلمتني أو يا ظالم ونحو ذلك أو باغ علي لقولهما: خصمان بغى بعضنا على بعض. ومنها: بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي. ومنها: كمال حلم داود عليه السلام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال. ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره. ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتا بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه. ومنها: أن داود عليه السلام، كان في أغلب أحواله ملازما محرابه لخدمة ربه، أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان عليهما السلام. ومنها: عبده، أن يركزه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود عليه السلام. ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفياه عندما العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق. ومنها: أن من أكبر نعم الله على فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده. ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عليه السلام، من حسن الصوت المخلة بالقوى المضعفة للنفس. ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتسلى به. ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا في هذا الموضع لما ذكر الله ما ذكر داود وسليمان عليهما السلام. ومنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم ولهذا قال: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أي: هو من المقربين عند الله المكرمين بأنواع الكرامات لله. فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة بنصب وعذاب أي: بأمر مشق متعب معذب، وكان سلب على جسده فنفخ فيه حتى تفرح، ثم تقيح بعد ذلك واشتد به الأمر، وكذلك هلك أهله وماله. 41 الثناء، حين أصابه الضر، فصبر على ضره، فلم يشتك لغير ربه، ولا لجأ إلا إليه. ف نادى ربه داعيا، وإليه لا إلى غيره شاكيا، فقال: رب أني مسني الشيطان أي: واذكر في هذا الكتاب ذي الذكر عبدنا أيوب بأحسن الذكر، وأثن عليه بأحسن

برجلك أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه الله تعالى. 42 فليل له: اركض

أي: وليتذكر أولو العقول بحالة أيوب ويعتبروا، فيعلموا أن من صبر على الضر، أن الله تعالى يثيبه ثوابا عاجلا وآجلا، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. 43 ومثلهم معهم في الدنيا، وأغناه الله، وأعطاه مالا عظيما رحمة منا بعدنا أيوب، حيث صبر فأثبناه من رحمتنا ثوابا عاجلا وآجلا. وذكرى لأولي الألباب ووهبنا له أهله قيل: إن الله تعالى أحياهم له

حال السراء والضراء، والشدة والرخاء. إنه أواب أي: كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله. 44 واحدة، فيبر في يمينه. إنا وجدناه أي: أيوب صابرا أي: ابتليناه بالضر العظيم، فصبر لوجه الله تعالى. نعم العبد الذي كمل مراتب العبودية، في لئن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة، فلما شفاه الله، وكانت امرأته صالحة محسنة إليه، رحمها الله ورحمه، فأفتاه أن يضربها بضغت فيه مائة شمراخ ضربة وخذ بيدك ضغثا أي حزمة شمراخ فاضرب به ولا تحنت قال المفسرون: وكان في مرضه وضره، قد غضب على زوجته في بعض الأمور، فحلف: ابن ابنه يعقوب أولي الأيدي أي: القوة على عبادة الله تعالى والأبصار أي: البصيرة في دين الله. فوصفهم بالعلم النافع، والعمل الصالح الكثير. 45 يقول تعالى: واذكر عبادنا الذين أخلصوا لنا العبادة ذكرا حسنا، إبراهيم الخليل و ابنه إسحاق و

لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر، ويعتبر بهم المعتبر، ويذكرون بأحسن الذكر. 46 إنا أخلصناهم بخالصة عظيمة، وخصيصة جسيمة، وهي: ذكرى الدار جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل وإنهم عندنا لمن المصطفين الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه، الأخيار الذين لهم كل خلق كريم، وعمل مستقيم. 47

فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال، من الأعمال، والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال السديدة. 48 أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر، وأثن عليهم أحسن الثناء،

له من نفاذ أي: وإن للمتقين ربهم، بامثال الأوامر واجتناب النواهي، من كل مؤمن ومؤمنة، لحسن مآب أي: لمآبا حسنا، ومرجعا مستحسنا. 49 ويعرف ما من الله عليهم به من الأوصاف الزكية، وما نشر لهم من الثناء بين البرية، فهذا نوع من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير، ومن أنواع الذكر، نذكرنا ما ذكر هؤلاء الأنبياء الصفوة وذكر أوصافهم، ذكر في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكر بأحوالهم المتذكرون، ويشتاق إلى الاقتداء بأوصافهم الحميدة المقتدون،